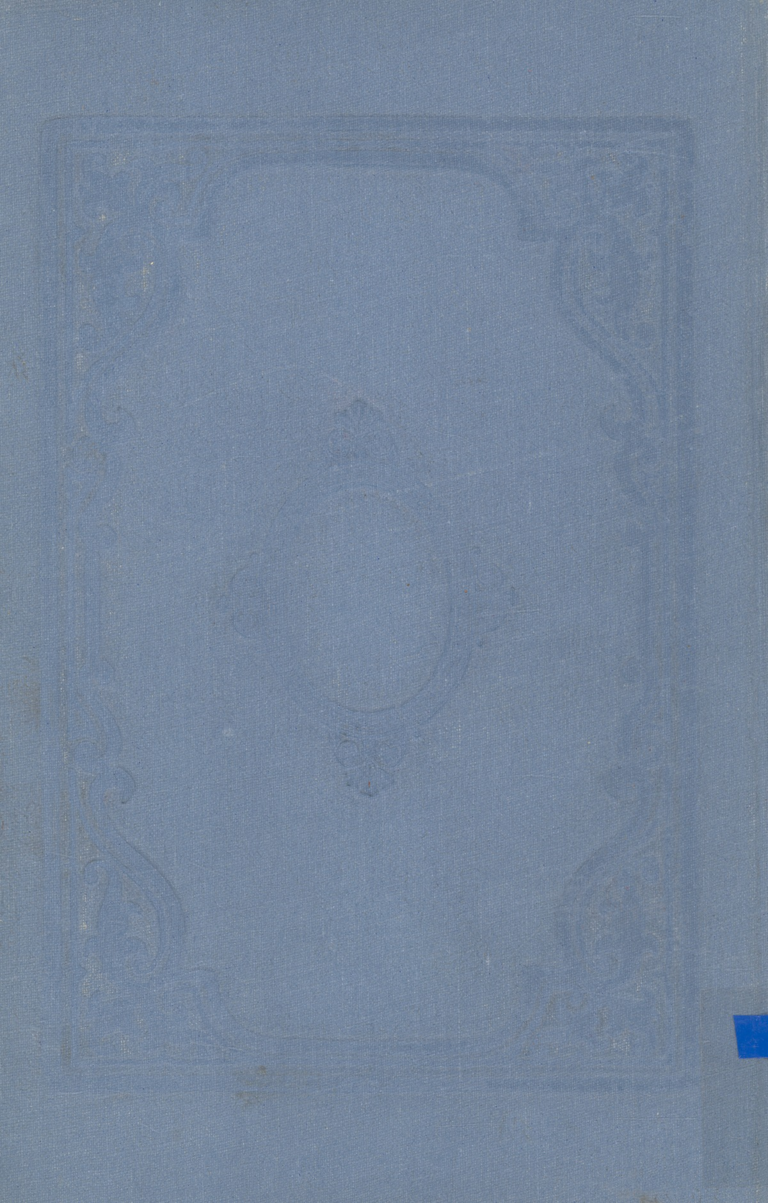
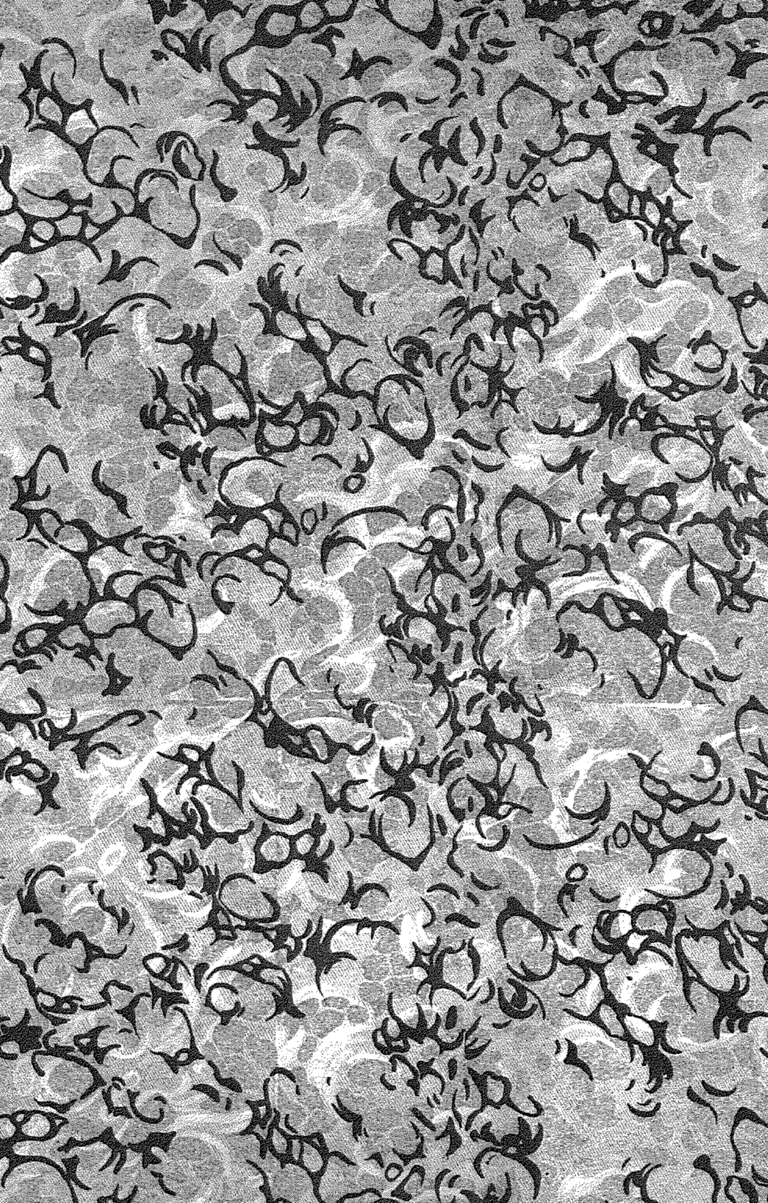
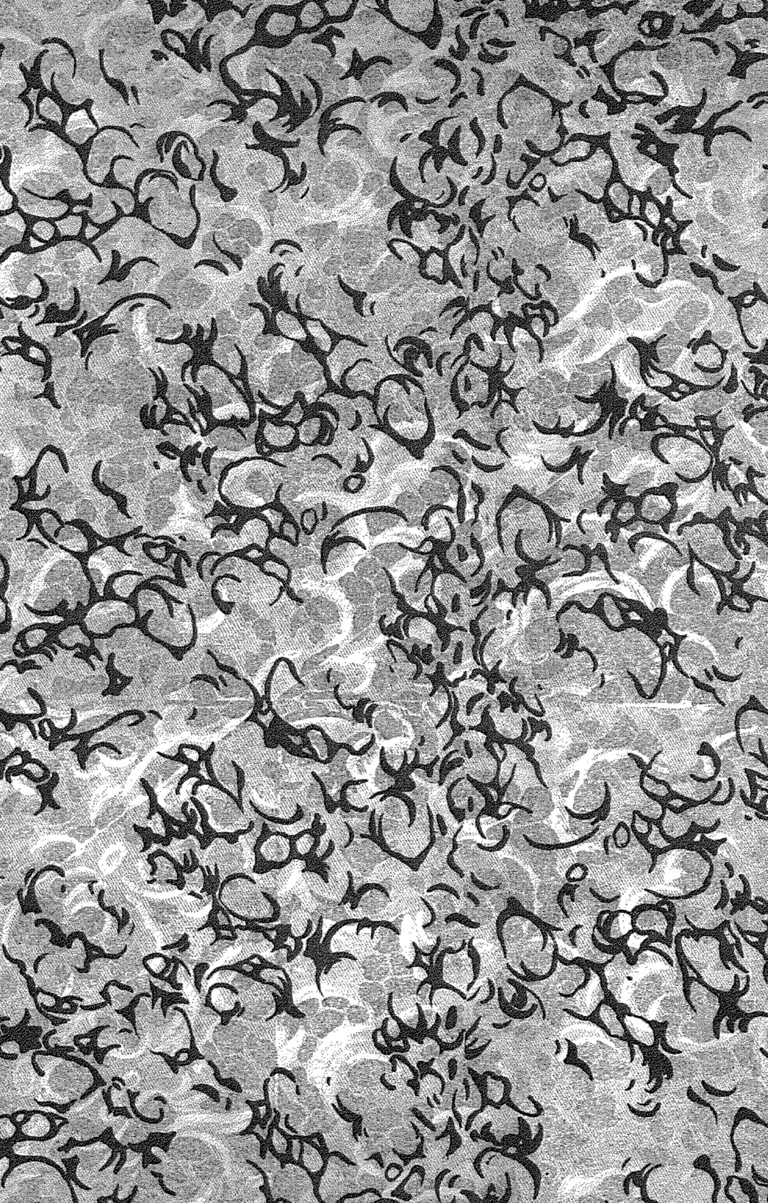






820.1
IBN
A
Reserve

العقد الفريد

لأبى عمر احمد بن محمد بن عبد ربه
القرطبي الاندلسى المتوفى
سنة ٣٢٨ هجرية

الجزء الأول

﴿ الطبعة الاولى ﴾
سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م

(طبع على نفقة محمود افندى شاكر الكتبي)

« صححه وشرح غريب ألفاظه أحد أفاضل العصر »

﴿ حقوق الطبع محفوظة للملتزم ﴾

« طبع بالمطبعة الجمالية بمصر »



(نر) نـ II ١٧٣
63621
٤٦
Ramsun

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الاول بلا ابتداء . الآخر بلا انتهاء . المنفرد بقدرته . المتعالى فى سلطانه . الذى لاتحويه الجهات . ولا تنعته الصفات . ولا تدركه العيون . ولا تبلغه الظنون . البادئ بالاحسان . العائد بالامتنان . الدال على بقائه بفناء خلقه . وعلى قدرته بعجز كل شيء سواه . المغتفر اساءة المذنب بعفوه . وجهل المسيء بحلمه . الذى جعل معرفته اضطرارا . وعبادته اختيارا . وخلق الخلق من بين ناطق معترف بوحدانيته . وصامت متخشع لربوبيته . لايخرج شيء عن قدرته . ولا يعزب عن رؤيته . الذى قرن بالفضل رحمته . وبالعدل عذابه . والناس مدينون بين فضله وعذابه . آذنون بالزوال . آخذون فى الانتقال . من دار بلاء . الى دار جزاء . أحمده على حلمه بعد علمه . وعلى عفوه بعد قدرته . فانه رضى الحمد شكراً لجزيل نعمائه . وجليل آلائه . وجعله مفتاح رحمته . وكفاء نعمته . وآخر دعوى أهل جنته . بقوله جل وعز : « وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين . » وصلى الله على نبيه الكريم الشافع المقرب الذى بعث آخرا . واصطفى أولا . وجعلنا من أهل طاعته . وعتقاء شفاعته .

﴿ وبعد ﴾ فان أهل كل طبقة . وجهابذة كل أمة[1] . قد تكلموا فى الأدب . وتفلسفوا فى العلوم على كل لسان . ومع كل زمان . وأن كل متكلم منهم قد استفرغ غايته . وبذل مجهوده . فى اختصار بديع معانى المتقدمين . واختيار جواهر ألفاظ السالفين . وأكثروا فى ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار . والمتخير الى اختيار . ثم أنى رأيت آخر كل طبقة . وواضعى

---

١) الجهبذ بفتح الجيم والباء وبكسرهما : الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء والجمع جهابذة وهو معرب كهبذ بالفارسية .

كل حكمة . ومؤلفي كل أدب . أعذب ألفاظا . وأسهل بنية . وأحكم مذهباً . وأوضح طريقة . من الاول ، لانه ناقد متعقب . والاول بادمتقدم . فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة . والكتب المترجمة . بعين انصاف ثم يجعل عقله حكما عادلا قاطعا فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع . طيبة المنبت . ذكية التربة . يانعة الثمرة . فمن أخذ بنصيبه منها كان على ارث من النبوة . ومنهاج من الحكمة . لا يستوحش صاحبه . ولا يضل من تمسك به .

﴿ وقد ألفت ﴾ هذا الكتاب . وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب . ومحصول جوامع البيان . فكان جوهر الجوهر . ولباب اللباب . وانما لى فيه تأليف الاختيار . وحسن الاختصار . وفرش لدور كل كتاب [1] . وماسواه فمأخوذ من أفواه العلماء . ومأثور عن الحكماء والادباء . واختيار الكلام أصعب من تأليفه . وقد قالوا : اختيار الرجل وافد عقله . وقال الشاعر:

قد عرفناكَ باختيارك إذ كا * ن دليلا على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون : عقول الناس مدونة فى أطراف أقلامهم . وظاهرة فى حسن اختيارهم . فتطلبت نظائر الكلام . وأشكال المعانى . وجواهر الحكم . وضروب الأدب . ونوادر الامثال . ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه . فجعلته بابا على حدته . ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب . ونظيره من كل باب . وقصدت من جملة الاخبار . وفنون الآثار . الى أشرفها جوهرا . وأظهرها رَوْنقا . وألطفها معنى . واجزلها لفظا . وأحسنها ديباجة . واكثرها طلاوة وحلاوة . آخذا بقول الله تبارك وتعالى: « الذين يَستمعون القولَ فيتبعون أحسنه . » وقال يحيى بن خالد: الناس يكتبون احسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون . وقال ابن سيرين : العلم اكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه وفيما بين ذلك سقطة الرأى وزلل القول ولكل عالم هفوة . ولكل صارم نبوة . وفى بعض الكتب : انفرد الله تعالى بالكمال ولم يبرأ احد من النقصان . وقيل للعتابى : هل تعلم احداً لا عيب فيه . قال : ان الذى لا عيب فيه لا يموت ابدا ، ولا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة . وقال العتابى : من قرض شعرا أو وضع كتابا فقد استهدف للخصوم واستشرف للالسن الا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى وقليل ماهم .

وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلبا للاستخفاف والايجاز وهربا من التثقيل

---

١) الفرش : المفروش من متاع الدار بمعنى رياشها واثاثها . أو من فرشت الشىء اذا بسطته .

والتطويل لانها أخبار ممتعة وحكم ونوادر . لاينفعها الاسناد باتصاله . ولا يضرها ما حذف منها . وقد كان بعضهم : يحذف اسناد الحديث من سنة متبعة وشريعة مفروضة فكيف لا يحذفه من نادرة شاردة ومثل سائر وخبر مستظرف . سأل حفص بن غياث الاعمش : عن اسناد حديث فأخذ بحلقه واسنده الى حائط . وقال : هذا اسناده . وحدث ابن السماك بحديث . فقيل له : مااسناده . قال : هو من المرسلات عرفا ، وحدث الحسن البصرى بحديث . فقيل له : ياابا سعيد عمن ! قال : وما تصنع بعمن يا ابن اخى ؟ اما انت فنالتك موعظتنا وقامت عليك حجته .

وقد نظرت فى بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة فى فنون الاخبار . ولا جامعة لجمل الآثار . فجعلت هذا الكتاب كافيا جامعا لاكثر المعانى التى تجرى على افواه العامة والخاصة . وتدور على ألسنة الملوك والسُوقة . وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار فى معانيها وتوافقه فى مذاهبها . وقرنت بها غرائب من شعرى ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته . و بلدنا على انقطاعه . حظا من المنظوم والمنثور . وسميته كتاب :

العقد الفريد (1)

لما فيه من مختلف جواهر الكلام . مع دقة المسلك وحسن النظام . وجزأته على

---

١) العقد : بكسر العين الخيط ينظم فيه الخرز . ولا بأس أن نأتي هنا على تفسير جواهر هذا العقد فنقول : اللؤلؤة . الدرة . والفريدة : واحدة الفرائد وهى الشذر الذى يفصل بين اللؤلؤ والذهب ، وقيل هى الشذر من فضة كاللؤلؤة . والزبرجدة : واحدة الزبرجد بفتحات والراء ساكنة الزمرد . والجمانة بالضم : حبة تعمل من الفضة على شكل اللؤلؤة واحدها جمان فارسى معرب . والمرجانة بالفتح : واحدة المرجان جوهر أحمر . قال ابن برى : والذي عليه الجمهور انه صغار اللؤلؤ كما ذكره الجوهري . والياقوتة واحدة الياقوت : معدن معلوم . قال الجوهرى يقال فارسى معرب . والجوهرة : واحدة الجوهر معروف قيل فارسى معرب . قال الخفاجي : وقال المعري عربي : والزمردة . واحدة الزمرد معدن معروف نص عليه التيفاشى في كتاب الجماهر وتقدم أنه الزبرجد . والدرة : اللؤلؤة العظيمة واليتيمة : الدرة التى لانظير لها . وكل شئ مفرد بغير نظيره فهو يتيم ومنه درة يتيمة . والعسجدة : من العسجد وهو الذهب . وقيل هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت . والمجنبة بكسر النون : واحدة المجنبات من الميمنة والميسرة : وأما المجنبة بالفتح فهى المقدمة . والواسطة : أنفس جوهر القلادة . قال فى الصحاح : واسطة القلادة الجوهر الذي هو في وسطها وهو أجودها .

خمسة وعشرين كتابا كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزءاً فى خمسة وعشرين كتابا .
قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد . فاولها : كتاب اللؤلؤة فى السلطان ،
ثم كتاب الفريدة فى الحروب ومدار أمرها ، ثم كتاب الزَبَرْجدة فى الاجواد والاصفاد ،
ثم كتاب الجُمانة فى الوفود ، ثم كتاب المَرْجانة فى مخاطبة الملوك ، ثم كتاب الياقوتة فى العلم
والادب ، ثم كتاب الجوهرة فى الامثال ، ثم كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد ، ثم كتاب
الدرة فى التعازى والمراثى ، ثم كتاب اليتيمة فى النسب وفضائل العرب ، ثم كتاب العسجدة
فى كلام الاعراب ، ثم كتاب المجنبة فى الاجوبة ، ثم كتاب الواسطة فى الخطب ،
ثم كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة ، ثم كتاب العسجدة
الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وايامهم ، ثم كتاب اليتيمة الثانية فى اخبار زياد والحجاج والطالبيين
والبرامكة ، ثم كتاب الدرة الثانية فى ايام العرب ووقائعهم ، ثم كتاب الزمردة الثانية فى فضائل
الشعر ومقاطعه ومخارجه ، ثم كتاب الجوهرة الثانية فى اعاريض الشعر وعلل القوافى ، ثم
كتاب الياقوتة الثانية فى الالحان واختلاف الناس فيه ، ثم كتاب المَرْجانة الثانية فى النساء
وصفاتهن ، ثم كتاب الجمانة الثانية فى المتنبئين والموسومين والبخلاء والطفيليين ، ثم كتاب
الزبرجدة الثانية فى بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان ، ثم كتاب الفريدة الثانية فى الطعام
والشراب ، ثم كتاب اللؤلؤة الثانية فى الفكاهات والملح .

— ١ —

كتاب اللؤلؤة فى السلطان

السلطان زمام الامور ، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود ، والقطب الذى عليه مدار الدنيا .
وهو حمى الله فى بلاده ، وظله الممدود على عباده . به يمتنع حريمهم ، وينتصر مظلومهم ، وينقمع
ظالمهم ، ويأمن خائفهم . قالت الحكماء : امام عادل خير من مطر وابل ، وامام غشوم خير
من فتنة تدوم ، ولما يزع الله بالسلطان ، أكثر مما يزع بالقرآن . وقال وهب بن منبه : فيما أنزل
الله على نبيه داود عليه السلام . انى أنا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدى . فمن كان لى على طاعة
جعلت الملوك عليهم رحمة ، ومن كان لى على معصية ، جعلت الملوك عليهم نقمة . فحق على من قلده
الله أزمة حكمه ، وملكه أمور خلقه ، واختصه باحسانه ، ومكن له فى سلطانه ، أن يكون من
الاهتمام بمصالح رعيته ، والاعتناء بمرافق أهل طاعته ، بحيث وضعه الله من الكرامة ،

وأجرى عليه من أسباب السعادة . قال الله عز وجل : «الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور .» وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عدل ساعة فى حكومة خير من عبادة ستين سنة . وقال صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته . وقال الشاعر :

فكلكُمُ راع ونحن رعيةٌ * وكلٌّ يلاقى ربه فيحاسبهْ

ومن شأن الرعية قلة الرضا عن الائمة ، وتحجر العذر عليهم ، والزام الائمة لهم . ورب ملوم لا ذنب له . ولا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة ، إذ كان رضا جملتها وموافقة جماعتها من المعجز الذى لا يدرك والممتنع الذى لا يملك . ولكل حصته من العدل ، ومنزلته من الحكم . فمن حق الامام على رعيته : أن يقضى عليهم بالاغلب من فعله ، والاعم من حكمه . ومن حق الرعية على امامها : حسن القبول لظاهر طاعتها واضرابه صفحا عن مكاشفتها ، كما قال زياد لما قدم العراق واليا عليها : أيها الناس انه قد كانت بيني و بينكم احن . فجعلت ذلك دَبَر اذنى وتحت قدمى ، فمن كان محسناً فليزد فى احسانه ومن كان مسيئاً فلينزع عن اساءته . انى لو علمت أن احدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدى صفحته لى . وقال عبد الله بن عمر : اذا كان الامام عادلا فله الاجر ، وعليك الشكر ، واذا كان الامام جائراً فله الوزر ، وعليك الصبر . وقال كعب الاحبار : مثل الاسلام والسلطان [والناس] مثل الفسطاط والعمود [والاوتاد] فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاوتاد الناس ولا يصلح بعضها الا ببعض ، وقال الافوه الاودى :

لا يصلُحُ الناس فوضى لا سَراة لهم * ولا سَراة اذا جهالُهُم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا له عَمَد * ولا عِماد اذا لم تَرس أوتاد

وان تجمَّعَ أوتادٌ وأعمدة * وساكنٌ بلغوا الامر الذى كادوا

١ — نصيحة السلطان ولزوم طاعته — قال الله تبارك وتعالى : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم» . وقال أبو هريرة : لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الائمة وطاعتهم من طاعة الله . وعصيانهم من عصيان الله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من فارق الجماعة أو خلع يدا من طاعة مات ميتة جاهلية . وقال صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله . قال : لله ولرسوله ولاولى

الامر منكم . فنصح الامام ولزوم طاعته فرض واجب وأمر لازم ولا يتم إيمان إلا به ولا يثبت اسلام الا عليه . الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال لي أبي أرى هذا الرجل – يعني عمر بن الخطاب – يستفهمك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . واني موصيك بخلال أربع . لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تطوعنه نصيحة ولا تغتابن عنده أحدا . قال الشعبي : فقلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف . قال : أي والله ومن عشرة آلاف . وفي كتاب للهند : أن رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال : أيها الملك ان نصيحتك واجبة في الصغير الحقير [فكيف] بالكبير الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه في جنب صلاح العامة وتلافي الخاصة لكان خرقا مني ان اقول . ولكنا اذا رجعنا الى أن بقاءنا موصول ببقائك وأنفسنا متعلقة بنفسك لم نجد بدا من أداء الحق اليك وان أنت لم تسلني ذلك فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والاطباء مرضه والاخوان بثه فقد اخل بنفسه[1] . وأنا أعلم ان كل كلام يكرهه سامعه لم يتشجع عليه قائله الا ان يثق بعقل المقول له ذلك فانه اذا كان عاقلا احتمل ذلك لانه ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل وانك أيها الملك ذو فضيلة في الرأي وتصرف في العلم فانما يشجعني ذلك على ان اخبرك بما تكره واثقا بمعرفة نصيحتي لك وايثاري إياك على نفسي . وقال عمرو بن عتبة للوليد حين تغير الناس عليه : يا أمير المؤمنين ينطقني الانس بك ويسكتني الهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك أفأسكت مطيعا أم أقول مشفقا . قال : كل مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه [ونعود فنقول] فقتل بعد ذلك بايام . وقال خالد بن صفوان : من صحب السلطان بالصحة والنصيحة [كان] أكثر عدواً ممن صحبه بالغش والخيانة لانه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد . فصديق السلطان ينافسه في مرتبته وعدوه يبغضه لنصيحته .

٢ — ما يصحب به السلطان — قال ابن المقفع : ينبغي لمن خدم السلطان أن لا يغتر به اذا رضي منه ولا يتغير له اذا سخط ولا يستثقل ما حمله ولا يلحف في مسألته . وقال أيضاً : لا تكن صحبتك السلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم . فان كنت حافظا اذا ولوك

١) أورد هذه الجملة ابن قتيبة في كتاب السلطان الى هنا مع اختلاف غير مخل بالمعنى الى كثير من جمل هذا الباب . والكلمات التي تجدها بين قوسين [هكذا] فانها مزيدة منه .

حذرا اذاقربوك اميناً اذا ائتمنوك ذليلا اذا صرموك راضيا إن أسخطوك تعلمهم وكأنك متعلم منهم وتؤدبهم وكأنك متأدب بهم وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر . والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر[١] . وقال المأمون: الملوك تتحمل كل شيء الا ثلاثة أشياء القدح في الملك[٢] وافشاء السر والتعرض للحرم . وقال ابن المقفع : اذا نزلت من السلطان بمنزلة الثقة فلا تَلزم الدعاء له في كل كلمة فان ذلك يوجب الوحشة ويلزم الانقباض . وقال الاصمعي : توصلت بالملح وأدركت بالغريب . وقال أبو حازم الاعرج لسليمان بن عبد الملك : انما السلطان سوق فما نفق عنده حمل اليه . ولما قدم معاوية من الشام وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على امه هند . فقالت له : يا بني انه قلما ولدت حرة مثلك وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه احببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه أبي سفيان . فقال له : يا بني ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا فصرنا أتباعا وصاروا قادة وقد قلدوك جسيما من أمرهم فلا تخالفن أمرهم فانك تجرى الى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه . قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ . وقال ابرويز لصاحب بيت المال : انى لا اعذرك في خيانة درهم ولا احمدك على صيانة ألف ألف لانك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم امانتك فان خنت قليلا خنت كثيرا واحترس من خصلتين : النقصان فيما تأخذ والزيادة فيما تعطى . واعلم انى لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والقوة على العدو إلا وأنت عندى آمن [من] موضعه الذى هو فيه وخواتمه التى هى عليه فحقق ظنى باختيارى اياك أحقق ظنك في رجائك إياى ولا تتعوّض بخير شرا ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة . ولما ولى يزيد بن معاوية سلْم خراسان ابن زياد . قال له : ان اباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر منى فقد اتكلتك على كفاية منك واياك منى قبل ان اقول اياى منك فان الظن اذا اختلف منى فيك اختلف منك فىّ وأنت في أدنى حظك فاطلب فىّ اقتضاءه وقد اتعبك أبوك فلا تريحن . قال يزيد : حدثني أبي أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام قدم على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمر حتى اخبر فرجع اليه فلما قرب منه نزل اليه

---

١) أوردها ابن المقفع في الادب الصغير بأبسط مما هنا .

٢) في الاصل : الفرح في اهلك . ولعل الصواب ما كتبناه .

فاعرض عنه فجعل يمشي الى جنبه راجلا . فقال له عبد الرحمن بن عوف : اتعبت الرجل فاقبل عليه عمر . فقال : يامعاوية أنت صاحب الموكب آنفا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك . قال : نعم ياأمير المؤمنين . قال : ولم ذاك ؟ قال : لانا في بلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك اقمت عليه . وان نهيتني عنه انتهيت . فقال : لئن كان الذي تقول حقا فانه رأي أريب ، وان كان باطلا فانها خدعة أديب ، وما آمرك به ولا انهاك عنه . فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ما صدر هذا الفتى عما أوردته فيه . فقال : لحسن موارده جشمناه ما جشمناه . وقال الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا ، فلما قدمنا أتيت يرفا . فقلت يا يرفا : ابن سبيل مسترشد اخبرني أي الهيئات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الى الخشونة فاخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت رأسي بعمامة دكناء [١] ثم دخلنا على عمر فصفنا بين يديه وصعّد فينا نظره وصوب فلم تأخذ عينه احدا غيري فدعاني . فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي . قال : وما تتولى من أعمالنا . قلت : البحرين . قال : فكم ترزق . قلت : خمسة دراهم في كل يوم . قال : كثيرا فما تصنع بها . قلت : أتقوت منها شيا وأعود بباقيها على أقارب لي فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين فقال : لا بأس ارجع الى موضعك ، فرجعت الى موضعي من الصف . ثم صعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال : كم سنوك . فقلت : ثلاث واربعون سنة . قال : الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلين العيش وقد تجوعت له فاتي بخبز يابس وأكسار بغير ادام فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فاجيد الاكل فنظرت فاذا به يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض ولم الفظ بها . فقلت : ياأمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا فزجرني .

---

١) قوله : خفين مطارقين : أي مخصوفين بجلد . وقوله : ولثت رأسي بعمامة دكناء أي ادرتها بعضها على بعض على غير استواء . يقال : رجل الوث اذا كان ذاشر وذلك من اللوث . ورجل ألوث اذا كان أهوج مأخوذ من اللوثة . كذا وجدته في متن النسخة المطبوعة مع قوله ولثت رأسي الى آخر القولة . ودكن العمامة : اغبرار لونها أو اتساخها .

وقال : كيف قلت . قلت : أقول لو نظرت يا أمير المؤمنين الى قوتك من الطحين قبل ارادتك اياه بيوم و يطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا و باللحم غريضا فسكن من غَرْبه . وقال : هذا قصدت . قلت : نعم . قال : يار بيع انا لو نشاء لملأ° نا هذه الرحاب من صلائق[1] وسبائك وصناب ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم . فقال : « اذهبتم طيباتكم في حياتكم . الدنيا واستمتعتم بها » ثم أمر أباموسى ان يقرني وان يستبدل باصحابي .

ومما يصحب به السلطان : أن لا يسلم على قادم بين يديه وانما استن ذلك زيادٌ ، وذلك ان عبدالله بن عباس قدم على معاوية وعنده زياد فرحب به معاوية وألطفه وقرب مجلسه ولم يكلمه زياد شيأ فابتدأ ابن عباس . وقال : ماحالك أبا المغيرة كانك أردت ان تحدث بيننا و بينك هجرة . قال : لا ولكنه لا يسلم على قادم بين يدي امير المؤمنين . فقال له ابن عباس : ماترك الناس التحية بينهم بين يدي أمرائهم . فقال له معاوية : كف عنه يا ابن عباس فانك لا تشاء أن تَغلب الا غلبت . أبو حاتم عن العتبي . قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر بن الخطاب . فأقعدهما بين يديه وجعل يسائلهما عن أعمالهما الى أن اعترض عمرو في حديث معاوية فقال له معاوية : أعملي تعيب والىّ تقصد : هلم تخبر أمير المؤمنين عن عملي واخبره عن عملك . قال عمرو فعلمت انه بعملي أبصر مني بعمله ، وأن عمر لا يدع اول هذا الحديث حتى يصير الى آخره فاردت ان افعل شيئاً اشغل به عمر عن ذلك فرفعت يدي فلطمت معاوية . فقال عمر : تالله مارأيت رجلا اسفه منك ، قم ؟ يامعاوية فاقتص منه . قال معاوية : ان أبي امرني ان لا اقضي أمرا دونه ، فارسل عمر الى ابي سفيان فلما اتاه ألقى له وسادة . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ، ثم قص عليه ماجرى بين عمرو ومعاوية . فقال : لهذا بعثت الىّ أخوه وابن عمه وقد أتى غير كبير وقد وهبت ذلك له . وقالوا : ينبغي لمن صحب السلطان ان لا يكتم عنه نصيحة ، وان استثقلها . وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خرق حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك ولكن يضرب له الامثال و يخبره بعيب غيره

---

١) قوله : والغريض : الطري . وقوله : فسكن من غربه أي من حدته . صلائق هي شيء يعمل من اللحم فنها مايطبخ ومنها مايشوى يقال صلقت اللحم اذا طبخته وصلقته اذا شويته . وسبائك يريد الحواري من الخبز وذلك انه يسبك فيؤخذ خالصه والعرب تسمي الرقاق السبائك . والصناب طعام يؤخذ من الزبيب والخردل ومنه قيل للفرس صنابي اذا كان في ذلك اللون حمرة قال جرير :

تكلفني معايش آل زيد ✵ ومن لي بالمرقق والصناب (كذا من متن الاصل)

ليعرف عيب نفسه . وقالوا : من تعرض للسلطان ازراه ومن تطامن له تخطاه . فشبهوا السلطان فى ذلك بالريح الشديدة التى لا تضر بالان وتمايل معها من الحشيش والشجر ، وما استهدف لها قصمته . قال الشاعر :

انّ الرياحَ اذا ما أعصفَتْ قصفتْ * عيدَانَ بحر ولا يعبأن بالرّتَمِ [1]

وقالوا : اذا زادك السلطان اكراما فزده اعظاما واذا جعلك عبدا فاجعله ربا

٣ — اختيار السلطان لاهل عمله — لما وجه عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد الى خراسان . قال له: اوصيك بثلاثة حاجبك، فانه وجهك الذى به تلقى الناس ان احسن فانت الحسن وان أساءَ فانت المسيء وصاحب شرطتك ، فانه سوطك وسيفك حيث وضعتهما وعمال القرى . قال : وما عمال القرى . قال : ان تختار من كل كورة رجالا لعملك فان أصابوا فهو الذى اردت وان اخطؤا فهم المخطئون وانت المصيب . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجرشى فول القضاء أنفذهما فجمع بينهما فقال له اياس : ايها الرجل سل عنى وعن القاسم فقيهى البصرة الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتى الحسن وابن سيرين وكان اياس لا يأتيهما فعلم القاسم انه ان سألهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنى ولا عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان إياس ابن معاوية أفقه منى واعلم بالقضاء فان كنت كاذبا فما ينبغى أن توليني وان كنت صادقا، فينبغى لك ان تقبل قولى . فقال له اياس : انك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف . فقال له عدى : اما اذ فهمتها فانت لها فاستقضاه . وقال عدى بن ارطأة لاياس بن معاوية : دلنى على قوم من القراء اولهم . فقال له القراء: ضربان ضرب يعملون للآخرة لا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا أمكنتهم منها ولكن عليك باهل البيوتات الذين يستحيون لاحسابهم فولهم . أيوب السختيانى . قال : طُلب أبو قلابة للقضاء فهرب الى الشام فأقام حينا ثم رجع . قال أيوب : فقلت له لو وليت القضاء وعدلت كان لك أجران . قال : يا أيوب اذا وقع السابح فى البحر كم

١) أعصفت الريح : لغة فى عصفت اذا اشتدت . والقصف : الكسر . وقوله : « عيدان بحر » كذا بالاصل والبحر لا ينبت العيدان وربما كان مصحفاً عن نجر أو عيدان نخل جمع عيدانة وهي النخلة الطويلة . والرتم : نبات من دق الشجر كانه من دقته يشبه بالرتم .

عسى ان يسبح . وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه : دلوني على رجل استعمله . فقال له روح ابن زنباع : أدلك يا أمير المؤمنين على رجل ان دعوتموه اجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملحف طلبا ولا بالممعن هربا عامر الشعبي . فولاه قضاء البصرة . وسأل عمر بن عبد العزيز أبا مخلد : عن رجل يوليه خراسان . فقال له : ما تقول في فلان . قال : مصنوع له وليس بصاحبها . قال ففلان : قال سريع الغضب بعيد عن الرضا يسأل الكثير ويمنع القليل يحسد وينافس أباه ويحقر مولاه . قال ففلان : قال يكافىء الاكفاء ويعادي الاعداء ويفعل ما يشاء . قال : ما في واحد من هؤلاء خير . وأراد عمر بن الخطاب : ان يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب منه العمل . فقال عمر : والله لقد اردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يعن عليه . وطلب رجل من النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله . فقال : انا لا نستعمل على عملنا من يريده . وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم الى النبي ولاية . فقال : ياعم نفس تحييها خير من ولاية لا تحصيها . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لخالد بن الوليد : فر من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت توهب لك الحياة . وتقول النصارى : لا نختار للجثلقة [1] الا زاهدا فيها غير طالب لها . وقال اياس بن معاوية : ارسل الي ابن هبيرة فأتيته فساكتني فسكت فلما أطلت . قال : هيه . قلت : سل عما بدا لك قال : أتقرأ القرآن ؟ . قلت : نعم ! . قال : أتفرض الفرائض ؟ . قلت : نعم ! . قال أتعرف من ايام العرب شيئاً ؟ . قلت : نعم ! . قال : أتعرف من ايام العجم شيئا ؟ . قلت : انا بها اعرف . قال : اني اريد ان استعين بك على عملي . قلت : ان فيّ خلالا ثلاثا لا اصلح معها للعمل . قال : ماهي ؟ . قلت : انا دميم كما ترى وانا حديد وانا عيي . قال : اما دمامتك فاني لا اريد أن احاسن الناس بك واما العي فاني أراك تعرب عن نفسك واما الحدة فان السوط يقومك . قال : فولاني وأعطاني مائة درهم فهي اول مال تمولته . وقال الاصمعي : ولي سليمان بن حبيب المحاربي قضاء دمشق لعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام وأراد عمر بن عبد العزيز مكحولا على القضاء عليها فأبى . قال له : وما يمنعك ؟ . قال مكحول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضي بين الناس الا ذو شرف في قومه . وأنا مولى . ولما قدم رجال الكوفة على عمر ابن الخطاب يشكون سعد بن أبي وقاص . فقال : من يعذرني من اهل الكوفة ان وليتهم

[1] الجثلقة : وظيفة دينية عند النصارى والموظف بها يسمونه جاثليقاً .

التقى ضعفوه وان وليتهم القوى فجروه . فقال له المغيرة : ياأمير المؤمنين ان التقى الضعيف له تقواه وعليك ضعفه والقوى الفاجر لك قوته وعليه فجوره . قال : صدقت فأنت القوى الفاجر فاخرج اليهم ، فلم يزل عليهم أيام عمر وصدرا من أيام عثمان وأيام معاوية حتى مات المغيرة .

٤ — حسن السياسة واقامة المملكة — كتب الوليد بن عبد الملك : الى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : انى أيقظت رأيى وأنمت هواى فادنيت السيد المطاع فى قومه ووليت المجرب الحازم فى أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسى قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتى ونظرى وصرفت السيف الى النطف [١] المسىء والثواب الى المحسن البرىء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب . وقال اردشير لابنه : يابنى ان الملك والعدل اخوان لاغنى باحدهما عن صاحبه فالملك أس والعدل حارس فمالم يكن له أس فمهدوم . ومالم يكن له حارس فضائع . يابنى اجعل حديثك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه ماعناك من ذوى العقول . وقالت الحكماء : مما يجب على السلطان ، العدل فى ظاهر أفعاله لاقامة أمر سلطانه وفى باطن ضميره لاقامة أمر دينه فاذا فسدت السياسة ذهب السلطان . ومدار السياسة كلها على العدل والانصاف لايقوم سلطان لاهل الكفر والايمان الابهما ولايدور الاعليهما . مع ترتيب الامور مراتبها وانزالها منازلها . وينبغى لمن كان سلطانا ان يقيم على نفسه حجة السلطان وليكن حكمه على غيره بمثل حكمه على نفسه فانما يعرف حقوق الاشياء من عرف مبلغ حدودها ومواقع أقدارها ولايكون احد سلطانا حتى يكون قبل ذلك رعية . وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كلكم يترشح لهذا الامر ، ولايصلح له منكم الامن كان له سيف مسلول ومال مبذول وعدل تطمئن اليه القلوب . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لايصلح لهذا الامر الااللين من غير ضعف القوى من غير عنف . وكتب ارسطاطاليس الى الاسكندر : املك الرعية بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك باحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك . واعلم انك انما تملك الابدان فاجمع لها القلوب [بالمعروف] . واعلم ان الرعية اذا قدرت ان تقول . قدرت أن تفعل فاجتهد ان لاتقول تسلم

١) النطف : العيب والفساد يقال هم أهل الريب والنطف .

ان تفعل . وقال اردشير لاصحابه : إنما أملك الاجساد لا النيات واحكم بالعدل لا بالرضا وافصح عن الاعمال لا عن السرائر . وكان عمرو بن العاص يقول فى معاوية : اتقوا آدم قريش وابن كريمها من يضحك فى الغضب ولا ينام الا عن الرضا ويتناول مافوقه من تحته . وقال معاوية : انى لا اضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ولو أن بينى و بين الناس شعرة ما انقطعت . فقيل له : وكيف ذلك ؟ . قال : كنت اذا مدوها ارخيتها واذا ارخوها مددتها . وقال عمرو : رأيت معاوية فى بعض أيامنا بصفين خرج فى عدة لم أره خرج فى مثلها فوقف فى قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنة فيرى الخلل فيبدر اليه من ميسرة ثم يفعل ذلك بميسرته فتغنيه اللحظة عن الاشارة فدخله زهو مما رأى . فقال يا ابن العاص : كيف ترى هؤلاء وما هم عليه . فقلت : والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا فما رأيت أحدا أوتى له من طاعة رعيته ما أوتى لك من هؤلاء . فقال : أفتدرى متى يفسد هذا وفى كم ينتقض جميعه . قلت : لا ! . قال : فى يوم واحد . قال : فاكثرت التعجب . قال : أى والله و فى بعض يوم . قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين . قال : اذا كُذبوا فى الوعد والوعيد واعطوا على الهوى لا على الغنى [1] فسد جميع ما ترى . وكتب عبد الله بن عباس الى الحسن بن على إذ ولاه الناس أمرهم بعد على رضى الله عنه : أن شمر للحرب وجاهد عدوك واشترمن الضنين دينه بما لا يثلم دينك وول أهل البيوتات تستصلح بهم عشائرهم . وقالت الحكماء : اسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها باسبابها من الرغبة والرهبة . وقال ابرويز لابنه شيرويه : لا توسعن على جندك سعة يستغنون بها عنك ولا تضيقن عليهم ضيقا يضجون به منك ولكن اعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا وابسط لهم فى الرجاء ولا تبسط لهم فى العطاء . ونحو هذا قول المنصور لبعض قواده ، صدق الذى قال : اجع كلبك يتبعك وسمنه يأكلك . فقال له عباس الطوسى [2] : يا أمير المؤمنين ان اجعته يلوح له غيرك برغيف فيتبعه و يدعك . وكتب إبرويز الى ابنه شيرويه من الحبس : اعلم ان كلمة منك تسفك دماء وأخرى تحقن دماء وان سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه وان رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه وان نفاذ أمرك مع

١) كذا فى الاصول ولعله مصحف عن الغناء . فيكون المعنى اذا أعطوا على قدر بلاءهم .

٢) فى كتاب السلطان لابن قتيبة : فقام أبو العباس الطوسى فقال يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوح الخ .

ظهور كلامك فاحترس فى غضبك من قولك ان يخطئ ومن لونك ان يتغير ومن جسدك ان يخف . فان الملوك تعاقب حذرا وتعفو حلما . واعلم انك تجل عن الغضب وان ملكك يصغر عن رضاك فقدر لسخطك من العقاب كما تقدر لرضاك من الثواب . وقال الوليد بن عبد الملك لابيه : ياأبت ماالسياسة . قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها واحتمالها فوات الضائع . وخطب سعيد بن سويد بحمص: فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا مااشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل . وقال عبد الله بن الحكم : انه قد يضطغن على السلطان رجلان رجل أحسن فى محسنين فأثيبوا وحرم . ورجل أساء فى مسيئين فعوقب وعفى عنهم . فينبغى للسلطان ان يحترس منهما . وفى التاج : كتب ابرويز لابنه شيرويه يوصيه : ليكن من تختاره لولايتك امرأ كان فى ضعة فرفعته . أوذا شرف كان مهملا فاصطنعته ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ولا أحدا ممن يقع بقلبه ان ازالة سلطانك أحب اليه من ثبوته واياك إياك ان تستعمله ضَرِعا غِمْرا [1] كثيرا اعجابه بنفسه قليلا تجربته فى غيره ولا كبيرا مُدبِرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه .

٥ — بسط المعدلة ورد المظالم — الشيبانى . قال حدثنا محمد بن زكريا عن عباس المفضل الهاشمى فى خطبة ابن حميد: قال انى لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان آخر من تقدم اليه وقدهم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه . فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون الى يحيى بن أكثم فقال لها يحيى : وعليك السلام ياأمة الله تكلمى فى حاجتك . فقالت :

ياخير منتصف يهدى له الرَّشد * ويااماما به قد أشرقَ البلدُ
تشكو اليك عميدَ القوم أرملة * عدا عليها فلم يترك لها سبَدُ [2]
وابتزَّ منى ضياعى بعد منعتها * ظلما وفرّق منى الاهل والولدُ

١) الضرع : المتذلل المتخشع . والغمر : بالكسر الضغن والحاقد وبالفتح المعجب بنفسه . وقوله كثيرا اعجابه الخ ففى التاج : كثر اعجابه بنفسه وقلت تجاربه فى غيره الخ

٢) السبد : فى الاصل مايطلع من رؤس النبات قبل أن ينتشر والسبد الوبر والعرب تقول : ماله سبد ولا لبد يكنى بهما عن الابل والغنم .

فاطرق المأمون حينا . ثم رفع رأسه اليها وهو يقول :

في دون ماقلت زال الصبر والجلد * عني وأقرح مني القلب والكبدُ
هذا أذانُ صلاة العصر فانصرفي * وأحضري الخصم في اليوم الذي أعدُ
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا * ننصفك منه والا المجلس الاحدُ

قال فلما كان يوم الاحد جلس . فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته . فقال : وعليك السلام أين الخصم . فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت الى العباس ابنه فقال يا أحمد بن ابي خالد خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم . فجعل كلامها يعلو كلام العباس . فقال لها احمد بن أبي خالد : يا أمة الله انك بين يدي أمير المؤمنين وانك تكلمين الامير فاخفضي من صوتك . فقال المأمون : دعها يا أحمد فان الحق أنطقها واخرسه ثم قضى لها برد ضيعتها اليها وظلم العباس بظلمه لها وأمر بالكتاب لها الى العامل ببلدها ان يوغر لها ضيعتها[1] و يحسن معاونتها وأمر لها بنفقة . العتبي . قال : اني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك اذ أقبل ابراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه . فقال : ان أمير المؤمنين جرأني في خصومة[2] بينه و بين ابراهيم . فقال القاضي : شاهديك على الجراءة . قال : أتراني قلت على أمير المؤمنين مالم يقل وليس بيني و بينه الا هذه الستره . قال : بلى ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك الا ببينة . قال : فقام الحرسي فدخل الى هشام فاخبره فلم نلبث أن قعقعت الابواب وخرج الحرس . فقالوا : هذا أمير المؤمنين وخرج هشام . فلما نظر اليه القاضي قام فاشار اليه و بسط له مصلى فقعد اليه وابراهيم بين يديه وكنا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضه . قال فتكلما وأحضرا البينة فقضى القاضي على هشام . فتكلم ابراهيم بكلمة فيها بعض الخرق . فقال الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك . فقال له هشام : لقد هممت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك . قال : أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق . فقال هشام : استرها علي قال : لا ستر الله اذا ذنبي يوم القيامة ان سترتها . قال : فاني معطيك عليها مائة ألف . قال ابراهيم : فسترتها عليه حياته ثمنا لما أخذت منه واذعتها بعد مماته تزيينا له[3] . قال : و و رد على الحجاج بن يوسف سليك بن

---

١) قوله يوغر لها ضيعتها . قال الجوهري : الايغار ان يوغر الملك الرجل الارض يجعلها له من غير خراج وهي لفظة مولدة . ٢) قوله جرأني في خصومة : أي قدمني .
٣) قوله : تزيينا له . لعله « تزنيا » وليحرر

سلكة . فقال: أصلح الله الامير أرْعنى سمعك واغضض عنى بصرك واكفف عنى غَربك فان سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة . قال : قل . فقال : عصى عاص من عرض العشيرة فحلّق (١) على اسمى وهدم منزلى وحرمت عطائى . قال: هيهات أوما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجنى عليك وقدْ * تُعْدِى الصِحَاحَ مباركُ الجُرْب
ولربَّ ماخوذٍ بذنب عشيره * ونجى المقارفُ صاحب الذنب

قال : أصلح الله الامير انى سمعت الله عز وجل . قال غير هذا . قال: وماذاك . قال قال الله «ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذاً لظالمون» . فقال الحجاج : علىّ بيزيد بن مسلم ، فمثل بين يديه . فقال : أفكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله ومر منادياً ينادى صدق الله وكذب الشاعر . وقال معاوية : انى لاستحى أن أظلم من لا يجد علىّ ناصرا الا الله . وكتب الى عمر بن عبد العزيز بعض عماله : يستأذنه فى تحصين مدينته . فكتب اليه : حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم . وقال المهدى للربيع بن أبى الجهم وهو والى أرض فارس: يا ربيع آثر الحق والزم القصد وابسط العدل وارفق بالرعية واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه واجورهم من ظلم الناس لغيره . وقال ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة قال: استعمل ابن عامر عمرو بن أصبغ على الاهواز فلما عزله . قال له: ماجئت به . قال له مامعى الا مائة درهم وأثواب . قال كيف ذلك قال : ارسلتنى الى بلد أهله رجلان رجل مسلم له مالى وعليه ماعلىّ ورجل له ذمة الله ورسوله قال فوالله مادريت أين اضع يدى . قال : فأعطاه عشرين الفا . وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : الظلم ظلمات يوم القيامة .

٦ — صلاح الرعية بصلاح الامام — قال الحكماء: الناس تبع لامامهم فى الخير والشر . وقال أبو حازم الاعرج : الامام سوق . فما نفق عنده جلب اليه . ولما أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتاج كسرى وسواريه . قال : ان الذى أدى هذا لامين . قال له رجل: ياأمير المؤمنين

١) قوله فحلق على اسمي : أي كان سببا لمحوه من ديوان العطاء . وقوله جانيك من يجني عليك : قال أبو عبيد يضرب مثلا للرجل يعاقب بجناية ولا يؤخذ غيره بذنبه انما يجنيك من جنايته راجعة اليك وان الاخوة يجنون على الرجل يدل على ذلك قوله وقد تعدي الصحاح الجرب.

أنت أمين الله يؤدون اليك ما أديت الى الله تعالى ، فان رتعت رتعوا . ومن أمثالهم فى هذا . قولهم : اذا صلحت العين صلحت سواقيها . الاصمعى . قال : يقال صنفان اذا صلحا صلح الناس ، الامراء والفقهاء . اطلع مروان بن عبد الحكم على ضيعة له بالغوطة فأنكر منها شيئا . فقال لوكيله : ويحك انى لاظنك تخوننى . قال أتظن ذلك ولا تستيقنه . قال : وتفعل . قال : نعم والله انى لاخونك وانك لتخون أمير المؤمنين وان أمير المؤمنين ليخون الله فلعن الله شر الثلاثة .

٧ — قولهم فى الملك وجلسائه ووزرائه — قالت الحكماء : لا ينفع الملك الا بوزرائه وأعوانه ولا ينفع الوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة الا مع الرأى والعفاف ثم على الملوك بعد أن لا يتركوا محسنا ولا مسيئا مادون جزاء ، فانهم اذا تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وبطل العمل . وقال الاحنف بن قيس : من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فلا مساغ له ومن خانه ثقاته فقد أتى فى مأمنه . وقال العباس بن الاحنف :

قلبى الى ما ضرّنى داعى * يُكثر أحزانى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوّى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

وقال آخر :

كنتُ من كُرْبتى أفرُّ اليهمْ * فهمُ كربتى فأين الفِرار

وأول من سبق الى هذا المعنى عدى بن زيد فى قوله للنعمان بن المنذر :

لو بغيرِ الماءِ حلقى شَرِقٌ * كنتُ كالغَصّان بالماء اعتِصارى[1]

وقال آخر :

الى الماء يسعى مَن يغص بريقه * فقُلْ أينْ يسعى من يغص بماءِ

وقال عمرو بن العاص : لا سلطان الا بالرجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل . وقالوا : انما السلطان باصحابه ، كالبحر بامواجه . قالوا : ليس شيء أضر بالسلطان . من صاحب يحسن القول ، ولا يحسن الفعل . لا خير فى القول ، الا مع الفعل . ولا فى المال ، الا مع الجود . ولا فى الصدق ، الا مع الوفاء . ولا فى الفقه ، الا مع الورع . ولا فى الصدقة ، الا مع حسن النية . ولا فى الحياة ، الا مع الصحة . قالوا : ان السلطان اذا كان صالحا ،

---

١) الاعتصار : أن يغص الانسان بالطعام فيشرب الماء قليلا قليلا فهو الاعتصار وشاهده البيت .

ووزراؤه وزراء سوء، امتنع خيره من الناس، ولم يستطع أحد ينتفع منه بمنفعة. وشبهوا ذلك بالماء الصافي، يكون فيه التمساح. فلا يستطيع أحد أن يدخله، وان كان محتاجا اليه.

٨ — صفة الامام العادل — كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. لما ولي الخلافة الى الحسن بن أبي الحسن البصري: أن يكتب اليه بصفة الامام العادل. فكتب اليه الحسن رحمه الله: اعلم يا أمير المؤمنين، ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف. والامام العدل يا أمير المؤمنين. كالراعي الشفيق على ابله الرفيق بها الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكنها من أذى الحر والقر. والامام العدل يا أمير المؤمنين كالاب الحانّ على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم في حياته ويدّخر لهم بعد مماته. والامام العادل يا أمير المؤمنين. كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها. حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته. والامام العدل يا أمير المؤمنين. وصي اليتامى وخازن المساكين يربي صغيرهم ويمون كبيرهم. والامام العدل يا أمير المؤمنين. كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده. والامام العدل يا أمير المؤمنين. هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويُسمعهم وينظر الى الله ويريهم وينقاد الى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله. كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فافقر أهله وفرق ماله. واعلم يا أمير المؤمنين. ان الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف اذا أتاها من يليها. وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم. واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده. وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه. فتزودله ولما بعده من الفزع الاكبر. واعلم يا أمير المؤمنين. ان لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك يسلموك في قعره فريدا وحيدا. فتزودله ما يصحبك «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه.» واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فالاسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فالآن يا أمير المؤمنين وانت في مَهَل قبل حلول الاجل وانقطاع الامل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين

على المستضعفين . فانهم لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقال مع اثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات فى دنياهم باذهاب طيباتك فى آخرتك . لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت . وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين . وقد عنت الوجوه للحى القيوم . إنى يا أمير المؤمنين وان لم أبلغ بعظتى ما بلغه أولو النهى من قبلى . فلم آلك شفقة ونصحا . فانزل كتابى اليك كداوى حبيبه يسقيه الادوية الكريهة لما يرجوله فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٩ — هيبة الامام وتواضعه — قال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك . وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وانصف عن قوة . ذكر عن النجاشى أمير الحبشة : انه أصبح يوما جالسا على الارض والتاج على رأسه ، فاعظم ذلك اساقفته . فقال لهم : انى وجدت فيما أنزل الله تعالى على المسيح عليه السلام . يقول له : اذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع لى أتممتها عليه . وانى ولد لى الليلة غلام فتواضعت لذلك شكراً لله تعالى . وقال ابن قتيبة : لم يقل فى التواضع بيت أبدع من قول الشاعر فى بعض خلفاء بنى أمية [1] :

يغضى حياءً ويغضى من مهابته * فلا يكلَّم إلاّ حين يبتسِمُ

وأحسن منه عندى قولى :

فتىً زادهُ عزّ المهابة ذلّة * فكل عزيز عنده متواضعُ

وقال أبو العتاهية :

يامن تشرف بالدنيا وبالدين * ليس التشرف رفع الطين بالطين

اذا أردتَ شريف الناس كلهم * فانظرْ الى ملك فى زى مسكين

ذاك الذى عظمتْ والله نعمته * وذاك يصلح للدنيا وللدين

وقال الحسن بن هانئ فى هيبة السلطان مع محبة الرعية :

امام عليه هيبة ومحبة * ألا بأبى ذاكَ الحبيب المحبّب [2]

١) المشهور أن البيت من قصيدة للفرزدق قالها فى زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم . ٢) فى ديوانه : ألا حبذا ذاك المهيب المحبب .

وقال آخر فى الهيبة وان لم تكن فى طريق السلطان :

بنفسى من لومرّ بَرْد بَنانه * على كبدى كانت شفاءً أناملهْ
ومن هابنى فى كل شيءٍ وهبته * فلا هو يعطينى ولا أناسائلهْ

وقال آخر فى الهيبة :

أهاشمُ يافتى دين ودنيا * ومنْ هو فى اللُّباب من اللباب
أهابك ان ابوحَ بذات نفسى * وتركى للعتاب من العتاب

وقال أشجع بن عمرو فى هيبة السلطان :

منعتْ مهابتك النفوس حديثها * بالشيء تكرهه وانْ لَمْ تعلم
ومن الولاة مفخّم لا يتقى * والسيفُ تقطر شفّتاه من الدم

وقال أيضاً لهرون الرشيد :

وعلى عدوّك يا ابن عمّ محمد * رَصدان ضَوْءُ الصبح والا ظلام
فاذا تنبّه رِعْتَه واذا هدى * سلّت عليه سيوفك الاحلام

وقال الحسن بن هانىء فافرط :

ملِك تصوّر فى القلوب مثاله * فكانه لم يخل منه مكان
ماتنطوى عنه القلوب بفُجرَة * إلاّ يكلمه بها اللحظان
حتى الذى فى الرحم لم يك صورة * لفؤاده من جوفه خفقان

فمجاز هذا البيت فى افراطه أن الرجل اذا خاف شيأ أو أحبه احبه بسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه ودمه وجميع أعضائه فالنطف التى فى الاصلاب داخلة فى هذه الجملة . قال الشاعر :

ألا تَرْنِى لمكتئبٍ * يحبّك لحمه ودمهْ

وقال المكفوف فى آل محمد :

أحبكمُ حُبّا على الله أجره * تضمنه الاحشاء واللحم والدم

ومثل هذا قول الحسن بن هانىء :

واخفتَ أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التى لم تُخْلَقِ

فاذا خافه أهل الشرك خافته النطف التى فى أصلابهم على المجاز الذى ذكرناه . ومجاز آخر

أن النطف التي أخذ الله ميثاقها يجوز أن يضاف اليها ماهى لا بد فاعلة من قبل أن تفعله، كما جاء فى الاثر: أن الله عز وجل عرض على آدم ذريته فقال هؤلاء أهل الجنة و بعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء أهل النار و بعمل أهل النار يعملون . وها أنا أقول فى الهيبة :

يامن يجرّد من بصيرته * تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له * الا تفزّع منك فى الحلم
أضحى لك التدبير مطرّداً * مثل اطراد الفعل للاسم
رفع الحسود اليك ناظره * فرآك مطّلعا مع النجم

أبو حاتم سهل بن محمد قال أنشدنى العتبى للاخطل فى معاوية :

تسمو العيون الى امام عادل * معطى المهابة نافع ضرّار
وترى عليه اذا العيون لحنه * سيما الحليم وهيبة الجبّار

١٠ — حسن السيرة والرفق بالرعية — قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به من الرفق بالرعية: «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .» وقال النبى صلى الله عليه وسلم: من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير كله . ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله . ولما استخلف عمر بن عبد العزيز، أرسل الى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب . فقال لهما : أشيرا علىّ . فقال له سالم: اجعل الناس أبا وأخا وابنا فبرّ أباك واحفظ اخاك وارحم ابنك . وقال محمد بن كعب : أحبب للناس . ماتحب لنفسك وأكره لهم ماتكره لنفسك واعلم أنك أول خليفة يموت . وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه عمر : ياأبت مالك لا تنفذ الامور فوالله لا ابالى فى الحق لو غلت بى وبك القدور . قال له عمر : لا تعجل يا بنى . فان الله تعالى ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة . وكتب عمر بن عبد العزيز ، الى عدى بن أرطاة: أما بعد فان أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك . واعلم أن مالك عند الله مثل ما للرعية عندك . وقال المنصور لولده المهدى : لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيآته . واعلم ان الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو ، أقدرهم على العقوبة . وانقص الناس عقلا ، من ظلم من هودونه . وقال خالد بن عبد الله القسرى لبلال بن أبى بردة:

لا يحملنك فضل المقدرة ، على شـدة السطوة . ولا تطلب من رعيتـك ، الا ما تبـذله لها .
« فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسـنون . » وقال أبو عبد الله كاتب المهـدى : ما أحوج ذا القـدرة والسلطان الى قرين يحجزه وحياء يكفه وعقـل يعـقله [مع] تجربة طويلة وعين حفيظة وأعراق تسرى اليه وأخلاق تسهل الامور عليه والى جليس شفيق والى عين تبصر العواقب وقلب يخاف الغِيَرَ [١] . ومن لم يعرف ذم الـكبر لم يسلم من فلتات اللسان ولم يتعاظمه ذنب وان عظم ولا ثناء وان سمج . وكتب اردشـير الى رعيته ، من اردشـير المؤيد ملك الملوك و وارث العظماء : الى الفقهاء الذين هم حملة الدين . والاساورة الذين هم حفظة البيضة . والـكتّاب الذين هم زينة المملكة . وذوى الحرث الذين هم عماد البـلاد . السلام عليكم ، فانّا نحمد الله اليكم سالمون . فقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا بها [٢] إتاوتها الموضوعة عليها ونحن مع ذلك كاتبون بوصية لا تستشعروا الحقد فيدهمكم [العدو] ولا تحتكروا فيشملكم القحط وتزوجوا فى الاقارب فانه امس للرحم [وأثبت للنسب] ولا تعدّوا هذه الدنيا شـيأ فانها لا تبـقى على احد . ولا ترفضـوها فان الآخرة لا تدرك الا بها . ولما انصرف مروان بن الحكم من مصر الى الشام ، استعمل عبـد العزيز ابنه على مصر . وقال له حين ودعه «أرسل حكيما ولا توصه» : أى بنى انظر الى عمّالك . فان كان لهم عندك حق غدوة ، فلا تؤخرهم الى عشية ، وان كان لهم عشية ، فلا تؤخرهم الى غدوة ، واعطهم حقوقهم عنـد محلها ، تستوجب بذلك الطاعة منهـم . واياك ان يظهر لرعيتك منك كذب لم يصدقوك فى الحق . واستشر جلساءك واهل العـلم فان لم يسـتبن لك ، فا كتب الىّ يأتك رأيى فيـه ان شاء الله تعالى . وان كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب واحبس عنـه عقوبتك حتى يسكن غضـبك ثم يكون منـك ما يكون وأنت ساكن الغضب مطفأ الجمرة فان أول من جعـل السجن كان حليما ذا إناة . ثم انظر الى ذى الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك ، ثم اعرف منازلهم منك على غـيرهم . على غير استرسال ولا انقباض أقول هـذا واستخلف الله عليـك . أبو بكر بن أبى شيبة عن عبـد الله بن مجالد عن الشعبى . قال قال زياد : ماغلبنى أمير المؤمنين معاوية فى شىء من السياسـة إلا مرة واحـدة .

---

١) الغير محركة : تغير الحال . ٢) الاتاوة : الخراج . والاساورة : القوادعند الفرس واحدهم اسوار . والبيضة : أصل القوم ومجتمعهم وموضع سلطانهم . وقوله فانا نحمد الله الخ الذى فى كتاب السلطان فانا بحمد الله صالحون مع اختلاف فى باقيه لا يغير معناه .

استعملت رجلا فكسر خراجه فخشى ان أعاقبه ففر اليه واستجار به فأمّنه. فكتبت اليه: ان هذا أدب سوء من قبلي[1]. فكتب اليّ: انه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة لا نلن جميعا فتمرح الناس في المعصية ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة.

١١ — ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم — قالت الحكماء: احزم الملوك من قهر جده هزله وغلب رأيه هواه واعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده. وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد — وكان ولي عهده: يا بني اعلم انه ليس بين السلطان و بين أن يملك الرعية أو تملكه الا حرفان، حزم وتوان. وقالوا: لا ينبغي للعاقل ان يستصغر شيأ من الخطأ والزلل فانه متى ما استصغر الصغير يوشك ان يقع في الكبير. فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر ورأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير ورأينا الانهار تتفتق من الجداول الصغار. وقالوا: لا يكون الذم من الرعية لراعيها الا لاحدى ثلاث — كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغنا. أو لئيم بلغ به ما يستحق فأورثه ذلك بطرا. أو رجل منع حظه من الانصاف فشكى تفريطا. وفي كتاب الهند: خير الملوك من أشبه النسر حوله الجيف لا من أشبه الجيف حولها النسور. وقيل لرجل سُلِب ملكه: ما الذي سلبك ملكك. قال: دفع شغل اليوم الى غد والتماس عدة بتضييع عدد واستكفاء كل مخدوع عن عقله — والمخدوع عن عقله من بلغ قدراً لا يستحقه واثيب ثوابا لا يستوجبه. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: انتهزوا هذه الفرص فانها تمر مر السحاب ولا تطلبوا اثرا بعد عين. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أحزم الخلفاء. وكانت عائشة رضي الله عنها اذا ذكر عمر تقول: كان والله أحوزيا[2] نسيج وحده قد أعد للامور أقرانها. وقال المغيرة بن شعبة: ما رأيت احدا هو أحزم من عمر. كان والله له فضل يمنعه أن يخدع. وقال عمر: لست بخبّ والخب لا يخدعني. ومر: عمر على بنيان يبنى بآجر وجص. فقال: لمن هذا. قيل لعاملك على البحرين. فقال ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها فارسل اليه فشاطره ماله. وكان سعد بن أبي وقاص يقال له: المستجاب لقول النبي صلى الله

١) كذا في الاصل ولعله: فكتبت اليه فيه ثم قال عن نفسه معترضا وان هذا سوء أدب من قبلي — فكتب الى الخ. ٢) قوله احوزيا. قال ابن الاثير في تفسير هذا الحديث: هو الحسن السياق للامور وفيه بعض النفار.

عليه وسلم اتقوا دعوة سعد . فلما شاطره عمر ماله . قال له سعد : لقد هممت . قال له عمر : بان تدعو علىّ . قال : نعم . قال : اذاً لاتجدنى بدعاء ربى شقيا . وهجا رجل من الشعراء سعد بن أبى وقاص يوم القادسية . فقال :

ألم ترأنّ الله أظهر دينه * وسعدٌ بباب القادسية مُعصَم
فأبنا وقد آمتْ نساءٌ كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيّم

فقال سعد : اللهم اكفنى يده ولسانه . فقطعت يده و بكم لسانه . ولما عزل عمر أبا موسى الاشعرى عن البصرة وشاطره ماله دعا اباموسى . فقال له : ماجاريتان بلغنى أنهما عندك احداهما تدعى عقيلة والاخرى من بنات الملوك . قال : اما عقيلة فجارية بينى و بين الناس وأما التى هى من بنات الملوك فانى أردت بها غلاء الفداء . قال : فاحقتان تعملان عندك . قال : رزقتنى شاة فى كل يوم فيعمل نصفها غدوة و نصفها عشية . قال : فمامكيال ان بلغنى أنهما عندك . قال : اما أحدهما فأوفى أهلى [به] واما الآخر فيتعامل الناس به . قال : ادفع لنا عقيلة والله انك لمؤمن لاتغل أو فاجر مبل ارجع الى عملك عاقصا بقرنك مكتسعا بذنبك والله ان بلغنى عنك امر لم أعدك . [1] ثم دعا اباهريرة فقال له : علمت انى استعملتك على البحرين ، وانت بلا نعلين ، ثم بلغنى انك ابتعت أفراسا بألف دينار وستمائة دينار . قال : كانت لنا افراس تناتجت وعطايا تلاحقت . قال : قد حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فادّه . قال : ليس لك ذلك . قال : بلى والله أوجع ظهرك . ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه . ثم قال : ائت بها . قال : احتسبتها عند الله . قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا أجئت من أقصى حجر البحرين يجبى الناس لك لا لله ولا للمسلمين ما رجعت بك أميمة إلا رعية الحمر . وأميمة أم ابى هريرة . وفى حديث ابى هريرة . قال : لما عزلنى عمر عن البحرين قال لى : ياعدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله . قال فقلت : ما أنا عدو الله ولا عدو كتابه ولكنى عدو من عاداك ما سرقت مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف . قلت : خيل تناتجت وعطايا تلاحقت وسهام تتابعت . قال : فقبضها منى فلما صليت الصبح استغفرت لامير المؤمنين . فقال لى بعد ذلك : ألا تعمل ؟ . قلت : لا . قال : قد عمل من هو خير

[1] قوله حقتان : كذا فى الاصل ولعله تصحيف جفنتان والجفنة أعظم القصاع . وقوله عاقصا بقرنك أى مشدودا به والقرن الذؤابة والعقاص بالكسر خيط يشدد به أطراف الذوائب . وقوله مكتسعا بذنبك : أى مطرودا به من قولهم كسعه اذا ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه وطرده وتبعه بالطرد .

منك يوسف صلوات الله عليه . قلت : يوسف نبي وأنا ابن أميمة ، أخشى أن يشتم عرضي ويضرب ظهري وينزع مالي . قال : ثم دعا الحارث بن وهب . فقال : ماقلاص وأعبد بعتها بمائتي دينار . قال : خرجت بنفقة معي فتجرت فيها . فقال : أما والله مابعثنا كم لتتجروا في أموال المسلمين أدّها . فقال : أما والله لا عملت عملا بعدها . قال : انتظر حتى استعملك . وكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص وكان عامله على مصر . من عبدالله عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : سلام عليك فانه بلغني انه فشت لك فاشية ، من خيل وابل وغنم وبقر وعبيد . وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك . فاكتب الىّ . من أين أصل هذا المال ؟ ولا تكتمه . فكتب اليه :[من] عمرو بن العاص الى عبدالله أمير المؤمنين سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد فانه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه مافشالي وانه يعرفني قبل ذلك لا مال لي واني أعلم امير المؤمنين أن بارض السعر فيه رخيص واني أعالج من الحرفة والزراعة مايعالج أهله وفي رزق أمير المؤمنين سعة والله لو رأيت خيانتك حلالا ماخنتك فاقصر أيها الرجل فان لنا أحسابا هي خير من العمل لك ان رجعنا اليها عشنا بها ولعمري أن عندك من تذم معيشته ولا تذم له فانى كان ذلك ولم يفتح قفلك ولم نشركك في عملك . فكتب اليه عمر : أما بعد ، فاني والله ما أنا من اساطيرك التي تسطر ونسقك الكلام في غير مرجع لا يغني عنك ان تزكي نفسك وقد بعثت اليك محمد بن سلمة فشاطره مالك فانكم أيها الرهط الامراء جلستم على عيون المال لم يزعكم عذر . تجمعون لابنائكم وتمهدون لانفسكم أما انكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام . فلما قدم عليه محمد بن سلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا فابى محمد بن سلمة ان يأكل منه شيئا . فقال له عمرو : أتحرمون طعامنا . فقال : لو قدمت الىّ طعام الضيف أكلته ولكنك قدمت الىّ طعاما هو تقدمة شر والله لا اشرب عندك ماء فاكتب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه فشاطره ماله باجمعه حتى بقيت نعلاه فاخذ احداهما وترك الاخرى . فغضب عمرو بن العاص . فقال يا محمد ابن سلمة : قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل . والله اني لاعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها ومامنهما الا في نمرة لا تبلغ رسغيه . والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزررا بالذهب . قال له محمد : اسكت والله عمر خير منك وأما أبوك وأبوه ففي النار . والله لولا الزمان الذي سبقته فيه لالفيت معتقل شاة يسرك غزرها ويسوءك بكرها . فقال عمرو : هي عندك بامانة الله فلم يخبر بها

عمر(١) . ومن حديث زيد بن أسلم عن ابيه قال : بعث معاوية الى عمر بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدهم وكتب الى ابيه أبي سفيان أن يدفع ذلك الى عمر فخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والادهم . قال : فذهب أبو سفيان بالادهم والكتاب الى عمر واحتبس المال لنفسه فلما قرأ عمر الكتاب . قال : فأين المال أبا سفيان . قال : كان علينا دين ومعونة ولنا في بيت المال حق فاذا أخرجت لنا شيئا قاضيتنا به . فقال عمر : اطرحوه في الادهم حتى يأتي بالمال . قال فارسل أبو سفيان من أتاه بالمال فأمر عمر باطلاقه من الادهم : قال فلما قدم الرسول على معاوية . قال : رأيت أمير المؤمنين اعجب بالادهم . قال نعم . وطرح فيه اباك . قال : ولم قال جاءه بالادهم وحبس المال . قال أي والله والخطاب لو كان لطرحه فيه . زار أبو سفيان معاوية بالشام فلما رجع من عنده دخل على عمر . فقال أجزنا أبا سفيان . قال : ما أصبنا شيئا فنجيزك به . فاخذ عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول : قل لها يقول لك أبو سفيان انظري الخرجين اللذين جئت بهما فاحضريهما ، فما لبث عمر ان أتي بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فطرحهما عمر في بيت المال . فلما ولي عثمان ردهما عليه . فقال أبو سفيان : ما كنت لآخذ مالا عابه علي عمر . ولما ولي عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطائف وصدقاتها ثم عزله . تلقاه في بعض الطريق فوجد معه ثلاثين ألفا . فقال انى لك هذا . قال : والله ما هو لك ولا للمسلمين ولكنه مال خرجت به لضيعة اشتريها . فقال عمر : عاملنا وجدنا معه مالا ماسبيله الا بيت المال ورفعه . فلما ولي عثمان قال لابي سفيان هل لك في هذا المال ، فاني لم أر لاخذ ابن الخطاب فيه وجها . قال : والله ان بنا اليه لحاجة ، ولكن لا ترد فعل من قبلك فيرد عليك من بعدك . الفجرقي . قال : ضرب عمر رجلا بالدرة فنادى يا آل قصي . فقال : أبو سفيان لو قبل اليوم تنادى قصيا لاتتك منها الغطاريف . فقال : له عمر اسكت لا ابا لك . قال : أبو سفيان ها — ووضع سبابته على فيه — . خليفة بن خياط . قال : كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص — وانما قيل له الناقص لفرط كماله — الى مروان بن محمد وبلغه عنه تلكؤ

---

١) الخمرة محركة بردة من صوف تلبسها الاعراب وهي صنة غالبة . والرسغ : مفصل بين الساق والقدم . وقوله لولا الزمان الذي سبقته فيه : كذا في الاصل ولعله الذي سبقك فيه وذلك لتقدم اسلام عمر على عمرو ولان باسلام عمر كان عز الاسلام . وقوله معقل الشاة : المعقل كمجلس مبركها وملجأها وقوله وغزرها : بتقديم الزاي أي كثر درها : وقوله وبكرها : أي أول نتاجها .

فى بيعته : أما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت والسلام . فأتته بيعته * ولما ولى أهل مرو أباغسان الماء وزجته الى الصحارى . كتب اليهم أبو غسان : الى بنى الاستناءة من أهل مرو ليسرنى الماء أو لتصبحنكم الخيل فأمسى حتى اتاه الماء . فقال: الصدق ينبىء عنك لا الوعيد . وكتب عبدالله بن طاهر الخراسانى الى الحسن بن عمرو الثعلبى : أما بعد فقد بلغنى من قطع الفسقة الطريق ما بلغ فلا الطريق تحمى ولا اللصوص تكفى ولا الرعية ترضى وتطمع بعد هذا فى الزيادة انك لمنفسح الامل وايم الله لتكفينى مَن قبلك أولا وجهن اليك رجالا لا تعرف مرة من جهم ولا عدى من رهم ولا حول ولا قوة الا بالله : وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم واليه بخراسان : أما بعد فان وكيع بن حسان كان بالبصرة ثم صار لصا بسجستان ثم صار الى خراسان . فاذا أتاك كتابى هذا فاهدم بناءه واحلل فناءه وكان على شرطة قتيبة فعزله وولى الضبى عم مسعود بن الخطاب * وبلغ الحجاج أن قوما من الاعراب يفسدون الطريق فكتب اليهم : أما بعد فانكم قد استخفتكم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون وانى اهم ان ترد عليكم منى خيل تنسف الطارف والتالد وتدع النساء أيامى والابناء يتامى فلما بلغهم كتابه كفوا عن الطريق .

١٢ — التعرض للسلطان والرد عليه — قالت الحكماء : من تعرض للسلطان أرزاه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه فى ذلك ـ بالريح العاصفة التى لا تضر عالا ان لها من الشجر ومال معها من الحشيش وما استهدف لها من الدوح العظام قصفته . قال الشاعر :

انَّ الرياحَ اذا ما أعصفتْ قصفتْ * عيدان نبع ولا يعبأن بالرتم [1]

وقال حبيب ـ وهو أحسن ماقيل فى السلطان ـ :

هو السيل ان واجهته انقدت طوعه * وتقتاده من جانبيه فيتبع

وقال آخر :

هو السيف ان لاينته لان متنه * وحدّاه ان خاشنته خشنان

وقال معاوية لابى الجهم العدوى: أنا أكبر أم أنت . فقال : لقد أكلت فى عرس أمك ياأمير المؤمنين . قال : عند أى أزواجها . قال: عند حفص بن المغيرة . قال : ياأبا الجهم اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويأخذ أخذ الاسد . وأبو الجهم هو القائل فى معاوية :

١) تقدم هذا البيت فى آخر باب مايصحب به السلطان محرفا فليصحح على هذه الرواية .

ونغضبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرماولينا
نميل على جوانبه كأنا * نميل اذا نميل على أبينا

وقدم عقبة الازدى على معاوية . ودفع اليه رقعة فيها هذه الابيات :

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجرد تموها * فهل من قائم أو من حصيد
اتطمع بالخلود اذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا أمة هلكت ضياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعا به ـ فقال : ماجرأك على . قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك اذ كذبوك . فقال : ماأظنك الا صادقا وقضى حوائجه * ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال : خطب ابو جعفر المنصور . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ـ اتقوا الله ـ فقام اليه رجل من عرض الناس . فقال : أذكرك الله الذى ذكرتنا به ياأمير المؤمنين فاجابه ابو جعفر بلا فكرة ولا روية : سمعا لمن ذكر بالله واعوذ بالله ان اذكر به وانساه فتاخذنى العزة بالاثم لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين . وأما أنت فوالله ما الله أردت بها ولكن ليقال قال فعوقب فصبر واهون بها لو كانت وانا احذركم ايها الناس اختها فان الموعظة علينا نزلت ومنا أخذت ، ثم رجع الى موضعه من الخطبة . وقام رجل الى هرون الرشيد وهو يخطب بمكة . فقال : « كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون . » فأمر به فضرب مائة سوط فكان يئن الليل كله ويقول : الموت ! الموت ! ، فأخبر هارون انه رجل صالح فأرسل اليه فاستحله فاحله * المدائنى . قال : جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت الشمس فقام اليه رجل . فقال ياأمير المؤمنين : ان الوقت لا ينتظرك وان الرب لا يعذرك . قال : صدقت . ومن قال مثل مقالتك فلا ينبغى له ان يقوم مثل مقامك . من ههنا من أقرب الحرس اليه يقوم فيضرب عنقه * الرياشى عن الاصمعى . قال : خاطر رجل رجلا أن يقوم الى معاوية اذا سجد فيضع يده على كفله ويقول : سبحان الله ياأمير المؤمنين ماأشبه عجيزتك بعجيزة أمك هند ـ ففعل ذلك ـ فلما انفتل معاوية من صلاته . قال : ياابن اخى ان اباسفيان كان الى ذلك منها فخذ ماجعلوا لك فاخذه . ثم خاطر أيضا أن يقوم الى زياد وهو فى الخطبة . فيقول له : أيها الامير من أبوك ؟ ففعل . فقال له زياد : هذا يخبرك ـ وأشار الى صاحب الشرطة ـ فقدمه فضرب عنقه . فلما بلغ ذلك معاوية . قال : ماقتله غيرى ولو أدبته على الاولى ماعاد الى الثانية * وخاطر رجل أن يقوم الى عمرو بن العاص وهو فى

الخطبة فيقول : أيها الامير من امك ؟ فقعل . فقال له : النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل فولدت فانجبت فان كانوا جعلوا لك شيأ فخذه * دخل حزيم الناعم على معاوية بن أبي سفيان ، فنظر معاوية الى ساقيه . فقال : أي ساقين لو أنهما على جارية . فقال له حزيم : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين . قال : واحدة باخرى والبادى أظلم .

١٣ — تحلم السلطان على أهل الدين والفضل اذا اجترؤا عليه — * زياد عن مالك بن أنس . قال بعث أبو جعفر المنصور الىّ والى ابن طاوس ، فأتيناه فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضددت و بين يديه نطاع قد بسطت وجلاوذة بايديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا : أن أجلسا فجلسنا فأطرق عنا قليلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس . فقال له : حدثني عن أبيك . قال : نعم سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فادخل عليه الجور في عدله فأمسك ساعة . قال مالك : فضممت ثيابي من ثيابه مخافة ان يملأني من دمه ثم التفت اليه أبو جعفر . فقال : عظني يا ابن طاوس . قال : نعم ، يا أمير المؤمنين الله تعالى يقول : «ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يُخلَق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد — الى قوله ان ربك لبالمرصاد » قال مالك : فضممت ثيابي من ثيابه مخافة ان يملأ ثيابي من دمه فأمسك ساعة حتى اسودّ ما بيننا و بينه . ثم قال : يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه ، ثم قال : ناولني هذه الدواة فامسك عنه . فقال : ما يمنعك ان تناولنيها . قال : اخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها . فلما سمع ذلك قال قوما عني . قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم . قال مالك : فما زلت اعرف لابن طاوس فضله * أبو بكر بن أبي شيبة : قال قام أبو هريرة الى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة . فقال : اتظل عند ابنة فلان ، تروحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد . وابناء المهاجرين والانصار يصهرون من الحر . لقد هممت ان افعل وافعل ثم قال : اسمعوا من أميركم * فرج بن سلام عن أبي حاتم عن الاصمعي . قال حدثني رجل من أهل المدينة كان ينزل بشق بني زريق . قال : سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال : سمعت أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر بين رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش . فقالوا لابي جعفر : اجعل بيننا وبينه ابن أبي ذئب . فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب :

ماتقول في بني فلان . قال : أشرار من أهل بيت شرار . قالوا : اساله يا أمير المؤمنين عن الحسن ابن زيد . قال : يأخذ بما لا يحققه و يقضي بالهوى . فقال الحسن يا أمير المؤمنين والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو يكفك بشر[1] قال ماتقول في . قال اعفني . قال لا بد ان تقول قال لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية . قال فتغير وجه أبي جعفر . فقال ابراهيم بن محمد بن علي بن يحيي ابن صاحب الموصل طهرنا بدمه يا أمير المؤمنين . قال : اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد أن لا اله الا الله طهر ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام . فقال يا أمير المؤمنين : دعنا مما نحن فيه بلغني أن لك ابنا صالحا بالعراق يعني المهدي . قال : أما انك قلت ذلك انه الصوام القوام البعيد ما بين الطرفين . قال : ثم قام ابن أبي ذئب فخرج فقال ابو جعفر : اما والله ماهو بمستوثق العقل ولقد قال بذات نفسه . قال الاصمعي : ابن أبي ذئب من بني عامر بن لؤي من أنفسهم قال : ودخل الحارث بن مسكين على المأمون فقال : أقول فيها كما قال مالك بن أنس لابيك هرون الرشيد ــ وذكر قوله ــ فلم يعجب المأمون . فقال : لقد تيست فيها وتيس مالك . قال الحارث بن مسكين : فالسامع يا أمير المؤمنين من التيسين . فتغير وجه المأمون وقام الحارث بن مسكين فخرج وندم على ما كان من قوله فلم يستقر في منزله حتى أتاه رسول المأمون فايقن بالشر ولبس ثياب أكفانه ثم اقبل حتى دخل عليه فقربه المأمون من نفسه ثم أقبل عليه بوجهه . فقال له : يا هذا ان الله قد أمر من هو خير منك بالانة القول لمن هو شر مني فقال لنبيه موسى صلى الله عليه وسلم اذ أرسله الى فرعون : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . » قال يا أمير المؤمنين أبوء بالذنب واستغفر الله تعالى . قال : عفا الله عنك انصرف اذا شئت * وأرسل أبو جعفر الى سفيان الثوري فلما دخل عليه . قال : عظني أبا عبد الله . قال : وما عملت فيما علمت فاعظك فيما جهلت فما وجد له المنصور جوابا * ودخل أبو النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة . فقال له : أبا النضر إنا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها فما ترى . قال له أبو النضر : قد اتاك كتاب من الله تعالى قبل كتاب الخليفة فايهما اتبعت كنت من اهله * ونظير هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبي ، أن زيادا كتب الى الحكم بن عمرو الغفاري وكان على الصائفة : ان امير المؤمنين كتب الى ان اصفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة . فكتب اليه : اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين والله لو ان السموات

---

١) قوله أو يكفك بشر مخفف: من قولهم وكفه اذا أوقعه بالاثم .

والارض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله لجعل له منها مخرجا . ثم نادى فى الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء * ومثله قول الحسن حين ارسل اليه ابن هبيرة وأبى الشعبي . فقال له : ما ترى أبا سعيد فى كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان انفذتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمى . فقال له الحسن : هذا عندك الشعبي فقيه الحجاز . فسأله فرفق له الشعبي وقال له : قارب وسدد فانما أنت عبد مأمور ثم التفت ابن هبيرة الى الحسن وقال ما تقول يا ابا سعيد . فقال الحسن : يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله . يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله . يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فانفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه . فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن . وقال : هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة . وأمر للحسن باربعة آلاف . وللشعبي بالفين . فقال الشعبي : رققنا فرفق لنا فاما الحسن فارسل الى المساكين فلما اجتمعوا فرقها وأما الشعبي فقبلها وشكر عليها * ونظير هذا ، قول الاحنف ابن قيس لمعاوية حين شاوره فى استخلافه يزيد فسكت عنه . فقال : مالك لا تقول . فقال : إن صدقناك اسخطناك وان كذبناك اسخطنا الله فسخط امير المؤمنين أهون علينا من سخط الله . فقال له : صدقت *وكتب ابو الدرداء الى معاوية : أما بعد فانه من يلتمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس . ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله الى الناس . وكتبت عائشة رضى الله عنها الى معاوية : اما بعد فانه من يعمل بمساخط الله يصير حامده من الناس ذامًّا له والسلام * ابو الحسن المدائنى قال : خرج الزهرى يوما من عند هشام باربع قيل له ما هنّ . قال : دخل رجل على هشام . فقال : يا امير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك . فقال : هاتهن . فقال : لا تعدن عِدَة لا تثق من نفسك بانجازها . قال : هذه واحدة فهات الثانية . قال : لا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا . قال : هات الثالثة . قال : واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب . قال : هات الرابعة . قال : واعلم ان للامور بَغَتات فكن على حذر . قعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من على بن أبى طالب رضى الله عنه . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين نطيع احياءكم ولا نتبرأ من موتاكم . فالتفت الى المغيرة فقال له : هذا رجل فاستوص به خيرا * وقال عبد الملك بن مروان

للحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة : ما كان يقول الكذاب في كذا وكذا ـ يعني ابن الزبير ـ فقال: ما كان كذابا . فقال له يحيي بن الحكم: من أمك ياحار . قال: هي التي تعلم . قال له عبد الملك: أسكت فهي انجب من أمك . دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك . فقال له: ماحديث يحدثنا به أهل الشام . قال : وماهو ياأمير المؤمنين . قال : يحدثوننا أن الله اذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيآت . قال: باطل يا أمير المؤمنين أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي . قال: بل خليفة نبي . قال: فان الله يقول لنبيه داود «ياداود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب .» فهذا وعيد ياأمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي . قال: ان الناس ليغروننا عن ديننا . الاصمعي عن اسحق بن يحيي عن عطاء بن يسار . قال: قلت للوليد بن عبد الملك قال عمر بن الخطاب «وددت أني خرجت من هذا الامر كفافا لا عليّ ولا ليَ» . فقال: كذبت قلت له: لوكذبتُ فما افلتَ منه الا بجُرَيْعَة الذَّقَن[1] .

١٤ — المشورة — قال النبي صلى الله عليه وسلم : ماندم من استشار، ولا شقي من استخار . وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي فقال: «وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله .» ولما همت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم . استشار واعثمان بن أبي العاص وكان مطاعا فيهم . فقال لهم: لا تكونوا آخر العرب اسلاما ، وأولهم ارتدادا ، فنفعهم الله برأيه . وسئل بعض الحكماء: أي الامور أشد تأييدا للعقل وايها اشد اضرارا به . فقال : أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء ، مشاورة العلماء وتجربة الامور . وحسن التثبت . وأشدها أضرارا به ثلاثة أشياء ، الاستبداد . والتهاون والعجلة . واشار حكيم على حكيم برأي . فقال : لقد قلتَ بما يقول به الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمره ، وسهله بوعره ، ويحرك الاشفاق منه ماهو ساكن من غيره . وقد وعيت النصح وقبلته . إذ كان مصدره من عند من لا يشك في مودته وصفاء غيبه ، ونصح حبيبه ، ومازلتَ بحمد الله الى الخير طريقا واضحا ، ومنارا بينا . وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول : اياكم والرأى القطير . وكان يستعيذ بالله من الرأى الدَّبَرِيّ الخبر[2] . وكان على بن أبي

١) هذا مثل : يضرب لمن أشرف على التلف ثم نجا . والاصل فيه : وقرب الموت منه كقرب الجريعة « تصغير جرعة » من الذقن . ٢) الرأي الدبرى : الذى يمعن النظر فيه وهو الذى يسنح أخيرا عند فوات الحاجة .

طالب رضي الله عنه يقول : رأي الشيخ أحسن من جَلَد الغلام . وأوصى ابن هبيرة ولده فقال : لا تكن أول مشير . واياك والرأي الفطير . ولا تشرف على مستبد: فان التماس موافقته لؤم ، والاستماع منه خيانة . وكان عامر بن الظَّرِب حكيم العرب يقول : دعوا الرأي يغب حتى يختمر . واياكم والرأي الفطير ـ يريد الاناة في الرأي والتثبت فيه ـ . ومن أمثالهم في هذا قولهم :لا رأي لمن لا يُطاع . وكان المهلب يقول : ان من البلية ان يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره * العتبي . قال : قيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم . قال : نحن الف رجل وفينا حازم واحد فنحن نشاوره فكانا الف حازم . قال الشاعر :

الرأي كالليل مسوّد جوانبُه * والليلُ لا ينجلي إلا باصباحِ
فاضممْ مصابيحَ آراءِ الرجال الى * مصباح رأيك تزددْ ضَوْءَ مصباحِ

العتبي . قال : أخبرني من رأى عبد الله بن عبد الاعلى وهو أول داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده . ثم رأيته وانه ليتقى كما يتقى البعير الاجرب . فقال لي : يا أخا العراق اتهمَنا القوم في سريرتنا، ولم يقبلوا منا علانيتنا، ومن ورائهم وورائنا حَكَم عدل . ومن احسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل . قول سبيع لاهل اليمامة بعد ايقاع خالد بهم : يا بني حنيفة بُعْداً لكم كما بعُدت عاد وثمود . أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه . كاني اسمع جرسه وابصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة . واني لما رأيتكم تتهمون النصيح وتسفهون الحليم استشعرت بكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة . ولا أخذكم على غرة ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ . ووهن الموعوظ . وكنتم كأنما يعني بما أنتم فيه غيركم فاصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق ومن نصيحتي الندامة واصبح في يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع واصبح ما فات ، غير مردود . وما بقي ، غير مأمون . وقال القطامي في هذا المعنى :

ومعصيةُ الشفيق عليكَ ممّا * يزيدُك مرّةً منه استماعا

ومن قولنا في هذا المعنى :

فلئن سمعتَ نصيحتي وعصيتَها * ما كنتُ أول ناصحٍ معصيّ

وقال حبيب في بني تغلب عند ايقاع مالك بن طوق بهم :

لم يالكمْ مالكٌ صفحا ومغفرةً * لو كان ينفخ قَيْن الحيّ في فَحَم

١٥ — حفظ الاسرار — قالت الحكماء : صدرك أوسع لسرك . وقالوا: سرك من دمك — يعنون انه ربما كان في افشائه سفك دمك — . وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج ابن يوسف :

لا تفش سرك الا اليك * فانّ لكل نصيح نصيحا
واني رأيت غواة الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا

وقالت الحكماء : ما كنت كاتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك . وقال عمرو بن العاص مااستودعت رجلا سرا فافشاه فلمته . لاني كنت اضيق صدرا منه حين استودعته إياه حتى أفشاه . قيل لاعرابي : كيف كتمانك للسر . قال: اجحد المخبر واحلف للمستخبر . وقيل لآخر : كيف كتمانك للسر . قال : ماقلبي له الا قبر . وقال المأمون: الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة اشياء ، القدح في الملوك وافشاء السر والتعرض للحرم[١] . وقال الوليد بن عتبة لابيه : ان امير المؤمنين اسرّ اليّ حديثا افلا أحدثك به . قال :[لا] يا بني انه من كتم سره كان الخيار له فلا تكن مملوكا بعد أن كنت مالكا[٢] . وفي التاج : ان بعض ملوك العجم استشار وزيريه . فقال أحدهما: لا ينبغي للملك أن يستشير منا احدا الا خاليا به . فانه اموت للسر وأحزم للرأي واجدر بالسلامة واعفى لبعضنا من غائلة بعض . فان افشاء السر لرجل واحد أوثق من افشائه الى اثنين وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه الى جماعة لان الواحد رهن بما افشي اليه والثاني مطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه . فاذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يظهر رغبة ورهبة وان كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض . فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئا بخيانة مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه . ومن احسن ماقالت الشعراء في السر قول عمر بن ابي ربيعة :

فقالت وارخت جانب الستر إنما * معي فتحدث غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها مابي لهم من ترقب * ولكن سري ليس يحمله مثلي

وقال أبو محجن الثقفي[٣] :

---

١) تقدمت هذه الجملة عنه في باب مايصحب به السلطان . ٢) أورد هذه الجملة ابن قتيبة في كتاب السلطان بأبسط مما هنا . ٣) كذا في الاصل والرواية المشهورة بخلاف هذا فليرجع الى نسخة ديوانه .

لاتسألى الناس عن مالى وكـثرته * وسائلى الناس عن باسى وعن خُلُقى
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرضٍ * واكتم السر فيـه ضربة العُنُق

وقال الحطيئة يهجو [أمه] :

أغربالا اذا استودعت سرًّا * وكانونا على المتحـدثينا

١٦ — الاذن — قال زياد لحاجبه عجلان : كيف تأذن للناس . قال: على البيوتات، ثم على الاسـنان ، ثم على الآداب . قال : فمن تؤخر . قال : من لا يعبأ الله بهـم . قال : ومن هم . قال : الذين يلبسون كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء . وكان سعيد ابن عتبـة بن حصين اذا حضر باب احد من السلاطين جلس جانبا . فقيل له : انك لتباعـد من الآذن جهـدك . قال : لأن أدعى من بعيد خير من أن أقصى من قريب . ثم قال :

فانّ مسيرى فى البلاد ومنزلى * هو المنزلُ الاقصى اذا لم أقرّب
ولستُ وانْ أدنيتُ يوما ببـائع * خلاقى ولا دينى ابتغاء التحبّب
وقد عـدّه قوم تجارة رابح * ويمنعنى من ذاك دينى ومنصبى

وقال آخر[١] :

رأيت أناساً يُسرعون تبـادرا * اذا فتح البـوّاب بابك أصـبعا
ونحن جلوسٌ ساكنون رَزَانةً * وحلما الى أن يُفتح الباب أجْمَعا

وقف الاحنف بن قيس ومحمـد بن الاشعث بباب معاوية فاذن للاحنف . ثم أذن لابن الاشعث فاسرع فى مشيته حتى تقـدم الاحنف ودخل قبله فلما رآه معاوية غمه ذلك واحنقه فالتفت اليـه فقال : والله انى ما أذنت له قبلك وانا أريد أن تدخـل قبله وانّا كما نلى أموركم نلى آدابكم ولا يزيد متزيد فى خطوه الا لنقص يجده من نفسه . وقال هشام الرقاشى[٢] :

أبلغْ ابا مسـمع عنى مغلغـلةً * وفى العتاب حياةٌ بـين أقوام
قـدّمتَ قبلى رجالا ما يكون لهم * فى الحق أن يلجوا الابواب قدامى

---

١ أنشدها الحصين بن المنذر حين قال له معاوية « وكان يدخل عليه فى أخريات الناس » يا أبا ساسان كانه لا يحسن أذنك فانشأ * وكل خفيف الشأن يسعى مشمرا * اذا فتح الخ وبعده * ونحن الجلوس الماكثون رزانة * وحلما الخ ٢) فى كتاب السلطان . وقال أبو القمقام الاسدى :

أبلغ ابا مالك عنى مغلغلة وفى العتاب حياة بين أقوام
ادخلت قبلى قوما لم يكن لهم من قبل أن يلجوا الابواب قدامى

لوعدَّ قبر وقبركنتُ أ كرمهم * قبرا وأبعدهم من منزل الذّام
حتى جعلت اذاماحاجة عرضتْ * بباب قصرك أدلوها باقوام

قيل لمعاوية : ان آذنك يقدم معارفه فى الاذن على وجوه الناس . قال: وما عليه ان المعرفة لتنفع فى الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف فى رجل حبيب ذى كرم ودين . وقالت الحكماء : لا يواظب احد على باب السلطان فيلقى عن نفسه الأنفة ويحتمل الاذى ويكظم الغيظ الا وصل الى حاجته . وقالوا : من ادمن قرع الباب يوشك ان يفتح له . وقال :

أخلق بذى الصبران يحظى بحاجته * ومُدْمن القرع للابواب أن يلجا

ونظر رجل الى روح بن حاتم واقفا فى الشمس . [فقيل له فى ذلك] فقال : ليطول وقوفى فى الظل . ونظر آخر الى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان . فقال له: مثلك يرضى بهذا . فقال :

أهينُ لهمْ نفسى لا كرمها بهمْ * ولا يُكرمِ النفسَ الذى لا يُهينها (١)

وفى كتاب للهند : ان السلطان لا يقرب الناس لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم . ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم ، فيقرب البعيد لنفعه ويبعد القريب لضره . وشبهوا ذلك بالجرذ الذى هو فى البيت مجاور فمن اجل ضره نفى والبازى الذى هو وحشى فمن اجل نفعه اقتنى . استأذن رجل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت . فقال: أألج . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخادمه: اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول السلام عليكم أأدخل . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاث ، فان أذن لك و إلا فارجع . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الاولى اذن، والثانية مؤامرة، والثالثة عزمة، إما أن يأذنوا و إما أن يرجع .

١٧ — الحجاب — قال زياد لحاجبه : وليتك حجابتى وعزلتك عن أربع، هذا المنادى الى الله فى الصلاة والفلاح لا تعرجنه عنى فلا سلطان لك عليه . وطارق الليل لا تحجبه فشرٌّ ماجاء به ولو كان خيرا ماجاء به تلك الساعة . و رسول الثغر فانه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة فادخله علىّ وان كنت فى لحافى . وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد .

لوعديت وبيت كنت أ كرمهم بيتا وأبعدهم من منزل الذام
فقد جعلت اذا ماحاجتى نزلت بباب دارك أدلوها بأقوام

١) فى الاصل وهو غلط
أهين لهم نفسى لا كرمهم بها ومن يكرم النفس التى لا يهينها

ووقف أبوسفيان بباب عثمان بن عفان . وقد اشتغل ببعض مصالح المسلمين فحجبه . فقال له رجل وأراد ان يغريه : ياأباسفيان ما كنت أرى أن تقف بباب مضري فيحجبك . فقال أبو سفيان : لاعدمت من قومي من أقف ببابه فيحجبني . استأذن أبوالدرداء على معاوية فحجبه . فقال : من يغش أبواب الملوك يقم ويقعد ومن يجد بابا مغلقا يجد الى جانبه بابامفتوحا ان دعا أجيب وان سأل أعطى . وقال محمود الوراق :

غالوا بابواب الحديد لغيلها * وتوثقوا في قبح وجه الحاجب

واذا تلطّف للدخول عليهمُ * راجٍ تلقوه بوعدٍ كاذب

فاطلبْ الى ملك الملوك ولا تكن * بادي الضراعة طالباً من طالب

سعيد بن مسلم . قال : كنت واليا بارمينية فعبر أبودهمان أياما ببابي فلما وصل اليّ مثل قائما بين السماطين . وقال : والله انى لاعرف أقواما لوعلموا أن سف التراب يقيم من أودِ[1] أصلابهم لجعلوه مسكة لارماقهم إيثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي[2] . أما والله لا يثنيني عنك الا ما يصرفك عني . ولان أكون مقلا مقربا أحب اليّ من ان أكون مكثرا مبعدا . والله ما نسئل عملا لا نضبطه . ولا مالا إلا ونحن أكثر منه . وهذا الذى قد صار اليك وفى يديك قد كان فى يد غيرك فامسوا والله حديثا إن خيرا فخير وإن شرا فشر . فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب . فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله . أبومسهر قال أتيت أباجعفر محمد بن عبدالله بن عبد كان فحجبني . فكتبت اليه :

انى أتيتك للتسليم أمسُ فلمْ * تأذن عليك لىَ الاستار والحجبُ

وقد علمتُ بأنى لم أرَدّ ولا * والله ماردّ الا العلم والادبُ

فاجابنى ابن عبد كان فقال :

لو كنتَ كافيت بالحسنى لقلتَ كما * قال ابن أوس[3] وفيما قاله أدبُ

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لى أملا * إنّ السماءَ تُرجّى حين تحتجب

١) السماطين: واحده سماط بالكسر الصف من الناس وغيرهم: والاود: العوج.
٢) كذا في الاصل : وفى العبارة سقط ولعله « اذا كان يمنوا بالذل » أوماهذا معناه فليحرر
٣) قوله ابن أوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي .

وقف بباب محمد بن منصور رجل من خاصته فحجب عنه، فكتب اليه :

على أيّ باب اطلبُ الاذن بعدما * حُجبت عن الباب الذى أنا حاجبُه

وقف أبو العتاهية الى باب بعض الهاشميين فطلب الاذن ، فقيل له تكون لك عودة فقال :

لئن عدتُ بعدَ اليوم إنى لظالمٌ * سأصرفُ وجهى حيث تُبغى المكارمُ

متى يظفر الغادى اليك بحاجةٍ * ونصفك محجوبٌ ونصفُك نائمُ

ونظير هذا المعنى للعتابى حيث يقول :

قد أتيناك للسلام مرارا * غيرمنٍّ منا بذاك المزارِ

فاذا أنتَ فى استتارك بالليـــل على مثل حالنا بالنهار

وقف رجل بباب أبى دلف فقام به حينا لا يصل اليه فتلطف فى رقعة وأوصلها اليه وكتب فيها :

اذا كان الكريمُ له حجابٌ * فما فضلُ الكريم على اللئيم

فاجابه : اذا كان الكريم قليلُ مالٍ * ولم يعذُر تعذّر بالحجاب

وأبوابُ الملوك محجّبات * فلا تستعظمنّ حجابَ بابى

وقال حبيب الطائى فى الحجاب :

سأتركُ هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتّى يلينُ قليلا

فما خاب من لم يأته متعمّدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا

ولا جعلتْ أرزاقنا بيد امرىءٍ * حمى بابه من أن ينالَ دخولا

اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدتُ الى ترك المجىء سبيلا

وأنشد أبو بكر ابن العطار :

مالك قد حلتَ عن وفائك واسـ * ـتبدلت يا عمرو شيمةً كدِرَهْ

لسنا نرجوكَ للحساب ولا * يوم تكونَ السماءُ منفطِرَهْ

قدْ كان وجهى لديْك معرفةً * فاليوم أضحى بابا من النكِرَهْ

وقال غيره :

أتيتك للتسليم لا أننى امرؤ * أردتُ باتيانك أسبابَ نائلكْ

فألفيتُ بوابا ببابك مغرماً * يُهدّم ماوطّأته من فضائلكْ

وقد قال قوم حاجبُ المرءِ عامل * على عرضه فاحذرْ خيانة عاملكْ

وقال الحسن بن هانئ :

أيها الراكب المعز الى الفضـــل ترفق فدون فضل حجاب
ونعم هبك قد وصلت الى الفضــــل فهل فى يديك إلا التراب

وقال آخر « وهو محمود البغدادى » :

حجابك من مهابتـه عسـير * وخيرك فى اليدين غدا يسير
خرجت كما دخلت اليك الا * ترابا صار فى خفى كثـير

وقال العتابى :

حجابك ليس يشبهه حجاب * وخيرك دون مطلبه السحاب
ونومك نوم من وَرَدَ المنايا * فليس له الى الدنيا إياب

غيره :

أنا بالباب واقف منذ أصبحت على السرج ممسكا بعنانى
وبعين البواب كل الذى بى * ويرانى كأنه لا يرانى

غيره :

اذا ما أتيناه فى حاجـة * رفعنا الرقاع له بالقصب
له حاجب دونه حاجب * وحاجب حاجبه يحتجب

قال أبو اليسير ، حجبنى بعض كتاب العسكر فكتبت اليـه : ان من لم يرفعـه الاذن لم يضعه الحجاب . وأنا أرفعك عن هـذه المنزلة وأرغب بك عن هذه الخليقة وكل من قام فى منزلك عظم قدره أو صغر وحاول حجاب الخليفة امكنه فتأمل هذه الحال وانظر اليها بعين الفهم تراها فى أقبح صورة وأدنى منزلة . وقد قلت :

اذا كنت تأتى المرء تعظم حقـه * و يجهل منك الحق فالبحر أوسـع
وفى الناس أبدال وفى الهجر راحة * وفى الناس غمر لا يواتيك مقنع
وان امرأ يرضى الهوان لنفسـه * حرى بجدع الانف والانف أشنع

وقال آخر :

يا أبا موسى وأنت فتى * ماجد حلو حذائبه [1]

---

١) كذا في الاصل ولم أقف على مادة حذب . ونسب الراغب فى المحاضرات البيتين الاخيرين ليحيي ابن المعلى . وفى كتاب السلطان وقال بعض الشعراء .

كنْ على منهاج معرفةٍ * أنّ وجه المرء حاجبه
فبه تبدو محاسنُه * وبه تبدو معائبُه

وانشد حسين بن الجمل و بكّر الى باب سليمان بن وهب فحجبه الحاجب وادخل ابن شعوة وحمدويه :

ولعمرى لئن حجبنا عن الشيخ فلاعن وجهٍ هناك وجيهِ
لا ولاعن طعامه التافه النز * والذى حوله لطام بنيه
بل حُجبنا به عن الخسف والمسخ وذاك التبريق والتمويه
فجزى الله حاجباً لك فظاً * كل خير عنا اذا تجزيه
فلقد سرنى دخول اخى شعوة دونى و بعده حمدويه
انّ ذبحى نزالة قد تأتى * من صياحى بقبح تلك الوجوه

وقال أحمد بن محمد البغدادى فى الحسن بن وهب الكاتب :

ومستنيب عن الحسن بن وهب * وعمّا فيه من كرمٍ وخير
أتانى كى أخبّره بعلمى * فقلتُ له سقطتَ على خبير
هو الرجلُ المهذّب غير أنى * أراه كثير أرخاء الستور
وأكثر ما تغنّيه فتاة * حسين [1] حين يخلو بالسرور
ولولا الريحُ أسمِعُ أهل حُجْر * صليل البيض تُقرعُ بالذكور

ومن قولنا فى هذا المعنى :

ما بالُ بابك محروسا ببوّاب * يحميه من طارقٍ يأتى ومنتاب
لا يحتجب وجهك الممقوت عن أحد * فالمقتُ يحجبه من غير حجّاب
فاعزل عن الباب من قد ظلّ يحجبه * فانّ وجهك طلسامٌ على الباب

اعلمن ان كنت تعلمه أن عرض المرء حاجبه
فبه تبدو محاسنه وبه تبدو معائبه

١) كذا فى الاصل ولم أقف على صحته ليصح وزنه . والبيت الذى بعده مضمنا من قصيدة لمهلهل وهو عدى بن ربيعة قال ابن قتيبة فى الشعراء هو أحد الكذبة بقوله « ولولا الريح » البيت والذكور : جمع ذكر أصلب الحديد وأشده يبسا .

وقف حبيب الطائى بباب مالك بن طوق فحجب عنه . فكتب اليه يقول :

قلْ لابن طوقٍ رحى سعد اذا طحنتْ * نوائبَ الدهر أعلاها وأسفلها
أصبحتَ حاتمها جودا واحنفها * حلما وكيِّسها علماً ودغفلها
مالى أرى القبّة البيضاء مقفَلة * دونى وقد طال ما استفتحتُ مُقفلها
اظنها جنة الفردوس معرضة * وليس لى عمل زاكٍ فادخلها

١٨ — باب الوفاء والغدر — قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت الى ان تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فانّ اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك، فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا لم تعجز عن حفظ حرمتى بعد مماتى[١] . فقال عبد الحميد : ان الذى امرتنى به انفع الاشياء لك واقبحها بى وماعندى غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو اقتل معك . أبو الحسن المدائنى . قال : لما قتل عبد الملك بن مروان عُمرو بن سعيد بعد ما صالحه وكتب له كتابا وأشهد شهودا . قال عبد الملك بن مروان لرجل كان يستشيره و يصدر عن رأيه اذا ضاق به الامر: ما رأيك فى الذى كان منى . قال أمر قد فات دركه . قال لتقولن . قال: حزم لو قتلته وحييت . قال أولست بحيي . فقال : من أوقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ولا بعقد[٢] . قال عبد الملك : كلام لو سبق سماعه فعلى لامسكت . المدائنى . قال لما كتب أبو جعفر امان ابن هبيرة واختلف فيه الشهود أربعين يوما ركب فى رجال معه حتى دخل على المنصور . فقال : ان دولتكم جديدة فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها لتسرع محبتكم الى قلوبهم و يعذب ذكركم على ألسنتهم ومازلت منتظر الهذه الدعوة . فأمر أبو جعفر برفع الستر بينه و بينه . فنظر الى وجهه و باسطه بالقول حتى اطمأن قلبه، فلما خرج . قال أبو جعفر : عجبا من كل من يامرنى بقتل مثل هذا ثم قتله بعد ذلك غدرا . وقال أبو جعفر لسلم بن قتيبة : ماترى فى قتل أبى مسلم . قال [سلم] : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . قال : حسبك الله ابا امية . قال أبو عمرو ابن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كَيْسان . فقال فيهم الشاعر :

---

١) عبارة الاصل : لم تعجز عن نفع حرمي من بعد مماتى . وما أصلحته فمن كتاب السلطان لابن قتيبة . ٢) كذا فى الاصل وفى العبارة سقط بينّ فليحرر .

اذا كنتَ في سعدٍ وخالك منهمُ * غريبا فلا يغررك خالك من سعدِ
اذا مادعوا كَيْسان كانت كهولهم * الى الغدر أدنى من شبابهم المردِ

١٩ — الولاية والعزل — قال النبي صلى الله عليه وسلم : ستحرصون على الامارة وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة ، و بئست الفاطمة . وقال المغيرة بن شعبة : احب الامارة لثلاث واهجرها لثلاث ، أحبها لرفع الاولياء ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء وأكرهها لروعة البريد وفوت العزل وشماتة العدو . وقال ولد بن بشر القاضي (1) : كنت جالسا مع أبي قبل ان يلي القضاء فمر به طارق مولى ابن زياد في موكب نبيل وهو والى البصرة ، فلما رآه أبي تنفس الصعداء وقال :

أراها وان كانت تُحَبُّ كأنها * سحائبُ صيف عن قريب تقَشَّعُ

ثم قال اللهم لي ديني ولهم دنياهم ، فلما ابتلي بالقضاء . قلت له : يا ابت اتذكر يوم طارق . قال : يا بني ، انهم يجدون خلفا من ابيك وان اباك لا يجد خلفا منهم ان اباك حط في اهوائهم ، وأكل من حلوائهم . قيل لعبد الله بن الحسن ، ان فلانا غيرته الولاية . قال : من ولي ولاية يراها أكبر منه تغير لها ، ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها . ولما عزل عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة عن كتابة ابي موسى . قال له : أعن عجز أم خيانة يا أمير المؤمنين . قال : لا عن واحدة منهما ولكني أكره أن احمل فضل عقلك على العامة . وكتب زياد الى معاوية : قد أخذت العراق بيميني و بقيت شمالي فارغة — يعرض له بالحجاز . فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فرفع يده الى السماء وقال : اللهم اكفنا شمال زياد فخرجت في شماله قرحة فقتلته . ولقي عمر بن الخطاب أبا هريرة . فقال له : ألا تعمل . قال : لا أريد العمل . قال : قد طلب العمل من هو خير منك ، يوسف عليه الصلاة والسلام قال : « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم . » المدائني . قال كان بلال بن أبي بردة ملازما باب خالد بن عبد الله القسري ، فكان لا يركب خالد الا و رآه في موكبه ، فبرم به . فقال لرجل من الشرط : ائت ذلك الرجل صاحب العمامة السوداء فقل له يقول لك الامير مالزومك بابي وموكبي لا اوليك ولاية أبداً . فأتاه الرسول فابلغه

---

١) كذا في الاصل والمحفوظ انه ابن شبرمة القاضي والحكاية عن ابن له وطارق اذ ذاك صاحب شرطة خالد القسري ورواية البيت في غير الاصل :

أراها وان كانت تحب ركابها   سحابة صيف عن قليل تقشع

فقال له بلال : هل أنت مبلغ عني الامير كما بلغتني عنه . قال : نعم . قال قل له : والله لئن وليتني لاعزلتني فابلغه ذلك . فقال خالد : ماله قاتله الله انه ليعد من نفسه بكفاية فدعاه فولاه . وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا ، فبادر الرجل فطلب منه العمل . فقال له عمر : والله لقد كنت أردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يعن عليه . وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم من النبي ولاية . فقال له ياعم : نفس تحييها ، خير من ولاية لاتحصيها . وطلب رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عملا . فقال له : انا لا نستعين على عملنا بمن يريده وتقول النصارى : لا نختار للجثلقة الا زاهدا فيها غير طالب لها . وقال زياد لاصحابه : من اغبط الناس عيشا . قالوا الامير وأصحابه قال : كلا ان لاعواد المنبر لهيبة ولقرع لجام البريد لفزعة ولكن أغبط الناس عيشا ، رجل له دار يجرى عليه كراؤها وزوجة قد وافقته في كفاف من عيشه لا يعرفنا ولا نعرفه . فان عرّفنا وعرفناه افسدنا عليه آخرته ودنياه . وكتب المغيرة ابن شعبة الى معاوية حين كبر وخاف ان يستبدل به : اما بعد فقد كبرت سني ، ورق عظمي ، واقترب أجلي ، وسفهني سفهاء قريش ، فرأى أمير المؤمنين في عمله موفقا . فكتب اليه معاوية : أما ماذكرت من كبر سنك فانت أكلت شبابك ، وأما ماذكرت من اقتراب أجلك فاني لو استطيع دفع المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان ، وأما ماذكرت من سفهاء قريش فحلماؤها احلوك ذلك المحل ، وأما ماذكرت من العمل فضح رُوَيْدا يدرك الهيجا حَمَل — وهذا مثل وقد وقع تفسيره في كتاب الامثال — . فلما انتهى الكتاب الى المغيرة . كتب اليه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له وخرج جنامعه . فلما دخل عليه قال له يامغيرة : كبرت سنك ورق عظمك ولم يبق منك شيء ولا أراني إلا مستبدلا بك . قال المحدث عنه — فانصرف الينا ونحن نرى الكآبة في وجهه فاخبرنا بما كان من أمره . قلنا له : فما تريد أن تصنع . قال : ستعلمون ذلك فأتى معاوية فقال له ياأمير المؤمنين : ان الانفس ليغدى عليها ويُراح ولست في زمن أبي بكر وعمر فلو نصبت لنا علما من بعدك نصير اليه فاني قد دعوت أهل العراق الى بيعة يزيد . فقال ياأبا محمد : انصرف الى عملك ورم هذا الامر لابن أخيك . فاقبلنا نركض على النجب فالتفت فقال والله لقد وضعت رجله في ركاب طويل التي عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم

٢٠ — باب من احكام القضاة — قال عمر بن عبدالعزيز : اذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل . علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالائمة ،

ومشاورة أهل العلم والرأى . وقال عمر بن عبد العزيز : اذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه . فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا . وكتب عمر بن الخطاب الى معاوية فى القضاء يقول فيه : اذا تقدم الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وادناء الضعيف حتى يشتد قلبه ، و ينبسط لسانه . وتعاهد الغريب فانك ان لم تتعاهده سقط حقه ، و رجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به . وآس بين الناس فى لحظك وطرفك . وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك فصل القضاء . العتبى . قال : تنازع ابراهيم بن المهدى هو و بختيشوع الطبيب بين يدى أحمد بن ابى دواد القاضى فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد فزرى عليه ابن المهدى واغلظ له بين يدى أحمد بن ابى داود فأحفظه ذلك . فقال يا ابراهيم : اذا نازعت أحدا فى مجلس الحكم فلا تعلين ما رفعت عليه صوتا ولا تشر اليه بيد وليكن قصدك أمما وطريقك نهجا و ريحك ساكنة ووفِّ مجالس الحكومة حقوقها مع التوقير والتعظيم والتوجيه الى الواجب . فان ذلك أشبه بك ، واشكل لمذهبك فى محتدك ، وعظم خطرك . ولا تعجل فرب عجلة تَهَب رَيْثا والله يعصمك من الزلل ، وخطر القول والعمل ، و يتم نعمته عليك كما أتمها على أبو يك من قبل ان ربك حكيم عليم . قال ابراهيم : أصلحك الله أمرت بسداد وحضضت على رشاد ، ولست بعائد الى ما يثلم مروءتى عندك ، و يسقطنى من عينك ، و يخرجنى من مقدار الواجب الى الاعتذار . فها أنذ معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه ، باخع بجرمه فان الغضب لا يزال يستفزنى بمواده ، فيردنى مثلك بحلمه . وتلك عادة الله عند نا منك وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقد وهبت حقى من هذا العقار لبختيشوع ، فليت ذلك اليوم يعول بارش الجناية ولم يتلف مال أفاد موعظة و بالله التوفيق[1] . وكتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى ــ رواها ابن عيينة ــ : اما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة . فافهم اذا أدلى اليك الخصم فانه لا ينفع [تكلم] بحق لا نفاذ له . آس بين الناس فى مجلسك و وجهك . حتى لا يطمع شريف فى حَيْفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك . البينة على من ادعى واليمين على من انكر . والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما أو حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء

---

١) احفظه ذلك : أي اغضبه . وقوله فرب عجلة تهب ريثا : الريث الابطاء وهذا مثل معناه ان العجول لايحكم الامر فيحتاج الى اعادته فيطول عليه : وقوله يعول بأرش الجناية : العول الكفاية والارش في الاصل دية الجراحات فالمعنى . ليت ذلك المال يقوم بدية تلك الجناية .

قضيت فيه بالامس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه [الى الحق] فان الحق قديم [لا يبطله شئ] والرجوع اليه خير من التمادى على الباطل الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . اعرف الامثال والاشباه ، وقس الامور عندك ثم اعمد الى أحبها عند الله ورسوله واشبهها بالحق [فيما ترى] واجعل للمدعى أمرا [غائباً أمداً] ينتهى اليه . فان احضر بينة أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء . فان ذلك أجلى للعمى وابلغ فى العذر . والمسلمون عدول [فى الشهادات] بعضهم على بعض . لا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو قرابة أو نسب . فان الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم إياك والتأخر بالناس والتنكر للخصوم فى الحقوق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر . فانّ من تخلص نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه ، يكفيه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم خلافه منه هتك الله ستره . وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الاشعرى : اما بعد فان للناس نفرة عن سلطانهم فاحذر أن تدركنى واياك عمياء مجهولة ، وضغائن محمولة ، واهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، أقم الحدود ولو ساعة من النهار واخف الفساق واجعلهم يدا يدا ، ورجلا رجلا . واذا كانت بين القبائل نائرة [1] فنادوا يا لفلان فانما تلك نخوة من الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيؤا الى أمر الله ، وتكون دعواتهم الى الله والاسلام . واستدم النعمة بالشكر والطاعة بالتألف والمقدرة والنصرة بالتواضع والمحبة للناس . وبلغنى ان ضبّة تنادى يا آل ضبة والله ما علمت ساق الله بها خيرا قط ، ولا صرف بها شرا . فاذا جاءك كتابى هذا فانهكهم عقوبة حتى يتفرقوا ان لم يفقهوا والصق بغيلان بن خراشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وباشر أمورهم وافتح بابك لهم . فانما أنت رجل منهم غير ان الله جعلك أثقلهم حملا . وقد بلغ أمير المؤمنين انه فشت لك ولاهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها . فاياك يا عبد الله أن تكون كالبهيمة همها فى السِّمَن والسمن حتفها ، واعلم ان العامل اذا زاغ زاغت رعيته واشقى الناس من يشقى به الناس والسلام . أراد عمر بن الخطاب أن يغزو قوما فى البحر ، فكتب اليه عمرو بن العاصى وهو عامله على مصر : يا أمير المؤمنين ان البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير دود على عود . فقال

١) النائرة : الهياج .

عمر : لا يسألني الله عن أحد أحله فيه * الشعبي . قال كنت جالساعند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديدا . فقلت : اصلحك الله ما أراها الا مظلومة . قال : وما علمك . قلت لبكائها . قال : لا تفعل ، فان اخوة يوسف ـ جاؤا اباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون . وكان الحسن بن أبي الحسن ، لا يرى أن يرد شهادة رجل مسلم الا أن يجرحه المشهود عليه . فاقبل اليه رجل . فقال : يا أباسعيد ان إياسا رد شهادتي . فقام معه الحسن اليه فقال يا أبا رتيلة ، لم رددت شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ما علينا . فقال : يا أباسعيد ان الله يقول : «ممن ترضون من الشهداء . » وهذا لا يُرضى . ودخل الاشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس الحكومة . فقال : مرحبا وأهلا بشيخنا وسيدنا واجلسه معه . فبيناهو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من الاشعث . فقال له شريح : قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك . قال : بل أكلمه من مجلسي . فقال له : لتقومن أو لآمرن من يقيمك . فقال له الاشعث : لشد ما ارتفعت . قال : رأيت ذلك ضرك . قال لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك ، وتجهلها على نفسك . واقبل ابن أبي الاسود صاحب خراسان ليشهد عند اياس بشهادة . فقال : مرحبا واهلا بابي مطرف واجلسه معه . ثم قال له : ما جاء بك . قال : لاشهد لفلان . فقال : مالك وللشهادة انما يشهد الموالي والتجار والسوقة . قال : صدقت وانصرف من عنده . فقيل له : خدعك انه لا يقبل شهادتك . قال : لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب . دخل عدي بن أرطاة على شريح . فقال : أين انت اصلحك الله . قال : بينك و بين الجدار . قال : اني رجل من أهل الشام . قال : نائي المحل سحيق الدار . قال : قد تزوجت عندكم . قال : بالرفاء والبنين . قال : و ولد لي غلام قال : لينهك الفارس . قال : واردت ان ارحلها . قال : الرجل أحق بأهله . قال : وشرطت لها دارها . قال : الشرط أملك . قال : فاحكم الآن بيننا . قال : قد فعلت . قال : على من قضيت . قال : على ابن امك . قال : بشهادة من ؟ . قال : بشهادة ابن اخت خالتك ـ يريد اقراره على نفسه ـ سفيان الثوري . قال : جاء رجل يخاصم الى شريح في سنور . قال : بينتك . قال : ما أجد بينة في سنور ولدت عندنا . قال شريح : فاذهبوا بها الى أمها فارسلوها فان استقرت واستمرت ودرّت فهي سنورك ، وان هي : اقشعرّت واز بأرّت فليست بسنورك * سفيان الثوري . قال : جاء رجل الى شريح . فقال : ما تقول في شاة

تا كل الذباب . فقال : لبن طيب وعلف تجان . ودخل رجل على الشعبي فى مجلس القضاء ومعه امرأة وهى من أجمل النساء . فاختصما اليه فادلت المرأة بحجتها وقرّبت بينتها . فقال للزوج : هل عندك من مدفع . فأنشأ يقول :

فتن الشّعبيّ لما * رَفَع الطرفَ اليها * فتنتْه بدلالٍ * وبخطىْ حاجبيها
قال للجلواذ قربها واحضرْ شاهديها [1] * فقضى جورا على اا * خصم ولم يقض عليها

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروانَ فلما نظر الىّ تبسم وقال :

فتن الشعبيّ لما * رفع الطرف اليها

ثم قال : مافعلت بقائل هذه الابيات . قلت : أوجعته ضربا يا أمير المؤمنين بما انتهك من حرمتى فى مجلس الحكومة وبما افترى به على . قال : أحسنت .



٣ — فرش كتاب الحروب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى السلطان وتعظيمه ، وما على الرعية من لزوم طاعته ، وادامة نصيحته ، وما على السلطان من العدل فى رعيته ، والرفق باهل مملكته .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الحروب ومدار أمرها ، وقَوْد الجيوش وتدبيرها ، وما على المدبر لها من أعمال الخدمة ، وانتهاز الفرصة ، والتماس الغرة ، واذكاء العيون ، وافشاء الطلائع ، واجتناب المضايق ، والتحفظ من الدسيسات . هذا بعد معرفة أحكامها ، وإحكام معرفته ، وطول تجربته ، لمقاسات الحروب ، ومعانات الجيوش ، وعلمه ان لا درع

---

١) قوله قال للجواذ الخ . فى اللسان عن أبي عمرو الجلاذى الصناع وحدهم جلذى وقال غيره الجلاذى خدم البيعة وجلهم جلاذى لنظهم . فاذا كان الجلواذ مأخوذ من هذا فيكون علم على صنف من خدمة القضاء ويسمونه الآن المحضر . وذكر الثعالبي القصة في التمثيل والمحاضرة ونسب الابيات للمتوكل الليثي وزاد عليهم :

كيف لو أبصر منها نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تراه ساجدا بين يديها

كالصبر ، ولا حصن كاليقين . ثم نذكر كرم اليقين، ومحمود عاقبته . ولؤم الفرار، ومذموم مغبته والله المعين .

١ — صفة الحروب — الحرب رحى ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الاناة [1] ، وزمامها الحذر ، ولكل شيء من هذه ثمرة . فثمرة المكر الظفر ، وثمرة الصبر التأييد ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الاناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ، ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال . قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معديكرب : صف لنا الحرب . قال : مُرّة المذاق ، اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عُرِف ، ومن نكل عنها تلف . ثم أنشأ يقول :

الحرب أول ماتكون فتيّة * تسعى بزينتها لكل جهول

حتى اذا حميت وشبّ ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل

شمطاء جزّت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

وقيل لعنترة الفوارس : صف لنا الحرب . فقال : أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى . وقال الكميت :

والناسُ فى الحرب شتّى وهى مقبلة * ويستوون اذا ما أدبر القبل

كلٌّ بأسبابها صبٌّ مولية * والعاملون بذى عذريها قلل

وقال نصر بن سيار صاحب خراسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها :

أرى خلَلَ الرماد وميضُ نار * فيوشك أن يكون له ضِرام

فانّ النار بالعودين تذكى * وانّ الحرب أولها الكلام

وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : الشر . حلو أوله ، مرآخره . والعرب تقول : الحرب غشوم ، لانها تنال غير الجانى . وقال حبيب :

والحرب تركب رأسها فى مشهد * عدل السفيه به بألف حليم

فى ساعة لو انَّ لقمانا بها * وهو الحكيم لكانَ غير حكيم

وقال اكثم بن صيفى حكيم العرب : لاحلم لمن لاسفيه له . ونحوهذا قول الاحنف

---

[1] الثفال : مثل كتاب جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق . والثقاف : من ثقفت الرجل في الحرب أدركته وثقفته ظفرت به . وفى الاصل وثقافها وهو تصحيف .

ابن قيس : ماقل سفهاء قوم قط ، الا ذلوا . وقال: لان يطيعنى سفهاء قومى ، احب الى من ان يطيعنى حلماؤهم . وقال: اكرموا سفهاؤكم ، فانهم يكفونكم النار والعار . وقال النابغة الجعدى :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

وأنشد هذا الشعر للنبى صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى هذا البيت . قال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك ، فعاش ثلاثين ومائة سنة لم تنفض له ثنية . وقال النابغة أيضا يصف الحرب :

تبدو كواكبه والشمس طالعة * لا النور نور ولا الاظلام إظلام

يريد بقوله : « تبدو كواكبه والشمس طالعة » : شدة الهول والكرب كما تقول العامة أريته النجوم وسط النهار . قال الفرزدق : « أريك نجوم الليل والشمس حية » . وقال طرفة بن العبد : « وتريك النجم يجرى بالظهر » واليه ذهب جرير فى قوله :

والشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

يقول: ان الشمس طالعة وليست بكاسفة نجوم الليل ، لشدة الغم والكرب الذى فيه الناس . ومن قولنا فى صفة الحرب :

ومغبر السماء اذا تجلى * يغادر أرضه كالأرجوان

كأن زهاءه ظلماء ليل * كواكبه من الشمس الدوانى

سموت له سمو النقع فيه * بكل مزلق سلب السنان

وفى صفة المعترك :

ومعترك تهز به المنايا * ذكور الهند فى أيدى ذكور

لوامع يبصر الاعمى سناها * ويعمى دونها طرف البصير

وفائقة الذوائب قد أنافت * على حمل لها ثنيى طرير

يحوم حولها عقبان موت * تخطفت القلوب من الصدور

بيوم راح فى سربال ليل * فما عرف الاصيل من البكور

وعين الشمس ترنو فى قتام * رنو البكر من بين الستور

فكم قصرن من عمر طويل * به واطلن من عمر قصير

٢ — العمل فى الحروب — قيل لاكثم بن صيفى: صف لنا العمل فى الحرب . قال : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، فلا جماعة لمن اختلف عليه . واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل

فتثبتوا . فان احزم الفريقين الركين . ورب عجلة تعقب ريثا . وادّرعوا الليل، فانه أخفى للويل، وتحفظوا من البيات . وقال شبيب الحروري : الليل يكفيك الجبان ويُصْفِ الشجاع . وكان اذا أمسى يقول لاصحابه : أتاكم المردّ . وقالت عائشة رضى الله عنها يوم الجمل وسمعت منازعة أصحابها وكثرة صياحهم : المنازعة فى الحرب خور ، والصياح فيها فشل ، وما برأيى خرجت مع هؤلاء . وقال عتبة بن أبى ربيعة لاصحابه يوم بدر لما رأى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ترونهم خرسا لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الحيات . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : من اكثر النظر فى العواقب ، لم يشجع . وقال : النعمان بن مقرن لاصحابه عند لقاء العدوّ : انى هاز لكم الراية ، فليصلح كل رجل منكم من شأنه ، وليشد على نفسه وفرسه . ثم انى هازها لكم الثانية ، فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه، وموضع عدوه ، ومكان فرصه . ثم انى هازها لكم الثالثة ، وحامل . فاحملوا على اسم الله . وللنعمان بن مقرن هذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه . اذ تكاملت [الخيل]، وتطلع الصحابة الى التقدم عليها : لا قلدنّ أعنتها رجلا يكون عداءلا ول أسنة يلقاها ، فقلدها النعمان بن مقرن . وقال على رضى الله عنه : انتهزوا الفرصة، فانها تمر مر السحاب . ولا تطلبوا أثرا بعد عين . وقال بعض الحكماء : انتهز الفرصة فانها خلسة ، وتثبت عند رأس الامر ، ولا تثبت عند ذنبه . واياك والعجز، فانه أذل مركب . والشفيع المهين ، فانه أضعف وسيلة . وخرجت خارجة بخراسان على قتيبة ابن مسلم فاهمه ذلك . فقيل له : مايهمك منهم ، وجه اليهم وكيع بن أبى صَرَد فانه يكفيكهم . فقال : لا ، ان وكيعا رجل به كبر يتحاقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاته باعدائه . فلم يحترس منهم فيجد عدوه غرة منه . وسئل بعض الملوك عن وثائق الحزم فى القتال . فقال : مخاتلة العدو ، وعزار يف، واعداد العيون على الرصد ، واعطاء المبلغين على الصدق ، ومعاقبة المتوصلين بالكذب ، وأن لا تخرج هاربا الى قتال ، ولا تضيق امانا على مستأمن ، ولا تشرهك الغنيمة على المحاذرة . وفى بعض كتب العجم : ان حكيما سئل عن أشد الامور تدريبا للجنود وشحذا لها فقال : تعود القتال وكثرته . وأن يكون لها موادمن ورائها . وقال عمرو بن العاص لمعاوية : والله ما أدرى يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان . فقال معاوية :

شجاع اذا ما أمكنتنى فرصة * وان لم تكن لى فرصة فجبان

وقال الاحنف بن قيس . إن رأيت الشر يتركك ان تركته فاتركه . قال هدبة العذرى :

ولا أتمنى الشر والشرُّ تاركي * ولكن متى أُحمل على الشر أركب
ولستُ بمفراحٍ اذا الدهر سرني * ولا جازع من صرفه المتقلب

٣ — الصبر والاقدام فى الحرب — جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب فى آيتين من كتابه فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . » وتقول العرب : الشجاعة وقاية . والجبن مقتلة . واعتبر ذلك أمن يقتل مدبرا أكثر أم من يقتل مقبلا . ولذلك قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه لخالد بن الوليد : أحرص على الموت، توهب لك الحياة . والعرب تقول : الشجاع موقى ، والجبان ملقى . وقال اعرابى : الله مخلف ما أتلف الناس والدهر متلف ما جمعوا . وكم من منية علّتها طلب الحياة . وحياة سببها التعرض للموت . وكان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يزم الناس ويقول : يا أهل الاسلام ان الصبر عز ، وان الفشل عجز ، وان مع الصبر النصر . وكتب أنوشروان الى مرازبته : عليكم باهل السخاء والشجاعة ، فانهم أهل حسن الظن بالله . وقالت الحكماء : استقبال الموت خير من استدباره . وقال حسان ابن ثابت :

ولسنا على الاعقاب تَدْمى كلُومُنا * ولكنْ على أعقابنا يَقطر الدَّما

وقال العلولى :

محرّمة أكفالُ خيلى على القنا * ودامية لَبّاتُها ونحورها
حرام على أرماحنا طعنَ مدبر * وتندّقُ منها فى الصدوَر صدورها

وكانوا يتمادحون بالموت قطعا ، ويتهاجون بالموت على الفراش . ويقولون فيه : مات فلان حتف أنفه . وأول من قال ذلك النبى عليه الصلاة والسلام . وخطب عبد الله بن الزبير الناس لما بلغه قتل المصعب أخيه . فقال : ان يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه انّا والله لا نموت حتفا ، ولكن قطعا باطراف الرماح ، وموتا تحت ظلال السيوف . وأن يقتل المصعب فان فى آل الزبير خلفا منه . وقال السموأل :

وما مات َمنا سيّد حتف أنفه * ولا طُلّ منا حيث كان قتيلُ
تسيل على حدّ الظِباة نفوسنا * وليس على غير السيوف تسيلُ

وقال آخر :

وانا لتستحلي المنايا نفوسنا * ونترك أخرى مرّها فنذوقها

وقال الشنفرى :

فلا تدفنوني إنّ دفني محرّم * عليكم ولكن خامري أمّ عامر
اذا احملت رأسي وفي الرأس أكثري * وغودر عند الملتقى ثمّ سائري
هنالك لا أبغي حياةً تسرني * سجيس الليالي مبتلي بالجرائر

قوله : خامري أم عامر ـ هي الضبع ـ وهذا اللفظ بعيد من المعنى . وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : بقية السيف أنمى عددا ، وأطيب ولدا ـ . يريد ان السيف اذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ، ونمى ولدهم . ومما يستدل به على صدق قوله : ماعمل السيف في آل الزبير ، وآل أبي طالب . وما أكثر من عددهم . وقال أبودلف العجلي :

سيفي بليلي جليسي * وفي نهاري أنيسي
اني فتى عودتني * مهري ركوب القيسي
يحمد سيفي كما قد * يحمد كرّي فريسي

وقال محمد بن عبدالله بن طاهر صاحب خراسان :

لستُ لريحان ولاراح * ولا على الجار بنفّاح
فان أردت الآن لي موقفا * فبين أسياف وأرماح
ترى فتى تحت ظلال القنى * يقبض أرواحا بارواح

وقال أشهب بن رميلة :

أسود شرى لاقت أسود خفيّة * تلاقوا على جُردٍ بماءِ الاساودِ

وقيل للمهلب بن أبي صفرة : ماأعجب مارأيت في حرب الازارقة . قال : فتى كان يخرج الينا منهم في كل غداة فيقف فيقول :

وسائلةٍ بالغيب عني ولو درتْ * مُقارعتي الابطالَ طال نحيبها
اذاما التقينا كنتُ أولّ فارس * يجود بنفسٍ أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء الا اقعده ، فاذا كان من الغد عاد لمثل ذلك . وقال هشام بن عبد الملك لاخيه مسلمة : هل دخلك ذَعَر قط لحرب أو عدوّ . قال: ماسلمت من ذلك من ذعر نبه على

حيلة ، و لم يغشني ذعر سلبني رأيي . قال هشام : هذه والله البسالة . وقيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق . قال : كنا مائة كالذهب ، لم نكثر فننكل، ولم نقل فنذل . وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيرا في الحرب بقول حصين بن الحمام :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ * لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدَّما

وقالت الخنساء :

نهين النفوسَ و بذل النفو * سِ يوم الكريهة أبقى لها

وقيل لعبَّاد بن الحصين ـ وكان من أشد أهل البصرة: في أي عدَّة كنت تريد أن تلقى عدوك . قال : في أجل مستأخر . وكان مما يتمثل به معاوية رضي الله عنه يوم صفين :

أبتْ لي شيمتي وأبى تلادي * وأخذي الحمدَ بالثمن الربيحِ
و إقدامي على المكروه نفسي * وضربي هامةَ البطل المُشيح
وقولي كلّما جشأتْ وجاشتْ * مكانك تحمدي أو تستريحي
لا دفع عن مآثر صالحاتٍ * وأحيا بعدُ عن عرض صحيح

ونظير هذا قول قطري بن الفجاءة :

وقولي كلما جشأتْ لنفسي * من الابطال ويحك لن تُراعي
فانك لو سألتِ حياةَ يومٍ * سوى الاجل الذي لك لم تُطاعي

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين و يقول:

أيّ يوميَّ من الموتِ أفرْ * يومَ لا يقدرُ او يوم قُدِرْ
يوم لا يقدرُ لا أرهبُه * ومن المقدور لا ينجي الحَذِرْ

ومثله قول جرير :

قل للجبان اذا تأخر سَرْجه * هل أنتَ من شَرَكِ المنيّة ناجِ

وهذا البيت في شعره الذي أوله :هـذا الفراق لقلبك المحتاج * ومدح فيه الحجاج فلما أنشده : قل للجبان ـ البيت . قال له :جرأت على الناس يا ابن اللخناء قال: والله ما لقيتُ لها بالا أيها الامير الا وقتي هذا . وكان عاصم بن الحدَثان عالما ذكيا وكان رأس الخوارج بالبصرة ور بما جاء الرسول من الجَبَلة يسأله عن الامر يختصمون فيه ، فمر به الفرزدق . فقال لابنه : أنشد أبا فراس . فانشده :

وهمُ اذا كسروا الجفون أكارمٌ * صُبُرٌ وحين تحلّل الازرارُ

يغشون جامات المَنون وأنها * فى الله عنـد نفوسهم لصـغارُ

يمشون بالخطىّ لا يثنيهُـمُ * والقوم إن ركبوا الرماح تجارُ

فقال له الفرزدق : اكتم هذا لا يسمعه النساجون فيخرجوا علينا بسيوفهم . فقال أبوه : هو شاعر المؤمنين، وأنت شاعر الكافرين . ونظير هذا مما يشجع الجبان قول عنترة :

بكَرَتْ تخوفنى الحتوف فأنّنى * أصبحتُ عن غَرَضِ الحتوف بمعزلِ

فأجبتُها انّ المنيّـــة منهَلٌ * لابدّ انْ أُسقىْ بكأس المنهـلِ

فاقْنى حياءكِ لا أبالكِ واعْلَمِي * انى امرؤ سأموتُ ان لم أقتَـلِ

ومن أحسن ماقالوه فى الصبر، قول نهشل بن جزى بن ضمرة النهشلى :

ويومٌ كأنّ المصطلين بحرّه * وانْ لم تكنْ نارو قوف على جَمْرِ

صـبرنا له حتى يبوح وانما * تفرجُ أيام الكريهـةِ بالصّبْرِ

وأحسن من هذا قول حبيب :

فأثبتَ فى مستنقَعِ الموت رجْـلهُ * وقال لهـا من تحت إخْمِصك الحشرِ

تردّى ثياب المـوت حمراً فما أتى * لهـا الليل الا وهى من سـندس خضر

وأحسن من هذا قوله :

يستعذبون مناياهم كأنّهمُ * لايخرجون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله فى المعنى :

قوم اذا لبسوا الحديد حسبتهم * لم يحسـبوا انّ المنيّـة تخلَقُ

انظر بحيث ترى السيوف لوامعا * أبدا وفوق رؤسهـم تتألقُ

وقال الجحاف بن حكيم :

شهدن مع النبىّ مسوّماتٍ * حنينا وهى دامية الحَوام

ووقعة راهط شهدتْ وحلّتْ * سنا بكهنّ بالبـلد الحرام

تعرّض للطعان بكل ثغر * خدودا لا تعرّض للاطام

أخذه من قولهم : ضربة بسيف فى عز ، خـير من لطمة فى ذل . ومن أحسن ماوصفت به رجال الحرب قول الشاعر :

رويدا بنى شيبان بعض وعيدكم * تلاقوا غدا خيلى على سفوان

تلاقوا رجالا لاتحيد عن الوغى * اذا الخيل جالت فى فنا الميدان
اذا استنجدوا لا يسألوا من دعاهم * لاية أرض أو لاى مكان

ونظير هذا قول الآخر :

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدّوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينكتون الارض عند سؤالهم * لتطلب العلات بالعيدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها * عند السؤال كاحسن الالوان

ومن أحسن المحدثين تشبيها فى الحرب ، مسلم بن الوليد الانصارى فى قوله ليزيد بن مزيد :

تلقى المنية فى أمثال عدتها * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود
تجود بالنفس اذ شح الضنين بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقوله أيضا :

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل
ينال بالرفق ماتعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

وقال أبو العتاهية :

كانك عند الكرب فى الحرب إنما * تفرّ عن الكرب الذى من ورائكا
كانّ المنايا ليس تجرى لدى الوغى * اذا التقت الابطال الا برايكا
فما آفة الآجال غيرك فى الوغى * وما آفة الاموال الا حباؤكا

وقال زيد الخيل :

وقد علمت سلامة أنّ سيفى * كريه كلما دعيت نزال
أحادثه بصقل كل يوم * وأعجمه بهامات الرجال

وقال أبو محلم السعدى :

تقول وصكّت وجهها بيمينها * أبعلى هذا بالرحا المتقاعس
فقلت لها لا تعجلى وتبينى * بلائى اذا التفت علىّ الفوارس
ألست أرد القرن يركب روعه * وفيه سنان ذو عراقيب يابس
اذا هاب أقوام تجشمت كلما * يهاب حمياه الالد المداعس

لَعمر أبيك الخيرَ أنى لخادمٌ * لضيفى وأنى إنْ ركبتُ لفارس

وقال آخر يمدح المهلب بالصبر :

واذا جدَدْتَ فكل شىء نافعٌ * واذا حدَدْتَ فكل شىء ضائرُ

واذا أتاك مهلبىٌّ فى الوغى * فى كفّه سيفٌ فنعم الناصر

ومن قولنا فى القائد أبى العباس فى الحرب :

نفسى فداؤك والابطالُ واقفة * والموتُ يقسِم فى أرواحها النقما

شاركتَ صرف المنايا فى نفوسهمُ * حتى تحكمتَ فيها مثل ما احتكما

لو تستطيعَ العلا جاءتك خاضعةً * حتى تقبل منك الكفَّ والقدما

ومن قولنا فى وصف الحرب :

سيوف يَقيلُ الموتُ تحت ظُباتها * لها فى الكلى طعم و بين الكلى شربُ

اذا اصطفّت الرايات حمرا متونها * ذوائبها تهفو فيهفو لها القلبُ

ولم تنطق الابطال الا بفعلها * فألسنها عجمٌ وأفعالها عُرْبُ

اذا ما التقوا فى مأزقٍ وتعانقوا * فلقياهمُ طعنٌ وتعنيفهم ضربُ

ومن قولنا فى رجال الحرب ، وان الوغى قد أخذت منهم ومن أجسامهم فهى مثل السيوف فى رقتها وصلابتها :

سيفٌ تقلّد مثلهُ * عطفُ القضيب على القضيبْ

هذا تجزّ به الرقا * بُ وذا تجزّ به الخطوبْ

ومن قولنا أيضا :

تراه فى الوغى سيفاً صقيلا * يقلب صفحتىْ سيفٍ صقيل

ومن قولنا أيضا :

سيفٌ عليه نجادُ سيف مثله * فى حدّه للمفسدين صلاحُ

ومن قولنا أيضا فى الحرب وذكر القلائد :

مقيلك تحت أظلالِ العوالى * و بيتك فوق صَهَوات الجياد

تبختر فى قميص من دلاصٍ * وترفل فى رداء من نجاد

كأنك للحروب رضيع ثدىٍ * غذَتْك بكلّ داهية وناد

فكم هـذا التمنى للمنايا * وكم هـذا التجلّد للجلاد
لئن عُرف الجهـاد بكل عام * فأنك طول دهرك فى جهاد
وانك حين أبت بكل سعد * كمثل الروح آب الى الفؤاد
رأينا السيف مرتديا بسيف * وعاينا الجواد على الجواد

وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم نتقدم عليه ، ومعنى بديع لا نظير له . فمن ذلك قولنا :

وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا * يعبُّ عُبابا من قنا وقنابل
فيـنزل أولاهُ وليس بنازلٍ * ويرحل أخراهُ وليس براحل
ومعترك ضنك تعاطت كماته * كؤس دماءٍ من كلىً ومفاصل
يديرونها راحاً من الرّاح بينهم * ببيض رقاق أو بسمر ذَوابل
وتسمعهم أم المنيّة وسطها * غناء صليل البيض تحت المناصل

ومن قولنا فى هذا المعنى :

سيف من الحتف تردّى به * يوم الوغى سيفٌ من الحزم
مواصلا أعداءه عن قلىً * لا صلة القربى ولا الرحم
وظلّ يجفى الالف من بغضه * شوقا الى الهجران والصّرْم
حتى اذا نادمهم سيفه * بكل كأس مرّة الطّعْم
ترى حميّاها بهاماتهم * تفوّر بين الجلد والعظم
على أهازيج ظُبا بينَها * ماشئت من خَزْقٍ ومن خَرْم
طاعوا له من بعد عصيانهم * وطاعة الاعداء عن زغم
وكم أعدوا واستعدوا له * هيهات ليس الخضْم كالقَضْم

ومن قولنا :

كم ألحم السيف فى أبناء ملحمة * مامنهمُ فوق متن الارض ديار
وأوردالنار من أرواح مارقةٍ * كادت تميّز من غيظ لها النار
كأنما صال فى ثنى مفاضته * مستأسدحنق الاحشاء هدّار
لما رأى الفتنة العمياء قد رحبتْ * منها على الناس آفاق وأقطار
وأطبقت ظُلَمٌ من فوقها ظلم * مايستضاء بها نور ولا نار
قاد الجياد الى الاعداء سارية * قناً طواها كطىّ العَصْب اضمار

ململومــة تتبارى فى ململمة * كأنها لاعتدال الخلق أفهار
تزوّرّ عند احساس الطعن أعينها * وهنّ من فرَجات النقع نظّـار
تفوت بالطعن أقواما وتدركه * من آخرين اذا لم يدرك الثّـار
فانساب ناصر دين الله يقدمهم * وحوله من جنود الله أنصار
كتائب تتبارى حول رايتــه * وجحفل كسواد الليل جرّار
قومٌ لهم فى مكرّ الليل غمغمةٌ * تحت العجاج واقبال وادبار
يستقبلون كراديسا مكردسة * كما تدفّع بالتيــار تيّــار
من كل أروع لا يرعى لهاجسةٍ * كأنه مخدر فى الخيل هصّار
فى قسطل من عجاج الحرب مدّ له * بين السماء وبين الارض أستار
فكم بساحتهم من شلو مطّرح * كأنه فوق ظهر الارض أحجار
كأنمــا رأسه أقلات حنظلة * وساعداه الى الزندين جمّـار
وكم على النهر أوصالا مفرقة * تقسّــمتها المنايا فهى أشــطار
قد فلّقت بصفيح الهند هامتهمْ * فهنّ بين حوامى الخيل أعشار

ومن قولنا فى الحروب :

وحومة غادرت فرسانها * فى مبرك للحرب جعجاع
مستلحم للموت مستعبر * مفرّق للشــمل جمّاع
وبلدةٌ صحصحتْ منها الربا * لفليــق كالســيل دفّاع
كأنمــا باضت نعام الفــلا * منهــم بهام فــوق أذراع
تراهمُ عند احتماس الوغى * كانهــم جنٌّ بأجزاع
بكل مأثور على متنــه * مثل مدبّ النمل فى القاع
يرتد طرف العين من حدّه * عن كوكب للموت لمـاع

ومن قولنا فى الحروب :

وربّ ملتفّــة العوالى * يلتمع الطرف فى ذراها
اذا توطت حُزون أرض * طحطحت الشم من رُباها
يقودها منــه ليث غاب * اذا رأى فرصــة قضاها
تمضى بآرائه ســيوفٌ * يســتبق الموت فى ظُباها

بيض تخلى القلوب سودا * اذا انتضى عزمه انتضاها
تتبعه الطير فى الاعادى * يجنى كلا العشب من كلاها
أقدم اذ كسّع كل ليث * عن حومة الموت إذ رآها
فأقحم الموت فى غمار * تفغّر بالموت لهوتاها
عنت له أوجه المنايا * فعافها القوم وآشتهاها

٤ — فرسان العرب فى الجاهلية والاسلام — كان فارس العرب فى الجاهلية ربيعة بن مكدّم من بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، وكان يُعقَر على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره. وقال حسان بن ثابت وقد مرّ على قبره :

نفرت قلوصى من حجارة حُرّة * بنيت على طلق اليدين وهوبِ
لا تنفرى ياناقُ منه فانه * شِرّيب خمر مسعرٍ لحروب
لولا السّفار وطول قفرٍ مهمهٍ * لتركتها تحبو على عُرقوب

وكان بنو فراس بن غنم بن كنانة أنجد العرب ، كان الرجل منهم يعدل عشرة من غيرهم . وفيهم يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه لاهل الكوفة : من فاز بكم فقد فاز بالسهم الاخيب أبدلكم الله بى من هو شر لكم، وأبدلنى بكم من هو خير منكم ، وددت والله ان لى بجميعكم وأنتم مائة ألف ، ثلاثمائة من بنى فراس بن غنم .

ومن فرسان العرب فى الجاهلية — عنترة الفوارس ، وعتيبة بن الحرث بن شهاب ، وأبو بَرَاء عمرو بن مالك ملاعب الاسنة ، و زيد الخيل ، و بسطام بن قيس ، والاحيمر السعدى ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن عبدود ، وعمرو بن معديكرب . و فى الاسلام — عبدالله بن حازم السُّلمى، وعباد بن الحصين ،وعمير بن الحباب،وقطرى بن الفجاة ، والحريش بن هلال السعدى ، وشبيب الحرورى . وقالوا : ما استحيا شجاع قط أن يفر عن عبدالله بن حازم،وقطرى بن الفجاة صاحب الازارقة . وقالوا : ذهب حاتم بالسخاء ، والاحنف بالحلم ، وخريم بالنعمة ، وعمير بن الحباب بالسر . و بينا عبدالله بن حازم عند عبدالله بن زياد إذ دخل جراد أبيض فعجب منه عبدالله . وقال : هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا ؟ ونظر اليه ، فاذا عبدالله قد تضاءل حتى صار كانه فرخ وأصفر كانه جرادة ذكر . فقال عبدالله : أبو صالح يعصى الرحمن، ويتهاون بالسلطان ، و يقبض على

الثعبان ، و يمشي الى الليث يلقى الرماح بنحره ، وقد اعترامن جرادماترون ، أشهد أن الله على كل شيء قدير . وكان شبيب الحروري : يصيح في جنبات الجيش ، فلا يلوى أحد على أحد . وفيه يقول الشاعر :

ان صاح يوماحسبت الصخرمنحدراً * والريح عاصفة والموج يلتطم

ولما قتل أمر الحجاج بشق صدره ، فاذا له فؤادمثل فؤاد الجمل ، فكانوا اذا ضربوابه الارض ينز و كما تنز و المثانة المنفوخة . و رجال الانصار أشجع الناس . قال عبدالله بن عباس : مااستلت السيوف ، ولا زحفت الزحوف ، ولا أقيمت الصفوف ، حتى أسلم ابناقيلة — يعني الاوس والخزرج — وهما الانصار من بني عمرو بن عامر من الازد . العتبي : لما اسن أبو براء عامر بن مالك ، وضعفه بنواخيه وخرفوه ولم يكن له ولد يحميه . أنشأ يقول :

دفعتكم عني وما دفع راحة * بشيء اذا لم تستعن بالانامل

يضعفني حلمي وكثرة جهلكم * علي واني لاأصول بجاهل

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، اذ رأى همدان وغناءها في الحرب يوم صفين :

ناديت همدان والابواب مطبقة * ومثل همدان سنى فتحة الباب

كالهندواني لم تفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

وقال ابن براقة الهمداني :

كذبتم وبيت الله لاتأخذونها * مراغمة مادام للسيف قائم

متى تجمع القلب الذكي وصارما * وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وكنت إذاقوم غز وني غز وتهم * فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

وقال تأبط شرا :

قليل التشكي للمهم يصيبه * كثير النوى شت الهوى والمسالك

يبيت بموماة و يضحي بغيرها * جحيشا و يعرورى ظهور المهالك

اذاخاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالئ من قلب شيحان فاتك

و يجعل عينيه ربيئة قلبه * الى سلة من بجاز أخلق باتك

اذا هزه في عظم قرن تهللت * نواجذ أفواه المنايا الضواحك

وقال المخزومي وكان شجاعا :

ومايريد بنو الاغيار من رجلٍ * بالجمر مكتحل بالنبل مشتمل
لا يشرب الماء الامن قُلَيْب دمٍ * ولا يبيت له جار على وَجَلِ

ونظير هذا قول بشار العقيلي :

فتى لا يبيت على دُمنة * ولا يشرب الماء الا بالدّم

وقال عبدالله بن الزبير : التقيت بالاشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني خمساً أوستا ، ثم أخذ برجلي فالقاني في الخندق . وقال : والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مااجتمع منك عضو الى آخر . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أعطت عائشة الذي بشرها بحياة ابن الزبير اذ التقى مع الاشتر عشرة آلاف . وذكر متمم بن نويرة أخاه مالكا وجلده . فقال : كان يخرج في الليلة الصّنّبر ، عليه الشملة الفلوت ، بين المزادتين على الجمل الثفال ، معتقل الزمح الخطى . قالوا: وأبيك ان هذا لهو الجلد . وكتب عمر بن الخطاب الى النعمان بن مقرن وهو على الصائفة : ان استعن في حربك بعمرو بن معديكرب ، وطليحة الازدي ، ولا تولهما من الأمر شيأ ، فان كل صانع أعلم بصناعته . وقال عمرو بن معديكرب يصف صبره وجلده في الحرب:

أعاذل عدّتي بدني ورمحي * وكل مقلّص سلس القياد
أعاذل إنما أفنى شبابي * اجابتيَ الصريخ الى المنادي
مع الابطال حتى سَلَّ جسمي * وأقرحَ عاتقي حمل النجّاد
ويبقى بعد حلم القوم حلمي * ويفنى قبل زاد القوم زادي
ومن عجبٍ عجبتُ له حديث * بديع ليس من بدع السداد
تمنى أنْ يلاقيني قَيَنْس * وددتُ وأينما مني ودادي
يمانيّ وسابغتي قميصي * كانّ قطيرها حدق الجراد
وسيف لابن ذي قيعان عندي * تخيّر نصله من عهد عاد
فلو لاقيتني للقيت ليثا * هصوراً ذا ظُبا وشبا حداد
ولاستيقنت انّ الموت حق * وصرّح شحم قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

ومن قوله في قيس بن مكشوح المرادي :

تمناني على فرس * عليه جالس أسده

عليّ مفاضة كالنهـر خلّص ماءه جُدَده(١)
فلو لاقيتني للقيـ * ـت ليثاً فوقه لِبَدُه
سبنتى ضيغماً هَصِرًا * صلخداً ناشزاً كَتِدُه(٢)
يسامي القرن ان قرن * تيمـمه فيعتضده
فيأخذه فيرديه * فيخفضه فيقتصده
فيدمغه فيحطمه * فيخضمه فيزدرده

٥ — المكيدة فى الحرب — قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحرب خدعة . وقال المهلب لبنيه : عليكم بالمكيدة فى الحرب ، فانها أبلغ من النجدة . وكان المهلب يقول : اناة فى عواقبها فوت ، خير من عجلة فى عواقبها درك . وقال مسلمة بن عبد الملك : ما أخذت أمراً قط بحزم فلمت نفسي فيه ، وان كانت العاقبة عليّ . ولا أخذت أمراً قط وضيعت الحزم فيه ، [الالمت نفسي عليه] وان كانت لى العاقبة . وسئل بعض أهل التمرين بالحرب : أى المكائد فيها أحزم . قال : اذكاء العيون وافشاء الغلبة واستطلاع الاخبار واظهار السرور واماتة الفرق والاحتراس من المكائد الباطنة ، من غير استقصار لمستنصح ولا استناد لمستغش واشتغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . و فى كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يحذر المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى . وكتب الحجاج الى المهلب يستعجله فى حرب الازارقة فكتب اليه : ان من البلية ان يكون الرأى بيد من يملكه دون من يبصره . وكان بعض أهل التمرين يقول لاصحابه : شاوروا فى حربكم الشجعان من أولى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فان الجبان لا يألو برأيه ما يقى مهجكم ، والشجاع لا يعدو ما يشد بصائركم ، ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم معرّة الجبان ، وتهوّر الشجعان ، فتكون أنفذ من السهم الزالج ، والحسام الوالج . وكان الاسكندر لا يدخل مدينة الا هدمها وقتل أهلها . حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها ، فخرج اليه . فألطفه الاسكندر وأعظمه فقال له : أصلح الله الملك ، ان أحق من زين لك أمرك وأعانك على كل ما هويت لأنا . وان أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك ، فاحب أن لا تستعفيني فيهم ، وان تخالفنى فى كل ما سألتك

---

١) المفاضة : الدرع الواسعة . والجدد : جمع جدة النهر أو طريقه . ٢) الهصر : الشديد المفترس . والصلخد : الصلب . والنشوز : النتو والارتفاع . والكتد : مجتمع الكتفين .

لهم ، فاعطاه من العهود على ذلك مالا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه . قال : فانّ حاجتى اليك أن تهدمها وتقتل أهلها . قال : ليس الى ذلك سبيل ، ولا بد من مخالفتك . قيل : صالح سعيد بن العاص حصنا من حصون فارس على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا ، فقتلهم كلهم الا رجلا واحدا . ابن الكلبي قال : لما فتح عمر و بن العاصى قيسارية سار حتى نزل غزَّة ، فبعث اليه علجها ان أبعث الى رجلا من أصحابك أكلمه ، ففكر عمر و . وقال : ما لهذا أحد غيرى . قال : فخرج حتى دخل على العلج فكلمه ، فسمع كلاما لم يسمع قط مثله . فقال : العلج حدثنى هل فى أصحابك أحد مثلك . قال : لا تسأل عن هذا انى هين عليهم اذ بعثوا بى اليك وعرضونى لما عرضونى له ، ولا يدرون ما تصنع بى . قال : فأمر له بجائزة وكسوة و بعث الى البواب اذا مرّ بك فأضرب عنقه وخذ ما معه . فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه . فقال : يا عمر و قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ، ففطن عمر و لما أراده فرجع . فقال له الملك : ماردك الينا . قال : نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك يسع بنى عمى فأردت ان آتيك بعشرة منهم ، تعطيهم هذه العطية فيكون معر وفك عند عشرة خيراً من ان يكون عند واحد . فقال : صدقت أعجل بهم ، و بعث الى البواب ان خل سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت حتى اذا أمن . قال : لا عدت الى مثلها أبدا ، فلما صالحه عمر و ودخل عليه العلج . قال له : أنت هو ؟ قال : نعم على ما كان من غدرك . ولما أتى بالهرمزان أسيرا الى عمر بن الخطاب قيل له يا أمير المؤمنين : هذا زعيم العجم وصاحب رئيسهم . فقال له عمر : أعرض عليك الاسلام نصحا لك فى عاجلك وآجلك . قال يا أمير المؤمنين : انما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب فى الاسلام ، فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله . قال يا أمير المؤمنين : شربة من ماء أفضل من قتلى على ظمأ ، فامر له بشربة من ماء ، فلما أخذها . قال : أنا آمن حتى أشربها . قال : نعم فرمى بها وقال الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج . قال : صدقت لك التوقف عنك وأنظر فى أمرك . ارفعا عنه السيف ، فلما رفع عنه . قال : الآن يا امير المؤمنين اشهد ان لا إله الا الله وأن محمدا عبده و رسوله وما جاء به حق من عنده . قال عمر : أسلمت خير اسلام فما أخرك . قال : كرهت ان تظن انى اسلمت جزعا من السيف ، واتيان الرتبة بالرهبة . فقال عمر : ان لاهل فارس عقولا بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك ، ثم أمر به ان يبر و يكرم فكان عمر يشاو ره فى توجيه العساكر والجيوش لاهل فارس . وهذا نظير فعل الاسير الذى أتى به معن بن زائدة فى جملة الاسرى فأمر

بقتلهم . فقال له : أتقتل الاسرى عطاشا يامعن ؟ فأمر بهم فسقوا ، فلما شربوا . قال : اتقتل اضيافك يامعن، فخلى سبيلهم * وذكروا : ان ملكا من ملوك العجم كان معروفا ببُعد الغور، و يقظة الفطنة، وحسن السياسة . وكان اذا اراد محاربة ملك من الملوك وجه اليه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يظهر محاربته . فيكشف عن ثلاث خصال من حاله ، فكان يقول لعيونه : انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها، أم يخدعه عنها المهدى ذلك اليه . وانظروا الى الغنى فى أى صنف هو من رعيته . أفمين اشتد أنفه [1] وقل شرهه ، أم فيمن قل أنفه واشتد شرهه . وانظروا فى أى صنف رعيته القوّام بأمره ، أمن نظر ليومه وغده . أم من شغله يومه عن غده . فان قيل له : لا يخدع عن أخباره ، والغنى فيمن قل شرهه واشتد أنفه ، والقوّام بامره من نظر ليومه وغده . قال : اشتغلوا عنه بغيره وان قيل له ضد ذلك . قال : نار كامنة تنظر موقدا واضغان مزملة تنظر مخرجا ، اقصدواله . فلا حين أحين ، من سلامة مع تضييع . ولا عدوّ أعدى، من أمن أدى الى اغترار *وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف : تنزل بلخ ، ثم نزلت بابل ، ثم نزل ازدشير بن بابك فارس ، فصارت دار مملكتهم . وصار بخراسان ملوك الهياطلة وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس . وكان غزاهم فكاده ملك الهياطلة بان عمد الى رجل ممن عرفه بالشطارة ، وحسن الادارة ، فأظهر السخط عليه ، وأوقع به على أعين الناس توقيعا قبيحا ، ونكله تنكيلا شديدا ، ثم أرسله . وقد واطأه على أمر أبطنه معه وظاهره عليه ، فخرج حتى اتى فيروز فى طريقه فاظهر النزوع اليه والانتصار به من عظم ما ناله . فلما رأى فيروز مابه من التوقيع والنكاية فيه ، وثق به واستنام اليه . فقال: أنا أدلك ايها الملك على غرة القوم وغدرتهم . واعلم لك مكان غفلتهم، فسلك به سبيل مسلكة معطشة ثم خرج اليه ملك الهياطلة فأسردوا كثر أصحابه . فسألهم ان يمنوا عليه وعلى من معه ، واعطاهم موثقا الا يغزوهم ابدا ، ونصب لهم حجرا جعله حدا بينه و بينهم ، وحلف لهم ان لا يجاوزه هو ولا جنوده ومن حضره من أقارب أبيه ، فمنوا عليه واطلقوه ومن معه . فلما عاد الى مملكته داخلته الأنفة مما اصابه ، فعاد الى غزوهم ناكثا العهده ، غادرا لذمته ، الا انه لطف فى ذلك بحيلة ظنها مجزية فى أيمانه . فجعل الحجر الذى نصبه لهم على فيل فى مقدمة عسكره، وتأول فى ذلك أنه لا يجاوزه . فلما صار اليهم ناشدوه الله وذكروه الايمان به . وماجعل

---

[1] أنفه : أى أنفة بمعنى حمية . والشره : الحرص .

على نفسه من عهده وذمتــه ، فابى الا لجاجا ونـكثا فواقعوه فظفروا به فقتــلوه . وقتلوا حماته واستباحوا عسكره * اسامة بن زيد الليثى . قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا أخذ طريقا وهو يريد اخرى . ويقول: الحرب خـدعة * زياد عن مالك بن انس . قال : كان مالك بن عبد الله الخثعمى وهو على الصائفة يقوم فى الناس كلما اراد ان يرحل ، فيحمد الله تعالى ويثنى عليه ، ثم يقول : انى دارب بالغداة ان شاء الله تعالى درب كذا فتتفرق الجواسيس عنه بذلك ، فاذا اصبح الناس سلك بهم طريقا اخرى . فكانت تسميه الروم الثعلب .

٦ ـــ وصـايا أمراء الجيوش ـــ كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح : انه بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم كان اذا بعث جيشاً أوسرية . قال : اغزوا بسم الله ، وفى سبيل الله ، تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا ، امرأة ولا وليداً . فاذا بعثتَ جيشاً أوسرية فمرهم بذلك * وكان عمر بن الخطاب يقول عند عقد الالوية : بسم الله وبالله وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر الا من عند الله ، ولزوم الحق والصبر . فقاتلوا فى سبيل الله ، من كفر بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عنـد الظهور[1] ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليد . وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند شن الغارات * ولما وجه أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان الى الشام شيعه راجلا . فقال له يزيد : اما أن تركب واما ان أنزل . فقال : ما أنت بنازل وما أنا براكب ، انى أحتسب خطاى هذه فى سبيل الله . ثم قال : انك ستجد قوما حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما حبسوا أنفسهم له ـ يعنى الرهبان . وستَجِدُ قوما فَحصوا[2] عن أوساط رؤسهم [الشعر] ، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف . ثم قال له : انى موصيك بعشر . لا تغدر ، ولا تمثل ، ولا تقتل هرما ولا امرأة ولا وليدا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا ماأكلتم ، ولا تحرقن

---

١) الظهور : الغلبة من قولهم ظهر على عدوه اذا غلبه .

٢) قال فى الصحاح : كأنهم حلقوا وسطها وتركوها مثل أفاحيص القطا . وقد ورد مثل هذا عن النبي صلى الله عليـه وسلم انه أوصى أمراء جيش موتة بذلك وكان قد تجمع لمحاربتهم الروم والعرب .

نخلا ، ولاتخرِبنّ عامرا ، ولا تغل، ولا تجبن (١ * وقال أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد : سر على بركة الله ، فاذا دخلت أرض العدوّ فكن بعيداً من الحملة . فانى لا آمن عليك الجولة . واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، ولا تقاتل بمجروح ، فان بعضه ليس منه . واحترس من البيات ، فان فى العرب غِرة . وأقلل من الكلام ، فان مالك (٢ ماوعى عنك . وأقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم الى الله فى سريرتهم . وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه * كتب خالد ابن الوليد الى مرازبة فارس مع ابن نفيلة الغسانى : الحمد لله الذى فض حرمتكم ، وفرق جمعكم ، وأوهن بأسكم ، وسلب ملككم ، وأذل عزكم ، فاذا أتاكم كتابى هذا فابعثوا الىّ بالرهن ، واعتقدوا منا الذمة ، وأجيبوا الى الجزية ، والا والله الذى لا إله الا هو ، لاسيرن اليكم بقوم يحبون الموت ، كما تحبون الحياة . ويرغبون فى الآخرة ، كما ترغبون فى الدنيا * كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما ومن معه من الاجناد : أما بعد . فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العُدّة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عُدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة . والاّ ننصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا . فاعلموا ان عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تمملوا بمعاصى الله ، وأنتم فى سبيل الله . ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا . فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس . فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا . واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ـ أسأل الله ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم . ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فانهم سائرون الى عدو مقيم حامى الانفس والكراع . وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها

---

١) لم يذكر المؤلف الاثمانية من العشرة . ٢) كذا فى الاصل . ولعل ـــ ما ـــ فى قوله مالك زائدة من الناسخ فليحرر

أنفسهم ، ويرمّون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى اهـل الصلح والذمـة ، فلا يدخلها من أصحابك الامن تثق بدينـه ، ولا يرزأ أحـدا من أهلها شيأ ، فان لهم حرمة وذمة ، ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها . فاصبر والـكم فتولوهم خيراً . ولا تستنصروا على أهل الحرب ، بظلم أهل الصلح . واذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك و بينهم ، ولا يخفنّ عليك أمرهم . وليكن عندك من العرب أومن اهل الارض ، من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الـكذوب لا ينفعك خـبره ، وان صـدقك فى بعضـه . والغاش عـين عليك ، وليس عينا لك . وليكن منك عند دنوّك من ارض العـدوّ ان تـكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك و بينهم . فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم . وتنقّ للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخيّر لهم سوابق الخيل . فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك . واجعل أمر السرايا الى أهـل الجهاد . والصبر على الجـلاد . ولا تخص بها أحـدا بهوى ، فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهـل خاصتك . ولا تبعـثن طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة ، أوضيعة ونكاية . فاذا عاينت العدو . فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع اليك مكيدتك وقوتك . ثم لا تعاجلهم المناجزة مالم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتلته ، وتعرف الارض كلها كمعرفة أهلها . فتصنع بعدوك كصـنعه بك . ثم أذك احراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهدك . ولا تؤتى بأسير لس له عقد إلاّ ضربت عنقـه ، لترهب به عـدوّ الله وعدوك . والله ولىّ أمرك ومن معك . وولى النصر لـكم على عدوكم والله المستعان * وأوصى عبد الملك بن مروان أميراً سيّره الى أرض الروم . فقال : أنت تاجر الله لعباده ، فـكن كالمضارب الـكيس الذى ان وجـد ربحا تجر ، والا تحفظ برأس المـال . ولا تطلب الغنيمـة حتى تحرز السلامـة . وكن من احتيالك على عدوك أشد حـذرا من احتيال عدوك عليك * وكان زياد يقول لقواده : تجنبوا اثنين لا تقاتلوا فيهما العدو . الشتاء ، وبطون الاودية * وأغزى الوليد بن عبد الملك جيشا فى الشتاء ، فغنموا وسلموا . فقال لعباد : يا أبا حرب أين رأى زياد من رأينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قـد أخطأت ، وليس كل عورة تصاب * العتبى قال : جاشت الروم وغزت المسلمين برا و بحرا ، فاستعمل معاوية على الصائفة عبـد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فلما كتب له عهـده . قال : ما أنت صانع بعهدى ؟ قال : أتخذه اماما لا أعصيه . قال : اردد على عهدى ، ثم بعث الى سفيان بن عوف

العامرى فكتب له عهده . ثم قال له : ما أنت صانع بعهدى ؟ قال : أتخذه اماما امام الحزم ، فان خالفه خالفته . فقال معاوية : هذا الذى لا يكفكف من عجلة ، ولا يدفع فى ظهره من خور ، ولا يضرب على الامور ضرب الجمل الثفال * وقال دريد بن الصمة لمالك بن عوف النضرى قائد هوازن يوم حنين : يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك ، وان هذا يوم له ما بعده من الايام . مالى أسمع رغاء البعير ، ونهيق الحمير ، و بكاء الصغير . قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم [ذاك]. قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم . فانعض [1] به وقال : راعى ضأن والله ! وهل يرد المنهزم شىء . انها ان كانت لك ، لم ينفعك الا رجل بسيفه و رمحه . وان كانت عليك ، فضحت [فى أهلك] ومالك . ويحك [انك] لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيأ . أرفعهم الى ممتنع بلادهم ، وعليا قومهم ، ثم الق الصبا على متون الخيل . فان كانت لك ، لحق بك من وراءك وان كانت عليك ، [ألفاك ذلك] وقد أحرزت أهلك ومالك . قال : لا والله لا أفعل [ذلك] انك قد كبرت وذهل عقلك . قال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى . ثم أنشأ يقول :

يا ليتنى فيها جَذَعْ * أخبُّ فيها وأضَعْ
أقود وطفاء الزَّمَعْ * كأنها شاة صَدَعْ [2]

وكان قتيبة بن مسلم يقول لاصحابه : اذا غزوتم : فاطيلوا الاظفار ، وقصوا الشعر ، والحظوا الناس شزرا ، وكلموهم رمزا ، واطعنوهم وخزا * وكان أبو مسلم يقول لقواده : أشعروا قلوبكم الجراءة ، فانها من أسباب الظفر . وأكثروا ذكر الضغائن ، فانها تبعث على الاقدام . والزموا الطاعة ، فانها حصن المحارب * وكان سعيد بن زيد يقول لبنيه : قصروا الاعنة ، واشحذوا الاسنة ، تأكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد * وقال عيسى بن على : لما واجهنى

---

١) نغض وأنغض : اذا حرك رأسه انكارا وتعجبا . ٢) الجذع : هنا الشاب . وأول من قال : « يا ليتنى فيها جذع » ورقة بن نوفل فى حديث المبعث أى ليتنى أكون شابا حين تظهر نبوته حتى أبالغ فى نصرته . واخب : من الخبب ضرب من السير . وأضع : يقال وضع الرجل اذا عدا . والوطفاء : الظبية . والزمع : تقارب خطوها ونشاطها والصدع : القطعة من الغنم المتفرقة دهشة .

المنصور الى المدينة لحاربة عبدالله بن الحسن ، جعل يوصيني و يكثر . فقلت : ياأمير المؤمنين الى متى توصيني :

انى أنا ذاك الحسام الهندى * أكلت جفنى وفريت غمدى

* فكل ماتطلب عندى عندى *

٧ — المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير — قال عبدالملك بن مروان لجعيل بن علقمة الثعلبي : مامبلغ عزكم ؟ قال : لم يطمع فينا ولم نؤمن . قال : فما مبلغ حفظكم ؟ قال : يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه . قال عبدالملك : مثلك من يصف قومه * وقال عبدالملك بن مروان لابن مستطاع العنبرى : أخبرنى عن مالك بن مسمع . قال : لوغضب مالك لغضب معه مائة ألف سيف لا يسألونه فى أى شيء غضب . قال عبدالملك : هذا والله السودد . قال : ولم يل قط مالك بن مسمع ، ولا أسماء بن خارجة شيا للسلطان * وكانت العرب تمتدح بالذب عن الجار . فيقولون : فلان منيع الجار ، حامى الذمار ، نعم حتى كان فيهم من يحمى الجدار * وقال مروان بن أبى حفصة . يمدح معن بن زائدة و يصف مفاخر بنى شيبان ومنعهم لمن استجار بهم :

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

وقال آخر :

هم يمنعون الجار حتى كانه * كتيبة زور بين خافقى نسر

وذكر أن معاوية : ولى كثير بن شهاب المذحجى خراسان ، فاختان مالا كثيرا ثم هرب فاستتر عند هانىء بن عروة المرادى . فبلغ ذلك معاوية فهدر دم هانىء فخرج هانىء الى معاوية فكان فى جواره ثم حضر مجلسه وهو لا يعرفه . فلما نهض الناس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره ؟ فقال : أناهانىء بن عروة . فقال : ان هذا اليوم ليس باليوم الذى يقول فيه أبوك :

أرجل جمتى وأجر ذيلى * وتحمل شكتى أفن كميت[1]

*

---

١) الشكة : السلاح أوما يلبس منه . والأفن : الناقة التى حلب ضرعها . والكميت : من الكمتة لون بين السواد والحمرة يكون فى الخيل والابل وغيرهما .

وأمشي في سَراة بني غُطيف * اذا ماساءني أمرٌ أبيتُ

قال : أناوالله ياأمير المؤمنين اليوم أعزمني ذلك اليوم . قال : بم ذلك ؟ قال : بالاسلام . قال : أين كثير بن شهاب ؟ قال : عندي وعندك ياأمير المؤمنين . قال : انظر الى ماالختانه فخذمنه بعضا وسوغه بعضاً وقد أمّناه وهبناه لك * الشيباني قال : لما نزل محمد بن أبي بكر مصر وصيراليه [معاوية] معاوية بن حُديج الكندي . تفرق عن محمد من كان معه ، فتغيب فدل عليه فأخذه وضرب عنقه و بعث برأسه الى معاوية ، فكان أول رأس طيف به في الاسلام . وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه ، فاستجار باخواله من خثعم فغيبوه . وكان سيد خثعم يومئذ رجلا في ظهره بَزَخٌ [1] من كسر أصابه ، فكان اذامشى ظن الجاهل أنه يتبختر في مشيته . فذكر لمعاوية أنه عنده . فقال له : أسلم الينا هذا الرجل . فقال : ابن أختنا لجأ الينا لنحقن دمهُ ، فدعه عنك ياأمير المؤمنين . قال : والله لا أدعه حتى تأتيني به . قال : لا والله لا آتيك به . قال : كذبتَ والله لتأتيني به ، انك ماعلمت لأوْرَه . قال : أجل ، اني لأوره [2] حين أقاتلك على ابن عمك لتحقن دمه ، وأقدم ابن عمي دونه تسفك دمه . فسكت عنه معاوية وخلى بينه و بينه * الشيباني . قال سعيد بن مسلم : نذر المهدي دم رجل من أهل الكوفة كان يسعى في فساد سلطنته وجعل لمن دلّه عليه أوجاءه به مائة ألف درهم . قال : فاقام الرجل حينا متوار يا ثم أنه ظهر بمدينة السلام فكان ظاهرا كغائب خائفامترقبا . فبيناهو يمشي في بعض نواحيها اذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فاهوى الى مجامع ثوبه وقال : هذا بغية أمير المؤمنين فأمكن الرجل من قياده ، ونظر الى الموت أمامه . فبيناهو على تلك الحالة اذسمع وقع الحوافر من وراء ظهره ، فالتفت فاذامعن بن زائدة . فقال : ياأباالوليد أجرني أجارك الله . فوقف وقال للرجل الذي تعلق به : ماشأنك ؟ قال : بغية أمير المؤمنين الذي نذر دمه وأعطى لمن دل عليه مائة ألف . فقال : ياغلام انزل عن دابتك واحمل أخانا ، فصاح الرجل يامعشر الناس يحال بيني و بين من طلبه أمير المؤمنين . قال له معن : اذهب فاخبره انه عندي ، فانطلق الى باب أمير المؤمنين فأخبر الحاجب فدخل الى المهدي فأخبره . فأمر بحبس الرجل ووجّه الى معن من يحضر به ، فأتته رسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقربت اليه دابته ، فدعا أهل بيته ومواليه .

---

١) البزخ في الظهر : ان يطمئن وسط الظهر ويخرج اسفل البطن . ٢) الأوره: الذي لايتمالك حمقا .

فقال : لا يخلصن الى هذا الرجل وفيكم عين تطرف . ثم ركب ودخل حتى سلم على المهدى فلم يردعليه . فقال : يامعن أتجير عليّ . قال : نعم ياأمير المؤمنين . قال : ونعم أيضا . واشتد غضبه فقال معن : ياأمير المؤمنين قتلت فى طاعتكم باليمن فى يوم واحد خمسة عشر ألفا . ولى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائى ، وحسن عنائى ، فما رأيتمونى أهلا أن تهبوا لى رجلا واحدا استجار بى . فأطرق المهدى طويلا ثم رفع رأسه وقد أسرى عنه . فقال : قد أجرنا من أجرت . قال : معن فان رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه ، فعل . قال : قد أمرنا له بخمسة آلاف . قال : ياأمير المؤمنين انّ صلاة الخلفاء ، على قدر جنايات الرعية . و إنّ ذنب الرجل عظيم ، فاجزل له الصلة . قال : قد أمرنا له بمائة ألف . قال : فتعجلها ياأمير المؤمنين بأفضل الدعاء ثم انصرف ولحقه المال . فدعا الرجل فقال له : خذ صلتك ، وألحق باهلك ، واياك ومخالفة خلفاء الله تعالى .

٨ — الجبن والفرار — قال عمرو بن معديكرب : الفزعات ثلاث . فمن كانت فزعته فى رجليه ، فذلك الذى لا تقله رجلاه . ومن كانت فزعته فى رأسه ، فذلك الذى يفر عن أبويه . ومن كانت فزعته فى قلبه ، فذلك الذى يقاتل * وقال الاحنف : أسرع الناس الى الفتنة ، أقلهم حياء من الفرار * وقالت عائشة أم المؤمنين : ان الله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها ، فأف للجبناء ، فأف للجبناء * وقال الشاعر :

يفر جبان القوم عن أم نفسه * ويحمى شجاع القوم من لا يناسبهُ
ويرزق معروف الجواد عدوّه * ويحرم معروف البخيل أقاربُهُ

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، ومافى جسمى موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية . ثم ها أناذا أموت حتف نفسى كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء .

ومن أشعار الفرارين الذين حسّنوا فيها الفرار على قبحه حتى حسن ، قول الفرار السلمى [1] :

وفوارس لبّستها بفوارس * حتى اذا التبست أملتُ بها يدى
وتركتهم نقض الرماح ظهورهم * من بين مقتول وآخر مسند

---

١) ويروى فى غير الاصل :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى
فتركتهم نقض الرماح ظهورهم من بين منجدل وآخر مسند

هل يَنفعنّي أنْ تقول نساؤهم * وقتلتَ دون رجالهم لا تُبْعَد

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: مااعتذر أحدمن الفرارينْ بأحسن ممااعتـذر به الحارث بن هشام حيث يقول :

والله يعـلم ما تركتُ قتالهُمْ * حتّى رموامهرى باشقرَمزبد

فصرفت عنهم والأحبّة فيهمُ * طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وهذا الذى سمعه صاحب رتبيل فقال : يامعشر العرب ، حسّنتم كل شيء فحسن حتى الفرار . و بعدَ هذا يأتى قول حسان فى ذلك . وأسلم الحارث يوم فتح مكة وحسن اسلامه وخرج فى زمن عمر الى الشام من مكة بأهله وماله فاتبعه أهل مكة يبكون، فرق و بكى وقال : أمَا لو كنا نستبدل داراً بدارنا ، أوجاراً بجارنا ، ما رأينا بكم بدلا ، ولـكنها النقلة الى الله . وقال آخر :

قامتْ تشجّعنى هندٌ فقلتُ لها * انَّ الشجاعة مقرونٌ بها العَطبُ

لا والذى منعَ الابصار رؤيتَهُ * ما يَشتهى الموتَ عندى من له أدبُ

للحرب قوم أضـلَّ الله سعيَهُمُ * اذا دعتهم الى نيرانها وثبوا

ولستُ منهـم ولا أهوى فعالهمُ * لا القتل يُعجبنى منهم ولا السَّلَبُ

وقال محمود الوراق :

أيها الفارسُ المِشيح المغير * انّ قلبى منَ السـلاح يطيرُ

ليس لى قوة على رَهجَ الخيْــل اذا ثوّر الغبارُ مثـير

واستدارت رحى الحروب بقوم * فقتيلٌ وهاربٌ وأسـير

حيث لا ينطق الجبان من الذُعْــر و يعلو الصياح والتكبير

أنا فى مثـل ذا وهذا بليـدٌ * ولبيب فى غيره نِحْرير

وقال أيمن بن خريم :

ان للفتنة مَيْطاً[1] عاجلا * فرويداً ليطمنها يعتدِلْ

فاذا كان عطاء فانتهزْ * واذا كان قتال فاعـتزِلْ

إنما يوقدها فرسانها * حطبَ النار فدعها تشتعِلْ

---

١) الميط : فى الاصل التنحى والبعد واراد به هنا الهياج من قولهم: القوم فى هياط ومياط .

ومما يحتج به الفارون، ما قاله صاحب كليلة ودمنة: إنّ الحازم يكره القتال ، مَا وجد بدا منه . لأن النفقة فيه من النفس ، والنفقة فى غيره من المال . أخـذ هذا المعنى حبيب الطائى فنظمه فى شعره حيث يقول :

كم بينَ قوم انما نفقاتهُمْ ❊ مال وقوم يُنْفِـقون نفوسا

ومن الفرّارين: عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث . فرّ من الازارقة وكان فى عشرة آلاف وكان قد بعث اليه المهلب: ياابن أخى خندق على نفسك وعلى أصحابك ، فانى عالم بأمر الخوارج ولا تغتر . فبعث اليه : أنا أعلم بهم منك ، وهم أهون على من ضرطة الجمل . فبيته قطرى صاحب الازارقة فقتل من أصحابه خمسمائة وفر لا يلوى على أحد . فقال فيه الشاعر :

تركتَ ولدانَنا تدمى نحورهُم ❊ وجئتَ منهزماً يا ضرطة الجَمَلَ

ومن الفرارين ، أمية بن عبـد الله بن خالد بن أسـيد . فر يوم مَرْداء هَجَرْ[1] من أبى فـديك فسـار من البحرين الى البصرة فى ثلاثة أيام فجلس يوما بالبصرة فقـال : سرت على فرسى المهْرَجان من البحرين الى البصرة فى ثلاثة أيام . فقال له بعض جلسائه : أصلح الله الامـير فلو ركبت النيرو زلسرت اليها فى يوم واحد . فلما دخل عليه أهل البصرة لم يروا كيف يكلمونه ولا ما يلقونه من القول أى يهنونه أم يعزونه حتى دخل عليه عبد الله بن الاهتم فاستشرف الناس له . وقالوا : ما عسى أن يقال للمنهزم فسلم ثم قال : مرحبا بالصابر المخذول ، الذى خذله قومه . الحمد لله الذى نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا، فقد تعرضت للشهادة جهدك ولـكن علم الله حاجة أهل الاسلام اليك فابقاك لهم بخذلانِ من معك لك . فقال أمية بن عبد الله : ما وجدت أحدا أخبرنى من نفسى غيرك . وفيه يقول الشاعر :

اذا صوّت العُصْفور طار فؤاده ❊ وليثٌ حديد الناب عند الثرائدِ

أتى الحجاج بدواب من دواب أميـة قد وسم على أفخاذها «عدة» . فأمر الحجاج أن يكتب تحت ذلك « للفرار »❊ وقال أبو دلامـة : كنت مع مروان أيام الضحاك الحرورى فخرج

---

١) مرداء هجر: موضع بهجر «وهجر قاعدة بلاد البحرين» قاله ياقوت وقال قال أبو النجم:

هلا سألتم يوم مرداء هَجَرَ ❊ اذ قاتلتْ بكرٌ واذ فرّت مُضَرَ

ثم قال : مرداء مضر أيضا قرية كان بها يوم بين أبى فديك الخارجى وامية بن عبـد الله بن خالد بن أسيد ففر امية أقبح فرار .

فارس منهم فدعا الى البراز فخرج اليه رجل فقتله ثم ثان ثم ثالث فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم . فقال مروان : من يخرج اليه وله عشرة آلاف . قال فلما سمعت بالعشرة آلاف هانت على الدنيا وسخوت بنفسى فى سبيل العشرة آلاف وبرزت اليه . فاذا عليه فروقد بله المطر فانهعل ، ثم أصابته الشمس فارمعلّ ، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان . فلما رآنى فهم الذى أخرجنى فاقبل نحوى وهو يرتجز ويقول :

وخارج أخرجه حب الطمعْ * فرمن الموت وفى الموت وقعْ

* من كان ينوى أهله فلا رجعْ *

فلما رأيته قنعت رأسى ، وولّيت هاربا . ومروان يقول : من هذا الفاضح لا يفوتكم . فدخلت فى غمار الناس * وقيل لاعرابى : ألا تغزو العدو . قال : وكيف يكونون لى عدوا وما أعرفهم ولا يعرفوننى * وقيل لآخر : ألا تغزو العدو . قال : والله انى لابغض الموت على فراشى ، فكيف أن أخب اليه ركضا .

ومما قيل فى الفرارين الجبناء من الشعر . قول حسان بن ثابت يعير الحارث بن هشام بفراره يوم بدر : وقد تقدم ذكر ذلك

ان كنتِ كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبّة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طِمرّة[1] ولجام

ملأت به الفُرجين فامتدّت به * وثوى أحبته بشر مُقام

وقال بعض العراقيين فى رجل أكول جبان :

اذا صوّت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثّرائد

وقال فيه :

ضعيف القلب رعديد * عظيم الخلق والمنظر

رأى فى النوم عُصفورا * فوارى نفسه أشهر

وقال آخر :

لوجرت خيل نكوصا * لجرت خيل ذُفافه[2]

---

١) الطمرة : من الطّمر وذلك ذهاب الفرس فى الارض متغيبا لشدة عدوه . والفرجين : ما بين الرجلين من الفرجة . ويقال للفرس ملأ فرجه اذا عدا واسرع . ٢) ذفافه : بالضم اسم رجل

هى لا خيل رجاء * لا ولا خيل مخافه

وقال آخر :

خرجنا نريد مغارا لنا * وفينا زياد أبوصعصعه

فستة رهط به خمسة * وخمسة رهط به أربعه

ولم يقل أحد فى وصف الجبن والفرار ، مثل قول الطرماح فى بنى تميم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلّت

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم زحف لولت

ولو تجمّعت يوما تميم جموعها * على ذرة معقولة لاستقلت

وليس يعاب الشجاع، والبهمة البطل . بالفرة الواحدة تكون منه خاصة لا عامة . كما قال زفر بن الحارث وفر يوم مرج راهط عن أبيه وأخيه فقال :

أيذهب يوم واحدان أساته * بصالح أيامى وحسن بلائيا

ولم تُر منى زلة مثل هذه * فرارى وتركى صاحبىّ ورائيا

وفر عمرو بن معديكرب من عباس بن مرداس وأسر أخته ريحانة . وفيها يقول عمرو :

أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع

وفر عن بنى عبس . وفيهم زهير بن جذيمة العبسى . وولده شاس بن زهير . وقيس بن زهير . فقال فيهم :

أجاعلة أم الثوير خزاية * علىّ فرارى أن لقيت بنى عبس

لقيت أبا شاس وشاسا ومالكا * وقيسا فجاشت من لقائهم نفسى

لقونا فضموا جانبينا بصادق * من الطعن مثل النارق الحطب اليبس

ولما دخلنا تحت فئ رماحهم * خبطت بكفى أطلب الارض باللمس

وليس يعاب المرء من جبن يومه * اذا عرفت منه الشجاعة بالامس

وقال الحارث لامرأته، وذلك أنها نظرت اليه وهو يحدحر بة يوم فتح مكة . فقالت له : ماتصنع بهذه . قال : «أعددتها لمحمد وأصحابه» . فقالت : ماأرى يقوم لمحمد وأصحابه شىء . قال : والله انى لارجو أن أخدمك بعضهم ثم أنشأ يقول :

ان يقبلوا اليوم فمابى علة * هذا سلاح كامل وألّه * وذو غرار بن سريع السله

فلما لقيهم خالد يوم الخندمة . انهزم الرجل فلامته امرأته ، فقال :

انك لو شاهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه * ولحقتنا بالسيوف المسلمه
يفلقن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

وقال اسلم بن زُرْعةَ . وكان وجّهه عبيدالله بن زياد لحرب أبى بلال الخارجى فى القين ، وأبو بلال فى أربعين رجلا . فشدوا عليه شدة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه فلما دخل على ابن زياد عنفه فى ذلك وقال : [ويلك] أعضى فى القين وتنهزم عن أربعين . فخرج عنه وهو يقول: «لأنْ يذمنى ابن زيادحيا ، خير من أن يمدحنى وأناميت » . وفى رواية أخرى : « إن يشتمنى الامير وأناحى ، أحب الى من أن يدعو لى وأناميت » . فقال شاعر الخوارج[1] :

أألفا مؤمن لستم كذا كم * ولكنَّ الخوارج مؤمنونا
هم الفئةُ القليلةُ قد علمتمْ * على الفئة الكثيرة يُنْصَرونا

ومثل ذلك ، قول عبدالله بن مطيع بن الاسوار العدوى . وكان فر يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة ، فلما كان أيام حصار الحجاج بمكة لعبدالله بن الزبير جعل يقاتل أهل الشام و يقول :

أنا الذى فررتُ يوم الحرّهْ * والشيخ لا يفر الا مرّهْ
فاليوم أجزى كرة بفره * لا بأس بالكرة بعد الفرّهْ

فلم يزل يقاتل حتى قتل . وأحسن ماقيل فى الفرار كله ماقال قيس بن الحطيم :

اذا مافررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب
أجالدهم يوم الحديقة حاسرًا * كأنَّ يدى بالسيف مخراق لاعب

وفر عتيبة بن الحارث بن هشام ، يوم ثبرة عن ابنه حزرة وقال :

ياحسرتى لقد لقيت حسره * يال تميم غشيتنى عبره

---

١) هو عيسى بن فاتك الخطى احد بنى تيم الله بن ثعلبة ذكره ياقوت فى المعجم فى أبيات . منها:

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكنّ الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

وقال ان الوقعة كانت بين معبد بن أسلم « بن زرعة » الكلابى و بين أبى بلال مرداس بن أديّة الخارجى فى آسك موضع بين رامهرمز وارّجان .

نعم الفتى غادرته بعيره * نجيت نفسى وتركت حزره

* هل يترك الحر الكريم بكره *

وفر أبو خراش الهذلى ، من فائد وأصحابه ورصدوه بعرفات فقال :

وفونى وقالوا يا خويلدُ لا ترعْ * فقلتُ وأنكرت الوجوه همُ همُ
وقلت وقد جاوزت أصحاب فائدٍ * أأعجزت أهلَ الحلم أم أنا أحلمُ
فلولا آدّراك الشر قامتْ حليلتى * تخيّر من خطّابها وهى أيّمُ
ولولا آدّراك الشر أتلفتُ مهجتى * وكان خراش يوم ذلك يُيتَمُ

وفر خبيب بن عوف، يوم مرداء هجر من أبى فديك . فقال :

بذلتُ لهم ياقوم حَوْلى وقوّتى * ونصحى وماضمّت يداى من التّبْرِ
فلما تناهى الامر بى من عدوّكم * الى مهجتى وليْتُ أعداءكم ظهرى
وطرتُ ولم أجفل ملامةَ عاجزٍ * يقيم لاطراف الرُدَينيَّة السمر
فلو كان لى روحان عرضْتُ واحداً * لكل رديني ّ وأبيض ذى أثرِ

رجع بنا القول الى الفرارين والجبناء وما قيل فيهم . فر خالد بن عبد الله بن أسيد، عن المصعب بن الزبير بالبصرة فقال فيه الفرزدق :

وكل بنى السوداء قد فرّ فرّة * فلم يبق الا فرة فى است خالد
فضحتم أمير المؤمنين وأنتم * تعدون سودانا غلاظ السواعد

وقيل لرجل جبان فى بعض الوقائع تقدم . فأنشا يقول :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل * أخاف على فخارتى أن تحطّما
فلو كان لى رأسان أتلفت واحدا * ولكنه رأس اذا راح أعقما
ولو كان مبتاعا لدى السوق مثله * فعلت ولم أحفل بأن أتقدما
فأيتم أولادا وأرمل نسوة * فكيف على هذا ترون التقدما

وقالت هند بنت النعمان بن بشير، لزوجها روح بن زنباع : كيف سوّدك قومك وأنت جبان غيور ؟ قال : أما الجبن، فان لى نفساً واحدة فأنا أحوطها . وأما الغيرة، فما أحق بها من كانت له امرأة حمقاء مثلك . مخافة ان تأتيه بولد من غيره فترمى به فى حجره . وقال كعب بن زهير :

بخلا علينا وجبنا من عدوكم * لبئست الخلتان البخل والجبن

٩ — فضائل الخيل — قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الخيل : اعرافها ادفاؤها، واذنابها مذابها، والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بطونها كنز ، وظهورها حرز ، وأصحابها معانون عليها * وسأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال : انى أريد أن أشترى فرساً أعده فى سبيل الله . فقال له : اشترادهم أو كميتا أقرح أرثم محجلا مطلق اليمين، فانها ميامن الخيل * وقيل لبعض الحكماء : أى الاموال أشرف؟ قال : فرس يتبعها فرس فى بطنها فرس .

١٠ — صفة جياد الخيل — كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يستحب من الخيل الشقر . وقال : لو جمعت خيل العرب فى صعيد واحد ماسبقها الا أشقر * وسأله رجل ؟ أى المال خير . قال : سكة مأبورة، ومهرة مأمورة * وكان عليه الصلاة والسلام . يكره الشكال فى الخيل . وقالوا : انما سميت خيلا لاختيالها . و وصف اعرابى فرساً . فقال : اذا تركته نعس، واذا حركته طار . وأرسل مسلم بن عمرو : لابن عم له بالشام يشترى له خيلا . فقال له : لا علم لى بالخيل . فقال : ألست صاحب قنص . قال بلى . قال : انظر كل شىء تستحسنه فى الكلب، فاطلبه فى الفرس . فأتى بخيل لم يكن فى العرب مثلها . وقال بعض الضبيين :

متقارب عبل الشوى شنج النسا * سبّاق اندية الجياد عميثل

واذا يعلل بالسياط جيادها * أعطاك نائله ولم يتعلل

سأل المهدى مطر بن دراج عن أى الخيل أفضل ؟ قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر، واذا استدبرته قلت زاخر، واذا استعرضته قلت زاجر . قال : فأى هذه أفضل ؟ قال : الذى طرفه أمامه، وسوطه عنانه * وقال آخر : الذى اذا مشى ردى، واذا عدا دحا، واذا استقبل أقعى، واذا استدبر جفا، واذا استعرض استوى * وسأل معاوية بن أبى سفيان . صعصعة بن صوحان : أى الخيل أفضل ؟ قال : الطويل الثلاث، القصير الثلاث، العريض الثلاث، الصافى الثلاث . قال : فسرلنا . قال : أما الطويل الثلاث فالاذن والعنق والحزام، وأما القصير الثلاث ، فالصلب والعسيب والقضيب . وأما العريض الثلاث، فالجبهة والمنخر والورك . وأما الصافى الثلاث ، فلاديم والعين والحافر * وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن معديكرب : كيف معرفتك بعراب الخيل . قال : معرفة الانسان بنفسه وأهله وولده . فأمر بافراس

فعرضت عليه . فقال : قدموا اليها الماء فى التراس فما شرب ولم يكتف فهو من العراب ، وماثنى سنبكه فليس منها . قلت : انما المحفوظ أن عمر شك فى العتاق والهجون فدعا سلمان بن ربيعة الباهلى بطست من ماء فوضع بالارض ثم قدم اليها الخيل فرساً فرساً فما ثنى سنبكه وشرب هجنه . وقال حسان بن ثابت يصف طول عنق الفرس :

بكل كميت جوزه نصف حلقة * اقبّ طوال مشرف فى الحوارك

وقال زهير :

وملجمنا ما إن ينال قذاله * ولا قدماه الارض الا أنامله

وقال آخر :

له ساقا ظليم خا * ضب فوجئ بالرعب
حديد الطرف والمنكب والعرقوب والقلب

وقال آخر :

هريت قصير عذار اللجام * اسيل طويل عذار الرسن

لم يرد بقوله قصير عذار اللجام — قصر خده وانما أراد طويل مشق الفم — وأراد — بطول عذار الرسن — طول الخد . وقال آخر :

بكل هريت نقى الاد * يم طويل الحزام قصير اللبب

وقال أبو عبيدة : يستدل على عتاقة الفرس برقة جحافله وأرنبته وسعة منخريه وعرى نواهقه ودقة حقويه وماظهر من أعالى أذنيه ورقة سالفته وأديمه وشعره . وأبين من ذلك كله لين شكيل ناصيته وعرفه * وكانوا يقولون : اذا اشتدت نفسه ، ورحب متنفسه ، وطال عنقه ، واشتد حقوه ، وانهرت شدقه ، وعظمت فصوصه ، وصلبت حوافره . ووقحت ألحق بجياد الخيل * قيل لرجل من بنى أسد : أتعرف الفرس الكريم من المقرف . قال نعم : أما الكريم ، فالجواد الجيد الذى نهز نهز العير ، وأنف تأنيف السير ، الذى اذا عدا اجلعب واذا أقبل اجلعب واذا انتصب اتلأب . وأما المقرف فانه الذلول الحجبة ، الضخم الارنبة ، الغليظ الرقبة ، الكثير الجلبة ، الذى اذا أرسلته قال امسكنى ، واذا أمسكته قال ارسلنى * وكان محمد بن السائب الكلبي يحدث : أن الصافنات الجياد المعروضة على سليمان بن داود عليهما

السلام كانت ألف فرس ورثها عن أبيه . فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب فعرقبها الا أفراساً لم تعرض عليه . فوفد أقوام من الازد وكانوا أصهاره فلما فرغوا من حوائجهم . قالوا: يا نبي الله ان أرضنا شاسعة فزودنا زاداً يبلغنا، فأعطاهم فرساً من تلك الخيل . وقال : اذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فانكم لا تورون ناركم حتى يأتيكم بطعامكم . فساروا بالفرس فكانوا لا ينزلون منزلا الا ركبه أحدهم للقنص فلا يفلته شيء وقعت عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار الى أن قدموا الى بلادهم . فقالوا: ما فرسنا الا زاد الراكب ، فسموه زاد الراكب ـ فأصل فحول العرب من نتاجه . ويقال: ان أعوج كان منها وكان فحلا لهلال بن عامر أنتجته أمه ببعض بيوت الحي فنظروا الى طرف يضع جفلته على كاذتها على الفخذ مما يلي الحيا[1] فقالوا أدركوا ذلك الفرس لا ينزى فرسكم لعظم أعوج وطول قوائمه فقاموا فوجدوا المهر فسموه أعوج * وأخبرنا فوج بن سلام عن أبي حاتم عن الاصمعي قال : أغير على أهل النسار وأعوج موثق بثمامة فجال صاحبه في متنه ثم زجره فاقتلع الثمامة فخرجت تخف كالخذروف وراءه فعدا بياض يومه وأمسى يتعشى من جميم قباء * وقال الشاعر في وصف فرس :

وأحمر كالديباج أما سماؤه * فريا وأما أرضه فمحول

قوله ـ سماؤه أعلاه ـ وأرضه أسفله يريد قوائمه . وللطائي نظير هذا حيث يقول :

امتن متن وصهوتين الى * حوافر صلبة له ملس
فهو لدى الروع والجلائب ذو * أعلى مندى وأسفل يبس
صهصلق في الصهيل تحسبه * كأنه قطعة من الغلس

وقال حبيب أيضاً يصف فرساً أهداه اليه الحسن بن وهب الكاتب :

مامقرفٌ يختال في أشطانه[2] * ملآنَ من صَلَف به وتلهوق
بحوافر حفر وصلب صلب * وأشاعر شعر وحلق أحلق
وبشعلة تبدو كأن حلولها * في صهوتيه بدوُّ شيب المَفرق
ذو أولق[3] تحت العَجاج وانما * من صحة إفراط ذاك الاولق

---

١) كذا في الاصل وفي العبارة سقط وتحريف . ٢) جمع شطن وهو الحبل وقيل الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به وتشد به الخيل ٣) الولق السير السهل السريع

تُغرى العيونَ به ويفلق شاعر * فى نعته عفوا وليس بمفلق
بمصعّد فى نعته ومصوّب * ومجمّع فى حسنه ومفرّق
قد سالت الاوضاحُ سيل قرارة * فيه فمفترق عليه ومُلتقى
صافى الاديم كانما ألبسته * من سندس ثوبا ومن استبرق
مسوّد شطر مثل ما اسود الدجى * مبيض شطر كابيضاض المهرق[1]
فكان فارسه يصرف اذ غدا * فى متنه لبنَ الصباح الابلق
امليسه امليده لو علقت * من صهوتيه العينُ لم تتعلق
يرقى وماهو بالسليم ويفتدى * دون السلاح سلاح أروعَ مملق

وقال أبو سويد: شهد أبودلف وقعة بدر وتحته فرس أدهم، وعليه نضح الدم. فاستوقفه رجل من الشعراء وأنشد:

كم ذا تجرُعه المنونَ ويسلم * لو يستطيع شكى اليك الادهم
فى كل منبت شعرة من جلده * يمن ينمقه الحسام المخذم
وكانما عقد النجوم بطرفه * وكانه بعرى المجرّة ملجم
وكأنه بين البوارق لقوة * شقراءُ كاسرة طوت ما تُطعم
ماتدرك الارواحُ أدنى شده * لا بل يفوت الريحَ فهو مقدم
رجّعته أطرافُ الاسنة أشقرا * واللون أدهم حين ضرّجه الدم

قال فامر له بعشرة آلاف * ومن قولنا فى وصف الفرس :

ومقربة يَشْقر فى النقع كمتها * ويخضر حينا كلما بلها الرشْح
تطير بلا ريش الى كل صيحة * وتسبح فى البر الذى ما به سبْح

وقال عدى بن الرقاع:

يخرجن من فرجات النقع دامية * كان آذانها أطرافُ أقلام

وطلب البحترى الشاعر من سعيد بن حميد الكاتب فرسا ووصف له أنواعا من الخيل فى شعره فقال :

لا كلفن العيسَ أبعدَ همة * يجرى اليها خائف أو مُرتجى

---

١) ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه

وإلى سراة بنى حميد انهم * أمسوا كواكبَ أشرقت فى مذحج
والبيت لولا أن فيه فضيلةٌ * تعلو البيوتَ بفضلها لم يُحجج
فأعن على غزو العدوّ بمنطوٍ * أحشاؤه طيّ الرداء المدرج
اما باشقرَ ساطعٍ أغشى الوغى * منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شيةً طلت أعطافه * بدم فما تلقاه غير مضرَّج
أو أدهم صافى الاديم كأنه * تحت الكريم مظهر بالنسيج
ضَرِم يهيج السوط من شؤبوبه * هيجَ الجنائب من حريق العرْفج
خفَّت مواقع وطئه فلوانّه * يجرى برملة عالج لم يَرْهَج
أو أشهب يَقَق يضىء وراءه * متن كمثل اللّجّة المترجرج
يخفى الحجول ولو بلغن لبانه * فى أبيض متألق كالدملج
أومى بعَرف أسود متعرّف * فيما يليه وحافر فَيْرُوزجى
أو أبلق ملأ العيونَ اذا بدا * من كل لون مُعْجب بنموذج
جذلانَ تحسده الجيادُ اذا مشى * عنَقاً بأحسن حلة لم تُنْسج
وعريض أعلى المَتْن لو عليته * بالزّئبق المنهال لم يتدحرج
خاضت قوائمُه القويم بناؤها * أمواج تجنيبٍ بهن مدرَّج
ولانت أبعدُ فى السماحة همة * من أن تضنّ بملجم أو مسرج

وأول من شبه الخيل بالظبى والسرحان والنعامة . وتبعه الشعراء، وحذوا حذوه وعلى مثاله امرؤ القيس بن حجر :

له أيطلا ظبى وساقا نَعَامة * وإرخاء سرحان وتقريبُ تتفُل
كأنّ على الكتفين منه اذا انتحى * مَدَاك عروس أو صَلايَة حنظل
مِكرّ مِفرّ مقبل مدبر معاً * كجُلمود صخرٍ حطه السيل من عل
دريرٍ كخُذروف الوليد أمرّه * تتابع كفيه بخيط موصَّل
كميتٍ يُزِلّ اللبدَ عن حال متنه * كما زلت الصفواءُ بالمتنزل

فاخذت الشعراء هذا التشبيه من امرىء القيس فحذوا عليه . فقال طفيل الخيل :

انى وان قل مالى لا يفارقنى * مثلُ النعامة فى أوصالها طول

تقريبها المرطى والجونُ معتدل * كأنه سَبَد بالماء مغسول

أوساهم الوجه لم تقطعْ أباجله * يصان وهو ليوم الروع مبذول

وقال عبد الملك بن مروان لاصحابه: أى المناديل أفضل. فقال بعضهم: مناديل مصر التى كأنها غرقئ البيض وقال بعضهم مناديل اليمن التى كأنها أنوار الربيع. فقال ماصنعتم شيئاً: أفضل المناديل مناديل عَبدَة بن الطيب حيث يقول:

لما نزلنا ضربنا ظِل أخبية * وفاز بالغَلى للقوم المراجيل

ورد وأشقر لا يونيه طابخُه * ماقارب النضجَ منها فهو مأكول

وقد وثبنا على عوج مسومة * أعرافُهن لأيدينا مناديل

١١ — سوابق الخيل — قال الاصمعى ماسبق فى الرهان فرس أهضم قط. وأنشد لابى النجم * مُنتفخ الجوف عريضٌ كلكله * قال: وكان هشام بن عبد الملك رجلا مسبقا لا يكاد يسبق فسبقت له فرس أنثى وصلت أختها، ففرح لذلك فرحا شديدا. وقال: على بالشعراء. قال أبو النجم فدعينا فقيل لنا قولوا فى هذه الفرس وأختها فسأل أصحاب النشيد النظرة حتى يقولوا. فقلت له هل لك فى رجل ينقدك اذا استنسؤك. قال هات. فقلت من ساعتى:

أشاع للغراء فينا ذكرها * قوائمٌ عوج أطعن أمرها

وما نسينا بالطريق مهرَها * حتى نقيس قدرُه وقدرها

وصبرُه اذا عدا وصبرها * والماء يعلو نحرَه ونحرَها

ملمومة شد المليكُ أزرَها * أسفلها وبطنها وظهرها

* قد كادهاديها يكون شطرها *

قال أبو النجم: فامر لى بجائزة وانصرفت * أبو القاسم جعفر بن أحمد بن محمد وأبو الحسن على بن جعفر البصرى. قالا: حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى أن هرون الرشيد ركب فى سنة خمس وثمانين ومائة الى الميدان لشهود الحلبة. قال الاصمعى: فدخلت الميدان لشهودها فيمن شهد من خواص أمير المؤمنين والحلبة يومئذ أفراس للرشيد ولولديه الأمين والمأمون ولسليمان بن أبى جعفر المنصور ولعيسى بن جعفر. فجاء فرس أدهم يقال له الربيذ لهرون الرشيد سابقة فابتهج لذلك ابتهاجا علم ذلك فى وجهه. وقال: علىّ بالاصمعى. فنوديت له من كل جانب فاقبلت سريعاً حتى مثلت بين يديه. فقال: ياأصمعى خذ بناصية الربيذ ثم صفه من

قونسه الى سنبكه فانه يقال ان فيه عشرين اسما من أسماء الطير . قلت : نعم يا أمير المؤمنين وأنشدك شعرا جامعاً فيه من قول أبى حزرة . قال : فانشدنا لله أبوك قال فانشدته :

وأقب كالسِّرحان تمّ له * ما بين هامته الى النَّسر

الاقب ـ اللاحق المخطف البطن وذلك يكون من خلقته وربما حدث من هزال أو بعد قود والانثى قباء والجمع قب والمصدر القبب . والسرحان ـ الذئب شبهه فى ضموره وعدوه به وجمعه سراحين . وقد قالوا : سراح . والهامة ـ أعلى الرأس وهى أم الدماغ وهى من أسماء الطير . والنسر ـ هو ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه كأنه النـوى والحصى وهو من أسماء الطير وجمعه نسور

رحبت نعامته ووفر فرخه * وتمكن الصردان فى النحر

رحبت ـ اتسعت . نعامته ـ جلدة رأسه التى تغطى الدماغ وهى من أسماء الطير . وقوله ووفر فرخه ـ الفرخ هو الدماغ وهو من أسماء الطيور ووفر أى تم يقال وفرت الشىء ووفرته بالتخفيف فهو موفور . والصردان ـ عرقان فى أصل اللسان . ويقال انهما عرقان أخضران مكتنفان باطن اللسان منهما الريق ونفس الرئة وهما من أسماء الطير . وفى الظهر صرد أيضاً وهو بياض يكون فى موضع السرج من أثر الدبر . يقال فرس صرد اذا كان ذلك به . والنحر ـ موضع القلادة من الصدر وهو البرك

وأناف بالعصفور من سعف * هام أشمّ موثَق الجـذر

وأناف ـ أشرف . والعصفور ـ منبت الناصية . والعصفور أيضا عظم ناتىء فى كل جبين والعصفور من الغرر أيضاً وهى التى سالت ودقت ولم تجاوز الى العينين ولم تستدر كالقرحة وهو من أسماء الطير . والسعف ـ يقال فرس بين السعف وهو الذى سالت ناصيته . هام ـ أى سائل منتشر . أشم ـ مرتفع والشمم فى الانف ارتفاع قصبته : ويروى هاد أشم يريد عنقا مرتفعا وجمعه هواد . وقوله موثق ـ أى شديد قوى . والجذر ـ الاصل من كل شىء . قال الاصمعى وغيره هو بالفتح . وقال أبو عمرو بن العلاء هو بالكسر

وازدان بالديكين صلصـله * ونبت دجاجته عن الصدر

ازدان ـ افتعل من قولك زان يزين وكان الاصل ازتان فقلبت التاء دالا لقرب مخرجها من مخرج الزاى وكذلك ازداد من زاد يزيد . والديكان ـ واحدهما ديك وهو العظم الناتىء خلف الاذن وهو الذى يقال له الخششاء والخشاء . والصلصل ـ بياض الناصية . ويقال هو أصل

الناصية . والدجاجة ـ اللحم الذى على زوره بين يديه . والديك والصلصل والدجاجة من أسماء الطير

والناهضان أمر جلزهما * فكأنما عثما على كسر

الناهضان ـ واحدهما ناهض وهو لحم المنكبين . ويقال هو اللحم الذى يلى العضدين من أعلاهما والجمع نواهض . ويقال فى الجمع أنهض على غير قياس والناهض فرخ القطا وهو من أسماء الطير . وقوله أمر جلزهما ـ أى فتل وأحكم يقال أمررت الحبل فهو ممر أى فتلته والجلز الشد . وقوله فكأنما عثما على كسر ـ أى كانهما كسرا ثم جبرا يقال عثمت يده والعثم الجبر على عقدة وعوج وعثمان فعلان منه

مسحنفر الجنبين ملتئم * ما بين شيمته الى الغر

مسحنفر الجنبين ـ أى منتفخهما . ملتئم ـ أى معتدل . وشيمته ـ منخره . والشيمة أيضاً من قولك فرس بين الشيمة وهى بياض فيه . ويقال ان تكون شامة أوشام فى جسده والغر فى الاغلب على الذى يسمى الرخمة من الفرس وهى عضلة الساق

وصفت سماناه وحافره * وأديمه ومنابت الشعر

السمانى ـ طائر وهو موضع من الفرس لا أحفظه الا أن يكون أراد السمامة وهى دائرة تكون فى سالفة الفرس وهو عنقه والسمامة من الطير أيضا . والاديم ـ الجلد

وسما الغراب لموقعيه معا * فأبين بينهما على قدر

سما ـ الغراب اى ارتفع والغراب رأس الورك . ويقال للصلوين الغرابان وهما مكتنفا عجب الذنب . ويقال لهما أعالى الوركين والموقعان منه فى أعالى الخاصرتين فابين أى فرق بينهما على قدر ـ أى على استواء واعتدال

واكتن دون قبيحه خطافه * ونأت سمامته على الصقر

اكتنّ ـ أى استتر . والقبيح ـ ملتقى الساقين . ولا يقال انه مركب الذراعين فى العضدين . والخطاف ـ من أسماء الطير وهو حيث أدركت عقب الفارس اذا حرك رجليه . ويقال لهذين الموضعين من الفرس المركلان . ونأت ـ أى بعدت . والسمامة ـ دائرة تكون فى عنق الفرس : وقد ذكرناها وهى من أسماء الطير . والصقر ـ أحسبها دائرة فى الرأس وما وقعت عليها وهى من أسماء الطير

وتقدمت عنه القطاة له * فنأت بموقعها عن الحر

القطاة ــ مقعد الردف وهى من أسماء الطير . والحر ــ من الطير يقال انه ذكر الحمام وهو من الفرس سواد يكون فى ظاهر أذنيه

وسما على نقويه دون حداته * خربان بينهما مدا الشبر

النقوان ــ واحدهما نقو والجمع أنقاء وهو عظم ذو مخ وانما عنا ههنا عظام الوركين لأن الخرب هو الذى تراه مثل المدهن فى ورك الفرس وهو من الطير ذكر الحبارى والحدأة من الطير وأصله الهمز ولكنه خفف وهى سالفة الفرس وجمعها حداء على وزن فعال كما تقول عظاة وعظاء ويقال عظاية . واذا فتحت الفاء قلت حداة وهو الفاس ذات الرأسين وجمعها حدا مثل نواة ونوى وقطاة وقطا

يدع الرضيم اذا جرى فلقا * بتوائم كمواسم سمر

الرضيم ــ الحجارة الفلق المكسورة فلقا . بتوائم ــ جمع توأم: وقد قالوا تؤم على وزن فعل جمع تؤم وهى على غير قياس . يقال هو مثنى يعنى حوافره . والمواسم ــ جمع ميسم الحديد أى فى صلابتها . وقوله سمر ــ أى لون واحد وهو أصلب الحوافر

ركبن فى محض الشوى سبط * كفت الوثوب مشدد الاسر

الشوى ــ ههنا القوائم والواحدة شواة: ويقال فرس محض الشوى اذا كانت قوائمه معصوبة سبط ــ سهل . كفت الوثوب ــ أى مجتمع من قولك كفت الشىء اذا جمعته وضممته . مشدد الاسر ــ أى الخلق . قال الاصمعى : فامر لى بألف درهم : وقال أبو النجم يصف الحلبة :

ثم سمعنا برهان نأمله * قيد له من كل أفق جحفله
فقلت للسائس قده أعجله * واغد لعنا فى الرهان نرسله
نعلو به الحزن ولا نسهله * اذا علا الاخشب صاح جندله
ترنم النوح يبكى مثكله * كأن فى الصوت الذى يفصله
زمارا دف يتغنى جلجله * حتى وردنا المصر يطوى قنبله
طى التجار العصب اذ تنخله * وقد رأينا فعلهم فنفعله
نطوى به والطى الرقيق نجزله * نضمر الشحم ولسنا نهزله
حتى اذا الليل تولى أنجله * واتبع الايدى منه أرجله
قمنا على هول شديد وجله * نمد حبلا فوق خط نعدله

نقول قدم ذا وهذا أدخله * وقام مشقوقُ القميص يَعقله
فوق الخماسى قليلا يفضله * أدرك عقلا والرِّهان عمله
حتى اذا أدرك خيلا مرسله * ثار عجاجٌ مستطير قَسْطله
تنفش منه الخيل مالا تغزله * مرا يغطيها ومرا تجعله
مر القطا انصبَّ عليه أجْدله * وهو رخىّ البال سام وَهَله
قدامها ميلا لمن يمثله * تطيره الجن وحينا تُرْجِله
تَسْبح أخراه ويطفو أولهُ * ترى الغلامَ ساجيا مايركله
نُعطيه ما شاء وليس يسأله * كأنه من زَبد تسربله
فى كرسف النداف لولا بلله * تخال مسكا عله معلهُ
ثم تناولنا الكلامَ نَنزله * عن مفرع الكتفين حلو عَطله
منتفخ الجوف عريض كلكله * فوافت الخيل ونحن نشكله
* والجن عكاف به تقبله *

وقال آخر فى فرس أبى الاعور السلمى :

مر كلمع البرق سام ناظره * تسبح أولاه ويطفو آخره * فما يمس الارض منه حافره *

قول هذا أشبه من قول أبى النجم لانه يقول * تسبح أخراه ويطفو أوله * وقال الاصمعى : اذا كان الفرس كما قال أبو النجم فحمار الكساح أسرع منه لأن اضطراب مؤخره قبيح . وكان أبو النجم وصافا للخيل الا أنه غلط فى هذا البيت . وقد غلط رؤبة أيضا فى الفرس فقال يصف قوائمه * يهوين شتى ويقعن وقعا * ولما أنشده مسلم بن قتيبة : قال له أخطأت فى هذا ياأبا الجحاف جعلته مقيدا . قال ، قربنى من ذنب البعير * وأنشد الاصمعى :

قد أطرق الحى على سابح * أسطعَ مثل الصدع الاجرد
لما أتيت الحىَّ فى دفة * كان عرجونا بمثنى يدى
أقبل يختال فى شأوه * يضرب فى الأقرب والابعد
كانه سكران أو عابس * أو ابن رب حرث المولد

وقال عنترة : أما اذا استقبلته فكأنه * جذع سما فوق الدليل مشذَّب
واذا عرضت له استوتْ أقتاده * وكأنه مستدبرا مستصوب

وقال ابن المعتز : وقد يحضُر الهيجاء فى شَبح النسا * تكامل فى أسنانه فهو قارح

له عنق يغتال طولَ عنانه * وصدر اذا أعطيته الجرىَ سابح
اذا مال عن أعطافه قلت شارب * عناه بتصريف المدامة طافح

وقال أيضا

ولقد وطئت الغيث َيحملني * طرفٌ كلون الصُّبح حين وَقد
يمشي و يعرض في العنان كما * صدق المَعشق بالدلال وصد
طارت به رِجل مرصعة * رجامة الحصى الطريق و يد
وكأنه موجٌ يسيل اذا * أطلقته واذا حبست جمد

١٢ ـ في الحلبة والرهان ـ والحلبة مجمع الخيل . ويقال مجتمع الخيل . ويقال مجتمع الناس للرهان . وهو من قولك : حلب بنو فلان على بني فلان وأحلبوا اذا اجتمعوا . و يقال منه أخذ الحالب اللبن في القدح أي جمعه فيه . والحلب ـ الحبل الذي يمد في صدور الخيل عند الارسال للقبض . والمنصبة ـ الخيل حين تنصب للارسال . وأصل الرهان من الرهن كان الرجل يراهن صاحبه في المسابقة يضع هذا رهنا وهذا رهنا فايهما سبق فرسه أخذ رهنه و رهن صاحبه . والرهان ـ مصدر راهنته مراهنة ورهانا كما تقول قاتلته مقاتلة وقتالا وهذا كان من أمر الجاهلية وهو القمار المنهي عنه فان كان الرهن من أحدهما بشيء مسمى على أنه ان سبق لم يكن له شيء وان سبقه صاحبه أخذ الرهن فهذا حلال لان الرهن انما هو من أحدهما دون الآخر وكذلك ان جعل كل واحد منهما رهنا وأدخلا بينهما محللا وهو فرس ثالث يكون مع الاولين . و يسمى أيضا الدخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شيء ثم يرسلون الافراس الثلاثة فان سبق أحد الاولين أخذ رهنه ورهن صاحبه فكان له طيبا وان سبق الدخيل أخذ الرهنين جميعا وان سبق هو لم يكن عليه شيء . ولا يكون الدخيل الا رائعا جوادا لا يأمنان أن يسبقهما والا فهذا قمار لانهما كأنهما لم يدخلا بينهما محللا . قال الأصمعي : السابق من الخيل الاول . والمصلي الثاني الذي يتلوه : قال . وانما قيل له مصلي لانه يكون عند صلوى السابق وهما جانبا ذنبه عن يمينه وشماله . ثم الثالث والرابع لا اسم لواحد منهما الى العاشر فانه يسمى سكيتا . قال أبو عبيدة : لم نسمع في سوابق الخيل ممن يوثق بعلمه اسما لشيء منها الا الثاني والعاشر فان الثاني اسمه المصلي . والعاشر السكيت وماسوى ذينك يقال له الثالث والرابع وكذلك الى التاسع ثم السكيت . و يقال السكيت بالتشديد والتخفيف فما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل بالكسر الذي يجيء آخر الخيل والعامة تسمية الفسكل بالضم . وقال أبو عبيدة : القاشور الذي يجيء في الحلبة آخر

الخيل وهو الفسكل وانما قيل للسكيت سكيت لانه آخر العدد الذى يقف العاد عليه والسكت الوقوف هكذا كانوا يقولون فاما اليوم فقد غيروا وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق . قال جرير :

اذا شئتمو أن تمسحوا وجه سابق * جواد فمدوا فى الرهان عنانينا

ومن قولنا فى هذا المعنى :

واذا جياد الخيل ماطلها المدى * وتقطعت فى شأوها المبهور

خلوا عنانى فى الرهان ومسحوا * منى بغرة أبلق مشهور

١٣ ــ وصف السلاح ــ كانت درع علىّ صدرا لا ظهر لها فقيل له فى ذلك . فقال : اذا تمكن عدوى من ظهرى فلا أبقى علىّ . ورؤى الجراح بن عبد الله قد ظاهر بين درعين له فى ذلك . فقال : لست أقى بدنى وانما أقى صدرى * واشترى زيد بن حاتم أدراعا وقال : انى لست اشترى أدراعا وانما أشترى أعمارا * وقال حبيب بن المهلب لبنيه : لا يقعدن أحدكم فى السوق فان كنتم لا بد فاعلين فالى زرّاد ، أوسراج ، أو وراق * العتبي قال : بعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معديكرب أن يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة . فبعث به اليه فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه فكتب اليه فى ذلك فرد عليه : انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث بالساعد الذى يضرب به . وسأله عمر بن الخطاب يوما عن السلاح . فقال : يسأل أمير المؤمنين عما بداله . قال ما تقول فى الترس . قال هو المجن وعليه تدور الدوائر . قال فما تقول فى الرمح . قال أخوك وربما خانك فانقصف . قال . فالنبل . قال منايا تخطىء وتصيب . قال فما تقول فى الدرع قال مثقلة للراجل ، مشغلة للفارس ، وانها لحصن حصين . قال فما تقول فى السيف . قال هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين . فضربه عمر بالدرة . وقال : بل لا أم لك . قال الحمى صرعتنى * الهيثم بن عدى . قال : وصف سيف عمرو بن معديكرب الذى يقال له الصمصامة لموسى الهادى . فدعا به . فوضع بين يديه مجردا ثم قال لحاجبه : ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه . فبدرهم ابن أنيس فقال :

حاز صمصامةَ الزبيدى عمرو * من جميع الانام موسى الأمين

سيفُ عمرو وكان فيما سمعنا * خيرَ ما أغمدت عليه الجفُون

أخضرَ المتن بين حدّيه نور * من فرند تمتد فيه العيون

أوقدت فيه للصواعق نارا * ثم ساطت به الزعاف المنون

فاذا ماسللته بهر الشمـ * ـس ضياءً فلم تكد تستبين

فكان الفرند والرونق الجا * رى فى صفحتيه ماء معين

وكان المنون نيطت اليه * فهو من كل جانبيه منون

ما يبالى من انتضاه لحرب * أشمال سطت به أم يمين

فامر له ببدرة وخرجوا * وضرب الزبير يوم الخندق: عثمان بن عبدالله بن المغيرة فقطعه الى القربوس. فقيل ما أجود سيفك، فغضب. وقال:

متى تلقنى تعدو ببرمهم * ولض كميت أو أغر محجل

تلاقى امرا ان تلقه فبسيفه * تعلمكُ الايامُ ما كنت تجهل

وقال أبو الشيص:

ختلته المنونُ بعد اختيالٍ * بين صفين من قنا ونصال

فى رداءٍ من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مُذال

و بلغ أبا الاغر: أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر، فوجه [اليهم] ابنه الاغر. وقال: يابنى كن يداً لاصحابك على من قاتلهم. واياك والسيف، فانه ظل الموت. واتق الرمح، فانه رشاء المنية. ولا تقرب السهام، فانها رسل لا تؤامر مرسلها. قال: فبماذا أقاتل. قال بما قال الشاعر:

جلاميدُ يملأْن الاكف كأنها * رؤس رجال حلقت بالمواسم

وذكر أعرابى قوما تحاربوا. فقال: أقبلت الفحول، تمشى مشى الوعول، فلما تصافحوا بالسيوف، فغرت المنايا أفواهها * وقال آخر: يذكر قوما أسروا. استنزلوهم عن الجياد بلينة الخرصات، ونزعوهم نزع الدلاء بالاشطان * وقال أعرابى فى آخرين: ابتغوا قوما أغاروا عليهم. فقال: اجتنبوا كل جمالية عيرانة، كما يخصفون أخفاف المطى بحوافر الخيل. حتى أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المران أرشية المنايا، فاستقوا بها أرواحهم * ومن أحسن ما قيل فى السيف قول حبيب:

ويهتز مثل السيف لو لم تسله * يدان لسلته ظباه من الغمد

وقال فى صفة الرماح:

مثقفات سلبن الروم زرقتها * والعُرب ألوانها والعاهرَ القصفا

ومن الافراط القبيح . قول النابغة فى وصف السيف:

يقد السلوقى المضاعف نسجه * و يوقد فى الصفاح نارَ الحباحب

فذكر أنه يقد الدرعَ المضاعف نسجه، والفارس والفرس، و يقع بها فى الارض فيقدح النار من الحجارة * وأقبح منه فى الافراط قول الآخر :

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بين الذراعين والقيدين والسادى

وقد جمع العلوى وصف الخيل والسلاح كله فأحسن وجوّد حيث يقول :

بحسبي من مالى من الخيل أعيط * سليم الشظا عارى النواهق أمعط
وأبيض من ماء الحديد مهنّد * وأسمر عسال الكعوُب عنطنط
ومعطوفة الاطراف كبداء سمحة * منتجة الاعضاد صفراء شوحط
فياليت مالى غيرَ ماقد جمعته * على لجّة تيارها يتغطغط
و ياليتنى أُمسى على الدهر ليلة * وليس على نفسى أمير مسلط

ومن قولنا فى وصف الرمح والسيف :

بكل رديني كأنّ سنانَه * شهاب بدا فى ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال فى طول مَتْنه * وعادتْ به الآمال وهى فجائع
وساءت ظنونُ الحرب فى حسن ظنه * فهُنّ لحبات القلوب قوارع
وذى شطب تقضى المنايا لحكمه * وليس لما تقضى المنيّة دافع
فرند اذا مااعتنّ للعين راكد * و برقٌ اذا مااهتز بالكف لامع
يسلل أرواحَ الكُماة انسلاله * و يرتاع منه الموت والموت رائع
اذا ماالتقت أمثاله فى وقيعة * هنالك ظنُّ النفس بالنفس واقع

ومن قولنا فى السيف :

بكل مأثور على متنه * مثل مدب النمل بالقاع
يرتد طرف العين من حده * عن كوكب للموت لماع

وقال اسحق بن خلف البهرانى فى صفة السيف :

ألقى نجائب حضره * أمضى من الاجل المُتاح
وكانما رد الهبا * عليه أنفاس الرياح

١٤ — النزع بالقوس — ابراهيم الشيبانى . قال: كان رجل من أهل الكوفة

قد بلغه عن رجل من أهل السلطان أنه يعرض له ضيعة بواسط فى مغرم لزمه للخليفة . فحمل وكيلا له على بغل وأترع له خرجا بدنانير . وقال له : اذهب الى واسط فاشتر لى هذه الضيعة المعروضة فان كفاك ما فى هذا الخرج والا فاكتب الىّ أمدك بالمال . فخرج فلما أصحر عن البيوت لحق به أعرابى راكب على حمار معه قوس وكنانة . فقال له : الى أين تتوجه فقال : الى واسط . قال : فهل لك فى الصحبة قال نعم . فسارا حتى فوزا فعنت لهما ظباء فقال له الاعرابى : أى هذه الظباء أحب اليك المتقدم منها أم المتأخر فاذ كيه لك . قال له : المتقدم . فرماه فخرمه بالسهم فاشتويا وأكلا فاغتبط الرجل بصحبة الاعرابى ثم عن له زفة قطا . فقال أيها تريد فأصرعها لك فاشار الى واحدة منها فرماها فاقتصدها ثم اشتويا وأكلا فلما انقضى طعامهما فوق له الاعرابى سهما ثم قال له أين تريد ان أصيبك . فقال له : اتق الله واحفظ زمام الصحبة . قال : لا بدمنه . قال اتق الله ربك واستبقنى ودونك البغل والخرج فانه مترع مالا . قال : فاخلع ثيابك . فانسلخ من ثيابه ثوبا ثوبا حتى بقى مجردا . قال له : اخلع أمواقك وكان لابسا خفين طائفين . فقال له : اتق الله فىّ ودع لى الخفين أتبلغ بهما من الحر فان الرمضاء تحرق قدمى . قال : لا بدمنه . قال فدونك الخف فاخلعه . فلما تناول الخف ذكر الرجل خنجرا كان معه فى الخف فاستخرجه ثم ضرب به صدره فشقه الى عانته . وقال له : الاستقصاء فرقة — فذهبت مثلا . وكان هذا الاعرابى من رماة الحدق *وحدث العتبى عن بعض أشياخه . قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة فاتى باعرابى كان معروفا بالسرف فقال له : أخبرنى عن بعض عجائبك . قال : عجائبى كثيرة ومن أعجبها أنه كان لى بعير لا يسبق ، وكانت لى خيل لا تلحق ، فكنت أخرج فلا أرجع خائبا فخرجت فاحترشت ضبا فعلقته على قتبى . ثم مررت بخباء ليس فيه الا عجوز فقلت : يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وابل . فلما أمسيت اذا بابل واذا شيخ عظيم البطن شثن الكفين ومعه عبد أسود فلما رآنى رحب بى ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولنى العلبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقى فضرب بها جبهته . ثم احتلب تسع أينق فشرب ألبانهن ثم نحر حوارا فطبخه فاكلت شيأ وأكل الجميع حتى ألقى عظامه بيضا وجثى على كومة وتوسدها ثم غط غطيط البكر . فقلت : هذه والله الغنيمة ثم قمت الى فحل ابله فخطمته ثم قرنته ببعيرى وصحت به فاتبعنى واتبعته الابل ارباارباً فى قطار فصارت خلفى كأنها حبل ممدود فمضيت أبادر ثنية بينى وبينها مسيرة ليلة للمسرع ولم أزل أضرب بعيرى مرة بيدى ومرة برجلى حتى طلع الفجر فأبصرت الثنية واذا عليها سواد . فلما

دنوت منه اذا الشيخ قاعد وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا : قلت نعم . قال : استخر نفسك عن هذه الابل قلت لا . فاخرج سهما كانه لسان كلب . ثم قال : انظره بين أذنى الضب المعلق فى القتب ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه . فقال لى : ماتقول : قلت أنا على رأيى الاول . قال : انظر هذا السهم الثانى فى فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدره بيده . ثم قال : رأيك فقلت انى أحب ان استثبت . قال انظر هذا السهم الثالث فى عكوة ذنبه والرابع والله فى بطنك ثم رماه فلم يخط العكوة قلت : أنزل آمنا : قال نعم . فدفعت اليه خطام فحله . وقلت هذه ابلك لم تذهب منها وبرة وأنا أنظر متى يرمينى بسهم يقصد به قلبى . فلما تباعدت . قال : اقبل . فاقبلت والله فرقا من شره لا طمعا فى خيره . فقال : ما أحسبك تجشمت الليلة ما تجشمت الا من حاجة . قلت نعم . قال : فاقرن من هذه الابل بعيرين وامض لطيتك . قال قلت : أما والله لا أمضى حتى أخبرك عن نفسك . فلا والله ما رأيت أعرابيا أشد ضرسا ، ولا أعدى رجلا ، ولا أرمى يدا ، ولا أكرم عفوا ، ولا أسخى نفسا منك . فصرف وجهه عنى حياء . وقال : خذ الابل برمتها مباركا لك فيها * وقال النبى صلى الله عليه وسلم : اركبوا وارموا . وأن ترموا ، أحب الى من أن تركبوا * وقال : كل لهو المؤمن باطل الا فى ثلاث . تأديبه فرسه ، ورميه عن كبد قوسه ، وملاعبته امرأته ، فانه حق . ان الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد عامله المحتسب ، والقوى به فى سبيل الله أى والرامى فى سبيل الله * وروى عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ألا ان القوة الرمى ! ألا ان القوة الرمى ! ألا ان القوة الرمى ! وكان أرمى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : اللهم سدد رميته ، وأجب دعوته ، فكان لا يرد له دعاء ولا يخيب له سهم * وذكر أسامة بن زيد : أن شيوخا من أسلم حدثوه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم وهم يرمون ببطحان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارموا يا بنى اسمعيل . فقد كان أبوكم راميا وأنا مع ابن الادرع . فتعدى القوم فقالوا : يا رسول الله من كنت معه فقد نضل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارموا وأنا معكم كلكم . فانتضلوا ذلك اليوم ثم رجعوا بالسواء ليس لاحد على أحد منهم فضل * وقال عمر : ائتزروا ، وارتدوا . وانتعلوا واحتفوا ، وارموا الاغراض ، والقوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا . وعليكم بالمعدية أو قال بالعربية ودعوا التنعم وزى العجم * وقال : لن تخور قوا كم ما نزوتم ونزعتم * وجنى قوم

من أهل المدينة جناية. فارسل السلطان اليهم جندا من محاربة ابن زياد. فقام رجل من أهل البادية يذمر أصحابه. فقال: يامعشر العرب ويابني المحصنات، قاتلوا عن أحسابكم وأنسابكم، فوالله ان ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لبنة حمراء، ولا نخلة خضراء، الا وضعوها بالارض. ولا عتراكم من نشاب معهم في جعاب. كأنها أيور الفيلة يقرعون بها كأنها الغبط تئط احداهن أطيط الزنوق. يمط أحدهم فيها حتى يتفرق شعر ابطيه. ثم يرسل نشابة كأنها رشاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تنفضخ عينه، أو ينصدع قلبه، منزلة. فخلع قلوبهم فطاروا رعبا.

١٥ ـ مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان ـ هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه. ومادار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان أيام تحاملت عليهم العمال واعتفت فحملتهم الدالة وتقدمهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم، ونقضوا موثقهم، وطردوا العمال والتووا بما عليهم من الخراج. وحمل المهدي مايحب من مصلحتهم، ويكره من عنتهم، على أن أقال عثرتهم، واغتفر زلتهم، واحتمل دالتهم تطولا بالفضل، واتساعا بالعفو، وأخذا بالحجة، ورفقا بالسياسة. ولذلك لم يزل مذ حمله الله أعباء الخلافة، وقلده أمور الرعية، رفيقا بمدار سلطانه، بصيرا بأهل زمانه، باسطا للمعدلة في رعيته. تسكن الى كنفه، وتأنس بعفوه، وتثق بحلمه، فاذا وقعت الاقضية اللازمة والحقوق الواجبة، فليس عنده هوادة، ولا إغضاء، ولا مداهنة، إثرة للحق، وقياما بالعدل، وأخذا بالحزم. فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه، والثقة بعفوه، أن كسروا الخراج، وطردوا العمال، وسألوا ماليس لهم من الحق. ثم خلطوا الاحتجاج باعتذار، وخصومة باقرار، وتنصلا باعتلال. فلما انتهى ذلك الى المهدي خرج الى مجلس خلائه، وبعث الى نفر من لحمته ووزرائه. فاعلمهم الحال واستنصحهم للرعية. ثم أمر الموالي بالابتداء. وقال للعباس بن محمد: أي عم تعقب قولنا، وكن حكما بيننا. وأرسل الى ولديه موسى وهرون فاحضرهما الامر، وشاركهما في الرأي، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم، واثبات مقالتهم، في كتاب.

فقال سلام صاحب المظالم: أيها المهدي ان في كل أمر غاية، ولكل قوم صناعة، استفرغت رأيهم، واستغرقت أشغالهم، واستنفدت أعمارهم، وذهبوا بها وذهبت بهم، وعرفوا بها وعرفت بهم، ولهذه الامور التي جعلنا فيها غاية، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب، وساسة الامور، وقادة الجنود، وفرسان الهزاهز، واخوان التجارب، وأطفال الوقائع، الذين وشحتهم سجالها، وفيأتهم ظلالها، وعضتهم شدائدها، وقرمتهم نواجذها. فلو عجمت ماقبلهم، وكشفت ماعندهم، لوجدت نظائر تؤيد أمرك، وتجارب توافق نظرك.

وأحاديث تقوى قلبك ، فأما نحن معاشر عمالك ، وأصحاب دواوينك، فحسن بنا، وكثير منا، أن نقوم بثقل ما حملتنامن عملك ، واستودعتنامن امانتك، وشغلتنابه من امضاء عدلك ، وانفاذ حكمك، واظهار حقك .

فأجابه المهدى : ان فى كل قوم حكمة، ولكل زمان سياسة، وفى كل حال تدبير، يبطل الآخر الاول، ونحن أعلم بزماننا، وتدبير سلطاننا. قال: نعم أيها المهدى . أنت متسع الرأى ، وثيق العقدة، قوى المنة، بليغ الفطنة، معصوم النية ، محضور الروية، مؤيد البديهة، موفق العزيمة، معان بالظفر، مهدى الى الخير، ان هممت ففى عزمك مواقع الظن، وان اجمعت صدع فعلك ملتبس الشك، فاعزم يهد الله الى الصواب قلبك، وقل ينطق الله بالحق لسانك، فان جنودك جمة، وخزائنك عامرة، ونفسك سخية، وأمرك نافذ .

فأجابه المهدى : ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يهلك عليهما رأى، ولا يتفيل معهما حزم . فأشيروا برأيكم، وقولوا بما يحضركم، فانى من ورائكم، وتوفيق الله من وراء ذلك القول . قال الربيع : أيها المهدى . ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة، وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة، متراخية الشقة، متفاوتة السبيل، فاذا ارتأيت من محكم التدبير، ومبرم التقدير ولباب الصواب، رأيا قد أحكمه نظرك، وقلبه تدبيرك، فليس وراءه مذهب لطاعن، ولا دونه معلق لخصومة عائب، ثم أجبت البرد به، وانطوت الرسل عليه، كان بالحرى أن لا يصل اليهم محكمه، وقد حدث منهم ماينقضه، فالسر أن ترجع اليك الرسل، وترد عليك الكتب بحقائق أخبارهم، وشوارد آثارهم، ومصادر أمورهم ، تحدث رأيا غيره ، وتبتدع تدبيرا سواه، قد انفرجت الحلق، وتحللت العقد، واسترخى الحقان، وامتد الزمان، ثم لعلها موقع الآخرة، كمصدر الاولى . ولكن الرأى لك أيها المهدى، وفقك الله أن تصرف اجالة النظر، وتقليب الفكر ، فيما جمعتناله، واستشرتنا فيه، من التدبير لحربهم ، والحيل فى أمرهم ، الى الطلب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل، وورع واسع، ليس موصوفا بهوى فى سواك، ولا متهما فى أثرة عليك، ولا ظنينا على دخلة مكروهة، ولا منسوبا الى بدعة محذورة، فيقدح فى ملكك، ويريض الامور لغيرك، ثم تسند اليه أمورهم، وتفوض اليه حربهم، وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه، بلزوم أمرك مالزمه، الحزم وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى عن استحالة الامور، واشتداد الاحوال، التى ينقض أمر الغائب عنها، ويثبت رأى الشاهد لها، فانه اذا فعل ذلك فواثب أمرهم من قريب، وسقط عنه ما يأتى من بعيد، تمت

الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأحد النظر ان شاء الله .

قال الفضل بن العباس : أيها المهدى . ان ولى الأمور ، وسائس الحروب ، ربما نحى جنوده ، وفرق أمواله ، فى غير ماضيق أمر حربه ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعد عند الحاجة اليها ، و بعد التفرقة لها ، عديما منها ، فاقدا لها ، لايثق بقوّة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفزع الى ثقة . فالرأى لك أيها المهدى وفقك الله ، أن تعفى خزائنك من الانفاق للاموال ، وجنودك من مكابدة الاسفار ، ومقارعة الخطار ، وتغرير القتال ، ولا تسرع للقوم فى الاجابة الى مايطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجرّئ من رعيتك غيرهم ، ولكن اغزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم بالرفق ، وابرق لهم بالقول ، وارعد نحوهم بالفعل ، وابعث البعوث ، وجند الجنود ، وكتب الكتائب ، واعقد الالوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك موجه اليهم الجيوش ، مع أحنق قوادك عليهم . وأسوئهم أثرا فيهم . ثم ادسس الرسل ، وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، و بعضا على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فان مرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناهبة بالكتب ، والمكايدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف ، المدخل فى القلوب القوى الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين ، الذى يستميل القلوب ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الاهواء ، ويستدعى المؤاناة ، أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح ، كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوّه بالمكايدة ، أحكم عملا ، وألطف منظرا ، وأحسن سياسة من الذى لاينال ذلك الا بالقتال ، والاتلاف للاموال ، والتغرير والخطار . وليعلم المهدى : انه ان وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدم على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غششة ، ان ائتمنهم استنفدوا ماله ، وان استنصحهم كانوا عليه لا له

قال المهدى : هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوءه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسد حقه فى القلوب . ولكن فوق كل ذى علم عليم . ثم نظر الى ابنه علىّ . فقال ماتقول : قال علىّ أيها المهدى : ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ، ولم ينصبوا من دونك أحدا يقدح فى

تغييرملكك ، ويريض الامور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر ، والشأن أصغر ، والحال أدل ، لان الله مع حقه الذى لا يخذله ، وعند موعده الذى لا يخلفه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم واليا ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكما ، طلبوا حقا ، وسألوا انصافا ، فان أجبت الى دعوتهم ، وتقست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق أطعت أمر الرب ، وأطفأت ثائرة الحرب ووفرت خزائن المال ، وطرحت تغريز القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك ، وسجية حلمك ، واسجاح خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فامنت أن تنسب الى ضعفة ، وأن يكون ذلك فيما بقى ذربة ، وان منعتهم ما طلبوا ، ولم تجبهم الى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم فى ميدان الخطاب ، فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته ، مقرين بملكته ، مذعنين بطاعته ، لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يبرؤونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ، ومضمار المخاطرة أيريد المهدى . وفقه الله الاموال : فلعمرى لا ينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبلهم ولونالها فحملت اليه ، أو وضعت بخرائطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما اليه ينسب ، وبه يعرف ، من الجود الذى طبعه الله عليه ، وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه : فان قال المهدى هذا : رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاتنا ، فاما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود ، وأنطقوا لسان الارجاف وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغى لهم ان أجعلهم نكالا لغيرهم ، وعظة لسواهم ، فيعلم المهدى : انه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد ، مقرنين فى الاصفاد ، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ، ولاقالة عثرتهم صفحه ، واستبقاهم لما هم فيه من حزبه ، أولمن بازائهم من عدوه ، لما كان بدعا من رأيه ، ولا مستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوا ، وأشدها وقعا وأصدقها صولة ، وانه لا يتعاظمه عفو ، ولا يتكاءده صفح ، وان عظم الذنب وجل الخطب . فالرأى للمهدى : وفقه الله تعالى أن يحلل عقدهم الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله فى العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم ، برا بهم وتوسعا لهم ، فانهم اخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحجتهم يقول ، وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانطووا فيه عن اجابته ، ومثله فى قلة ما غير

ذلك من رأيه فيهم ، أو نقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين ، متناصرين متوازرين ، أصاب أحدهما خبل عارض ، ولهو حادث ، فنهض الى أخيه لاذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزدد أخوه الا رقة له ولطفاً به ، واحتيالا لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله عطفاً عليه وبرابه ومرحمة له

فقال المهدى : أما على فقد كوى سمت اللبان ، وفض القلوب فى أهل خراسان ، ولكل نبأ مستقر . فقال : ما ترى يا أبا محمد يعنى موسى ابنه . فقال موسى أيها المهدى : لا تسكن الى حلاوة ما يجرى من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحال من القوم ينادى بمضمرة شر ، وخفية حقد ، قد جعلوا المعاذير عليها ستراً ، واتخذوا العلل من دونها حجابا ، رجاء ان يدافعوا الأيام بالتأخير ، والامور بالتطويل ، فيكسر واحيل المهدى فيهم ، ويفنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الامور بهم : والمهدى ، من قولهم فى حال غرة ، ولباس أمنة ، قد فترلها ، وأنس بها وسكن اليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم ، من المناصبة بالقتال ، والاضمار للقراع عن داعية ضلال ، أو شيطان فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الولاة ، وغب سكون الامور ، فليشدد المهدى : وفقه الله أزرهم ، ويكتب كتائبه نحوهم ، وليضع الامر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن انه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم ، الا كانت دربة الى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية الى عودتهم ، وسبباً لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين ان أقرهم وتلك العادة ، وأجراهم على ذلك الارب ، لم يبرح فى فتق حادث ، وخلاف حاضر لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وان طلب تغييره بغير استحكام العادة ، واستمرار الدربة ، لم يصل الى ذلك الا بالعقوبة المفرطة ، والمؤنة الشديدة . والرأى للمهدى : وفقه الله أن لا يقيل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحر بهم القتل ، ويحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهدى : بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل عادة سوء فيهم واحتمال المهدى : فى مؤنة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة

قال المهدى : قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل . فقال العباس بن محمد : أيها المهدى أما الموالى فاخذوا بفروع الرأى وسلكوا جنبات الصواب ، وتعدوا أموراً أقصر بنظرهم عنها ،

انه لم تأت تجار بهـم عليها . وأما الفضل ، فأشار بالاموال أن لا تنفق والجنود أن لا تفرق ، و بأن لا يعطى القوم ماطلبوا ، ولا يبذل لهم ماسألوا ، وجاء بأمر بين ذلك استصغاراً لامرهم ، واستهانة بحربهم ، وانما يهيج جسيات الامور صغارها . وأما على فأشار باللين وأفرد الرفق واذا جرد الوالى لمن غمط أمره ، وسفه حقه اللين بحتاً ، والخير محضاً ، لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب على لينه ، ولا بشر يحبسهم الى خيره ، فقد ملكهم الخلع لعذرهم ، و وسع لهم الفرجة لثنى أعناقهم ، فان أجابوا دعوته ، وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ، ولا شدة ونزوة فى رؤسهم ، يستدعون بها البلاء الى أنفسهم ، و يستصرخون بها رأى المهدى فيهم ، وان لم يقبلوا دعوته ، و يسرعوا الاجابته باللين المحض ، والخير الصراح ، فذلك ماعليه الظن بهم ، والرأى فيهم ، وماقد يشبه أن يكون من مثلهم ، لان الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم ، والملك الكبير ، مالا يخطر على قلب بشر ، ولا تدركه الفكر ، ولا تعلمه نفس ، ثم دعا الناس اليها ، و رغبهم فيها ، فلولا انه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها الى الجنة ، لما أجابوا ولا قبلوا . وأما موسى فأشار بأن يعصبوا بشدة لا لين فيها ، وان يرموا بشر لا خير معـه ، واذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته ، وخالف جماعتـه ، الخوف مفرداً ، والشر مجرداً ، ليس معهما ، طمع ولا لين يثنيهم اسـتدت الامور بهم ، وانقطعت الحال منهم ، الى أحد أمرين اما أن تدخلهم الحمية من الشدة ، والانفة من الذلة ، والامتعاض من القهر ، فيـدعوهم ذلك الى التمـادى فى الخلاف ، والاستبسال فى القتال ، والاستسلام للموت ، واما أن ينقادوا بالـكره ، و يذعنوا بالقهر ، على بغضة لازمه ، وعداوة باقيـة ، تورث النفاق وتعقب الشقاق فاذا أمكنتهم فرصـة ، أو ثابت لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم الى أصعب وأغلظ وأشد ممـا كان . وقال فى قول أبى الفضل : أيهـا المهدى أكفى دليـل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر ، بان قد أجمع ، رأيه وحزم نظره ، على الارشاد ببعثة الجيوش اليهـم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع اعطائهم ماسألوا من الحق ، واجابتهم الى ماسألوه من العدل

قال المهدى : ذلك رأى . قال هرون : خلطت الشدة أيها المهدى باللين وانتظم أمر الدنيا بالدين فصارت الشدة أمر فطام لمـا تـكره وعاد اللين أهـدى قائد الى ماتحب ، ولـكن أرى غير ذلك

قال المهدى : لقد قلت قولا بديعاً ، وخالفت به أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤتمن عـا قال ،

وظنين بما ادعى ، حتى يأتى ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت . قال هرون : أيها المهدى ان الحرب خدعة ، والاعاجم قوم مكرة . وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الاهواء منهم ، فكان باطن مايسرون ، على ظاهر مايعلنون ، وربما افترقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تبطن ، واستسر بمدخولة لا تعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بامره ، العالم بمقدم يده ، وموضع ميسمه ، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأى للمهدى ، وفقه الله أن يفر باطن أمرهم فر المسنة ، ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالاة العيون ، حتى تهتك حجب عيونهم ، وتكشف أغطية أمورهم ، فان انفرجت الحال ، وأفضت الامور به الى تغيير حال ، أو داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه ، وانقاد الرجال اليه ، وامتدت الاعناق نحوه بدين يعتقدونه ، وإثم يستحلونه ، عصبهم بشدة لا لين فيها ، ورماهم بعقوبة لا عفو معها ، وان انفرجت العيون ، واهتصرت الستور ، ورفعت الحجب والحال فيهم مريعة ، والامور بهم معتدلة ، فى أرزاق يطلبونها ، وأعمال ينكرونها ، وظلامات يدعونها ، وحقوق يسألونها ، بماتة سابقتهم ، ودالة مناصحتهم ، فالرأى للمهدى وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويشعب من أمرهم ماصدعوا ، ويرتق من فتقهم ماقطعوا ، ويولى عليهم من أحبوا ويداوى بذلك مرض قلوبهم ، وفساد أمورهم ، فانما المهدى وأمته ، وسواد أهل مملكته ، بمنزلة الطبيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعى المجرب ، الذى يحتال لمرابض غنمه ، وضوال رعيته ، حتى يبرئ المريضة من داء علتها ، ويرد الصحيحة الى أنس جماعتها ، ثم ان خراسان بخاصة الذين لهم دالة محمولة ، وماتة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لانهم أيدى دولته ، وسيوف دعوته ، وأنصار حقه ، وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ، ولا المؤاخذة لهم ، ولا التوعر بهم ، ولا المكافأة باساءتهم ، لان مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الاصول ضئيلة قبل أن تغلظ ، أحزم فى الرأى ، وأصح فى التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها الى جمهورها

قال المهدى : مازال هرون يقع وقع الحيا ، حتى خرج خروج القدح من الماء . قال : وانسل انسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ماسبق موسى فيه ، انه هو الرأى وثنى بعده هرون ، ولكن من لاعنة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقادة الناس ، ان أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم

الدالة . قال صالح : لسنا نبلغ أيها المهدى بدوام البحث ، وطول الفكر ، أدنى فراسة رأيك ، و بعض لحظات نظرك ، وليس ينقص عنك من بيوتات العرب ، و رجالات العجم ، ذو دين فاضل ، و رأى كامل ، وتدبير قوى ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الامانة العظمية ، و يضطلع بالاعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقيبة ، مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك ، على أحد توليه أمرك ، وتسند اليه ثغرك ، الا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد

قال المهدى : انى لارجو ذلك لقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأى ، والاعتبار للمشاورة فى الامر المهم . قال محمد بن الليث : أهل خراسان ، أيها المهدى قوم ذو وعزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، زروع الحمية فيهم نابته ، وملابس الانفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة ، والعجلة عنهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذلهم ، لانهم بين سفلة لا تعد ، ومبلغ عقولهم ، ومنظر عيونهم ، و بين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ولا يفطمون الا بالمر . وان ولى المهدى عليهم وضيعا لم تنقدله العظماء ، وان ولى أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء ، وان أخر المهدى أمرهم ، ودافع حربهم ، حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه ، أو بنى عمه أو بنى أبيه ، ناصحا يتفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له املاؤهم ، بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا عصبية تنفرهم تنفست الايام بهم وتراخت الحال بأمرهم فدخل بذلك من الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، مالا يتلافاه صاحب هذه الصفة وان وجد ، ولا يستصلحه وان جهد ، الا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدى وفقه الله فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ولا عدل فى ذلك بهما ، احدهما لسان ناطق ، موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، وصخرة لا تزعزع ، وبهيمة لا تثنى ، و بازل لا يفزعه صوت الجلجل ، نقى العرض ، نزيه النفس ، جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة بهمته ، فجعل الغرض الاقصى ، لعينه نصبا ، والغرض الادنى ، لقدمه موطئا ، فليس يقبل عملا ، ولا يتعدى أملا ، وهو رأس ، مواليك ، وأنصح بنى أبيك ، رجل قد غذى بلطيف كرامتك ، ونبت فى ظل دولتك ، ونشأ على قوائم أدبك فان قلدته أمرهم ، وحملته ثقلهم ، وأسندت اليه ثغرهم ، كان قفلا فتحه أمرك ، و بابا أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا ، والانصاف بينه و بينهم حاكما ، واذا أحكم المنصفه ، وسلك

المعـدلة ، فاعطاهم مالهم، وأخذ منهم ماعليهم غرس فى الذى لك بين صدورهم ، وأسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع، متماثلة فى حواشى عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهـم ريب الا نفوه ، ولا يلزمهم حق الا أدوه ، وهـذا أحدهما . والآخر عود من غيضتك ، ونبعة من أرومتك ، فتىّ السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، مأمون الخلاف ، يجرد فيهم سـيفه ، ويبسط عليهم خيره ، بقـدر مايستحقون، وعلى حسب مايستوجبون، وهو فلان . أيها المهـدى: فسلطه أعزك الله عليهم ووجهه بالجيوش اليهم ، ولا تمنعك ضراعة سنه ، وحداثة مولده ، فان الحلم والثقة مع الحداثة ، خير من الشك والجهل مع الـكهولة، وانما أحداثكم أهـل البيت فيما طبعكم الله عليه، واختصكم به من مكارم الاخلاق، ومحامد الفعال، ومحاسن الامور ، وصواب التدبير، وصرامة الانفس، كفراخ عناق الطير المحكمة لاخذ الصيد بلا تدريب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعـلم والعزم والحزم والجود والتؤدة ، والرفق ثابت فى صـدوركم ، مزروع فى قـلوبكم ، مستحكم لـكم، متكامل عندكم، بطبائع لازمة، وغرائز ثابته . قال معاوية بن عبد الله : افتاء أهل بيتك . أيها المهدى فى الحلم على ماذكر ، وأهل خراسان فى حال عز على ماوصف . ولـكن ان ولى المهدى عليهم رجـلا ليس بقديم الذكر فى الجنود ، ولا بنبيه الصوت فى الحروب ، ولا بطويل التجربة للامور ، ولا بمعروف السياسة للجيوش ، والهيبة فى الاعداء، دخـل ذلك أمران عظيمان ، وخطران مهولان . أحدهما :ان الاعداء يغتمزونها منه ، ويحتقرونها فيـه ، ويجترئون بها عليه ، فى النهوض والمقارعة له ، والخلاف عليه ، قبل ماحـين الاختبار لامره ، والتكشف لحاله، والعلم بطباعه . والامر الآخر :أن الجنود التى يقود ،والجيوش التى يسوس ، اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ،ولم يعرفوه بالصوت والهيبة، انـكسرت شجاعتهم وماتت نجدتهم ، واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم، ووقوع معرفتهم، وربما وقع البوار ، قبل الاختبار ، وبباب المهدى وفقه الله رجل مهيب نبيه حنيك صيت له نسب زاك ، وصوت عال ، قد قاد الجيوش، وساس الحروب ، وتألف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة، ووثقوا به كل الثقة . فلو ولاه المهدى أمرهم ، لـكفاه الله شرهم

قال المهدى : جانبت قصد الرمية ، وأبيت الاعصبية ، اذ رأى الحدث من أهـل بيتنا ، كرأى عشرة حلماء من غيرنا ، ولـكن أين تركتم ولىّ العهـد قالوا لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه

جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله ، بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه ، وستر من دون عباده ، علم ما تختلف به الايام ، ومعرفة ما تجرى عليه المقادير ، من حوادث الامور ، وريب المنون ، المخترمة لخوالى القرون ، ومواضى الملوك ، فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ، ودار السلطان ، ومقر الامامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ومستقر الجنود ، ومعدن الجود ، ومجمع الاموال ، التى جعلها الله قطبا لدار الملك ، ومصيدة لقلوب الناس ، ومثابة لاخوان الطمع وثوار الفتن ، ودواعى البدع وفرسان الضلال ، وأبناء الموت ، وقلنا ان وجه المهدى ولىّ عهده ، فحدث فى جيوشه وجنوده ، ما قد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدى أن يعقبهم بغيره ، الا أن ينهد اليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم ، وهول شديد ، ان تنفست الايام بمقامه ، واستدارت الحال بامامه ، حتى يقع عوض لا يستغنى عنه ، أو يحدث أمر لا بد منه ، صار ما بعده مما هو أعظم هولا ، وأجل خطراً ، له تبعا ، وبه متصلا

قال المهدى : الخطب أيسر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ما تصفون الامر عليه ، نحن أهل البيت نجرى من أسباب القضايا ، ومواقع الامور على سابق من العلم ، ومحتوم من الامر ، قد أنبأت به الكتب ، وتنبأت عليه الرسل ، وقد تناهى ذلك باجمعه الينا ، وتكامل بحذافيره عندنا فيه ندبر ، وعلى الله نتوكل انه لا بد لولى عهدى ، وولى عهدى عقبى بعدى ، أن يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود . أما الاول فانه يقدم اليهم رسله ، ويعمل فيهم حيله ، ثم يخرج نشطا اليهم حنقا عليهم ، يريد أن لا يدع أحدا من اخوان الفتن ، ودواعى البدع ، وفرسان الضلال ، الا توطأه بحر القتل ، وألبسه قناع القهر ، وقلده طوق الذل ، ولا أحدا من الذين عملوا فى قص جناح الفتنة ، واخماد نار البدعة ، ونصرة ولاة الحق ، الا أجرى عليهم ديم فضله ، وجداول نصله ، فاذا خرج مزمعا به مجمعا عليه ، لم يسر الا قليلا حتى يأتيه أن قد عملت حيله ، وكدحت كتبه ، ونفذت مكايده ، فهدأت نافرة القلوب ، ووقعت طائرة الاهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظراً لهم وبرابهم ، وتعطفا عليهم ، الى عدوّ قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال ، وأما الآخر فانه يوجه اليهم ، ثم تعتقد له الحجة عليهم ، باعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ، فاذا سمحت الفرق بقراباتها له ، وجنح أهل النواحى باعناقهم نحوه ، فاصغت اليه الافئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصد لاوّل ناحية نجمت بطاعتها ، وألقت بازمتها ، فالبسها

جناح نعمته ، وأنزلها ظل كرامته ، وخصها بعظيم حبائه ، ثم عم الجماعة بالمعدلة، وتعطف عليهم بالرحمة، فلا تبقى فيهم ناحية دانية، ولا فرقة قاصية الا دخلت عليها بركته، ووصلت اليها منفعته، فاغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع وضيعها ، وزاد رفيعها ، ماخلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الاهواء ، فتستخف بدعوته ، وتبطئ عن اجابته ، وتتثاقل عن حقه، فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه فيصطلى عليها موجدة ، ويبتغى لها علة ، لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم ، وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ، ويستحر بهم القتل ، ويحيط بهم الاسر ، ويفنيهم التتبع ، حتى يخرب البلاد ، ويؤتم الأولاد ، وناحية لا يبسط لهم أمانا ، ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة ، لانهم أول من فتح باب الفرقة، وتدرع جلباب الفتنة وربض فى شق العصا، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب هرابهم فى لجج البحار ، وقلل الجبال ، وخمل الاودية ، وبطون الأرض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أيامى ، وهذا أمر لا نعرف له فى كتبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ماقلنا تفسيرا ، وأما موسى ولى عهدى ، فهذا أوان توجهه الى خراسان، وحلوله بجرجان، وما قضى الله له من الشخوص اليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبة ، وله باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر فى لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ، ويتذأب مشرق نوره ، ويتقلل كثير ماهو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ، ويختار له من الناس . قال محمد بن الليث : أيها المهدى ان ولى عهدك أصبح لامتك وأهل ملتك علما قد تثنت نحوه أعناقها ، ومدت سمته أبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ، ومحل جواره لك ، عطل الحال غفل الامر ، واسع العذر ، فاما اذا انفرد بنفسه ، وخلا بنظره ، وصار الى تدبيره ، فان من شأن العامة أن تتفقد مخارج رأيه ، وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله ، فى بره ومرحمته واقساطه ومعدلته ، وتدبيره وسياسته ، ووزرائه وأصحابه، ثم يكون ماسبق اليهم ، أغلب الاشياء عليهم ، وأملك الامور بهم ، وألزمها القلوب بهم ، وأشدها استمالة لرأيهم ، وعطفا لاهوائهم ، فلا يعلم المهدى وفقه الله ناظرا له فيما يقوى عمد مملكته ، ويسدد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته ، بأمر هو أزين لحاله وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لامره، وأجل موقعا فى قلوب رعيته ، وأحمد حالا فى نفوس أهل ملته ، ولا أدفع مع ذلك باستجماع لاهوائه ، وأبلغ فى استعطاف القلوب عليه ، من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره،

ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهدى وفقه الله من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر ، أقواما تسكن العامة اليهم اذا ذكروا وتأنس الرعية بهم اذا وصفوا ، ثم تسهل لهم عمارة سبل الاحسان ، وفتح باب المعروف كما قد كان فتح له وسهل عليه

قال المهدى صدقت ونصحت ثم بعث فى ابنه موسى ، فقال : أى بنى انك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا، ولمثنى أعطاف الرعية غاية فحسنتك شاملة ، واساءتك نائية ، وأمرك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك يثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه

ثم اعلم أن لله تعالى فى كل زمان فترة من رسله، وبقايا من صفوة خلقه، وخبايا النصرة حقه، يجدد حبل الاسلام بدعواهم، ويشيد أركان الدين بنصرتهم، ويتخذ لأولياء دينه أنصارا، وعلى اقامة عدله أعوانا ، يسدون الخلل ، ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الارض الفساد ، وان أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم، وندافع ريب الزمان بعزائمهم، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم فهم عماد الارض اذا أرجفت كنفها ، وخوف الاعداء ، اذا أبرزت صفحتها ، وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات ، أخمدت نيران الفتن ، وقصمت دواعى البدع ، وأذلت رقاب الجبارين، ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ريح دولتنا ، وأقاموا فى ظل دعوتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التى أعز الله بها ذاتهم ، ورفع بها ضعتهم، وجعلهم بها ، أربابا فى أقطار الارض ، وملوكا على رقاب العالمين، بعد لباس الذل ، وقناع الخوف واطباق البلاء، ومخالفة الاسى ، وجهد البأس والضر ، فظاهر عليهم لباس كرامتك وأنزلهم فى حدائق نعمتك، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم، ومانة سابقتهم، وحرمة مناصحتهم، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم، والاثابة لمحسنهم ، والاقالة لمسيئهم . أى بنى : ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك وتوثق به فى عين رعيتك ، واجعل عمال العذر ، وولاة الحجج مقدمة بين يدى عملك ، ونصفة منك لرعيتك، وذلك أن تأمر قاضى كل بلد وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لانفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فان أحسن حمدت، وان أساء عذرت ،

هؤلاء عمال العذر و ولاة الحجج، فلا يسقطن عليك مافى ذلك إذا انتشر فى الآفاق، وسبق الى الاسماع، من انعقاد ألسنة المرجفين، وكبت قلوب الحاسدين، واطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن فى ظل كرامتك نازلا، و بعراحبلك متعلقا، رجلان أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل وحلم راجح، ودين صحيح، والآخر له دين غير مغمور، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأى وانحاء العرب و وضع الكتب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب يضع آدابا نافعة وآثارا باقية من محاسنك وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك، فتستشيره فى حربك وتدخله فى أمرك، فرجل أصبته كذلك فهو يأوى الى محلتى، و يرعى فى خضرة جنانى، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الامصار، أقواما يكونون جيرانك وسمارك، وأهل مشاورتك فيما تورد، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر، فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك، وهاديا ينطق بالخير لسانك، وكتب فى شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد :

١٦ — باب فى مدارات العدو — فى كتاب للهند : أن العدوّ الشديد الذى لا تقوى له ترد بأسه عنك بمثل الخشوع والخضوع له كما أن الحشيش انما يسلم من الريح العاصفة بلينه وانثنائه معها . وقالوا : ازفن للقرد فى دولته . وقال : أحمد بن يوسف الكاتب اذا لم تقدر أن تعض يد عدوك فقبلها . وقال سابق البلوى :

وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا * عليك ولن يحتال من لا يداهن

وقالت الحكماء : رأس العقل مناهضة الفرصة عند امكانها والانصراف عما لا سبيل اليه كما قيل :

بلاء ليس يشبهه بلاء * عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه * و يرتع منك فى عرض مصون

١٧ — التحفظ من العدو وان أبدي لك المودة — قالت الحكماء : احذر الموتور ولا تطمئن اليه وكن أشد ما تكون حذرا منه ألطف ما يكون مداخلة لك فانما السلامة من العدو بتباعدك منه وانقباضك عنه وعند الأنس اليه والثقة تمكنه من مقاتلك . وقالوا : لا تطمئن الى

العدوّ وان أبدى لك المقاربة وان بسط لك وجهه وخفض لك جناحه فانه يتربص بك الدوائر ويضمر لك الغوائل . ولا يرتجى صلاحاً الا فى فسادك ولا رفعة الا بسقوط جاهك كما قال الاخطل : بنى أمية انى ناصح لكم * فلا يبيتن فيكم آمنا زفر

واتخذوه عدوا ان شاهده * وما تغيب من أخلاقه دغر

ان الضغينة تلقاها وان قدمت * كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

وفى كتاب الهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال، يحذر المواثبة ان قرب، والمغاورة ان بعد والكمين ان انكشف، والاستطراد ان ولى، والكرة ان فر . وأوصى بعض الحكماء ملكا . فقال : لا يكونن العدوّ الذى كشف لك عن عداوته، بأخوف عندك من الظنين الذى يستترلك بمخاتلته، فانه ربما تخوف الرجل السم الذى هو أقتل الاشياء، وقتله الماء الذى هو محيي الاشياء، وربما تخوف ان تقتله الملوك التى تملكه، ثم تقتله العبيد التى يملكها، ولم يقل أحد فى العدو المندمل العداوة مثل قول الاخطل :

ان الضغينة تلقاها وان قدمت * كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

وقد أشار : الحسن بن هانىء الى هذا المعنى فأجاد حيث يقول :

وابن عم لا يكاشفنا * قد لبسناه على غمره

كمن الشنآن فيه لنا * ككمون النار فى حجره

وشبهوا العدوّ اذا كان هذا فعله بالحية المطرقة . قال : ابن أخت تأبط شرا :

مطرق يرشح موتا كما أطـ * ـرق أفعى تنفث السم صل

وقال : عبد الله بن الزبير لمعاوية . ويقال : معاوية قالها لعبد الله بن الزبير مالى أراك تطرق اطراق الافعوان فى أصول الشجر . وفى كتاب الهند : اذا أحدث لك العدو صداقة لعلة ألجأته اليك فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء تسخنه فاذا أمسكت عنه عاد الى أصله باردا والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر الا مراً . وقال دريد :

وما تخفى الضغينة حيث كانت * ولا النظر المريض من الصحيح

وقال زهير :

ومالك فى صديق أو عدوّ * تخبرك العيون عن القلوب

وقيل لزياد : ما السرور . قال : من طال عمره، حتى يرى فى عدوّه ما يسره :

١٨ — باب من أخبار الازارقة — كان أول من خرج من الخوارج بعد على رضى الله عنه : حوثرة الاقطع فانه خرج الى النخيلة واجتمع اليه جماعة من الخوارج ومعاوية بالكوفة قد بايعه الحسن والحسين وقيس بن سعد بن ضبابة ثم خرج الحسين يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز فى طريقه يسأله أن يكون المتولى لحاربتهم . فقال : الحسين والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعنى فكيف أن أقاتل قوماً أنت أولى بالقتال منهم . فلما رجع الجواب : وجه اليهم جيشاً أكثره أهل الكوفة . ثم قال لابى حوثرة : تقدم فاكفنى أمر ابنك فسار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فابى فاداره فصمم . فقال له : أى بنى أجيئك بابنك لعلك تراه فتحن اليه . فقال له : ياأبت أنا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى الى ابنى : فرجع الى معاوية . فاخبره . فقال : ياأباحوثرة حازهذا احداً فلما نظر الى أهل الكوفة قال : ياأعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدموا سلطانه واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه ثم جعل يتشدد عليهم . ويقول :

احمل على هذى الجموع حوثره * فعن قريب ستنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ . فقتله فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله

وكان مرداس أبو بلال : قد شهد صفين مع على بن أبى طالب رضى الله عنه وأنكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا . فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى شدة الطلب للشراة عزم على الخروج . فقال : لاصحابه انه والله ما يسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفضل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لشديد ولكنا نشد عليهم ولا نجرد سيفنا ولا نقاتل الا من قاتلنا . فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق . فارادوا أن يولوا أمرهم حريثاً فابى . فولوا أمرهم مرداساً فلما مضى باصحابه لقيهم عبد الله بن رباح الانصارى وكان له صديقاً . فقال له ياابن أخى أين تريد . فقال : أريد أهرب بدينى ودين أصحابى من أحكام هؤلاء الجورة . قال : أعَلِمَ أحد بكم . قال : لا . قال : فارجع . قال : أوتخاف علىّ مكروهاً فانى لا أجرد سيفاً ولا أخيف أحداً ولا أقاتل الا من قاتلنى ثم مضى حتى نزل آسك . فمر به مال يحمل الى ابن زياد وقد بلغ أصحابه الاربعين فحط ذلك المال فاخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه وترك ما بقى . وقال : قولوا لصاحبكم

انما أخذنا أعطياتنا . فقال له: أصحابه لماذا تترك الباقي . قال : انهم يقيمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا تقاتلوهم ماداموا على الصلاة . فوجه: اليهم ابن زياد أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين . فلما وصل اليهم . قال له : مرداس اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نروع أحدا ولا نعاهر بنا من الظلم ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا ولا نقاتل الا من قاتلنا . قال : لا بد من ردكم الى ابن زياد . قال: وان أراد قتلنا . قال: وان أراد قتلكم . قال : فتشرك في دمائنا . قال: نعم فشدوا عليه شدة رجل واحد فهزموه وقتلوا أصحابه . ثم وجه اليهم ابن زياد عبادا فقاتلهم يوم الجمعة حتى كان وقت الصلاة . فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي فوادعوهم . فلما دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوهم وهم بين راكع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد . فقال عمران بن حطان يرثي أبا بلال :

يا عين ابكي لمرداس ومصرعه * يارب مرداس اجعلني كمرداس
أبقيتني هائما أبكي لمرزأتي * في منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك ماقد كنت أعرفه * ماالناس بعدك يا مرداس بالناس
أما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس

وليس في الافراق كلها أشد بصائر من الخوارج ولا أشد اجتهادا ولا أوطن أنفسا على الموت . منهم الذي طعن فانفذه الرمح فجعل يسعى الى قاتله . و يقول: عجلت اليك رب لترضى . ولما مالت الخوارج الى أصبهان حاصرت بها عتاب بن ورقاء سبعة أشهر يقاتلهم في كل يوم فيناديهم

يا ابن بني الماخور والاشرار * كيف ترون يا كلاب النار
شد أبي هريرة الهرار * يهدكم بالليل والنهار
* وهو من الرحمن في جوار *

فتعاظمهم ذلك . فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا ينادونهم مافعل الهرار . فيقولون : مابه من بأس حتى أبل من علته فخرج اليهم . فقال : يا أعداء الله أترون بي بأسا . فصاحوا به قد كنا نرى انك لحقت بامك الهاوية في النار الحامية . فلما طال الحصار على عتاب قال لاصحابه : ماتنتظرون انكم والله ماتؤتون من قلة وانكم فرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانصفتم منهم ومابقي من هذا الحصار الا أن

تغنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه صاحبه ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه . فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل ضعف أحدكم أن يمشى الى قرنه . فلما أصبح صلى بهم الصبح . ثم خرج الى الخوارج وهم غارون وقد نصب لواء لجارية يقال لها ياسمين . فقال : من أراد البغاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليلحق بلوائى . قال : فخرج فى ألفين وسبعمائة فارس . فلم تشعر بهم الخوارج حتى عشوهم فقاتلوهم بجد لم تر الخوارج مثله . فقتلوا أميرهم الزبير بن على وانهزمت الخوارج . فلم يتبعهم عتاب بن ورقاء

وخرج قريس بن مرة وزحاف الطائى وكانا مجتهدين بالبصرة فى أيام زياد فاستعفى الناس . فلقوا شيخا من بنى ضبيعة فقتلوه وتمادى الناس . فخرج رجل من قطيفة بالسيف فناداه الناس من بعض البيوت الحرورية انج بنفسك . فنادوه لسنا حرورية استكن فوثب فقتلوه . وبلغ أبا بلال خبرهما وكان على دين الخوارج الا أنه كان لا يرى اعتراض الناس فقال قريس لا قرب الله خبره . وزحاف لا عفا الله عنه فلقد ركبا عشواء مظلمة . ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا فيها حتى مرا على بنى سور من الازد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمى فرموه رميا شديدا فصاحوا يا بنى سور البقيا الادماء بيننا . فقال : رجل منهم لا شىء للقوم عندنا سوى السهام مشحوذة فى الظلام فهربت عنهم الخوارج فاستقروا فى مقبرة بنى يشكر حتى خرجوا الى المدينة واستقبلهم الناس فقتلوا عن آخرهم ثم عاد الناس الى زياد . فقال : ألا ينهى كل قوم سفهاءهم فكانت القبائل إذا أحست بخارجى فيهم أوثقوه وأتوا به زيادا فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله

ولزياد أخرى فى الخوارج أنه أتى بامرأة منهم فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء الا بعد زياد وكن اذا أرغمن على الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا .

ومن مشاهير فرسان الخوارج عمرو القنا من بنى سعد بن زيد مناة وعبيدة بن هلال من بنى يشكر بن بكر بن وائل وهو الذى طعن صاحب المهلب فى فخذه فشبكها مع السرج وهما اللذان يقول فيهما المنتجب السدوسى من فرسان المهلب . وكان قال له مولاه الجلاح وددت أنا فضضنا عسكرهم فأستلب منه جاريتين احداهما لك والاخرى لى :

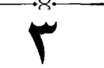
اجلاح انك لن تعانق طفلة * شرقا بها الجادىّ كالتمثال
حتى تعانق فى الكتيبة معلما * عمرو القنا وعبيدة بن هلال
وترى المقعطر فى الكتيبة معلما * فى عصبة يسطو مع الضلال

والمقعطر من مشاهير فرسانهم . وقطرى أنجدهم قاطبة وصالح بن مخراق من بهمهم . وكذلك سعد الطلائع

ولما اختلف أمر الخوارج وانحاز قطرى فيمن معه وبقى عبد ربه . قال : المهلب لاصحابه ان الله تعالى قد أراحكم من أقران أربعة قطرى بن الفجاءة . وصالح بن مخراق . وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع . وانما بين أيديكم عبد ربه فى حثار من حثار الشيطان . وكانت الخوارج تقاتل على السوط يؤخذ منها والعلق الخسيس أشد قتال . وسقط فى بعض أيامهم رمح لرجل من مرادمن الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادى يرتجز

الليل ليل فيه ويل ويل * وسال بالقوم السراة السيل * ان جاز للاعداء فينا قول

وتفرقت مقالة الخوارج على أربعة أضرب . فقال نافع بن الازرق : باستعراض الناس والبراءة من عثمان وعلى وطلحة والزبير واستحلال الامانة وقتل الاطفال . وقال أبو بيهس هضيم بن جابر الضبعى : ان أعداءنا كاعداء الرسول يحل لنا المقام فيهم كما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المسلمون بين المشركين . وقال عبد الله بن أباض : لا نقول فيمن خالفنا انه مشرك لان معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول وانما هم كفار للنعم وموار يثهم ومنا كحهم والاقامة معهم حل ودعوة الاسلام تجمعهم . وقالت الصفرية : بقول عبد الله بن أباض ورأت القعود حتى صار عامتهم قعدا وانما سموا صفرية لاصفرار وجوههم . وقيل : لانهم أصحاب ابن الصفار



٣

فرش كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه تغمده الله برحمته : قد مضى قولنا فى الحروب وما يدخلها من النقص والكمال وتقدم الرجال على منازلهم من الصبر والجلد والعدة والعدد

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الاجواد والاصفاد اذ كان أشرف ملابس الدنيا وأزين حللها الحمد وأدفعها للذم وأسترها للعيب كرم طبيعة يتحلى بها السمح السرى والجواد السخى ولو لم يكن فى الكرم الا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها فهو الكريم عز وجل . ومن كان

كريما من خلقه فقد تسمى باسمه واحتذى على صفته . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه . وفي الحديث المأثور : الخلق عيال الله فاحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله . وقال : الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت في بذل المال . قال : بابي وأمي أنتما ان الله قد عودني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فاخاف أن أقطع العادة فيقطع عني . وقال : المأمون لمحمد بن عبادة المهلبي أنت متلاف . قال : منع الجود سوء الظن بالمعبود يقول الله عز وجل « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » . وقال : النبي صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا

١ — مدح الكرم وذم البخل — قال النبي صلى الله عليه وسلم : اصطناع المعروف يقي مصارع السوء . وقال عليه الصلاة والسلام : ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويبغض سفسافها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقوم من العرب من سيدكم . قالوا : الحر بن قيس على بخل فيه . فقال صلى الله عليه وسلم : وأي داء أدوأ من البخل . وقال الله تعالى « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » . وقال : أكثم بن صيفي حكيم العرب ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر . أخذه الشاعر فقال :

أمن خوف فقر تعجلته * وأخرت انفاق ماتجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى * وما كنت تعدو الذى تصنع

وكتب رجل من البخلاء : الى رجل من الاسخياء يأمره بالابقاء على نفسه ويخوفه بالفقر فرد عليه « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » وانى أكره أن آترك أمرا قد وقع لامر لعله لا يقع . وكان خالد بن عبد الله القسري يقول على المنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف فان الله لا يعدم فاعله جوازيه وماضعفت الناس عن أدائه قوي الله على جزائه . وأخذه من قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وأخذه الحطيئة من بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى فيما أنزله على داود عليه السلام من يفعل الخير يجده عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدي . وكان سعيد بن العاص يقول

على المنبر من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به . فانما يترك ماترك لاحد رجلين اما المصلح فلا يقل عليه شيء واما المفسد فلا يبقى له شيء . أخذه الشاعر . فقال :

اسعد بمالك فى الحياة فانما * يبقى خلافك مصلح أو مفسد

فاذا جمعت لمفسد لم يغنه * وأخو الصلاح قليله يتزيد

وقال أبوذر : ان لك فى مالك شريكين الحدثان والوارث فان استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء حظا فافعل . وقال بزرجمهر الفارسي : اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تبقى أخذ الشاعر هذا المعنى . فقال :

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

وان تولت فاحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم أهل حسن الظن بالله ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء ظنهم بربهم فى الخلف لكان عظيما . وأخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز . قال : خرجت مع موسى الهادى أمير المؤمنين من جرجان . فقال لى اما أن تحملنى واما أن أحملك . ففهمت ما أراد فانشدته أبيات ابن صرمة الانصارى :

أوصيكم بالله أول وهلة * وأحسابكم والبر بالله أول *

وان قومكم ساودا فلا تحسدوهم * وان كنتم أهل السيادة فاعدلوا

وان أنتم أعوزتمو فتعففوا * وان كان فضل المال فيكم فافضلوا

فامر لى بعشرين ألفا . وقال : عبد الله بن عباس سادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء . وقال : أبو مسلم الخولانى ماشئ أحسن من المعروف الا ثوابه وما كل من قدر على المعروف كانت له نية فاذا اجتمعت القدرة والنية تمت السعادة وأنشد :

ان المكارم كلها حسن * والبذل أحسن ذلك الحسن

كم عارف بى لست أعرفه * ومخبر عنى ولم يرنى

يأتيهم خبرى وان بعدت * دارى و بوعد عنهم وطنى
انى لحر المال ممتهن * ولحر عرضى غير ممتهن

وقال : خالد بن عبد الله القسرى : من أصابه عراب مركبي فقد وجب على شكره . وقال : عمرو بن العاصى والله لرجل ذكرنى ينام على شقه مرة وعلى شقه أخرى يرانى موضعا لحاجته لاوجب على حقا اذا سألنيها منى اذا قضيتها له . وقال : عبد العزيز بن مروان اذا أمكننى الرجل من نفسه حتى أضع معروفى عنده فيده عندى أعظم من يدى عنده . وأنشد لابن عباس رضى الله تعالى عنهما :

اذا طارقات الهم ضاجعت الفتى * وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرنى فى حاجة لم يجد لها * سواى ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالى همه عن خناقه * وزاوله الهم الطروق المساور
وكان له فضل علىّ بظنه * بى الخير انى للذى ظن شاكر

وقيل لابى عقيل البليغ العراقى : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه . قال : رأيت رغبته فى الانعام فوق رغبته فى الشكر وحاجته الى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة . وقال: زياد كفى بالبخل عارا ان اسمه لم يقع فى حمد قط وكفى بالجود مجدا ان اسمه لم يقع فى ذم قط . وقال آخر :

ألا ترانى وقد قطعتنى عذلا * ماذا من الفضل بين البخل والجود
ألا يكن ورق يوما أراح به * للخابطين فانى لين العود
لا يعدم السائلون الخير أفعله * اما نوالا واما حسن مردود

قوله ألا يكن ورق: يريد المال وضربه مثلا . ويقال : أتى فلان يختبط ماعنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق لتأكله السائبة فجعل طالب الرزق مثل الخابط . وقالت أسماء بنت خارجة : ماأحب ان أرد أحدا فى حاجة طلبها لانه لايخلو أن يكون كريما فاصون له عرضه أو لئيما فاصون عرضى عنه . وقال ارسطاطاليس : من انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظن بك والثقة بما عندك :

٢ — الترغيب فى حسن الثناء واصطناع المعروف — قال النبى صلى الله عليه وسلم : اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء . وكتب عمر

ابن الخطاب رضي الله عنــه الى أبي موسى الاشعري : اعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس . واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك . وقيل لبعض الحكماء : ما أفادك الدهر . قال : العلم به . قيل : فما أحمد الاشياء . قال : أن تبقى للانسان أحــدوثة حسنة . وقال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» انه أراد حسن الثناء من بعده وقال: أكثم بن صيفي انما أنتم أخبار فطيبوا أخباركم . أخذ هذا المعنى حبيب الطائي . فقال :

وما ابن آدم الا ذكر صالحة * أو ذكر سيئة يسري بها الكلم
أما ســمعت بدهر باد أمتــه * جاءت باخبارها من بعدها أمم

وقالوا : الايام مزارع فما زرعت فيها حصــدته . ومن قولنا : في هــذا المعنى وغيره من مكارم الاخلاق :

يامن تجلــــد للزما * ن أما زمانك منك أجلد
سلط نهاك على هوا * ك وعد يومك ليس من غد
ان الحياة مزارع * فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقى سـوى * آثارهم والعــين تفقد
أو ما سمعت بمن مضى * هــذا يذم وذاك يحمد
المــال ان أصلحتــه * يصلح وان أفسدت يفسد

وقال الاحنف بن قيس : ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء شيأ أفضــل من اصطناع المعروف عند ذوي الاحساب . وقالوا تربيب المعروف أولى من اصـطناعه لان اصطناعه نافلة وتربيبه فريضة . وقالوا : احي معروفك باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له . وقالت الحكماء: من تمام كرم المنعم التغافل عن حجته والاقرار بالفضيلة لشاكر نعمته . وقالوا: للمعروف خصال ثلاث تعجيله وتيسيره وتســتيره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وســقط عنه الشكر . وقيــل لمعاوية : أي الناس أحب اليك . قال : من كانت له عندي يد صالحة . قيــل : فان لم تــكن له . قال : فمن كانت لي عنده يد صالحة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فان لم يقم بتلك المؤنة عرض النعمة للزوال . ابن المبارك: عن حميد عن الحسن. قال: لان أقضي حاجة لاخ لي أحب الي من عبادة سنة . وقال ابراهيم بن السندي قلت لرجل من أهل الــكوفة من وجوه أهلها كان لا يجف لبده ولا يســتريح

قلبه ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال وادخال المرافق على الضعفاء . فقلت : لله اخبرنى عن الحالة التى خففت عليك النصب وهونت عليك التعب فى القيام بحوائج الناس ماهى . قال : قد والله سمعت تغريد الطير بالاسحار فى فروع الاشجار وسمعت خفق أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن ومن شكر حر لنعم حر ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر . قال : ابراهيم فقلت لله أبوك لقد حشيت كرما . اسمعيل بن مسرور : عن جعفر بن محمد . قال: ان الله خلق خلقا من رحمته برحمته لرحمته وهم الذين يقضون الحوائج للناس فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن

٣ — الجود مع الاقلال — قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الانصار «و يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون» . وقال: النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العطية ما كان من معسر الى معسر . وقال عليه الصلاة والسلام : أفضل العطية جهد المقل . وقالت الحكماء : القليل من القليل أحمد من الكثير الى الكثير . أخذ هذا المعنى حبيب فنظمه فى أبيات كتب بها الى الحسن بن وهب الكاتب وأهدى اليه قلما

قد بعثنا اليك أكرمك الله بشىء فكن له ذا قبول

لا تقسه الى جدا كفك الغرا ولا نيلك الكثير الجزيل

واستجز قلة الهدية منى * ان جهد المقل غير القليل

وقالوا : جهد المقل أفضل من غنى المكثر . وقال صريع الغوانى :

ليس السماح لمكثر فى قومه * لكن لمقتر قومه المتحمد

وقال أبو هريرة : ماوددت ان أحدا ولدتنى أمه الا أم جعفر بن أبى طالب تبعته ذات يوم وأنا جائع فلما بلغ الباب التفت فرآنى . فقال لى : أدخل فدخلت ففكر حينا فما وجد فى بيته شيأ الا نحيا كان فيه سمن مرة فأنزله من رف لهم فشقه بين أيدينا فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن والزيت وهو يقول :

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

وقيل لبعض الحكماء : من أجود الناس ؟ قال : من جاد من قلة وصان وجه السائل عن المذلة . وقال حماد عجرد :

أبرق بخير تؤمل للجزيل فما * ترجى الثمار اذا لم يورق العود

بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ماسد فقرا فهو محمود
وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود

وقال حاتم :

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال عبد الملك بن مروان : ما كنت أحب ان أحدا ولدني من العرب الا عروة بن الورد لقوله :

أتهزأ مني ان سمنت وأن ترى * بجسمي مس الحق والحق جاهد
لاني امرؤ عافي انائي شركة * وأنت امرؤ عافي انائك واحد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

ومن أحسن ماقيل في الجود مع الاقلال قول صريع :

فلو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومن أفرط ماقيل في الجود . قول بكر بن النطاح :

أقول لمرتاد الندى عند مالك * تمسك بجدوى مالك وصلاته
فتى جعل الدنيا وقاء لعرضه * فاسدى بها المعروف قبل عداته
فلو خذلت أمواله جود كفه * لقاسم من يرجوه شطر حياته
وان لم يجز في العمر قسم لمالك * وجاز له أعطاه من حسناته
وجاد بها من غير كفر بربه * وأشركه في صومه وصلاته

وقال آخر في هذا المعنى وأحسن :

ملأت يدي من الدنيا مرارا * وماطمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت على زكاة مال * وهل تجب الزكاة على الجواد

٤ — العطية قبل السؤال — قال سعد بن العاصي : قبح الله المعروف ان لم يكن ابتدئ من غير مسئلة فالمعروف عوض عن مسئلة الرجل اذا بذل وجهه فقلبه خائف، وفرائصه ترعد، وجبينه يرشح، لايدري أيرجع بنجح الطلب، أم بسوء المنقلب، قد انتقع لونه، وذهب دم وجهه . اللهم فان كانت الدنيا لها عندي حظ فلا تجعل لي حظا في الآخرة . وقال أكثم بن صيفي : كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لاصحابه : من كانت له الىّ منكم حاجة فليرفعها فى كتاب لاصون وجوهكم عن المسئلة ، حبيب :

عطاؤك لا يفنى و يستغرق الثنا * وتبقى وجوه الراغبين بمائها

وقال حبيب أيضاً :

ذل السؤال شجا فى الحلق معترض * من دونه شرق من خلفه جرض
ماماء كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى اذا أفنيته عوض
انى بايسر ما أدنيت منبسط * كمابايسر ما أقصيت منقبض

وقالوا : من بذل اليك وجهه فقد وفاك عن نعمتك . وقالوا : أ كمل الخصال ثلاثة ، وقار بلا مهابة ، وسماح بلا طلب مكافاة ، وحلم بغير ذل . وقالوا : السخى من كان مسرورا ببذله ، متبرعا بعطائه ، لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله ، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ، و يكون مثله فيما أعطى ، مثل الصائد الذى يلقى الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه . نظر المنذر بن أبى سبرة : الى أبى الاسود الدؤلى وعليه قميص مرقوع . فقال له : ماأصبرك على هذا القميص . فقال له : رب مملوك لا يستطاع فراقه فبعث اليه بتخت من ثياب . فقال أبو الاسود :

كسانى ولم استكسه فحمدته * أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وان أحق الناس ان كنت شاكرا * بشكرك من أعطاك والعرض وافر

وسأل معاوية صعصعة بن صوحان : ماالجود ؟ فقال : التبرع بالمال والعطية قبل السؤال . ومن قولنا فى هذا المعنى :

كريم على العلات جزل عطاؤه * ينيل وان لم يعتمد لنوال
وما الجود من يعطى اذا ماسألته * ولكن من يعطى بغير سؤال

وقال بشار العقيلى :

مالكى تنشق عن وجهه الحر * ب كما انشقت الدجا عن ضياء
لنجاخ السماء فيض يديه * لقريب ونازح الدار ناء
ليس يعطيك للرجاء وللخو * ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو * د ولكن طبائع الآباء

وقال آخر :

ان بين السؤال والاعتـذار * خطـة صعبة على الاحرار

وقال حبيب :

لئن جحدتك ماأوليت من نعم * انى لفى اللؤم أمضى منك فى الكرم
أنسى ابتسامك والالوان كاسفة * تبسم الصبح فى داج من الظلم
رددت رونق وجهى فى صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخذم
وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

٥ — استنجاح الحوائج — كانوا يستفتحون حوائجهم بركعتين. يقولون فيهما : اللهم بك أستنجح من الخير، وباسمك أستفتح، وبمحمد نبيك اليك أتوجه . اللهم ذلل لى صعوبته، وسهل لى حزونته، وارزقنى من الخير أكثر مما أرجو، واصرف عنى من الشر أكثر مما أخاف . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استعينوا على حوائجكم بالكتمان لها فان كل ذى نعمة محسود . وقال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج فى غير حينها، ولا تطلبوها من غير أهلها، فان الحوائج تطلب بالرجاء، وتدرك بالقضاء . وقال مفتاح : نجح الحاجة الصبر على طول المدة، ومعلاقها اعتراض الكسل دونها . قال الشاعر :

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يحاوله * فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

ومن أمثال العرب فى هذا . من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له . أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا تضايق أمر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

وقال خالد بن صفوان : فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها، وأشد من المصيبة سوء الخلف منها . وقالوا : صاحب الحاجة مبهوت، وطلب الحوائج كلها تغرير . وقالت الحكماء : لا تطلب حاجتك من كذاب، فانه يقربها بالقول، ويبعدها بالفعل، ولا من أحمق فانه يريد نفعك فيضرك، ولا من رجل له أكلة من جهة رجل فانه لا يؤثر حاجتك على أكله . وقال دعبل بن على الخزعى :

جئتك مسترفدا بلا سبب * اليك الا بحرمة الادب

فاقض زمامى فانى رجل * غير ملح عليك فى الطلب

وقال : شبيب بن شيبة : انى لا عرف أمرا لا يتلاقى به انسانان الا وجب النجح بينهما . قيل له وماذاك ؟ قال : العقل فان العاقل لا يسأل مالا يمكن ولا يرد عما يمكن . وقال الشاعر :

أتيتك لا أدلى بقربى ولا يد * اليك سوى انى بجودك واثق

فان تولنى عرفا أكن لك شاكرا * وان قلت لى عذرا أقل أنت صادق

وقال الحسن بن هانئ :

فان تولنى منك الجميل فاهله * والا فانى عاذر وشكور

وقال آخر :

لعمرك ما أخلقت وجها بذلة * اليك ولا عرضته للمعاير

فتى وفرت أيدى المكارم عرضه * عليه وخلت ماله غير وافر

ودخل محمد بن واسع على بعض الامراء . فقال : أتيتك فى حاجة فان شئت قضيتها وكنا كريمين ، وان شئت لم تقضها وكنا لئيمين ، أراد ان قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك اياها لانى وضعت الطلبة فى موضعها . فان لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك . وسرق : حبيب هذا المعنى . فقال :

عياش انك للئيم واننى * مذ صرت موضع مطلبى للئيم

ودخل سوار القاضى على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان . فقال : أصلح الله الامير :

لنا حاجة والعذر فيها مقدم * حقيق بمعناها مضعفة الاجر

فان تقضها فالحمد لله وحده * وان عاق مقدور ففى أوسع العذر

قال له : ما حاجتك أبا عبد الله . قال : كتاب لى ان رأى الامير أكرمه الله أن ينفذه فى خاصته كتب الى موسى بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقى . قال : أوغير ذلك أبا عبد الله نعجلها لك من أرزاقنا فاذا وددت مخيرا بين أن تأخذ أو ترد . فانشد سوار يقول :

فبابك أيمن أبوابهم * ودارك مأهولة عامره

وكفك حين ترى المجتدين * أندى من الليلة الماطره

وكلبك آنس بالمعتفين * من الام بابنتها الزائره

ودخل أبو حازم الاعرج على بعض أهل السلطان . فقال : أتيتك فى حاجة رفعتها الى الله

قبلك ، فان يأذن الله فى قضائها قضيتها وحمدناك ، وان لم يأذن فى قضائها لم تقضها وعذرناك .
وفى بعض الحديث: اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه. أخذه: الطائى فنظمه فى شعره فقال:

قد تأولت فيك قول رسول الله اذ قال مفصحا افصاحا
ان طلبتم حوائجاً عند قوم * فتنقوا لها الوجوه الصباحا
فلعمرى لقد تنقيت وجها * مابه خاب من أراد النجاحا

قال : المنصور لرجل دخل عليه : سل حاجتك . قال : يبقيك الله يا أمير المؤمنين . قال : سل حاجتك فانك لست تقدر على هذا المقام فى كل حين . قال : والله يا أمير المؤمنين ما أستقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، وانما عطاؤك لشرف ، وان سؤالك لزين ، وما بامرئ بذل اليك وجهه نقص ولا شين . فوصله وأحسن اليه :

٦ — استنجاز المواعد — من أمثالهم فى هذا أنجز حر ماوعد . وقالوا : وعد الكريم نقد ، ووعد اللئيم تسويف . وقال : الزهرى حقيق على من أورق بوعد أن يثمر بفعل . وقال المغيرة : من أخر حاجة فقد ضمنها . وقال الموبذان الفارسى ، الوعد السحابة والانجاز المطر . وقال غيره : المواعيد رؤوس الحوائج والانجاز أبدانها . وقال عبد الله بن عمر : خلف الوعد ثلث النفاق ، وصدق الوعد ثلث الايمان ، وما ظنك بشئ جعله الله مدحة فى كتابه ، وفخر الانبيائه ، فقال تعالى «واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد » وذكر جبار بن سلمى: عامر بن الطفيل . فقال : كان والله اذا وعد الخير وفى ، واذا وعد الشر أخلف وهو القائل :

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى * ويأمن منى سطوة المتهدد
وانى وان أوعدته أووعدته * ليكذب ايعادى ويصدق موعدى

وقال ابن أبى حاتم:

اذا قلت فى شىء نعم فا تممه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

ولو لم يكن فى خلف الوعد الا قول الله عز وجل « ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » لكفى . وقال عمر بن الحرث : كانوا يفعلون ولا يقولون . ثم صاروا يقولون ويفعلون . ثم صاروا يقولون ولا يفعلون . فزعم أنهم ضنوا بالكذب

فضلا عن الصدق . وفى هذا المعنى يقول الحسن بن هانئ :

قال لى ترضى بوعد كاذب * قلت ان لم يك شحم فنفس

ومثله قول الاحنف . ويقال : انها لمسلم بن الوليد صريع الغوانى :

ماضرمن شغل الفؤاد ببخله * لو كان عللنى بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لى حيلة * الا التمسك بالرجاء الخائب
سأموت من كمد وتبقى حاجتى * فيما لديك وما لها من طالب

قال : عبد الرحمن بن أم الحكم لعبد الملك بن مروان فى مواعد وعدها اياه فمطله بها . نحن الى الفعل أحوج منا الى القول ، وأنت بالانجاز أولى منك من المطل . واعلم انك لا تستحق الشكر الا بانجازك الوعد ، واستتمامك المعروف . القاسم بن معن المسعودى . قال : قلت لعيسى ابن موسى أيها الامير : ما انتفعت بك منذ عرفتك ، ولا أوصلت لى خيرا منذ صحبتك . قال : ألم أكلم لك أمير المؤمنين فى كذا وأسأله لك كذا . قال : قلت بلى . فهل استنجزت ماوعدت ، واستتممت ما أبدأت . قال : حال من دون ذلك أمور قاطعة ، وأحوال عاذرة . قلت : أيها الامير فما زدت على أن أنبهت العجز من رقدته ، وأثرت الحزن من ربضته ، ان الوعد اذا لم يشفعه انجاز يحققه ، كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لا روح فيه . وقال عبد الصمد ابن الفضل الرقاشى لخالد بن ديسم عامل الرى :

أخالد ان الرى قد أجحفت بنا * وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة * أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييئس طامعا * ولا ماؤها يأتى فيروى عطاشها

وقال سعيد بن سلم : وعد أبى بشارا العقيلى حين مدحه بالقصيدة التى يقول فيها :

ضنت بخد وجلت عن خد * ثم انثنت كالنفس المرتد

فكتب اليه بشار بالغد :

مازال مامنيتنى من همى * الوعد غم فاسترح من غمى
* ان لم ترد مدحى فراقب ذمى *

فقال له أبى : يا أبا معاذ هلا استنجحت الحاجة بدون الوعيد فاذ لم تفعل فتربص ثلاثا وثلاثا فانى والله مارضيت بالوعد حتى سمعت الابرش الكلبى يقول لهشام يا أمير المؤمنين لا تصنع الى

معروفا حتى تعدنى فانه لم يأتنى منك سبب على غير وعد الا هان على قدره وقل منى شكره . قال : له هشام لئن قلت ذلك لقد قاله سيد أهلك أبو مسلم الخولانى ان أوقع المعروف فى القلوب ، وأبرده على الاكباد ، معروف منتظر ، بوعد لا يكدره المطل . وكان يحيى بن خالد بن برمك : لا يقضى حاجة الا بوعد . ويقول : من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما . وقالوا : الخلف ألام من البخل لانه من لم يفعل المعروف لزمه ذم اللؤم وحده ومن وعد وأخلف لزمه ثلاث مذمات ذم اللؤم وذم الخلف وذم الكذب . وقال زياد الاعجم :

لله درك من فتى * لو كنت تفعل ما تقول
لا خير فى كذب الجوا * د وحبذا صدق البخيل

استبطأ حبيب الطائى الحسن بن وهب فى عدة وعدها اياه . فكتب اليه أبياتا يستعجله بها فبعث اليه بألف درهم وكتب اليه :

أعجلتنا فاتاك عاجل برنا * قلا ولو أخرته لم يقلل
فخذ القليل وكن كمن لم يسأل * ونكون نحن كاننا لم نفعل

وقال عبد الملك بن مالك الخزاعى : دخلت على أمير المؤمنين المهدى وعنده بن دأب وهو ينشد قول الشماخ :

وأبيض قد قد السفار قميصه * يجر الشواء بالعصا غير منضج
دعوت الى ما نابنى فأجابنى * كريم من الفتيان غير مزلج
فتى يعرى الساري ويروى سنانه * ويضرب فى رأس الكمى المدجج
فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة * ولا فى بيوت الحى بالمتولج

فرفع رأسه الى المهدى . وقال : هذه صفتك يا أبا العباس . فقلت : بك نلتها يا أمير المؤمنين قال : فانشدنى فأنشدته قول السموأل :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
اذا المرء أعيته المروأة يانعا * فمطلبها كهلا عليه ثقيل
تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

ونحــن أناس لانرى القتــل سـبة * اذا مارأته عامر وســلول
يقــرب حب المــوت آجالنالنا * وتكرهه آجالهم فتطــول
وماما ت منا ســيد حتف أنفــه * ولاطل منــا حيث كان قتيــل
تسيل على حــد السـيوف نفوسنا * وليست على غــير السيوف تسيل
وننكر ان شئنا على النـاس قــولهم * ولا ينكرون القول حــين نقــول
فنحن كماء المــزن مافى نصابنــا * كهام ولا فينا يعــد بخيــل *
وأســيافنا فى كل شرق ومغــرب * بهــا من قراع الدارعــين فــلول

فقال أحسنت : اجلس بهذا بلغتم سل حاجتك . قلت : يا أمير المؤمنين تكتب لى فى العطاء ثلاثين رجــلا من أهلى فرضى . قال : نعم على اذا وعــدت . فقلت : ياأمير المؤمنين انك متمكن من العدة وليس دونك حاجز عن الفعل فما معنى العدة . فنظر الى ابن دأب كانه يريدمنه كلاما فى فضل الموعد . فقال ابن دأب :

حلاوة الفعل بوعــد ينجز * لاخير فى الفعل كنهب ينهز

فضحك المهدى . وقال :

الفــعل أحسن ما يكو * ن اذا تقــدمه ضمان

وقال المهلب بن أبى صفرة : لبنيه يابنى اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا .

وقال الشاعر :

أروح بتسليمى عليك وأغتدى * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

وقال آخر :

كفاك مخــبرا وجهى بشــانى * وحسبك أن أراك وان ترانى
وماظــنى بان يغيبــه أمرى * ويعلم حاجتى ويرى مكانى

كتب العتابى : الى بعض أهل السلطان . أما بعد : فان سحاب وعدك قد أبرقت فليكن وبلها سالما من علل المطل والسلام . وكتب الجاحظ : الى رجل وعده . أما بعد : فان شجرة وعدك قد أورقت فليكن ثمرها سالما من جوائح المطل والسلام . وعد عبدالله بن طاهر : دعبلا بغلام فلما طال عليه تصدى له يوما وقد ركب الى باب الخاصة فلما رآه . قال : أسأت الاقتضاء وجهلت المأخذ ولم تحسن النظر . ونحن أولى بالفضل فلك الغلام والدابة كما نزل ان شاء الله فأخذ بعنانه

دعبل وأنشده :

يا جواد اللسان من غير فعل * ليت في راحتيك جود اللسان
عين مهران قد لطمت مرارا * فاتق ذا الجلال في مهران
عرت عينا فدع لمهران عينا * لا تدعه يطوف في العميان

قال : فنزل له عن دابته وأمر له بالغلام . وسأل خلف بن خليفة : أبان بن الوليد جارية فوعده بها وابطأت عليه فكتب اليه :

أرى حاجتي عند الامير كأنها * تهم زمانا عنده بمقام
وأحصر من اذ كاره ان لقيته * وشدق الحياء ملجم بلجام
أراها اذا كان النهار نسيئة * وبالليل تقضى عند كل منام
فيارب أخرجها فانك مخرج * من الميت حيا مفصحا بكلام
فتعلم ماشكري اذا ماقضيتها * وكيف صلاتي عندها وصيامي

وكتب أبو العتاهية الى رجل وعده بعدة ومطله بها :

لاجعل الله لي اليك ولا * عندك ماعشت حاجة أبدا
ماجئت في حاجة أسر بها * الا تثاقلت ثم قلت غدا

وكتب دعبل الى رجل وعده وعدا وأخلفه :

أحسبت أرض الله ضيقة * عني فأرض الله لم تضق
وجعلتني فقعا بقرقرة * فوطأتني وطأ على حنق
فاذا سألتك حاجة أبدا * فاضرب بها قفلا على غلق
وأعد لي غلا وجامعة * فاجمع يدي بها الى عنقي
ماأطول الدنيا وأوسعها * وأدلني بمسالك الطرق

ومن قولنا في رجل كتب الي بعدة في صحيفة ومطلني بها :

صحيفة طابعها اللوم * عنوانها بالجهل مختوم
اهدى لها الخلف في طيها * والمطل والتسويف واللوم
من وجهه نحس ومن قربه * رجس ومن عرفانه شوم
لا تهتضم ان بت ضيفا له * فخبزه في الجوف هاضوم

تكلمه الالحاظ من رقة * فهو بلحظ العين مكلوم

لاتأتدم شيأ على أكله * فانه بالجوع مأدوم

وقلت فيه :

صحيفة أفنيت ليت بها وعسى * عنوانها راحة الراجى اذا يئسا

وعدله هاجس فى القلب اذ برمت * أحشاء صدرى به من طول ماهجسا

براعة غرنى منها وميض سنا * حتى مددت اليها الكف مقتبسا

فصادفت حجر الوكنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا

كانما صيغ من بخل ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

وقلت فيه :

رجاء دون أقربه السحاب * ووعد مثل مالمع السراب

وتسويف بكل الصبر عنه * ومطل مايقوم له حساب

٧ — لطيف الاستمناح — قالت الحكماء : لطيف الاستمناح سبب النجاح والانفس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال وانقبضت وامتنعت بجفاء السائل كما قال الشاعر :

وجفوتنى فقطعت عنك فوائدى * كالدر يقطعه جفاء الحالب

وقال العتابى : ان طلبت حاجة الى ذى سلطان فأجمل فى الطلب اليه واياك والالحاح عليه فان الحاجة تكلم عرضك وتريق ماء وجهك فلا تأخذ منه عوضا لما يأخذ منك . ولعل الالحاح يجمع عليك أخلاق ماء الوجه وحرمان النجاح فانه ربما مل المطلوب اليه حتى يستخف بالطالب

وقال الحسن بن هانئ :

تأنّ مواعيد الكرام فربما * حملت من الالحاح سمحا على بخل

وقال آخر :

ان كنت طالب حاجة فتجمل * فيها باحسن ماطلبت وأجمل

ان الكريم أخا المروءة والنهى * من ليس فى حاجاته بمثقل

المدائنى . قال : قدم قوم من بنى أمية على عبد الملك بن مروان . فقالوا : ياأمير المؤمنين نحن ممن تعرف وحقنا مالاتنكر وجئناك من بعيد ونمت بقريب ومهما تعطنا فنحن أهله . دخل

عبـد الملك بن صالح . فقال : أسالك بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة . قال : بل بالقرابة والخاصة . قال : يداك يا أمير المؤمنين أطلق من لسانى بالمسئلة فاعطاه وأجزل له . ودخل أبو الريان على عبد الملك بن مروان : وكان عنده أثير افرآه خائرا . فقال : ياأباالريان مالك خائرا . قال : أشكو اليك الشرف ياأمير المؤمنـين . قال : كيف ذلك . قال : نسئل مالا نقدر عليه ونعتذر فلا نعذر . قال : عبد الملك ما أحسن ما استمنحت واستنورت ياأباالريان اعطوه كذا وكذا . العتابى قال : كتب الشعبي الى الحجاج يسأله حاجة فاعتل عليه فـكتب اليه الشعبي والله لا عذرتك وأنت والى العراق وابن عظيم القريتين فقضى حاجته وكان جد الحجاج لامه عروة بن مسعود الثقفى . العتبى قال : قدم عبد الله بن زرارة الكلابى على أمير المؤمنين معاوية . فقال : انى لم أزل أهز ذوائب الرحال اليك ، فلم أجد معوّلا الا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار ، وأسم المجاهـل بالآثار ، يقودنى اليك أمل ، وتسوقنى بلوى ، والمجتهد يعذر ، واذا بلغتك فقطنى . فقال : أحطط عن راحلتك . ودخل : كريز بن زفر بن الحرث على يزيد بن المهلب . فقال : أصلح الله الامير أنت أعظم من أن يستعان بك ويستعان عليك ولست تفعل من الخير شـيأ الا وهو يصغر عنك وأنت أكبر منه ، ولا العجب أن تفعل ، ولـكن العجب أن لا تفعل . قال : سل حاجتك . قال : حملت عن عشيرتى عشر ديات . قال : قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها . العتبى عن أبيه قال : أتى رجل الى حاتم الطائى . فقال : انها وقعت بينى وبين قوم ديات فاحتملتها فى مالى وأملى فقدمت مالى وكنت أملى فان تحملها عنى فرب هم قد فرجته ، وغم كفيته ، ودين قضيته ، وان حال دون ذلك حائل ، لم أذم يومك ، ولم أيأس من غدك ، فحملها عنه . المدائنى : قال : سأل رجل خالدا القسرى حاجة فاعتل عليه . فقال : له لقد سألت الامير من غير حاجة . قال : وما دعاك الى ذلك . قال : رأيتك تحب من لك عنده حسن بلاء فاردت أن أتعلق منك بحبل مودة فوصله وحباه وأدنى مكانه . الاصمعى قال : دخـل أبو بكر الهجرى على المنصور . فقال : يا أمير المؤمنين نغص فمى وأنتم أهل البيت بركة فلو أذنت لى فقبلت رأسك . قال : اخـترمنها أو من الجائزة . فقال : ياأمير المؤمنين ان أهون علىّ من ذهاب درهم من الجائزة أن لا تبقى حاكة فى فمى . فضحك المنصور وأمر له بجائزة . وذكروا : أن جاراً لابى دلف ببغداد لزمـه كبير دين فادح حتى احتاج الى بيع داره فساوموه بها فسالهـم ألفى دينار . فقالوا : له ان دارك تساوى خمسمائة . قال : وجوارى من أبى دلف بالف وخمسمائة فبلغ أبادلف فامره بقضاء دينـه . وقال : له

لاتبيع دارك ولا تنتقل من جوارنا * ووقفت : امرأة على قيس بن سعد بن عبادة . فقالت : أشكو اليك قلة الجرذان . قال : ما أحسن هذه الكناية، املؤا لها بيتها خبزا ولحما وسمنا .
ابراهيم بن أحمد عن الشيباني . قال : كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية اذا دخل دخل مستترا فكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت الخلافة اليه قدم عليه أزهر فرحب به وقرّبه . وقال له : ماحاجتك ياأزهر . قال : داري متهدمة وعليّ أربعة آلاف درهم وأريد لو أن ابني محمدا بنى بعياله، فوصله باثني عشر ألفا . وقال : قد قضينا حاجتك ياأزهر . فلا تأتنا طالبا فاخذها وارتحل ، فلما كان بعد سنة أتاه فلما رآه أبو جعفر . قال : ماجاء بك ياأزهر . قال : جئتك مسلما . قال: انه يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالبا . قال : ماجئت الا مسلما . قال : قد أمرنا لك باثني عشر ألفا واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما . فاخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه . فقال : ماجاء بك ياأزهر . قال: أتيت عائدا . قال : انه يقع في خلدي انك جئت طالبا . قال : ماجئت الا عائدا . قال : قد أمرنا لك باثني عشر ألفا، واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا . فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل . فقال : له ماجاء بك ياأزهر . قال : دعاء كنت أسمعك تدعو به ياأمير المؤمنين، جئت لاكتبه فضحك أبو جعفر . وقال : انه دعاء غير مستجاب وذلك اني قد دعوت الله به أن لا أراك فلم يستجب لي وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا وتعال متى شئت فقد أعيتني فيك الحيلة * أقبل اعرابي : الى داود بن المهلب . فقال: له اني مدحتك فاستمع . قال : على رسلك ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج . فقال قل : فان أحسنت حكمناك وان أسأت قتلناك فانشأ يقول :

أمنت بداود وجود يمينه * من الحدث المخشي والبؤس والفقر
فاصبحت لا أخشى بداود نبوة * من الحدثان اذ شددت به أزري
له حكم لقمان وصورة يوسف * وحكم سليمان وعدل أبي بكر
فتى تفرق الاموال من جود كفه * كما يفرق الشيطان من ليلة القدر

فقال: قد حكمناك . فان شئت على قدرك ، وان شئت على قدري . قال : بل على قدري فاعطاه خمسين ألفا . فقال له جلساؤه : هلا احتكمت على قدر الامير. قال: لم يك في ماله ما يفي بقدره . قال له داود أنت في هذه أشعر منك في شعرك . وأمر له بمثل ما أعطاه * الاصمعي قال : كنت عند الرشيد إذ دخل عليه ابراهيم الموصلي فانشده :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس الى ما تأمرين سبيلُ
فعالي فعال المكثرين تجملا * ومالي كما قد تعلمين قليل
فكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى * ورأي أمير المؤمنين جميل

فقال : لله أبيات تأتينا بها ما أحسن أصولها ، وأبين فصولها ، وأقل فُضُولها ، ياغلام اعطه عشرين الفا . قال : والله لا أخذتُ منها درهما . قال : ولم . قال : لان كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعري . قال : اعطوه أربعين ألفا . قال الاصمعي : فعلمت والله انه أصيد لدراهم الملوك مني * العتبي عن أبيه قال : قدم زيد بن مُنبه من البصرة على معاوية وهو أخو يعلى بن منبه صاحب الجمل جمل عائشة رضي الله عنها ومتولى تلك الحروب ورأس أهل البصرة . وكانت ابنة يعلى عند عُتبة بن أبي سفيان . فلما دخل على معاوية شكا دينه . فقال : يا كعب اعطه ثلاثين ألفا . فلما ولى . قال : وليوم الجمل ثلاثين ألفا . ثم قال له : الحق بصهرك ـ يعني عتبة ـ فقدم عليه مصر . فقال : اني سرت اليك شهرين ، أخوض فيهما المتالف . ألبس أردية الليل مرة ، وأخوض في لُجج السراب أخرى . مُوقرا من حسن الظن بك ، وهاربا من دهر قطم ، ومن دين أزم ، بعد غنى جدعنا به أنوف الحاسدين . فقال عتبة : ان الدهر أعاركم غنى وخلطكم بنا ثم استرد ما أمكنه أخذُه . وقد لكم منا ما لا ضيعة معه . وأنا رافع يدي ويدك بيد الله . فاعطاه ستين الفا كما أعطاه معاوية * ابراهيم الشّيباني قال قال عبد الله بن علي بن سُوَيد بن منجوف : أعدم أبي إعدامة بالبصرة وأبغض . فخرج الى خراسان فلم يصب بها طولا . فبيناهو يشكو تعذر الاشياء عليه اذ عدا غلامه على كسوته وبغلته فذهب بهما . فأتى أبا ساسان حُضين بن المنذر الرقاشي فشكا اليه حاله . فقال : والله يا ابن أخي ما عمك ممن يحمل محاملك ، ولعلي أن أحتال لك فدعى بكسوة حسنة فالبسني اياها . ثم قال : امض بنا فأتى باب والي خراسان فدخل وتركني بالباب . فلم البث أن خرج الحاجب . فقال : أين علي بن سُوَيد . فدخلت الى الوالي فاذا حُضين على فراش جنبه فسلمت على الوالي فرد عليّ . ثم أقبل عليه حضين . فقال : أصلح الله الامير هذا علي بن سويد بن منجوف سيد فتيان بكر بن وائل وابن سيد كهولها . وأكثر الناس مالا حاضرا بالبصرة وفي كل موضع ملكت به بكر بن وائل مالا . وقد تجمل بي الى الامير في حاجة . قال : هي مقضيّة . قال : فانه يسألك أن تمد يدك من

ماله ومراكبه وسلاحه الى ما أحببت . قال : لا والله لا أفعل ذلك به، نحن أولى بزيادته . قال : فقد أعفيناك من هذه اذ كرهتها فهو يسألك أن تحمّله حوائجك . قال : ان كانت حاجة فهو فيها ثقة . ولكن أسألك أن تكلمه فى قبول معاونة منا فانا نحب أن يُرى على مثله من أثرنا . فاقبل علىّ فقال : ياأبا الحسن عزمت عليك أن لا ترد على عمك شيئاً أكرمك به، فسكت . قال : فد عالى بمال ودواب وكساو رقيق . فلما خرجت قلت : أباساسان لقد أوقفتنى على خطة ما وقفت على مثلها . قال : اذهب اليك يابن أخى فعمك أعلم بالناس منك . ان الناس ان علموا الك غِرارة من مال حَشَوا لك أخرى، وان يعلموك فقيرا تعدوا عليك مع فقرك * ابراهيم الشيبانى قال : ولد لابى دلامة ابنة ليلا فأوقد السراج وجعل يخيط خريطة من شقيق . فلما أصبح طواها بين أصابعه وغدا بها الى المهدى فاستأذن عليه وكان لا يحجب عليه فانشده :

لو كان يقعدُ فوقَ الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا من شعاع الشمس فى درج * الى السماء فانتم أكرم الناس

قال له المهدى : أحسنت والله أبا دلامة فما الذى غدا بك الينا . قال : ولدت لى جارية ياأمير المؤمنين . قال : فهل قلت فيها شعرا . قال نعم قلت :

فما ولدتك مريم أم عيسى * ولم يكفلك لقمان الحكيم

ولكن قد تضمّك أم سوء * الى لباتها وأبٌ لئيم

قال فضحك المهدى . قال : فما تريد أن أعينك به فى تربيتها أبا دلامة . قال : تملأ هذه ياأمير المؤمنين وأشار اليه بالخريطة بين أصبعيه . فقال المهدى : وما عسى أن تحمل هذه . قال : من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير ، فامر أن تملأ مالا فلما نشرت أخذت عليهم صحن الدار فدخل فيها أربعة آلاف درهم * وكان المهدى قد كسا أبا دلامة ساجا فاخذ به وهو سكران فاتى به الى المهدى فامر بتمزيق الساج عليه وأن يحبس فى بيت الدجاج . فلما كان فى بعض الليل وصحا أبو دلامة من سكره ورأى نفسه بين الدجاج ، صاح ياصاحب البيت فاستجاب له السجان قال : مالك ياعدوّ الله . قال : ويلك من أدخلنى مع الدجاج . قال : أعمالك الخبيثة أتى بك أمير المؤمنين وأنت سكران فامر بتمزيق ساجك وحبسك مع الدجاج . قال له : ويلك ارقب لى سراجا وجئنى بدواة وورق . فكتب أبو دلامة الى المهدى :

أمن صهباء صافية المزاج * كأن شعاعها لهبُ السراج
تهش لها النفوسُ وتشتهيها * اذا برزت ترقرقُ فى الزجاج
أمير المؤمنين فدتك نفسى * علام حبستنى وخرقت ساجى
أقادُ الى السجون بغير ذنب * كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لهان ذاكم * ولكنى حبست مع الدجاج
دجاجات يُطيفُ بهنّ ديك * ينادى بالصياح اذا يناجى
وقد كانت تخبرنى ذنوبى * بأنى من عذابك غير ناجى
على أنى وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجى

ثم قال : أوصلها الى أمير المؤمنين . فاوصلها اليه السجان . فلما قرأها أمر باطلاقه وأدخله عليه . فقال له : أين بت الليلة أبادلامة . قال : مع الدجاج يا أمير المؤمنين . قال : فما كنت تصنع . قال : كنت أقوقى معهن حتى أصبحت . فضحك المهدى وأمر له بصلة جزيلة وخلع عليه كسوة شريفة * وكتب أبودلامة الى عيسى بن موسى وهو والى الكوفة رقعة فيها هذه الابيات :

اذا جئت الامير فقل سلامٌ * عليك ورحمة الله الرحيم
فأمّا بعد ذاك فلى غريم * من الانصار قبّح من غريم
لزوم ماعلمتُ لباب دارى * لزومَ الكلب أصحاب الرقيم
له مائة علىّ ونصف أخرى * ونصف النصف فى صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بنى تميم

قال : فبعث اليه بمائة ألف درهم * ولقى أبودلامة أبادُلف فى مصاده وهو بالعراق ، فاخذ بعنان فرسه وأنشده :

انى حلفتُ لئن رأيتك سالما * بقُرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلّينّ على النبى محمد * ولتملأنّ دراهما حجرى

فقال : أما الصلاة على النبى محمد فصلى الله عليه وسلم . وأما الدراهم فلما نرجعُ ان شاء الله تعالى . قال له : جُعلتُ فداك لا تفرّق بينهما فاستلفها وصبّت فى حجره حتى أثقلته * ودخل أبودلامة على المهدى فانشده أبياتا أعجبَ بها . فقال له : سلنى أبادلامة واحتكم وأفرط ماشئت . فقال : كلبٌ يا أمير المؤمنين أصطاد به . قال : قد أمرنا لك بكلب وهاهنا بلغت

أمنيّتك . قال : لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين فانه بقي عليّ . قال : ومابقي عليك . قال : غلام يقودُ الكلب . قال : وغلام يقود الكلب . قال : وخادم يطبخ الصيد . قال : وخادم يطبخ الصيد . قال : ودار نسكنها . قال : ودار تسكنها . قال : وجارية تأوي اليها . قال : وجارية تأوي اليها . قال : قد بقي الآن المعاش . قال : قد أقطعناك ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة . قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين . قال : التي لا تعمر . قال : انا اقطع أمير المؤمنين خمسين ألفا من فيافي بني أسد . قال : قد جعلتها كلها لك عامرة . قال : فيأذن لي أمير المؤمنين في تقبيل يده . قال : أما هذه فدعها . قال : مامنعتني شيأ أيسر على أم ولدي فقدامنه

ودخل أبودلامة على أبي جعفر المنصور يوما وعليه قلنسُوة طويلة . وكان قد أخذ أصحابه بلباسها وأخذهم بلباس درار يع عليها مكتوب بين كتفي الرجل : « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » . وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم . فدخل عليه أبودلامة في ذلك الزيّ . فقال له : كيف أصبحت أبادلامة . قال : بشرِّ حال يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك ويلك ؟ قال : وماظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه في وسطه ، وسيفهُ على استه ، ونبذ كتاب الله وراء ظهره . قال فضحك أبو جعفر وأمر بتغيير ذلك . وأمر لابي دلامة بصلة . وأوصل أبودلامة ، الى العباس بن منصور رقعة فيها هذه الابيات :

قف بالديار وأيّ الدهر لم تقف * على منازل بين السهل والنجف
وما وقوفُك في أطلال منزلة * لولا الذي استحدثتْ من قلبك الكلف
ان كنت أصبحت مشغوفا بجارية * فلا وربك لا يَشفيك من شَغَف
ولا يزيدك الا العلّ من أسف * فهل لقلبك من صبر على الاَسف
هذي مقالة شيخ من بني أسد * يهدي السلام الى العباس في الصحف
خطّه من بوادي المصر كاتبة * قد طالما ضَرَبتْ في اللام والالف
وطالما اختلفتْ صيفا وشاتية * الى مُعلمها باللوح والكتف
حتى اذا ما استوى الثديان وامتلأت * منها وخيفت على الاشراف للعرف
صينت ثلاث سنين ما ترى أحدا * كما تصان ببحر درة الصدف
بينا الفتى يمشي نحو مسجده * مبادراً لصلاة الصبح بالسّدف
حانت له نظرة منها فأبصرها * مطلّة بين سجفيها من الغرف

نخر فى الترب ما يدرى غداة اذ * أخر منكشفا أو غير منكشف
* وجاءه القوم أفواجا بمائهم * لينضحوا الرُّجلَ المغشى بالنطف
فوسوسوا بقران فى مسامعه * خوفا من الجن والانسان لم يخف
شيئاً ولكنه من حب جارية * أمسى وأصبح من موت على شرف
قالوا لك الخير ما أبصرتَ قلتُ لهم * جنيّة أقصدتنى من بنى خلف
أبصرتُ جارية محجوبة لهمُ * تطلعت من أعالى القصر ذى الشرف
فقلت من أيّكمْ والله يأجُرُهُ * يعيرُ قوّته منى الى ضُعف
* فقام شيخ زهىٌّ من تجارهمُ * قد طالما خدعَ الاقوام بالحلف
فابتاعها لى بألفى أحمرٍ فغدا * بها الى فألقاها على كتفى
فبت ألثمها طورا وألثمنى * طورا ونفعل بعضَ الشىء فى اللحف
بتنا كذلك حتى جاء صاحبها * يبغى الدنانير بالميزان ذى الكفف
وذكر حق على زندو كيف به * والحق فى طرف والعين فى طرف
وبين ذاك شهودٌ ما أبال بهم * أكنت معترفا أم غير معترف
فان تصلنى قضيتُ القومَ حقّهم * وان تقل لا لحق القوم فى تلف

فلما قرأ العباس الابيات . أعجب بها واستظرفها وقضى عنه ثمن الجارية . واسم أبى دلامة زند * ابراهيم بن المهدى : قال لى جعفر بن يحيى يوما انى استأذنت أميرَ المؤمنين فى الحجامة وأردت ان اخلو وأفر من أشغال الناس وأتروّح فهل أنت مساعدى . قلت : جعلنى الله فداك أنا أسعدُ الناس بمساعدتك وآنس بخالاتك . قال : بكرْ الى بكور الغراب . قال : فأتيت عند الفجر الثانى فوجدت الشمعة بين يديه وهو قاعد ينتظرنى للميعاد . قال : فصلينا ثم أفضنا فى الحديث حتى جاء وقت الحجامة فأتى بحجام فحجمنا فى ساعة واحدة ثم قدم الينا طعام فطعمنا . فلما غسلنا أيدينا خلع علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وظللنا بأسر يوم مر بنا . ثم انه ذكر حاجة فدعا الحاجب . فقال : اذا جاء عبد الملك القهرمانى فائذن له . فنسى الحاجب وجاء عبد الملك ابن صالح الهاشمى على جلالته وسنه وقدره وأدبه فاذن له الحاجب . فما راعنا الا طلعة عبد الملك فتغير لذلك جعفر بن يحيى وتنغص عليه ما كان فيه . فلما نظر عبد الملك اليه على تلك الحالة دعا غلامه فدفع اليه سيفه وسواده وعمامته ثم جاء ووقف على باب المجلس . وقال : اصنعوا بى

ماصنعتم بأ نفسكم . قال: فجاء الغلام فطرح عليه ثياب المنادمة ودعابالطعام فطعم ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثا ثم . قال: ليخفف عني فانه شيء ماشربته قط فتهلل وجه جعفر وفرح . وكان الرشيد قد عتب على عبد الملك بن صالح و وجد عليه . فقال : له جعفر بن يحيي جعلني الله فداك قد تفضلت وتطولت وأسعدت . فهل من حاجة تبلغها مقدرتي، أو تحيط بها نعمتي، فاقضيها لك مكافأة لما صنعت . قال: بلى . ان قلب أمير المؤمنين عاتب علي فسله الرضا عني . قال: قد رضي عنك أمير المؤمنين . ثم قال: علي أربعة آلاف دينار . قال : حاضرة ولكن من مال أمير المؤمنين أحب لك . قال : وابني ابراهيم أحب أن أشد ظهره بصهر من أولاد أمير المؤمنين . قال : قد زوجه أمير المؤمنين عائشة . قال: وأحب أن تخفق الالوية على رأسه . قال: قد ولاه أمير المؤمنين مصر . قال وانصرف عبد الملك ونحن نعجب من اقدامه على قضاء الحوائج من غير استئذان أمير المؤمنين . فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر . فلم نلبث ان دعا بأبي يوسف القاضي ومحمد ابن الحسن وابراهيم بن عبد الملك . فعقد النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر . وخرج جعفر فأشار الينا . فلما صار الى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله . فالتفت الينا . فقال: تعلقت قلوبكم بأول أمر عبد الملك فأحببتم معرفة آخره . واني لما دخلت على أمير المؤمنين مثلت بين يديه وابتدأت القصة من أولها فجعل يقول أحسن والله أحسن والله فما صنعت . فاخبرته بما سأل وبما أجبته به . فجعل يقول في ذلك أحسنت أحسنت وخرج ابراهيم واليا على مصر * وقدم : رجل على ملك من ملوك الاكاسرة فمكث ببابه حينا لا يصل اليه فتلطف في رقعة أوصلها اليه وفيها أربعة أسطر، في السطر الاول: الضر والامل أقدماني عليك . والسطر الثاني: الفقر لا يكون معه صبر . السطر الثالث : الانصراف بلا فائدة فتنة وشماتة للعدو . والسطر الرابع: فاما نعم مثمرة واما لا مريحة . فلما اقرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها . وقد دخل رجل من الشعراء على يحيي بن خالد بن برمك فأنشده

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيي بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني عن والد بعد والد

فامر له بعشرة آلاف . ودخل اعرابي على خالد بن عبد الله القسري فانشده :

أخالد اني لم أزرك لخلة * سوى أنني عاف وأنت جواد

أخالد بين الحمد والاجر حاجتي * فايهما تأتي فانت عماد

فامر له بخمسة آلاف درهم . ومن قولنا فى هذا المعنى ودخلت على أبى العباس القائد فانشدته :

الله جرّد للندى والباس * سيفا فقلده أبا العباس
ملك اذا استقبلت غرة وجهه * قبض الرجاء اليك روح الياس
و به عليك من الحياء سكينة * ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

ثم سألته حاجة فيها بعض الغلظ فتلكأ على . فاخذت سحاة من بين يديه فوقعت فيها على البديهة

ماضر عندك حاجتى ماهزها * عذرا اذا أعطيت نفسك قدرها
انظر الى عرض البلاد وطولها * أولست أكرم أهلها وأبرها
حاشى لجودك أن يوعّر حاجتى * ثقتى بجودك سهلت لى وعرها
لايجتنى حلو المحامد ماجد * حتى يذوق من المطالب مرها

فقضى الحاجة وسارع اليها . وأبطأ عبد الله بن يحيي عن الديوان . فارسل اليه المتوكل يتعرف خبره فكتب اليه :

عليل من مكانين * من الافلاس والدين
ففى هذين لى شغل * وحسبى شغل هذين

فبعث اليه بألف دينار * عبد الله بن منصور . قال : كنت يوما فى مجلس الفضل بن يحيي فاتاه الحاجب . فقال : ان بالباب رجلا قد أكثر فى طلب الاذن و زعم أن له يدا يمت بها . فقال : ادخله . فدخل رجل جميل رث الثياب فسلم فاحسن فاوما اليه بالجلوس فجلس . فلما علم انه قد انطلق وأمكنه الكلام . قال له : ماحاجتك . قال له : قداعربت رثاثة هيئتى وضعف طاقتى . قال : أجل فما الذى تمت به . قال : ولادة تقرب من ولادتك ، وجوار يدنو من جوارك ، واسم مشتق من اسمك . قال : أما الجوار فقد يمكن أن يكون كما قلت وقد يوافق الاسم الاسم ولكن ماعلمك بالولادة . قال : أعلمتنى أمى انها لما وضعتنى . قيل : انه ولد الليلة ليحيي ابن خالد غلام وسمى الفضل فسمتنى فضيلا اعظاما لاسمك ان تلحقنى بك . فتبسم الفضل وقال : كم أتى عليك من السنين ؟ . قال : خمس وثلاثون قال صدقت . هذا المقدار الذى أتيت عليه فما فعلت أمك . قال : توفيت رحمها الله . قال : فما منعك عن اللحوق بنا فيما مضى . قال : لم أرض نفسى للقائك فى عامية وحداثة تقعدنى عن لقاء الملوك . قال : ياغلام اعطه لكل عام من سنيه ألفا واعطه من كسوتنا ومراكبنا مايصلح له . فلم يخرج من الدار الا وقد طاف به اخوانه وخاصة

أهله*وكتب حبيب الطائى الى احمد بن أبى دؤاد :

اعـلم وأنت المرء غـير معلم * وافهم جعلت فداك غير مفهم
ان اصطناع العرف مالم توله * مستكملا كالثوب مالم يعـلم
والشـكر مالم يستتر بصنيعة * كالخط تقرؤه وليس بمعجم
و يفوتنى فى القول اكثار وقد * أسرجت فى كرم الفعال فألجم

وقال دعبل فى طاهر بن الحسين :

أيا ذا اليمينـين والدعوتين * ومن عنده العرف والنائل
أترضى لمثـلى فتى ان يقـيم * ببـابك مطرح خامـل
رضيت من الود والعائدات * ومن كل ما أمل الآمـل
بتسليمـة بين خمس وست * اذا ضمك المجلس الحافل
وما كنت أرضى بذا من سواك * أيرضى بذا رجـل عاقـل
وان ناب شغل فنى دون ما * تدبره شـغل شاغـل
عليك السـلام فانى امرؤ * اذا ضاق بى بلد راحـل

ونظر زياد الى رجـل من ضبة يأكل أكلا قبيحا وهو أقبح الناس وجها . فقـال : ياأخاضبة كم عيالك قال سبع بنات أنا أجمـل منهن وهن آكل منى فضحك زياد . وقال : لله درك ما ألطف سؤالك افرضوا لكل واحـدة منهن مائة وخادما وعجلوا لهن بارزاقهن فخرج الضبي وهو يقول :

اذا كنت مرتاد السماحة والندى * فنـاد زيادا أو أخاً لزياد
يجبك امرؤ يعطى على الحمد ماله * اذا ضن بالمعروف كل جـواد
ومالى لا أثنى عليـك وانما * طريفى من معروفكم وتلادى

و وقف دعبـل ببعض أمراء الرقة فلما مثل بين يديه . قال : أصلح الله الامـير انى لا أقول كما قال صاحب معن :

بأى الخلتين عليك أثنى * فانى عند منصرفى مسول
أبالحسنى وليس لها ضياء * علىّ فمن يصـدّق ما أقول
أم الأخرى ولست لها باهل * وأنت لـكل مكرمةٍ فعول .

ولكنني أقول :

ماذا أقول اذا أتيت معاشري * صفرا يدي من عند أروعَ مجزل
ان قلت أعطاني كذبت وان أقل * ضنّ الأمير بماله لم يجمل
ولانت أعلم بالمكارم والعلا * من أن أقول فعلتَ مالم تفعل
فاختر لنفسك ماأقول فانني * لابد مخبرُهم وان لم أسئل

قال له : قاتلك الله وأمر له بعشرة آلاف درهم * العتبي قال : دخل ابن دعبل على بشر بن مروان لما ولي الكوفة فقعد بين السماطين . ثم قال : أيها الامير اني رأيت رؤيا فأذن لي في قصصها . فقال : قل . فقال :

أغفيت قبل الصبح نوم مسهّد * في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت انك رُعتني بوليدةٍ * مغنوجة حسنٌ على قيامها
وببدرة حُملتْ اليّ وبغلة * شهباء ناجيةٍ يصرُّ لجامها

قال له : بشر بن مروان كل شيء رأيت فهو عندي الا البغلة فانها دهماء فارهة . قال : امرأتي طالقٌ ثلاثا ان كنت رأيتها الا دهماء الا اني غلطت * الشيباني : عن البطين الشاعر قال : قدمت على علي بن يحيي الارميني فكتبت اليه :

رأيت في النوم اني راكب فرسا * ولي وصيف وفي كفي دنانير
فقال قوم لهم حذق ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تعبير
رؤياك فسر غدا عند الامير تجد * تعبير ذاك وفي الفال التباشير
فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا * وعند مثلك لي بالفعل تبشير

قال : فوقع لي في أسفل كتابي « أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين » . ثم أمر لي بكل شيء ذكرته في أبياتي ورأيته في منامي . وقال بشار العقيلي :

حتى متى ليت شعري ياابن يقطين * أثني عليك بمالا منك توليني
أما علمت جزاك الله صالحة * عني وزادك خيرا ياابن يقطين
اني أريدك للدنيا وزينتها * ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال آخر في مثل هذا المعنى :

ياابن العلاء ويا ابن القرم مرداس * اني لاطريك في أهلي وجلاسي
أثني عليك ولي حال تكذبني * فيما أقول فاستحيي من الناس

حتى اذا قيل ما أعطاك من صفدٍ * طأطأت من سوء حالى عندها راسى

٨ — الأخذ من الأمراء — حدثنا جعفر بن محمد عن يزيد بن سمعان عن عبد الله ابن ثور عن عبد الحميد بن وهب عن أبى الحلال . قال : سألت عثمان بن عفان عن جائزة السلطان فقال : لحم طرى ذكى * جعفر بن محمد : عن يحيى بن محمد العامرى عن المعتمر عن عمران بن جرير . قال : انطلقت أنا و رجل الى عكرمة فرأى الرجل عليه عمامة متخرقة . فقال الرجل : عندنا عمائم ألا نبعث اليك بعمامة منها . قال عكرمة : انا لا نقبل من الناس شيأ انما نقبل من الامراء * وقال هشام بن حسّان : رأيت علّى الحسن البصرى خميصة لها أعلام يصلى فيها أهداها اليه مَسلمة بن عبد الملك * وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس خفّين أسودين اهداهما اليه النجاشى صاحب الحبشة * وقال نافع : كان عبد الله بن عمر يقبل هدايا أهل الفتنة مثل المختار وغيره * ودخل مالك بن أنس على هرون الرشيد فشكا اليه ديناً لزمه * فامر له بألف دينار عين فلما وضع يديه للقيام . قال : يا أمير المؤمنين و زوجت ابنى محمدا فصار على فيه ألف دينار قال : ولابنه محمد ألف دينار . قال : فلقد مات مالك وتركها لوارثه فى مزود * وقال الاصمعى : حدثنى اسحاق بن يحيى بن طلحة . قال : كان الربيع بن خَيثم فى ألف ومائة من العطاء فكلم فيه معاوية فالحقه بألفين فلما حضر العطاء نودى الربيع بن خيثم فقيل له فى ألفين فقعد فنظروا فوجدوا على اسمه مكتوبا كلم فيه اسحق بن يحيى بن طلحة أمير المؤمنين فالحقه بالفين * وقال رجل لابراهيم بن أدهم : يا أبا اسحاق كنت أريد أن تقبل منى هذه الجبة كسوة . قال : ان كنت غنيا قبلتها منك وان كنت فقيرا لم أقبلها منك . قال : فانى غنى . قال : وكم مالك . قال : ألفا دينار . قال : فانت تودُّ أنها أربعة آلاف . قال : نعم . قال : فانت فقير لا أقبلها منك * وأمر ابراهيم بن الاغلب المعروف بزيادة الله بمال يقسم على الفقهاء . فكان منهم من قبل ومنهم من لم يقبل فكان أسد بن الفرات فيمن قبل فجعل زيادة الله يغمصُ على كل من قبل منهم فبلغ ذلك أسد بن الفرات . فقال : لا عليه انما آخذ نا بعض حقوقنا والله سائله عما بقى * وقد فخرت العرب باخذ جوائز الملوك وكان من أشرف ما يتمولونه . فقال ذو الرمة :

وما كان مالى من تراثٍ وَرِثته * ولا ديةٍ كانت ولا كسب مأثم

ولكن عطاء الله من كل رحلة * الى كل محجوب السُّرادق خضرم

وقال آخر : يهجو مروان بن أبى حفصة و يعيبه بأخذه من العامة و يفخر بانه لا يأخذ الا من

الملوك فقال :

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن * مقسّمة من هؤلا وأولئكا
وما نلت حتى شبت الا عطيّة * تقوم بها مضرورة فى ردائكا

٩ — تفضيل بعض الناس على بعض فى العطاء — ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الفقراء . فقال : ان سعيد بن خذيم منهم فاعطاه ألف دينار . وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أعطيت فأغن * وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من العرب فاعطاهم وفضّل رجلا منهم فقيل له فى ذلك . فقال : كل القوم عيال عليه * وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين المؤلفة قلوبهم فاعطى الاقرع بن حابس التيمى . وعيينة بن حصن الفزارى مائة من الابل . وأعطى العباس بن مرداس السُّلمى خمسين فشق ذلك عليه . فقال : أبياتاً فأتاه بها وأنشده اياها فقال :

أيذهب نهبي ونهب العبيـ * ـد بين عيينةَ والاقرع
وما كان حصنٌ ولا حابس * يفوقان مرداسَ فى مجمع
وما كنت غيرَ امرئٍ منهم * ومن تضع اليومَ لم يرْفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال اقطعْ عنى لسان العباس فاعطاه حتى أرضاه * وقال صفوان بن أمية : لقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خلقَ الله خلقاً أبغضَ الى منه فما زال يعطينى حتى ما خلقَ الله خلقاً أحبّ الى منه وكان صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم

١٠ — شكر النعمة — سليمان التيمى . قال : ان الله أنعم على عباده بقدْر قدرَته ، وكلفهم من الشكر بقدْر طاقتهم * وقالوا مكتوب فى التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرَك . وقالوا : كفرُ النعمة يوجب زوالها ، وشكرها يوجب المزيد فيها * وقالوا : من حمدك فقد وفاك حق نعمتك * وجاء فى الحديث من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره ، وقال : عبد الله بن عباس لو أن فرعون مصر أسدى الىّ يدا صالحة لشكرته عليها * وقالوا : اذا قصرت يداك عن المكافاة ، فليطل لسانك بالشكر * وقالوا : ما نحل الله تعالى عباده شيأ أقلّ من الشكر واعتبر ذلك بقول الله عز وجل « وقليل من عبادى الشكور » * محمد بن صالح الواقدى . قال دخلت على يحيى بن خالد البرمكى . فقلت : ان ههنا قوما جاؤا يشكرون لك معروفا . فقال :

يامحمد هؤلاء يشكرون معروفاً فكيف لنا شكرهم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبده نعمة فرأى عليه أثرها الا كتب حبيب الله شاكراً لأنعمه ، وما أنعم الله على عبده نعمة فلم يرأثرها عليه الا كتب بغيض الله كافراً لأنعمه * وكتب عدى بن أرطاة الى عمر بن عبد العزيز . انى بارض كثرت فيها النعم وقد خفت على من قبلى من المسلمين قلة الشكر والضعف عنه . فكتب اليه عمر رضى الله عنه ان الله تعالى لم ينعم على قوم نعمة فحمدوه عليها الا كان ما أعطوه أكثر مما أخذوا منه . واعتبر ذلك بقول الله تعالى : «ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله» . فاى نعمة أفضل مما أوتى داود وسليمان * وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها تنشد أبيات زهير بن جناب :

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه * يوماً فتدركه عواقب ماجنى

يجزيك أو يثنى عليك فان من * أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي عليه الصلاة والسلام صدق ياعائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس * قال أنشدنى الرياشى :

اذا أنالم أشكر على الخير أهله * ولم أذمم النحس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لى الله المسامع والفما

وأنشدنى فى الشكر :

ساشكر عمراً ما تراخت منيتى * أيادى لم تمنن وإن هى جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

١١ — قلة الكرام فى كثرة اللئام — قال النبي صلى الله عليه وسلم : الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة * وقالت الحكماء : الكرام فى اللئام كالغرة فى الفرس * وقال الشاعر :

تفاخرنى بكثرتها قريط * وقلى والد الحجل الصقور

فان أك فى شراركم قليلا * فانى فى خياركم كثير

بغاث الطير أكثرها فراخا * وأم الصقر مقلات نزور

السموأل :

تعيرنا أنا قليل عديدُنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا انا قليلٌ وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقال حبيب :

ولقد يكون ولا كريم تناله * حتى تخوضَ اليه ألفَ لئيم

وقال ابن أبي حازم :

وقالوا لو مدحتَ فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم

بلوت ومرَّ بى خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم

فلا أحد يعدّ ليوم هول * ولا أحد يعول على عديم

وقال دعبل :

ماأكثر الناسَ لا بل ماأقلّهم * والله يعلم انى لم أقل فندا

انى لأغلقُ عينى ثم أفتحها * على كثير ولكن ماأرى أحدا

وأحسن ماقيل فى هذا المعنى قول حبيب الطائى :

ان الجياد كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قلٌّ وان كثروا

لا يدْهمنّك من دهمائهم عجبٌ * فانّ جُلهمُ أو كلهمْ بقر

وكلما أضحت الاخطار بينهم * هلكى تبين من أضحى له خطرُ

لولم تصادفْ شياه البهم أحمدَها * فى الحمد لم يمدح الاوضاح والغرر

١٢ — من جاد أولا وضن آخرا — نزل اعرابى برجل من أهل البصرة ، فاكرمه وأحسن اليه ثم أمسك . فقال الاعرابى :

تسرَّى فلما جاشب المرء نفسه * رأى انه لا يستقيم له السرر

وكان يزيد بن منصور يجرى لبشار العقيلى وظيفة فى كل شهر . ثم قطعها عنه فقال :

أباخالد مازلتَ سابح غمرةٍ * صغيرا فلما شبتَ خيّمتَ بالشاطِ

جريتَ زمانا سابقا ثم لم تزلْ * تأخرُ حتى جئتَ تقطو مع القاطى

كسنّورِ عبد الله بيعَ بدرهم * صغيرا فلما شبَّ بيعَ بقيراط

وقال مسلم بن الوليد صريع الغوانى لمحمد بن منصور بن زياد :

أباحسن قد كنتَ قدَّمتَ نعمة * وألحقتَ شُكراً ثم أمسكتَ وانيا

فلا ضير لم تلحقك مني ملامة * أسأت بنا عوداً وأحسنت باديا
فاقسم لا أجزيك بالسوء مثله * كفى بالذي جازيتني لك جازيا

١٣ من ضن أولا ثم جاد آخرا — قدم الحرث بن خالد المخزومي على عبد الملك فلم يصله، فرجع وقال فيه:

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي ألومها
حبست عليك النفس حتى كأنما * بكفيك تجري بؤسها ونعيمها

فبلغ قوله عبد الملك، فارسل اليه فرده وقال: أرأيت عليك غضاضة من مقامك ببابي. قال: لا ولكني أشتقت الى أهلي ووطني ووجدت فضلا من القول فقلت وعليّ دين لزمني. قال: وكم دينك. قال: ثلاثون ألفا. قال: فقضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة. قال: بل ولاية مكة. فولاه اياها * وقدم الحطيئة المدينة فوقف الى عنبسة. فقال: مالك عندي حق فاعطيكه، ومافي مالي فضل عن عيالي فاعود به عليك. فخرج عنه مغضباً وعرفه به جلساؤه فامر برده. ثم قال له: ياهذا انك وقفت الينا فلم تستأنس، ولم تسلم وكتمتنا نفسك. كانك الحطيئة. قال: هو ذلك. قال: اجلس فلك عندنا كل ما تحب. قال له: من أشعر الناس. قال الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال لوكيله: خذ بيد هذا فامض به الى السوق فلا يشيرن الى شيء الا اشتريته له. فمضى معه الى السوق فعرض عليه الخز والقز فلم يلتفت الى شيء منه وأشار الى الكرابيس والقطن فاشترى له منها حاجته. ثم قال: امسك. قال: فانه قد أمرني ان أبسط يدي بالنفقة. قال: لا حاجة لي ان يكون له علي قوي يد أعظم من هذه. ثم أنشا يقول:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد
وانت امرؤ لا الجود منك سجية * فتعطي وقد يعدي على النائل الوجد

١٤ — من مدح أميرا فخيبه — قال سعيد بن سلم مدحني اعرابي فابلغ. فقال:

ألا قل لساري الليل لا تخش ضلة * سعيد بن سلم نور كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد * جواد حثى في وجه كل جواد

قال فتأخرت عنه قليلا فهجاني فابلغ. فقال:

لكل أخي مدح ثواب علمته * وليس لمدح الباهلي ثواب

مـدحتُ سعيدا والمديح مَهَزَّة * فـكان كصفوان عليـه تراب

ومدح الحسن بن رجاء أبادلف فلم يعطه شيأ . فقال :

أبادلف ما أكذبُ الناسِ كلّهم * سوايَ فانى فى مديحك أكذَب

وقال آخر فى مثل هذا المعنى :

انى مدحتـك كاذبا فأثبتنى * لما مدحتُك ما يثابُ الكاذب

وقال آخر فى مثل هذا المعنى :

لـئن أخطأت فى مـدحـك ما أخطأتَ فى منـعى

لقـد أحللتُ حاجاتى * بوادٍ غـير ذى زرع

ومـدح حبيب الطائى عياش بن لهيعـةَ وقدم عليه مصر واستسلفه مائتى مثقال . فشاور فيه زوجته فقالت له: هو شاعر يمدحك اليوم . و يهجوك غدا ، فاعتلّ عليه واعتذر اليه ولم يقض حاجته فقال فيه :

عياش انك للئيمُ وانى * مذ صرت موضعَ مطلبي للئيم

ثم هجاه حتى مات وهجاه بعد موته . فقال فيه :

لا أسقيَتْ أطـلالك الدائره * ولا انقضت عـثرتُك العاثره

ياأســد المـوت تخلّصـته * من بين فـكىْ أسـدِ القاهره

ومن قولنا فى هذا المعنى وسألت بعض موالى السلطان اطلاق محبوس فتلـكأ فيه . فقلت :

حاشا لمثـلك أن يفُـك أسـيرا * أو أن يكون مـن الزمان مجـيرا

لبست قوافى الشعر فيك مـدارعا * سوداوضلَّتْ أوجُها وصـدورا

هـلا عطفت برحمـة لمّادعت * و يلا عليـك مـدامحى وثبورا

لوانّ لؤمـك عاد جودا عُشرُهُ * ما كان عنـدك حاتم مذكورا

قال ومدح ربيعـة الرّقىّ يزيد بن حاتم الازدى وهو والى مصر فاستبطأه ربيعة . فشخص عنه من مصر وقال :

أرانى ولا كفران لله راجعا * بخُفى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فارسل فى طلبه فرداليه فلما دخل عليه . قال له : أنت القائل ؟

* أرانى ولا كفران لله راجعا * قال : نعم . قال : فهل قلت غير هذا ؟ قال لا والله .

قال : لترجعنّ بخفى حنين مملوأة مالا . فامر بخلع نعليه وملئت له مالا . فقال فيه لما عزل عن مصر وولى يزيد بن حاتم السُّلمى مكانه :

بكى أهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاغر بن حاتم

وفيها يقول :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سُليم والاغرّ بن حاتم

فهم الفتى الازدى انفاق ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

فلا يحسب التَّمتام انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

١٥ — أجواد أهل الجاهلية — الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية ثلاثة نفر حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى . وهرم بن سنان المرى . وكعب بن مامة الايادى ولكن المضروب به المثل حاتم وحده . وهو القائل لغلامه يسار وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء . أمر غلامه فأوقد نارا فى بقاع من الارض لينظر اليها من أضل الطريق ليلا فيصعد نحوه . فقال فى ذلك :

أوقد فان الليل ليل قرٌّ * والريح يا واقدُ ريح صر

علّ يرى نارك من يمرُّ * ان جلبت ضيفا فانت حر

وقالوا لم يكن حاتم ممسكا شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما . ومر حاتم فى سفره على عنزة وفيهم أسير فاستغاث بحاتم ولم يحضره فكاكه . فاشتراه من العنزة وأطلقه وأقام مكانه فى القيد حتى أدى فداءه . وقالت نوار امرأة حاتم . أصابتنا سنة اقشعرّت لها الارض واغبرّ أفق السماء وراحت الابل حُدبا حدابير . وضنت المراضيع على أولادها فما تبضُّ بقطرة وحلقت السنة المال وأيقنا بالهلاك . فوالله انا لفى ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى صبيتنا جوعا عبد الله وعدى وسفانة . فقام حاتم الى الصبيين وقمت أنا الى الصبية . فوالله ماسكتوا الا بعد هدأة من الليل . وأقبل يعللنى بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت . فلما تهورت النجوم اذا شىء قد رفع كسر البيت ثم عاد . فقال : من هذا قال جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب . فما وجدت معولا الا عليك يا أبا عدى . فقال : اعجليهم فقد أشبعك الله واياهم . فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى جنابيها أربعة كانها نعامة حولها رئالها . فقام الى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر ثم كشطه عن جلده ودفع المدية الى المرأة . فقال لها : شأنك فاجتمعنا على اللحم نشوى ونأكل . ثم جعل يمشى فى الحى يأتيهم

بيتا بيتا فيقول : هبوا أيها القوم عليكم بالنار . فاجتمعوا والتفع فى ثوبه ناحية ينظر الينا . فلا والله أن ذاق منه مزعة وانه لاحوج اليه منا فأصبحنا وما على الارض من الفرس الا عظم وحافر . فانشأ حاتم يقول :

مهلا نوار أقلى اللوم والعذلا * ولا تقولى لشىء فات ما فعلا
ولا تقولى لمال كنت مهلكه * مهلا وان كنت أعطى البحر والجبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

ولحاتم بن عبدالله أيضاً :

أماوى قد طال التجنب والهجر * وقد عذرتنا فى طلابكم العذر
أماوى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
* أماوى اما مانع فبين * واما عطاء لا ينهنهه الزجر
أماوى انى لا أقول لسائل * اذا جاء يوما حل فى مالى النذر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى ان يصبح صداى بقفرة * من الارض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرنى * وان يدى مما بخلت به صفر
* اذا أنا دلانى الذين يلوننى * بمظلمة زلج جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم * يقولون قد أدمى أظافرنا الحفر
أماوى ان المال اما بذلته * فاوله شكر وآخره ذكر
وقد يعلم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر
فانى وجدى رب واحد أمة * أجرت فلا قتل عليه ولا أسر
ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتى * شهودا وقد أودى باخوته الدهر
غنينا زمانا بالتقصد والغنى * وكلا سقانا بكاسيهما الدهر
فما زادنا مأوى على ذى قرابة * غنانا ولا أزرى باحلامنا الفقر

وأما هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذى يقول فيه :

متى تلاقى على علاته هرما * تلق السماحة فى خلق وفى خلق

وكان سنان أبو هرم سيد غطفان . وماتت أمه وهى حامل به . وقالت اذا أنامت

فشقوا بطني فان سيد غطفان فيه . فلما مات شقوا بطنها فاستخرجوا منه سنانا . وفي بني سنان يقول زهير :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ماولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا أمنوا * مرزؤن بهاليل اذا قصدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وقال زهير في هرم بن سنان :

وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ماتغب فواضله
تراه اذا ماجئته متهللا * كانك تعطيه الذي أنت سائله
أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله * ولكنه قد يتلف المال نائله

أخذ الحسن بن هانئ هذا المعنى . فقال :

فتى لا تلوك الخمر شحمة ماله * ولكن أياد عوّد وبواد

وقال زهير في هرم بن سنان وأهل بيته :

اليك أعملتها فتلا مرافقها * شهرين يجهض من أرحامها العلق
حتى دفعن الى حلو شمائله * كالغيث تنبت في آثاره الورق
من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم * يبني لهم في جنان الخلد مرتفق
المطعمين اذا ماأزمة أزمت * والطيبين ثيابا كلما عرقوا
كان آخرهم في الجود أولهم * ان الشمائل والاخلاق تتفق
ان قامروا قمروا أو فاخروا فخروا * أو ناضلوا نضلوا أو سابقوا سبقوا
تنافس الارض موتاهم اذا دفنوا * كما تنفس عند الباعة الورق

وأما كعب بن مامة الايادي : فلم يأت عنه الا ماذكر من ايثاره رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدي . وهذا أكثر من كل ماأثني لغيره . وله يقول حبيب :

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وله ولحاتم الطائي :

كعب وحاتم اللذان تقسما * خطط العلا من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا * في الجهد ميتة خضرم صنديد

الا يكن فيها الشهيد فقومه * لا يسمحون به بألف شهيد

١٦ — أجواد أهل الاسلام — وأما أجواد أهل الاسلام فاحد عشر رجلا فى عصر واحد لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم . فاجواد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد . عبيد الله بن العباس . وعبد الله بن جعفر . وسعيد بن العاص . وأجواد البصرة خمسة فى عصر واحد وهم : عبد الله بن عامر بن كريز . وعبيد الله بن أبى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومسلم بن زياد . وعبيد الله بن معمر القرشى ثم التيمى . وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله ابن خلف الخزاعى . وله يقول الشاعر :

نضر الله أعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

وأجواد أهل الكوفة ثلاثة فى عصر واحد . وهم عتاب بن ورقاء الرياحى . وأسماء بن خارجة الفزارى . وعكرمة بن ربعى العماصى

١٧ — فمن جود عبيد الله بن عباس — أنه أول من فطر جيرانه . وأول من وضع الموائد على الطرق . وأول من حيا على طعامه . وأول من أنهبه . وفيه يقول شاعر المدينة :

وفى السنة الشهباء أطعمت حامضا * وحلوا ولحما تامكا وممزعا

وأنت ربيع لليتامى وعصمة * اذا المحل من جوّ السماء تطلعا

أبوك أبو الفضل الذى كان رحمة * وغوثا ونورا للخلائق أجمعا

ومن جوده : أنه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه . فقال يا ابن عباس : ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه . فلم يعرفه . ثم قال له : ما يدك عندنا . قال : رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائى حتى شربت . قال : انى لاذكر ذلك وانه يتردد بين خاطرى وفكرى . ثم قال: لقيمه ما عندك . قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها اليه وما أراها تنى بحق يده عندنا . قال : فأعطاه ثلاثين ألفا . فقال له الرجل : والله لو لم يكن لاسمعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه . فكيف وقد ولد سيد الاوّلين والآخرين محمدا صلى الله عليه وسلم . ثم شفعك به و بأبيك . ومن جوده أيضاً : ان معاوية حبس عن الحسين بن على صلاته حتى ضاقت عليه حاله . فقيل : لو وجهت الى ابن عمك عبيد الله فانه قدم بنحو من ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع

ألف ألف من عبيد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت ، وأسخى من البحر اذا زخر ، ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله ، وانه يحتاج الى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه : وكان من أرق الناس قلباً وألينهم عطفا ، انهملت عيناه . ثم قال : ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الاثم حين أصبحت لين المهاد ، رفيع العماد ، والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال . ثم قال : لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة . وأخبره انى شاطرته مالى . فان أقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها . قال : اذا بلغنا ذلك دللتك على أمر يقيم حالك . فلما أتى الرسول برسالته الى الحسين . قال : انا لله حملت والله على ابن عمى وما حسبته يتسع لنا بهذا كله . فأخذ الشطر من ماله . وهو أول من فعل ذلك فى الاسلام . ومن جوده : ان معاوية بن أبى سفيان أهدى اليه وهو عنده بالشام من هدايا النيروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة و وجهها مع حاجبه . فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها . فقال : هل فى نفسك منها شىء . قال نعم : والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام . فضحك عبيد الله . وقال : فشأنك بها فهى لك . قال : جعلت فداءك أخاف ان يبلغ ذلك معاوية فيجد على . قال : فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن فاذا حان خروجها حملها اليك ليلا . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم ولوددت انى لا أموت حتى أراك مكانه يعنى معاوية . فظن عبيد الله انها مكيدة منه . قال : دع عنك هذا الكلام فانا قوم نفى بما وعدنا ولا ننقض ما أكدنا ومن جوده أيضا : انه أتاه سائل وهو لا يعرفه . فقال له : تصدق فانى نبئت ان عبيد الله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه . فقال له : وأين أنا من عبيد الله . قال : أين أنت منه فى الحسب أم كثرة المال . قال : فيهما . قال : أما الحسب فى الرجل فمروأته وفعله ، واذا شئت فعلت واذا فعلت كنت حسيبا . فأعطاه ألفى درهم واعتذر اليه من ضيق الحال . فقال له السائل : ان لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه وان كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس . فأعطاه ألفا أخرى . فقال السائل : هذه هزة كريم حسيب ، والله لقد نقرت حبة قلبى فافرغتها فى قلبك فما أخطأت الا باعتراض الشك من جوانحى . ومن جوده أيضا : انه جاءه رجل من الانصار . فقال : يا ابن عم رسول الله انه ولد لى فى هذه الليلة مولود . وانى سميته باسمك

تبركامني به وان أمه ماتت . فقال عبيد الله : بارك الله لك في الهبة وأجزل لك الاجر على المصيبة ثم دعا بوكيله . فقال . انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع اليه مائتي دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للانصاري : عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة . قال الانصاري : لوسبقت حاتما بيوم واحد ماذكرته العرب أبدا ولكنه سبقك فصرت له تاليا وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده وطل كرمك أكثر من وابله

١٨ — جود عبد الله بن جعفر — ومن جود عبد الله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبي عمار دخل على نخاس يعرض قيانا له . فعلق واحدة منهن فشهر بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه ان قال :

يلومني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر . فلم يكن له هم غيره فحج فبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم . وأمر قيمة جواريه ان تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا . فقال : مالي لا أرى ابن أبي عمار زارنا . فاخبر الشيخ فاتاه مسلما . فلما أراد ان ينهض استجلسه . ثم قال : مافعل حب فلانة . قال : في اللحم والدم والمخ والعصب . قال أتعرفها لو رأيتها ؟ قال : لو أدخلت الجنة لم أنكرها . فامر بها عبد الله أن تخرج اليه . وقال له : انما اشتريتها لك والله ما دنوت منها فشأنك بها مباركا لك فيها . فلما ولى قال ياغلام احمل معه مائة ألف درهم يتنعم بها معها . قال : فبكى عبد الرحمن فرحا . وقال يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحدا قبلكم من صلب آدم فتهنيكم هذه النعمة وبورك لكم فيها . ومن جوده أيضا : انه أعطى امرأة سألته مالا عظيما . فقيل له : انها لا تعرفك وكان يرضيها اليسير . قال : ان كان يرضيها اليسير فاني لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي :

١٩ — جود سعيد بن العاص — ومن جود سعيد بن العاص انه مرض وهو بالشام فعاده معاوية ومعه شرحبيل بن السمط . ومسلم بن عقبة المري . ويزيد بن شجرة الزهري فلما نظر سعيد معاوية وثب عن صدر مجلسه اعظاما لمعاوية . فقال له : معاوية أقسمت عليك أبا عثمان أن لا تتحرك فقد ضعفت بالعلة فسقط فتبادر معاوية نحوه حتى حنا عليه وأخذ بيده فاقعده على فراشه وقعد معه وجعل يسائله عن علته ومنامه وغذائه ويصف له ما ينبغي أن يتوقاه

وأطال القعود معه . فلما خرج التفت الى شرحبيل بن السمط ويزيد بن شجرة . فقال: هل رأيتما خللا فى مال أبى عثمان . فقالا: ما رأينا شيأ ننكره . فقال: لمسلم بن عقبة ما تقول قال رأيت . قال وماذاك . قال رأيت على حشمه ومواليه ثيابا وسخة ورأيت صحن داره غير مكنوس ورأيت التجار يخاصمون قهرمانه . قال صدقت: كل ذلك قد رأيته . فوجه اليه مع مسلم بثلثمائة ألف فسبق رسول يبشره بها ويخبره بما كان . فغضب سعيد وقال للرسول ان صاحبك ظن أنه أحسن فأساء وتأوّل فاخطأ فاما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته اتسخ ثوبه ، وأما كنس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته وتزيُّنه . لبسته . ومعروفه عطره . ثم لا يبالى بمن مات هزلا من ذى لحمة أو حرمة . وأما منازعة التجار قهرمانى فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بدا من أن يكون ظالما أو مظلوما . وأما المال الذى أمر به أمير المؤمنين فوصلته كل ذى رحم قاطعة وهناه كرامته المنعم بها عليه . وقد قبلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف . ولشرحبيل بن السمط بمثلها . وليزيد بن شجرة بمثلها . وفى سعة الله وبسط يد أمير المؤمنين ما عليه معوّلنا . فركب مسلم بن عقبة الى معاوية فاعلمه . فقال صدق ابن عمى فيما قال . وأخطأت فيما انتهيت اليه فاجعل نصيبك من المال لروح ابن زنباع عقوبة لك . فانه من جنى جناية عوقب بمثلها كما أنه من فعل خيرا كوفئ عليه . ومن جوده أيضا: ان معاوية كان يديل بينه وبين مروان بن الحكم فى ولاية المدينة فكان مروان يقارضه . فلما دخل على معاوية . قال له كيف تركت أبا عبد الملك يعنى مروان . قال تركته منفذا لامرك مصلحا لعملك . قال معاوية : انه كصاحب الخبزة كفى انضاجها فاكلها . قال كلا : ياأمير المؤمنين انه من قوم لا يأكلون الا ما حصدوا ولا يحصدون الا ما زرعوا . قال: فما الذى باعد بينك وبينه . قال : خفته على شرفى وخافنى على مثله . قال : فأى شئ كان له عندك . قال : أسوأه حاضرا وأسرُّه غائبا . قال ياأبا عثمان تركتنا فى هذه الحروب . قال حملت الثقل وكفيت الحزم . قال فما أبطأ بك . قال غناؤك عنى أبطأ بى عنك وكنت قريبا لو دعوت لاجبناك ولو أمرت لاطعناك . قال ذلك ظننا بك . فاقبل معاوية : على أهل الشام فقال ياأهل الشام هؤلاء قومى وهذا كلامهم ثم قال اخبرنى عن مالك فقد نبئت انك تتحرى فيه . قال ياأمير المؤمنين : لنا مال يخرج لنا منه فضل فاذا كان ما خرج قليلا أنفقناه على قلته . وان كان كثيرا فكذلك غير أنا لا ندّخر منه شيأ عن معسر ولا طالب ولا مختل ولا نستأثر منه بفلزة لحم ولا مزعة شحم . قال:

فكم يدوم لك هذا . قال من السنة نصفها قال فما تصنع فى باقيها . قال نجد من يسلفنا ويسارع الى معاملتنا . قال ما أحد أحوج الى أن يصلح من شأنه منك . قال ان شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ولو زدت فى مالى مثله ما كنت الا بمثل هذه الحال . فامر له معاوية بخمسين ألف درهم . وقال اشتر بها ضيعة تعينك على مروأتك . فقال : سعيد بل اشترى بها حمداً وذكراً باقيا أطعم بها الجائع وأزوج بها الأيم وأفك بها العانى وأواسى بها الصديق وأصلح بها حال الجار . فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم . فقال معاوية : مافضيلة بعد الايمان بالله هى أرفع فى الذكر ولا أنبه فى الشرف من الجود وحسبك أن الله تبارك وتعالى جعل الجود آخر صفاته . ومن جوده أيضا : ماحكاه الاصمعى قال كان سعيد بن العاص يسمر معه سمّاره الى أن ينقضىَ حين من الليل فانصرف عنه القوم ليلة ورجل قاعد لم يقم فامر سعيد باطفاء الشمعة وقال حاجتك يافتى . فذكر أن عليه دينا أربعة آلاف درهم فامر له بها وكان اطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه

٢٠ — جود عبيد الله بن أبى بكرة — ومن جود عبيد الله بن أبى بكرة : انه أدلى اليه رجل بحرمة . فامر له بمائة ألف درهم . فقال أصلحك الله ما وصلنى احد بمثلها قط ولقد قطعت لسانى عن شكر غيرك ومارأيت الدنيا فى يد أحد أحسن منها فى يدك ولولا أنت لم تبق لها بهجة الا أظلمت ولا نور الا انطمس

٢١ — جود عبيد الله بن معمر القرشى التيمى — ومن جود عبيد الله بن معمر القرشى : أن رجلا أتاه من أهل البصره كانت له جارية نفيسة قد أدبها بانواع الادب حتى برعت وفاقت فى جميع ذلك . ثم ان الدهر قعد بسيدها ومال عليه . وقدِمَ عبيد الله بن معمر البصرة من بعض وجوهه . فقالت لسيدها انى أريد أن أذكر لك شيأ أستحى منه اذ فيه جفاء منى غير أنه يسهل ذلك على ما أرى من ضيق حالك وقلة مالك وزوال نعمتك وما أخافه عليك من الاحتياج وضيق الحال . وهذا عبيد الله بن معمر قدم البصرة وقد علمت شرفه وفضله وسعة كفه وجود نفسه . فلو أذنت لى فاصلحتُ من شأنى ثم تقدمت بى اليه وعرضتنى عليه هدية رجوت أن يأتيك من مكافأته ما يقلك الله به وينهضك ان شاء الله . قال فبكى وجدا عليها وجزعا لفراقها منه . ثم قال لها : لولا أنك نطقت بهذا ماابتدأتك به أبدا . ثم نهض بها حتى وقفها بين يدى عبيد الله . فقال : أعزك الله هذه جارية ربيتها ورضيت بها لك فاقبلها منى هديّة . فقال

مثلي لا يهدى له مثلك فهل لك في بيعها فاجزل لك الثمن عليها حتى ترضى . قال الذي تراه . قال يُقنعك مني عشرُ بدر في كل بدرة عشرة آلاف درهم . قال والله ياسيدي ما امتدّ أملي الى عشر ماذكرت . ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور . فامر عبيد الله باخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه . وقال للجارية ادخلي الحجاب . فقال سيدها: أعزّك الله لو أذنت لي في وداعها . قال نعم: فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان

أبوح بحزن من فراقك موجعٍ * أقاسي به ليلا يطيلُ تفكري

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شيْ سوى الموت فاعذري

عليكِ سلامٌ لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

قال عبيد الله بن معمر : قد شئت ذلك خذ جاريتك و بارك الله لك في المال . فذهب بجاريته وماله فعاد غنيا . فهؤلاء أجواد الاسلام المشهورون في الجود المنسوبون اليه . وهم أحد عشر رجلا كما ذكرنا وسمينا . و بعدهم طبقة أخرى من الاجواد قد شهروا بالجود وعُرفوا بالكرم وحُمدت أفعالهم وسنذكر ما أمكننا ذكره منها ان شاء الله تعالى

٢٢ — الطبقة الثانية من الاجواد — فمنهم الحكم بن حنطب: قيل لنصيب بن رباح خرف شعرك أبا محجن . قال لا ولكن خرف الكرم لقد رأيتني ومدحت الحكم بن حنطب فاعطاني ألف دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة . وسأل اعرابي الحكم بن حنطب فاعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابي فقال ما يبكيك يا اعرابي لعلك استقللت ما أعطيناك . قال لا والله: ولكني أبكي لما تأكل الارض منك ثم أنشأ يقول :

وكأن آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوْباء

ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم * فكفيت آدم عيلة الابناء

العتبي قال : أخبرني رجل من أهل منبج . قال قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فاغنانا قال له كيف أغناكم وهو مملق . قال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا :

٢٣ — ومنهم معن بن زائدة — وكان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج . وأتاه رجل يسأله أن يحمله فقال يا غلام اعطه فرسا و برذونا و بغلا وعيرا و بعيرا وجارية . وقال لو عرفت مركوبا غير هؤلاء لاعطيتك . العتبي قال : لما قدم معن بن زائدة

البصرة واجتمع اليه الناس أتاه مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي الباب فانشده شعره الذي قاله فيه :

فما أحجم الاعداء عنك تقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الحتف والجود فيهما * أبى الله الا أن يضرّ وينفعا

٢٤ — ومنهم يزيد بن المهلب — وكان هشام بن حسان اذا ذكره قال : والله ان كادت السفن لتجرى فى جوده . وقيل ليزيد بن المهلب مالك لا تبنى دارا . قال : منزلى دار الامارة أو الحبس . ولما أتى يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب نال منه بعض جلسائه . فقال له : مه ان يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما . ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب فى الحبس فأنشده

أصبح فى قيدك السماحة والجـ * ـدو فك العناة والاغلال

قال أتمدحنى وأنا فى هذه الحال . قال : أصبتك رخيصا فاشتريتك فامر له بعشرة آلاف . وقال سليمان بن عبد الملك : لموسى بن نصير . اغرم ديتك خمسين مرة . قال : ليس عندى ما أغرم قال : والله لتغرمن ديتك مائة مرة . قال : يزيد بن المهلب . أنا أغرمها عنه ياأمير المؤمنين . قال : اغرم فغرمها عنه مائة ألف . العتبي قال : أخبرنى عوانة . قال : استعمل الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المرى على المدينة وأمره بالغلظة على أهل الظنة . فلما استخلف سليمان أخذه بألفى ألف درهم فاجتمعت القيسية فى ذلك فتحملوا شطرها وضاقوا ذرعا بالشطر الثانى . و وافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على العراق . فقال : عمر بن هبيرة عليكم بيزيد بن المهلب فما لها أحد غيره فتحملوا الى يزيد عمر بن هبيرة . والقعقاع بن حبيب . والهذيل بن زفر بن الحرث وانتهوا الى رواق يزيد . قال يحيى بن أقتل : وكان حاجبا ليزيد بن المهلب . وكان رجلا من الازد فاستأذن لهم . فخرج يزيد الى الرواق فقرب ورحب ثم دعا بالغداء . فأتوا بطعام ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا . فلما تغدوا تكلم عثمان بن حيان وكان لسنا مفوها . وقال : زادك الله فى توفيقك أيها الامير ان الوليد بن عبد الملك وجهنى الى المدينة عاملا عليها وأمرنى بالغلظة على أهل الظنة والاخذ عليهم . وان سليمان أغرمنى غرما والله ما يسعه مالى ولا تحمله طاقتى . فأتيناك لتحمل من هذا المال ماخف عليك . وما بقى والله ثقيل على . ثم تكلم كل منهم بما حضره وقد اختصرنا كلامهم . فقال يزيد بن المهلب مرحبا بكم وأهلا ان خير المال ماقضى

فيه الحقوق وحملت به المغارم. وانما لى من المال مافضل عن اخوانى وأيم الله لو علمت ان أحدا أملأ بحاجتكم منى لهديتكم اليه فاحتكموا وأ كثروا. فقال عثمان بن حيان النصف أصلح الله الامير. قال : نعم وكرامة اغدوا على مالكم تأخذوه فشكروا له وقاموا فخرجوا. فلما صاروا على باب السرادق. قال: عمر بن هبيرة قبح الله رأيكم والله ما يبالى يزيد أنصفها تحمل أم كلها فمن لكم بالنصف الباقى. قال: القوم هذا والله الرأى وسمع يزيد مناجاتهم. فقال لحاجبه : انظر يايحيى ان كان بقى على القوم شىء فليرجعوا فرجعوا اليه. وقالوا: أقلنا. قال : قد فعلت. قالوا: فان رأيت ان تحملها كلها فانت أهلها وان أبيت فما لها أحد غيرك. قال : قد فعلت. وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان. فقال : يا أمير المؤمنين أتانى عثمان بن حيان وأصحابه. قال : أمسك فى المال. قال: نعم. قال : سليمان والله لآخذنه منهم. قال : يزيد انى قد حملته. قال: فأده. قال: يزيد والله ما حملته الا لأؤديه. ثم قال : يا أمير المؤمنين ان هذه الحمالة وان عظم خطبها فحمدها والله أعظم منها ويدى مبسوطة بيدك فابسطها لسؤالها ثم غدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه اليهم. فدخلوا على سليمان فاخبروه بقبض المال. فقال : وفت يمين سليمان احملوا الى أبى خالد ماله. فقال : عدى بن الرقاع العاملى :

ولله عينا من رأى كحمالة * تحملها كبش العراق يزيد

الاصمعى قال : قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة من بنى ضبة. فقال رجل منهم:

والله ما ندرى اذا مافاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب

فاصبر لعادتنا التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فأمر له بالف دينار فلما كان فى العام المقبل وفد عليه. فقال:

مالى أرى أبوابهم مهجورة * وكان بابك مجمع الاسواق

حابوك أم هابوك أم شاموا الندى * بيديك فاجتمعوا من الآفاق

انى رأيتك للمكارم عاشقا * والمكرمات قليلة العشاق

فامر له بعشرة آلاف درهم . ومر يزيد بن المهلب فى طريق البصرة باعرابية فاهدت اليه عنزا فقبلها . وقال لابنه معاوية ماعندك من نفقة. قال: ثمانمائة درهم. قال: ادفعها اليها. قال: انها لا تعرفك ويرضيها اليسير . قال : ان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى وان كان يرضيها

اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير

٢٥ — ومنهم يزيد بن حاتم — وكتب اليه رجل من العلماء يستوصله فبعث اليه ثلاثين ألف درهم . وكتب اليه أما بعد : فقد بعثت اليك بثلاثين ألفا لا أ كثرها امتنانا ولا أقلها تجبرا، ولا أستثيبك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء ، والسلام . وكان ربيعة الرقي قد قدم مصر وفاتى يزيد بن حاتم السلمى فلم يعطه شيأ . ثم عطف على يزيد بن حاتم الازدى فشغل عنه ببعض الامر . فخرج وهو يقول :

أرانى ولا كفران لله راجعا * بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فسأل عنه يزيد : فاخبرانه قد خرج . وقال كذا : وأنشد البيت فارسل فى طلبه فأتى به . فقال : كيف قلت فانشده البيت . فقال : شغلنا عنك . ثم أمر بخفيه فخلعتا من رجليه وملئتا مالا . وقال : ارجع بهما بدلا من خفى حنين . فقال فيه : لما عزل عن مصر وولى مكانه يزيد ابن حاتم السلمى :

بكى أهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاغر بن حاتم

وفيها يقول :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

وخرج اليه رجل من الشعراء يمدحه . فلما بلغ مصر وجده قد مات . فقال فيه :

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى * وأخلفنى منها الذى كنت آمل

فما كل من يخشى الفتى بمصيبة * ولا كل من يرجو الفتى هو نائل

وما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

٢٦ — ومنهم أبو دلف — واسمه القاسم بن اسمعيل . وفيه يقول على بن جبلة :

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

وقال فيه رجل من شعراء الكوفة :

الله أجرى من الارزاق أكثرها * على العباد على كفى أبى دلف
بارى الرياح فاعطى وهى جارية * حتى اذا وقفت أعطى ولم يقف
ماخط لا كاتباه فى صحيفته * يوما كما خط لا فى سائر الصحف

فاعطاه ثلاثين الفا . ومدحه آخر فقال فيه :

يشبهه الرعد اذا الرعد رجف * كانه البرق اذا البرق خطف
كانه الموت اذا الموت أزف * تحمله الى الوغى الخيل القطف
ان سار سار المجد أو حل وقف * أنظر بعينيك الى أسنى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف * خلق من الناس سوى أبى دلف

فاعطاه خمسين ألفا .

٢٧ — ومن أخبار معن بن زائدة ـ قال شرحبيل بن معن بن زائدة: حج هرون الرشيد و زميله أبو يوسف القاضى وكنت كثيرا ما أسايره اذ عرض له أعرابى من بنى أسد فانشده شعرا مدحه فيه : وفرطه . فقال له هرون : ألم أنهك عن مثل هذا فى مدحك يا أخا بنى أسد . اذا قلت فينا فقل كقول القائل فى أبى هذا :

بنو مطر يوم اللقاء كانهم * أسود لها فى غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كانما * لجارهم بين السماكين منزل
بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كاولهم فى الجاهلية أول
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

٢٨ — ومنهم خالد بن عبد الله القسرى ـ وهو الذى يقول فيه الشاعر :

الى خالد حتى أنخن بخالد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

بينا خالد بن عبد الله القسرى جالس فى مظلة له اذ نظر الى أعرابى يخب به بعيره مقبلا نحوه . فقال لحاجبه اذا قدم فلا تحجبه فلما قدم أدخله عليه فسلم وقال :

أصلحك الله قل ما بيدى * فما أطيق العيال اذ كثروا
أناخ دهر ألقى بكلكله * فارسلونى اليك وانتظروا

فقال خالد أرسلوك وانتظروا . والله لا تنزل حتى تنصرف اليهم بما يسرهم . وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة :

٢٩ — ومنهم عدى بن حاتم — دخل عليه ابن دارة فقال انى مدحتك قال أمسك حتى آتيك بمالى ثم امدحنى على حسبه فانى لا أعطيك ثمن ما تقول لى ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسى هذا حبس فى سبيل الله . فامدحنى على حسب ما أخبرتك فقال :

تحن قلوصى فى معد وانما * تلاقى الربيع فى ديار بنى ثعل

وأبقى الليالى من عدى بن حاتم * جساما كنصل السيف سل من الخلل

أبوك جواد لا يشق غباره * وأنت جواد ليس تعذر بالعلل

فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

قال له عدى أمسك لا يبلغ مالى أكثر من هذا :

٣٠ — اصفاد الملوك على المدح — سعيد بن مسلم الباهلى قال : قدم على الرشيد أعرابى من باهلة وعليه جبة حبرة ورداء يمان قد شده على وسطه ثم ثناه على عاتقه وعمامته قد عصبها على فوديه وأرخى لها عذبة من خلفه . فمثل بين يدى الرشيد . فقال سعيد يا اعرابى خذ فى شرف أمير المؤمنين فاندفع فى شعره . فقال الرشيد يا اعرابى اسمعك مستحسنا وأنكرك متهماً فقل لنا بيتين فى هذين يعنى محمداً الامين وعبد الله المأمون ابنيه وهما احفافاه . فقال يا أمير المؤمنين : حملتنى على الوعر القردد ، وأرجعتنى على السهل الجدرد ، روعة الخلافة ، وبهر الدرجة ، ونفور القوافى على البديهة ، فارودنى تتألف لى نوافرها ، ويسكن روعى . قال قد فعلت وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك ، قال يا أمير المؤمنين نفست الخناق ، وسهلت ميدان السباق ، فانشأ يقول :

بنيت لعبد الله ثم محمد * ذرى قبة الاسلام فاخضر عودها

هما طنباها بارك الله فيهما * وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد : وأنت يا اعرابى بارك الله فيك فسل ولا تكن مسئلتك دون احسانك . قال الهنيدة يا أمير المؤمنين فامر له بمائة ناقة وسبع خلع . وقال مروان بن أبى حفصة : دخلت على

المهدى فاستنشدنى . فانشدته الشعر الذى أقول فيه :

طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها * قاد القلوب الى الصبا فامالها

حتى انتهيت الى قولى :

شهدت من الانفال آخر آية * ببراءة فرجوتم ابطالها
أوتدفعون مقالة عن ربه * جبريل بلغها النبى فقالها
هل تطمسون من السماء نجومها * باكفكم أوتسترون هلالها

قال وأنشدته أيضا شعرى الذى أقول فيه :

ياابن الذى ورث النبى محمدا * دون الاقارب من ذوى الارحام
الوحى بين بنى البنات وبينكم * قطع الخصام فلات حين خصام
ماللنساء مع الرجال فريضة * نزلت بذلك سورة الانعام
أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنات وراثة الاعمام
ألغى سهامهم الكتاب فحاولوا * أن يشرعوا فيها بغير سهام
ظفرت بنوساقى الحجيج بحقهم * وغررتم بتوهم الاحلام

قال مروان بن أبى حفصة : فلما أنشدت المهدى الشعرين . قال وجب حقك على هؤلاء وعنده جماعة من أهل بيته قد أمرت لك بثلاثين ألفا . وفرضت على موسى خمسة آلاف وعلى هرون مثلها . وعلى على أربعة آلاف . وعلى العباس كذا وعلى فلان كذا فحسبت سبعين ألفا قال : فامر بالثلاثين ألفا فاتى بها . ثم قال : اغد على هؤلاء وخذ ما فرضت لك . فأتيت موسى فامر لى بخمسة آلاف وأتيت هرون فامر لى بمثلها . وأتيت عليا . قال : قصّر بى دون اخوتى فلن أقصر بنفسى فامر لى بخمسة آلاف . فاخذت من الباقين سبعين ألفا . ودخل أعشى ربيعة : على عبد الملك بن مروان وعن يمينه الوليد . وعن يساره سليمان . فقال له عبد الملك ماذا بقى ياأبا المغيرة . قال مضى مامضى وبقى وأنشأ يقول :

وما أنا فى حقى ولا فى خصومتى * بمهتضم حقى ولا قارع سنى
ولا مسلم مولاى من سوء حاجتى * ولا خائف مولاى من سوء ماأجنى
وفضلى فى الاقوام والشعر انى * أقول الذى أعنى وأعرف ماأعنى

وان فؤادى بين جنبيّ عالم * بما أبصرت عينى وماسمعت أذنى

وانى وان فضلت مروان وابنه * على الناس قدفضلت خيرأب وابن

فضحك عبد الملك . وقال للوليد وسليمان أتلومانى على هذا وأمرله بعشرة آلاف . العتبي قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن الحكم . فقال له عبد الرحمن أبافراس دعنى من شعرك الذى لايأتى آخره حتى ينسى أوله وقل فيّ بيتين يعقلان أفواه الرواة واعطيكها عطية لم يعطكها أحد قبلى فغدا عليه وهو يقول :

وأنت ابن بطحاوى قريش فان تشأ * تنل من ثقيف سيل ذى حبل غمر

وأنت ابن فرع ماجد لعقيلة * تلقت بك الشمس المضيئة للبدر

قال أحسنت وأمرله بعشرة آلاف . ابوسويد قال : أخبرنى الكوفى قال اعترض الفضل بن يحيي ابن خالد فى وقت خروجه الى خراسان فتى من التجار كان شخص الى الكوفة فقطع به وأخذ جميع ماله الذى كان معه فاخذ ابعنان دابة الفضل وقال :

سأرسل بيتاليس فى الشعرمثله * يقطع أعناق البيوت الشوارد

أقام الندى والبأس فى كل منزل * أقام به الفضل بن يحيي بن خالد

قال فامرله بمائة ألف درهم . العتبي قال : أبوالجنوب مروان بن أبى حفصة أبياتاً ورفعها الى زبيدة ابنة جعفر يمتدح ابنها محمدا وفيها يقول :

لله درك ياعقيلة جعفر * ماذا ولدت من العلا والسودد

ان الخلافة قدتبين نورها * للناظرين على جبين محمد

فامرت أن يملأ فمه درا . قال الحسن بن رجاء الكاتب : قدم علينا على بن جبلة الى عسكر الحسن ابن سهل والمأمون هناك بانيا على خديجة ابنة الحسن بن سهل المعروفة ببوران . ونحن اذذاك نجرى على نيف وسبعين ألف ملاح . وكان الحسن بن سهل مع المأمون يتصبح . فكان الحسن يجلس للناس الى وقت انتباهه . فلماقدم على بن جبلة نزل بى فقلت له قدقوى شغل الامير قال اذالا أضيع معك قلت أجل . فدخلت على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فاعلمته مكانه . فقال ألاترى مانحن فيه قلت لست بمشغول عن الامر له . فقال يعطى عشرة آلاف الى أن نتفرغ له فاعلمت على بن جبلة فقال فى كلمة له

أعطيتنى ياولى الحق مبتدئا * عطية كافأت حمدى ولم ترنى

ماشمت برقك حتى نلت بريقه * كأنما كنت بالجدوى تبادرنى

عرض رجل لابن طوق: وقد خرج متنزها فى الرحبة فناوله رقعة فيها جميع حاجته فاخذها فاذا فيها :

جعلتك دنياى فان أنت جدت لى * بخير والا فالسلام على الدنيا

فقال والله لاصدقن ظنك. فاعطاه حتى أغناه . عرض دعبل بن على الشاعر : لعبدالله ابن طاهر الخراسانى . وهو راكب فى حراقة له فى دجلة فاشار اليه برقعة فامر باخذها فاذا فيها:

عجبت لحراقة بن الحسـ * ـين كيف تسير ولا تغرق

وبحران من تحتها واحـد * وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيـدانها * اذا مسها كيف لا تورق

فامر له بخمسة آلاف درهم وجارية وفرس . وخرج عبـدالله بن طاهر فتلقاه دعبـل برقعة فيها:

طلعت قناتك بالسـعادة فوقها * معقودة بلواء ملك مقبـل

تهـتز فـوق طريدتين كأنما * تهفو بفصلهـا جناحا أجدل

ربح البخيل على احتيال عرضه * بندى يديك ووجهك المتهلل

لو كان يعـلم أن نيلك عاجل * مافاض منه جدول فى جدول

فامر له بخمسة آلاف . ووقف رجل من الشعراء الى عبدالله بن طاهر فانشده:

اذا قيـل أى فتى تعلمون * أهش الى البأس والنائل

وأضرب للهام يوم الوغا * وأطعم فى الزمن الماحل

أشار اليـك جميع الانام * اشارة غرقى الى ساحل

فامر له بخمسين ألف درهم . أحمـد بن مطير قال: أنشدت عبدالله بن طاهر أبياتا كنت مدحت بها بعض الولاة وهى :

له يوم بؤس فيـه للنـاس أبؤس * ويوم نعـيم فيـه للنـاس أنعم

فيقطـر يوم الجـود من كفـه الندى * ويقطر يوم البـؤس من كفـه الدم

فـلو أن يوم البـؤس لم يثن كفـه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم

ولو أن يوم الجـود فـرغ كفـه * لبذل الندى ما كان بالارض معدم

فقال لى عبدالله كم أعطاك . قلت: خمسة آلاف . قال فقبلتها قلت نعم . قال لى أخطأت . ما ثمن هذه الا مائة ألف . ودخل حماد عجرد على أبى جعفر بعد موت أبى العباس أخيه فانشده:

أبوك بعد أبى العباس اذ بانا * يا أكرم الناس أعراقا وعيدانا

لو مج عود على قوم عصارته * لمج عودك فينا الشد والبانا

فأمر له بخمسة آلاف درهم . الفخذمى قال: جاء موسى سهوان الى سعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان . فقال: ان هنا جارية تعشقتها وأبوا أن ينقصونى من مائتى دينار . فقال بورك فيه فذهب الى سعيد بن خالد بن أسيد وأمه عائشة بنت طلحة الطلحات . فدعا بمطرف خز فبسطه وعقد فى كل ركن من أركانه مائة دينار . وقال لموسى خذ المطرف بما فيه فاخذه . ثم غدا عليه فانشده :

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد

عميد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعميد

دعوه دعوه أنكم قد رقدتم * وما هو عن أحسابكم برقود

العتبى قال: سمعت عمى ينشد لابى العباس الزبيرى :

وكل خليفة وولى عهد * لكم يا آل مروان الفداء

امارتكم شفاء حيث كانت * وبعض امارة الاقوام داء

فانتم تحسنون اذا ملكتم * وبعض القوم ان ملكوا أساؤا

أأجعلكم وغيركم سواء * وبينكم وبينهم الهواء

هم أرض لارجلكم وأنتم * لايديهم وأرجلهم سماء

فقلت له : كم أعطى عليها . قال : عشرين ألفا * الاصمعى قال : حدثنى رؤبة قال : دخلت على أبى مسلم صاحب الدعوة . فلما أبصرنى نادى يا رؤية فاجبته :

لبيك اذ دعوتنى لبيكا * أحمد ربا ساقنى اليكا * الحمد والنعمة فى يديكا

قال : بل فى يدى الله تعالى . قلت له : وأنت اذا أنعمت اجدت . ثم قلت : يأذن لى الامير فى الانشاد . قال نعم فانشدته:

ما زال يأتى الملك فى أقطاره * وعن يمينه وعن يساره

مشمرا لا يصطلى بناره * حتى أقر الملك فى قراره

فقال : يا رؤبة انك أتيتنا وقد شف المال واستنفده الانفاق . وقد أمرنا لك بجائزة وهى

تافهة يسيرة ومنك العود وعلينا المعول والدهر أطرق مستنيب فلا تلق بجنبيك الاشدة . قال : رؤبة . فقلت : الذى أفادنى الامير من كلامه أكثر من الذى أفادنى من ماله . ودخل نصيب ابن رباح على هشام فانشده :

اذا استبق الناس العلا سبقتهم * يمينك عفوا ثم صلت شمالك

فقال هشام : بلغت غاية المدح فسلنى . فقال : يا أمير المؤمنين يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة . قال : لا بد أن تفعل . قال : لى ابنة نفضت عليها من سوادى فكسدها فلو أنفقها أمير المؤمنين بشىء يجعله لها . قال : فاقطعها أرضاً وأمر لها بحلى وكسوة فنفقت السوداء . الرياشى عن الاصمعى . قال : مدح نصيب بن رباح عبد الله بن جعفر فامر له بمال كثير وكسوة شريفة ورواحل موقرة براً وتمراً . فقيل له : أتفعل هذا بمثل هذا العبد الاسود . قال : أما لئن كان عبدا ان شعره فى لحر ولئن كان أسود ان ثناءه لابيض . وانما أخذ مالا يفنى وثيابا تبلى ورواحل تنضى وأعطى مديحا يروى وثناء يبقى . وذكروا عن أبى النجم العجلى انه أنشد هشاما شعره الذى يقول فيه : الحمد لله الوهوب الجزل * وهو من أجود شعره حتى انتهى الى قوله : والشمس فى الجو كعين الاحول . وكان هشام أحول فاغضبه ذلك . فامر به فطرد فامل أبو النجم رجعته فكان ياوى الى المسجد فارق هشام ذات ليلة . فقال لحاجبه : ابغنى رجلا عربيا فصيحا يحدثنى وينشدنى فطلب له ماسال فوجد أبا النجم فاتى به فلما دخل عليه . قال : أين تكون منذ أقصيناك . قال : حيث ألقانى رسولك . قال : فمن كان أبا النجم مثواك . قال : رجلين أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر . قال : فمالك من الولد . قال : ابنتان . قال : أزوجتهما . قال : زوجت احداهما . قال : فبم أوصيتها ليلة أهديتها . قال قلت لها :

سبى الحماة وابهتى عليها * وان أبت فازدلفى اليها
ثم اقرعى بالعود مرفقيها * وجددى الحلف به عليها

قال : فهل أوصيتها بعد هذا . قال نعم :

أوصيت من برة قلبا برا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمى خنقا لها وجرا * والحى عمهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

قال هشام : ماهكذا أوصى يعقوب ولده . قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوب ولا ولدى

كولده . قال: فما حال الاخرى . قال هى ظلامة التى أقول فيها

كان ظلامة اخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصيبان * وليس فى الرجلين الا خيطان
فهى التى يُذْعَرُ منها الشيطان

قال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير التى أمرْتُك بقبضها قال هى عندى وهى خمسمائة دينار . قال له ادفعها لابى النجم ليجعلها فى رجلى ظلاَّمَةَ مكان الخيطين . أبو عبيدة قال : حدثنى يونس بن حبيب قال لما استخلفَ مرْوان بن محمد دخل عليه الشعراء يهنؤنه بالخلافة . فتقدم اليه طُرَيْحُ ابن اسمعيل الثقفى . قال الوليد بن يزيد فقال الحمد لله الذى أنعم بك على الاسلام اماما ، وجعلك لاحكام دينه قوَّاما ، ولأمة محمد المصطفى جُنَّةً ونظاما . ثم أنشده شعره الذى يقول فيه :

تَسُوءُ عداك فى سَدَاد ونعمة * خلافتنا تسعين عاما وأشهرا

فقال مروان كم الاشهر . قال تمام المائة يا أمير المؤمنين تبلغ فيها أعلى درجة وأسعد عاقبة فى النصرة والتمكين . فامر له بمائة الف درهم ثم تقدم اليه ذو الرُّمَّةِ متحانيا كبرة قد انحلت عمامته منحدرة على وجهه فوقف يسويها . فقيل له تقدم قال انى أجِلُّ أمير المؤمنين أن أخطب بشرفه مادحا بلوثة عمامتى . فقال مروان ما أمَّلتُ أنه أبقت لنا منك مى ولا صيدح فى كلامك امتاعا . قال بلى والله يا أمير المؤمنين أودمنه قراحا والاحسن امتداحا . ثم تقدم فانشد شعرا يقول فيه :

فقلت لها سيرى أمامك سيد * تفرع من مروان أومن محمد

فقال له ما فعلت مى . فقال طويت غدائرها ببرد بلى ومحا التراب محاسن الخد . فالتفت مروان الى العباس بن الوليد . فقال أما ترى القوافى تنثال انثيالا يعطى بكل من سمى من آبائى الف دينار قال ذو الرمة لو علمت لبلغت به عبد شمس . الربيع حاجب المنصور قال : قلت يوما للمنصور ان الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم . فقال اخرج اليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم من مدحنى منكم فلا يصفنى بالاسد فانما هو كلب من الكلاب . ولا بالحية فانما هى دويبة منتنة تأكل التراب . ولا بالجبل فانما هو حجر أصم . ولا بالبحر فانما هو عطائط لجب . ومن ليس فى شعره هذا فليدخل ومن كان فى شعره فلينصرف . فانصرفوا كلهم الا ابراهيم بن هرمة فانه قال له أنا له يا ربيع . فادخلنى فادخله . فلما مثل بين يديه قال المنصور يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك أحد غيره هات يا ابن هرمة . فانشده قصيدته التى يقول فيها :

له لحظات عن حفافى سريره * اذا كرها فيها عذاب ونائل

لهم طينة بيضاء من آل هاشم * اذا اسود من كوم التراب القبائل

اذا ما أتى شيأ مضى كالذى أتى * وان قال انى فاعل فهو فاعل

فقال حسبك ههنا بلغت هذا عين الشعر قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم . فقمت اليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت . فلما كدت ان أخفى على عينيه سمعته يقول يا ابراهيم فاقبلت اليه فزعا فقلت لبيك فداك أبى وأمى . قال احتفظ بها فليس لك عند نا غيرها فقلت بابى وأمى أنت أحفظها حتى أوافيك بها على الصراط بخاتم الجهبذ . على ابن الحسين قال: أنشد على ابن الجهم جعفر المتوكل شعره الذى أوله * هى النفس ما حملتها تتحمل * وكان فى يد المتوكل جوهرتان فاعطاه التى فى يمينه . فاطرق متفكرا فى شئ يقوله ليأخذ التى فى يساره . فقال مالك مفكرا ا ع ا تفكر فيما تأخذ به الاخرى خذها لا بورك لك فيها . فانشأ يقول:

بسر من رأى امام عدل * تغرف من بحره البحار

يرجى ويخشى لكل أمر * كانه جنة ونار

الملك فيه وفى بنيه * ما اختلف الليل والنهار

يداه فى الجود ضرتان * عليه كلتاهما تغار

لم تات منه اليمين شيأ * الا أتت مثله اليسار

وقال آخر فى الهول :

اذا سألت الندى عن كل مكرمة * لم تلف نسبتها الا الى الهول

لو زاحم الشمس ألفى الشمس مظلمة * أو زاحم الصم ألجاها الى الميل

أمضى من الدهر ان نابته نائبة * وعند أعدائه أمضى من السيل

ودخل شاعر من أهل الرى يقال له أبو زيد على عبدالله بن طاهر صاحب خراسان فانشده :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعا * من شادمهر ودع غمدان لليمن

فانت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة ابن على وابن ذى يزن

فامر له بعشرة آلاف درهم . ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فانشدته :

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لها لا تقولى غلام ولكن قولى همام . ثم قال أى النساء أحب اليك أنزلك عندها . قالت ومن نساؤك أيها الامير . قال أم الجلاس ابنة سعيد بن العاص الاموية . وهند ابنة أسماء بن خارجة الفزارية وهند ابنة المهلب بن أبى صفرة العتكية . قالت العبسية أحب الى . فلما كان من الغد دخلت عليه . قال ياغلام اعطها خمسمائة . قالت أيها الامير أحسبها ادما . قال قائل انما أمر لك بشاة . قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا على استحياء وانما كان أمر لها بشاة .

—٤—

فرش كتاب الوفود

قال احمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الاجواد والاصفاد على مراتبهم ومنازلهم وماجروا عليه وماندبوا اليه من الاخلاق الجميلة ، والافعال الجزيلة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الوفود الذين وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء والملوك فانها مقامات فضل، ومشاهد حفل، يتخير لها الكلام ، و يستعذب الالفاظ ،و يستجزل المعانى . ولابد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم و زعيمهم الذى عن قوسه ينزعون، وعن رأيه يصدرون، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن ألسنة ، وماظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم أو خليفته ، أو بين يدى ملك جبار فى رغبة أو رهبة، فهو يوطد لقومه مرة و يتحفظ من امامه أخرى ، أتراه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة، أو مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ، أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة الا وهو عندهم فى غاية الحذلقة واللسانة ، ومجمع الشعر والخطابة ، ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقرى لما وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، بسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر . ولما توفى قيس بن عاصم . قال فيه الشاعر :

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء ان يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة * اذا زار عن شحط بلادك سلما
وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

١ — وفود العرب على كسرى — ابن القطامى عن الكلبى قال: قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين . فذكروا من ملوكهم و بلادهم فافتخر النعمان

بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثني فارس ولا غـيرها . فقال كسرى : وأخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الامم ، ونظرت فى حال من يقدم على من وفود الامم ، فوجدت الروم لها حظ فى اجتماع الفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، و وثيق بنيانها ، وان لها دينا يبين حلالها وحرامها ، و يردسفيهها و يقيم جاهلها ، و رأيت الهند نحوا من ذلك فى حكمتها وطبها ، مع كثرة انهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عـددها ، وكذلك الصـين فى اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفر وسيتها وهمتها فى آلة الحرب وصناعة الحـديد وان لها ملـكا يجمعها ، والترك والخزر على مابهم من سوء الحال فى المعاش ، وقـلة الريف والثمار والحصون ، وماهو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم ، وتدبر أمرهم ولم أر للعرب شيأ من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوة ، ومع أن مما يدل على مهانتها ، وذلها وصغر همتها ، محلتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقـة ، و يا كل بعضـهم بعضا من الحاجـة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ، ومشاربها ولهوها ، ولذاتها فافضل طعام ظفر به ناعمهم ، لحوم الابل التى يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وان قرى أحـدهم ضيفا عدها مكرمة ، وان أطعم أكلة عدها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ماخلا هذه التنوخية التى أسس جدى اجتماعها ، وشد مملـكتها ومنعها من عـدوها ، فجرلها ذلك الى يومنا هذا ، وان لها مع ذلك آثارا ولبوثا ، وقرى وحصونا ، وامورا تشـبه بعض أمور الناس يعنى اليمن . ثم لا أراكم تستكينون على مابكم من الذلة والقـلة والفاقة والبؤس ، حتى تفتخروا ، وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس . قال النعمان : أصلح الله الملك حق لامة الملك منها أن يسمو فضلها ، و يعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، الا أن عندى جوابا فى كل ما نطق به الملك فى غير رد عليه ، ولا تـكذيب له ، فان أمننى من غضبه نطقت به . قال كسرى : قل فانت آمن . قال النعمان : أما أمتـك أيها الملك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقولها وأحلامها ، و بسطة محلها و بحبوحة عزها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك و ولايتك . وأما الامم : التى ذكرت فاى أمـة تقرنها بالعرب الا فضلتها . قال كسرى : بماذا . قال النعمان : بعزها ومنعتها وحسن وجوهها و بأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها و وفائها . فاما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، و وطدوا الملك ، وقادوا الجند ،

لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل، حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الارض ،وسقوفهم السماء، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر، اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحر . وأما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة، والصين المنحفة ، والترك المشوهة، والروم المقشرة . وأما أنسابها وأحسابها، فليست أمة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها، حتى ان أحدهم ليسال عمن وراء أبيه دنيا ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه أبا فابا حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل فى غير قومه، ولا ينتسب الى غير نسبه، ولا يدعى الى غير أبيه . وأما سخاؤها . فان أدناهم رجلا الذى تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه فى حموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالفلذة ، ويجتزى بالشربة ، فيعقرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر . وأما حكمة ألسنتهم : فان الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ، ورونق كلامهم ، وحسنه ووزنه ، وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء ، وضربهم للامثال وابلاغهم فى الصفات ما ليس لشىء من ألسنة الاجناس . ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء ، ولباسهم أفضل اللباس، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التى لا يبلغ على مثلها سفن ، ولا يقطع بمثلها بلد قفر . وأما دينها وشريعتها : فانهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه ان لهم أشهراً حرما ، وبلدا محرما، وبيتاً محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ، ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثاره وادراك رغمه منه ، فيحجزه كرمه ، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى . وأما وفاؤها : فان أحدهم يلحظ اللحظة ويومىء الايماء . فهى ولث وعقدة لا يحلها الا خروج نفسه ، وان أحدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهناً بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته، وان أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره فيصاب ، فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى أصابته أو تفنى قبيلته ، لما أخفر من جواره ، وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله . وأما قولك أيها الملك : يئدون أولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج . وأما قولك : ان أفضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها ، فما تركوا ما دونها الا احتقارا له، فعمدوا الى أجلها وأفضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم

شحوما ، وأطيبها لحوما ، وأرقها ألبانا ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مضغة ، وانه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها الا استبان فضلها عليه . وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا أنست من نفسها ضعفاً ، وتخوفت نهوض عدوها بالزحف اليها ، وانه انما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم ، فيلقون اليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمتهم . وأما العرب : فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والورث بالعسف . وأما اليمن التى وصفها الملك : فلما أتى جد الملك اليها الذى آتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق ، وأمر مجتمع ، أتاه مسلوباً طريداً مستصرخا ، قد تقاصر عن ايوائه ، وصغر فى عينه ما شيد من بنائه ، ولولا ماوتر به من يليه من العرب ، لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ، ويغضب للاحرار ، من غلبة العبيد الاشرار . قال فعجب كسرى : لما أجابه النعمان به وقال انك لاهل لموضعك من الرياسة فى أهل اقليمك ولما هو أفضل . ثم كساه من كسوته ، وسرحه الى موضعه من الحيرة . فلما قدم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم . بعث الى أكثم بن صيفى . وحاجب بن زرارة التميميين والى الحرث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين ، والى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر ابن الطفيل العامريين ، والى عمرو بن الشريد السلمى وعمرو بن معديكرب الزبيدى ، والحرث بن ظالم المرى . فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها . وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غورا ويكون انما أظهرها الامر أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض طماطمته فى تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم الذين حوله . فاقتص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه : فقالوا أيها الملك : وفقك الله ما أحسن ما رددت ، وأبلغ ما حججته به ، فمرنا بأمرك ، وادعنا الى ما شئت . قال : انما أنا رجل منكم ، وانما ملكت وعززت بمكانكم ، وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب الى مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزكم . والرأى أن تسير وا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا الى كسرى . فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ماظن أوحدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فانه ملك عظيم السلطان ، كثير الاعوان مترف معجب بنفسه ، ولا تنخزلوا له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم

ابن صيفى لسنى حاله ، ثم تتابعوا على الامر من منازلكم التى وضعتكم بها ، فانه دعانى الى التقدمة اليكم علمى بجميل كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه . فلا يكونن ذلك منكم فيجد فى آدابكم مطعناً ، فانه ملك مترف ، وقادر مسلط . ثم دعالهم بما فى خزائنه من طرائف حلل الملوك كل رجل منهم حلة وعممه عمامة وختمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة . وكتب معهم كتابا . أما بعد : فان الملك ألقى الى من أمر العرب ماقد علم ، وأجبته بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ولا يتلجلج فى نفسه أن أمة من الامم التى احتجزت دونه بمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها فى شىء من الامور التى يتعزز بها ذوو الحزم والقوة ، والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليغامض عن جفاء ان ظهر من منطقهم ، وليكرمنى باكرامهم ، وتعجيل سراحهم ، . قد نسبتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم . فخرج القوم فى أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا اليه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم . فلما أن كان بعد ذلك بايام أمر مرازبته و وجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسى عن يمينه وشماله . ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التى وصفهم النعمان بها فى كتابه ، وأقام الترجمان ليؤدى اليه كلامهم ، ثم أذن لهم فى الكلام ، فقام أكثم بن صيفى . فقال : ان أفضل الاشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الازمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطىء ، آفة الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الامور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، اصلاح فساد الرعية ، خير من اصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته ، كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرىء . المرء يعجز لا محالة ، أفضل من الاولاد البررة ، خير الاعوان من لم يراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر ، من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه الصمت حكم ، وقليل فاعله ، البلاغة الايجاز ، من شدد نفر ، ومن تراخى تألف . فتعجب كسرى من أكثم . ثم قال ويحك يا أكثم ما أحكمك ، وأوثق كلامك ، لولا وضعك كلامك فى غير موضعه . قال أكثم : الصدق ينبىء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكثم : رب قول أنفذ من صول . ثم قام حاجب بن زرارة التميمى فقال : ورى

زندك ،وعلت يدك ، وهيب سلطانك ، ان العرب أمة قدغلظت أكبادها ، واستحصدت مرتها، ومنعت درتها ، وهي لك وامقة ماتألفتها، مسترسلة مالاينتها ، سامعة ماسامحتها ، وهي العلقم مرارة ، وهي الصاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلالة ، نحن وفودها اليك ، وألسنتها اليك ، ذمتنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ، ان نؤب لك حامدين خيرا ، فلك بذلك عموم محمدتنا ، وان نذم لم نحض بالذم دونها . قال كسرى : ياحاجب ماأشبه حجر التلال بالوان صخرها . قال حاجب : بل زئير الاسد بصولتها . قال كسرى : وذلك . ثم قام الحرث بن عباد البكرى . فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها، وعلوشأنها،من طال رشاؤه كثرمتحه ، ومن ذهب ماله قل منحه ، تناقل الاقاويل يعرف اللب . وهذامقام سيوجف بما ينطق به الركب،وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب . ونحن جيرانك الادنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا جمة ، وجيوشنا فخمة ، ان استنجدتنا فغير ربض ، وان استطرقتنا فغير جهض ، وان طلبتنا فغير غمض ، لا ننثني لذعر ، ولا نتنكر لدهر ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار . قال كسرى :أنفس عزيزة،وسامة ضعيفة . قال الحرث : أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزة أو لصغير مرة. قال كسرى : لوقصر عمرك، لم تستول على لسانك نفسك . قال الحرث : أيها الملك : ان الفارس اذاحمل نفسه على الكتيبة ، مغررا بنفسه على الموت،فهي منية استقبلها ، وجنان استدبرها ، والعرب تعلم انى أبعث الحرب قدماواحبسها وهي تصرف بها حتى اذا جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلت مقادها رمحى ، وبرقها سيفى ورعدها زئيرى ، ولم أقصر عن خوض خضخاضها،حتى أنغمس فى غمرات لججها،وأكون فلكا لفرسانى الى بحبوحة كبشها ، فاستمطرها دماوأترك حماتها جزر السباع ، وكل نسر قشعم . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هو قالوا فعاله أنطق من لسانه قال كسرى : ماراًيت كاليوم وفدا أحشد ، ولا شهودا أوفد . ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال : أيها الملك نعم بالك ، ودام فى السرور حالك ، ان عاقبة الكلام متدبرة ، وأشكال الامور معتبرة ، وفى كثير ثقلة ، وفى قليل بلغة ، وفى الملوك سورة العز ، وهذا منطق له مابعده ، شرف فيه من شرف، وخمل فيه من خمل ، لم نأت لضيمك ، ولم نفد لسخطك ، ولم نتعرض لرفدك ، ان فى أمورنا منتقدا ، وعلى عزنامعتمدا ، ان أوربنا ناراً اثقبنا ، وان أرود دهر بنااعتدلنا ، الاأنامع هذا لجوارك حافظون ، ولمن رامك كافون

حتى يحمد الصدر ، و يستطاب الخبر . قال كسرى : مايقوم قصدمنطقك بافراطك ، ولا مدحك يذمك . قال عمرو : كفى بقليـل قصدى هاديا ، و بايسرافراطى مخبرا ، و لم يلم ، من غربت نفسه عما يعلم ، ورضى من القصد بمـا بلغ . قال كسرى : ما كل مايعرف المرء ينطق به اجلس . ثم قام خالد بن جعفر الـكلابى فقال : أحضرالله الملك اسعادا ، وأرشده ارشادا ، ان لـكل منطق فرصة ، ولـكل حاجة غصة ، وعى المنطق أشد من عى السكوت ، وعثار القول أنكا من عثار الوعث ، ومافرصة المنطق عنـدنا الا بمـا نهوى ، وغصة المنطق بما لانهوى غيرمستساغة ، وتركى ما أعلم من نفسى و يعـلم من سمعى انى له مطيق أحب الى من تكلفى ما أتخوف و يتخوف منى . وقـد أوفدنا اليـك ملـكنا النعـمان ، وهولك من خير الاعوان ، ونعم حامـل المعروف والاحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخعة ، و رقابنا بالنصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رهينـة . قال له كسرى : نطقت بعقل ، وسمرت بفضل ، وعلوت بنبل . ثم قام علقمة بن علاثة العامرى . فقال نهجت لك سبل الرشاد ، وخضعت لك رقاب العباد ، ان للاقاويل مناهج ، وللآراء موالج ، وللعويص مخارج ، وخيرالقول أصدقه ، وأفضل الطلب أنجحه ، انا وان كانت المحبة أحضرتنا ، والوفادة قربتنا ، فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك ، بل لو قست كل رجل منهم ، وعلمت منهم ماعلمنا لوجدت له فى آبائه دنيا أندادا وأكفاء كلهم الى الفضل منسوب ، و بالشرف والسودد موصوف ، و بالرأى الفاضل والادب النافذ معروف ، يحمى حماه ، و يروى ندامااه ، و يذود أعداه ، لا تخمد ناره ، ولا يحترز منه جاره ، أيها الملك من يبل العرب يعرف فضلهم ، فاصطنع العرب ، فانها الجبال الرواسى عزا ، والبحور الزواخر طمياً ، والنجوم الزواهر شرفا ، والحصى عددا ، فان تعرف لهم فضلهم يعزوك ، وان تستصرخهم لايخذلوك . قال كسرى : وخشى أن يأتى منه كلام يحمله على السخط عليـه حسـبك أبلغت وأحسنت . ثم قام قيس بن مسعود الشيبانى فقال : أطاب الله بك المراشـد ، وجنبك المصائب ، ووقاك مكروه الشصائب ، ماأحقنا اذ أتيناك باسماعك ، مالا يحنق صدرك ، ولا يزرع لنا حقدا فى قلبك ، لم نقدم أيهـا الملك لمساماة ، ولم نعتب لمعاداة ، ولـكن لتعلم أنت و رعيتك ومن حضرك من وفود الامم انا فى المنطق غير محجمين ، و فى الناس غير مقصرين ، ان جورينا فغـير مسبوقين ، وان سومينا فغير مغلوبين . قال كسرى : غـير انكم اذا عاهدتم غير وافين ، وهو يعرض به فى تركه الوفاء بضمانه السواد . قال قيس : أيهـا الملك ما كنت فى ذلك الا كواف غـدر به ، أوكخافر أخفر بذمته . قال كسرى : مايكون لضعيف ضمان ، ولا

لذليل خفارة . قال قيس : أيها الملك ما أنا فيما أخفر من دمتى ، أحق بالزامى العار منك فيما اقتـل من رعيتك ، وانتهك من حرمتك . قال كسرى : ذلك من ائتمن الخانة ، واستنجد الأثمـة ناله من الخطأ ما نالنى ، وليس كل الناس سواء ، كيف رأيت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيبرم ، و يعهد فيوفى ، و يعـد فينجز . قال : وما أحقه بذلك وما رأيته إلا لى . قال كسرى : القوم بزل فافضلها أشدها . ثم قام عامر بن الطفيل العامرى فقال : كثر فنون المنطق وليس القول أعمى من حندس الظلماء ، وانما الفخر فى الفعال ، والعجز فى النجدة ، والسودد مطاوعـة القدرة ، وما أعلمك بقدرنا ، وأبصرك بفضلنا ، و بالحرى أن أدالت الايام ، وثابت الاحلام ، أن تحدث لنا أمورا لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الاعلام . قال مجتمع الاحياء من ربيعـة ومضر ، على أمر يذكر . قال كسرى : وما الامر الذى يذكر . قال : مالى علـم با كثر مما خبرنى به مخبر . قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل . قال : لست بكاهن ، ولـكنى بالرمح طاعن . قال كسرى : فان أتاك آت من جهة عينك العوراء ما أنت صانع . قال : ما هيبتى فى قفاى بدون هيبتى فى وجهى . وما أذهب عينى عبث ولـكن مطاوعة العبث . ثم قام عمرو بن معديكرب الزبيدى فقال : انما المرء بأصغريه قلبـه ولسانه ، فبـلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتياد ، وعفو الرأى خـير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخـبرة ، خير من اعتساف الحيرة ، فاجتبذ طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يسلس لنا قيادنا ، فانا اناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما ، ولـكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما . ثم قام الحارث بن ظالم المرى فقال : ان من آفة المنطق الـكذب ، ومن لؤم الاخـلاق الملق ، ومن خطل الرأى خفـة الملك المسلط . فان أعلمناك أن مواجهتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ، ما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولـكن الوفاء بالعهود ، واحكام ولث العقود ، والامر بيننا و بينك معتـدل ، ما لم يات من قبلك ميـل أو زلل . قال كسرى : من أنت . قال : الحرث بن ظالم . قال : ان فى أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك ، وأن تـكون أولى بالغـدر ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : ان فى الحق مغضبـة ، والسر والتغـافل ولن يستوجب أحـد الحلم الامع القدرة ، فتشبه أفعالك مجلسك . قال كسرى : هذا فتى القوم . ثم قال كسرى : قـد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفنن فيـه متكلموكم ، ولولا انى أعلم أن الادب لم يثقف أودكم ، ولم يحكم أمركم ، وانه ليس لـكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم اجز لكم كثيرا

مما تكلمتم به ، وانى لا كره أن أجبه وفودى وأحنق صدورهم ، والذى أحب من اصلاح مدبركم ، وتألف شواذكم ، والاعذار الى الله فيما بينى و بينكم ، وقد قبلت ما كان فى منطقكم من صواب ، وصفحت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا الى ملككم فاحسنوا موازرته ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم ، وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدبهم ، فان فى ذلك صلاح العامة

٢ — وفود حاجب بن زرارة على كسرى — العتبى عن أبيه : ان حاجب بن زرارة وفد على كسرى لما منع تميما من ريف العراق، فاستأذن عليه فاوصل اليه فقال أسيد العرب أنت . قال : لا . قال : فسيد مضر . قال : لا . قال : فسيد بنى أبيك أنت . قال : لا . ثم أذن له فلما دخل عليه . قال له : من أنت . قال : سيد العرب . قال : أليس قد أوصلت اليك أسيد العرب . فقلت : لا . حتى اقتصرت بك على بنى أبيك . فقلت: لا . قال له : أيها الملك لم أكن كذلك حتى دخلت عليك . فلما دخلت عليك صرت سيد العرب . قال كسرى : آه املؤا فاه درا ثم قال : انكم معشر العرب غدر ، فان أذنت لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، وآذيتمونى . قال حاجب : فانى ضامن للملك أن لا يفعلوا . قال: فمن لى بان تفى أنت . قال : أرهنك قوسى . فلما جاء بها ضحك من حوله . وقالوا لهذه العصا يفى . قال كسرى : ما كان ليسلمها لشىء أبداً فقبضها منه . وأذن لهم أن يدخلوا الريف . ثم ان مضر أتت النبى صلى الله عليه وسلم . فقالوا: يارسول الله هلك قومك وأ كلتهم الضبع يريدون الجوع والعرب يسمون السنة الضبع والذئب قال جرير : من ساقت السنة الشهباء والذئب . فدعا لهم النبى صلى الله عليه وسلم فاحيو . وقد كان دعا عليهم . فقال : اللهم اشدد وطأتك على مضر . وابعث عليهم سنين كسنى يوسف . ومات حاجب بن زرارة . فارتحل عطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال له: ما أنت الذى رهنتها . قال : أجل . قال : فما فعل . قال : هلك وهو أبى وقد وفى له قومه ووفى هو للملك . فردها عليه وكساه حلة . فلما وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب وهو رئيس تميم . وأسلم على يديه أهداها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من رجل من اليهود باربعة آلاف درهم

٣ — وفود أبى سفيان الى كسرى — الاصمعى . قال : حدثنا عبد الله بن

دينار عن عبد الله بن بكر المري . قال أبوسفيان : أهديت لكسرى خيلا وأدما فقبل الخيل وردالادم وأدخلت عليه فكأن وجهه وجهان من عظمه . فألقى الى مخدة كانت عنده . فقلت: واجوعاه أهذه حظي من كسرى بن هرمز . قال: فخرجت من عنده فما أمر على أحد من حشمه الا أعظمها حتى دفعت الى خازن له . فاخذها وأعطاني ثمانمائة اناء من فضة وذهب . قال الاصمعي : فحدثت بهذا الحديث أباالبورستان الفارسي . فقال: كانت وظيفة المخدة ألفا الا أن الخازن اقتطع منها مائتين

٤ — وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر — قال وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر . قال: فلقيت رجلا ببعض الطريق . فقال لي أين تريد . قلت : هذا الملك . قال: فانك اذا جئته متروك شهرا ثم تترك شهرا آخر . ثم عسى أن يأذن لك: فان أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه خيرا . وان رأيت أباأمامة النابغة فاظعن فانه لاشيء لك . قال : فقدمت عليه ففعل بي ماقال . ثم خلوت به وأصبت مالا كثيرا ونادمته . فبينا أنا معه اذا رجل ترتجز حول القبة ويقول :

تنام أم تسمع رب القبه * يا أوهب الناس لعنس صلبه
ضرابة بالمشفر الاذبه * ذات عباب في يديها خلبه

فقال النعمان : أبو امامة ائذنوا له . فدخل فحياه وشرب معه ووردت النعم السود ولم يكن لاحد من العرب بعير أسود غيره ولا يفتحل أحد فحلا أسود . فاستأذنه النابغة في الانشاد فاذن له فانشده قصيدته التي يقول فيها :

فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فأمر له بمائة ناقة من الابل السود برعاتها فما حسدت أحدا قط حسدي له في شعره وجزيل عطائه

٥ — وفود قريش على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة — نعيم بن حماد قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري . قال قال ابن عباس : لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه . فأتاه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم

وأمية بن عبدشمس . وأسدبن عبدالعزى . وعبدالله بن جدعان . فقدموا عليه وهو فى قصر له يقال له غمدان . وله يقول أبوالصلت والد أمية بن أبى الصلت :

لم يدرك الثار أمثال ابن ذى يزن * لجج فى البحر للاعـداء أحوالا
أتى هرقل وقـد شالت نعامتـه * فلم يجد عنـده القول الذى قالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعة * من السنين لقد أبعـدت ايغالا
حتى أتى ببنى الاحرار يقدمهـم * انك عمرى لقد أسرعت ارقالا
من مثـل كسرى وبهرام الجنود له * ومثل وهرز يوم الجيش ادحالا
لله درهم من عصـبة خرجوا * ما ان رابنا لهم فى الناس أمثالا
صيداً جحاجحة بيضا خضارمة * أسدا تربب فى الغابات أشبالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد * غادرت أوجههم فى الارض افلالا
اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً * فى رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم * وأسـبل اليوم فى برديك اسبالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن * شـيبا بماء فعادا بعـد أبوالا

فطلبوا الاذن عليه فاذن لهم . فدخلوا فوجدوه متضمخا بالعنبر يلصق وبيص المسك فى مفرق رأسه وعليه بردان أخضران قد ائتزر باحدهما وارتدى بالآخر وسـيفه بين يديه والملوك عن يمينه وشماله وأبناء الملوك والمقاول . فدنا عبـد المطلب فاستأذنه فى الكلام . فقال له قل فقال: ان الله تعالى أيها الملك أحلك محلا رفيعا ، صعبا منيعا ، باذخا شامخا ، وأنبتك منبتا طابت أرومتـه ، وعزت جرثومته ، ونبل أصله ، وبسق فرعه ، فى أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فانت أبيت اللعن رأس العرب ، وربيعها الذى به تخصب ، وملـكها الذى به تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى اليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدهم خـير خلف ، ولن يهلك من أنت خلفه ، ولن يخمل من أنت سلفه ، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته ، وسدنة بيته ، أشخصنا اليك الذى أبهجك لكشف الكرب الذى فدحنا ، فنحن وفد التهنئة . قال: من أنت أيها المتكلم . قال: أنا عبد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا . قال نعم: فأدناه وقربه ثم أقبل عليه وعلى القوم ، وقال مرحبا وأهلا ، وناقة ورحلا ، ومستناخا سهلا ، وملكا ربحلا ، يعطى عطاء جزلا ، فذهبت مثلا . وكان أول ما تكلم به ، قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل

وسيلتكم، فاهل الليل والنهار أنتم، ولكم القربى ما أقمتم، والحباء اذا ظعنتم. قال: ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود، وأجرى عليهم الانزال. فاقاموا ببابه شهرا لا يصلون اليه، ولا يأذن لهم فى الانصراف. ثم انتبه اليهم انتباهة. فدعا بعبد المطلب من بينهم فخلا به وأدنى مجلسه. وقال: ياعبد المطلب انى مفوض اليك من علمى أمرا لو غيرك كان لم أبح له به ولكنى رأيتك معدنه فاطلعتك عليه فليكن مصونا حتى يأذن الله فيه، فان الله بالغ أمره، انى أجد فى العلم المخزون، والكتاب المكنون، الذى ادخرناه لانفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبرا عظيما، وخطرا جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس كافة، ولرهطك عامة، ولنفسك خاصة. قال عبد المطلب: مثلك ياأيها الملك بر وسر و بشر، ماهو فداك أهل الوبر، زمرا بعد زمر. قال ابن ذى يزن: اذا ولد مولود بتهامة، بين كتفيه شامة، كانت له الامامة، الى يوم القيامة. قال عبد المطلب: أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب به أحد، فلولا اجلال الملك لسألته عما ساره الى ما ازداد به سرورا. قال ابن ذى يزن: هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، قد وجدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعل له منا أنصارا، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويفتتح كرائم الارض، ويضرب بهم الناس عن عرض، يخمد الاديان، ويكسر الاوثان، ويعبد الرحمن، قوله حكم وفصل، وأمره حزم وعدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله. فقال عبد المطلب طال عمرك، ودام ملكك، وعلا جدك، وعز فخرك، فهل الملك يسرنى، بان يوضح فيه بعض الايضاح. فقال ابن ذى يزن: والبيت ذى الطنب، والعلامات والنصب، انك ياعبد المطلب لجده من غير كذب، فخر عبد المطلب ساجدا. قال ابن ذى يزن: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا أمرك، فهل أحسست شيأ مما ذكرت لك. قال عبد المطلب أيها الملك: كان لى ابن كنت له محبا وعليه حدبا مشفقا، فزوجته كريمة من كرائم قومه، يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فجاءت بغلام بين كتفيه شامة، فيه كل ما ذكرت من علامة، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه، قال ابن ذى يزن: ان الذى قلت لك كما قلت، فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود، فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا اطو ما ذكرت لك، دون هؤلاء الرهط الذين معك، فانى لست آمن أن تدخلهم النفاسة، من أن تكون لكم الرياسة، فيبغون لك الغوائل، وينصبون لك الحبائل، وهم فاعلون وأبناؤهم، ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مهاجره. فانى أجد فى الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب دار

هجرته، و بيت نصرته، ولولا أنى أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات ، لاعلنت على حداثة سنه، وأوطأت أقدام العرب عقبه، ولكنى صارف اليك ذلك عن تقصيرمنى بمن معك . ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد، وعشر اماء سود وخمسة أرطال فضة وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوأة عنبرا . وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال اذا حال الحول فأنبئنى بما يكون من أمره . فما حال الحول حتى مات ابن ذى يزن ، فكان عبد المطلب بن هاشم يقول يامعشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطنى بما يبقى لى ذكره وفخره ولعقبى، فاذا قالوا له وماذاك ، قال سيظهر بعد حين :

٦ — وفود عبد المسيح على سطيح — جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرافة فعظم ذلك على أهل مملكته . فما كان أوشك أن كتب اليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة . وكتب اليه صاحب السماوة يخبره أن وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية . وكتب اليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خمدت تلك الليلة، ولم تخمد قبل ذلك بالف سنة . فلما تواترت الكتب أبرز سريره، وظهر لاهل مملكته، فاخبرهم الخبر . فقال الموبذان أيها الملك : انى رأيت تلك الليلة رؤيا هالتنى . قال له : وما رأيت . قال : رأيت ابلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا . قال رأيت عظيما فما عندك فى تأويلها . قال ماعندى فيها ولا فى تأويلها شىء . ولكن أرسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فبعث اليه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى . فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر . فقال له : أيها الملك والله ماعندى فيها ولا فى تأويلها شىء . ولكن جهزنى الى خال لى بالشام يقال له سطيح . قال جهزوه فلما قدم على سطيح وجده قد احتضر . فناداه فلم يجبه وكلمه فلم يرد عليه . فقال عبد المسيح:

أصم أم تسمع غطريف اليمن * يافاصل الخطة أعيت من ومن

أتاك شيخ الحى من آل سنن * أبيض فضفاض الرداء والسدن

رسول قيل العجم يهوى للوثن * لا يرهب الوعد ولا ريب الزمن

فرفع اليه رأسه . وقال عبد المسيح، على جمل مشيح، الى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاج الايوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى ابلا صعابا،

تقود خيلا عرابا ، قداقتحمت فى الواد ، وانتشرت فى البلاد ، عبد المسيح ، اذاظهرت التلاوة ، وفاض وادى السماوة ، وظهر صاحب الهراوة ، فليست الشام لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات ، عدد سقوط الشرفات ، وكل ماهو آت آت . ثم قال:

ان كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فان ذا الدهر أطوار دهارير

منهم بنو الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وسابور وسابور

فربما أصبحوا منهم بمنزلة * يهاب موتهم الاسد الاهاصير

حثوا المطى وجدوا فى رحالهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور

والناس أولاد علات فمن علموا * ان قد أقل فمحقور ومهجور

والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

ثم أتى كسرى فاخبره فغمه ذلك . ثم تعزى فقال: الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان فهلكوا كلهم فى أربعين سنة

٧ — وفود همدان على النبى صلى الله عليه وسلم — قدم مالك ابن نمط فى وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقوه مقبلا من تبوك . فقال مالك بن نمط: يارسول الله تحية من همدان من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام ، لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، مخلاف خارف ، وتام عهدهم لا ينتقض ، عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما قامت لعلع وما جرى اليعفور بصيلع . فكتب اليهم النبى صلى الله عليه وسلم: هذا كتاب من محمد رسول الله الى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافد هادى المعشار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ، ويرعون عفاها ، لنا من دفئهم وصرامهم ماسلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والكبش الحوارى وعليهم الصالغ والقارح

٨ — وفود النخع على النبى صلى الله عليه وسلم — قدم أبو عمرو النخعى على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى رأيت فى طريقى هذه رؤيا رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أسفع أحوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من أمة تركتها مصرة حملا

قال نعم تركت أمة لى أظنها قد حملت . قال: فقد ولدت غلاما وهو ابنك . قال فماله أسفع أجوى قال ادن منى فدنا منه . فقال هل بك برص تكتمه . قال نعم والذى بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال فهو ذلك . قال: و رأيت النعمان ابن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب عاد الى أفضل زيه و بهجته . قال: ورأيت عجوزا شمطاء تخرج من الارض . قال تلك بقية الدنيا . قال: و رأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى و بين ابن لى يقال له عمرو و رأيتها تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعمونى آكلكم آكلكم أهلككم ومالكم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : تلك فتنة فى آخر الزمان قال وما الفتنة يارسول الله قال يقتل الناس امامهم ثم يشتجرون اشتجار اطباق الرأس . وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسيئُ أنه محسن ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء

٩ — وفود كلب على النبى صلى الله عليه وسلم — قدم قطن بن حارثة العليمى فى وفد كلب على النبى صلى الله عليه وسلم فذكر كلاما . فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا نسخته: هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر كلب وأحلافها ومن صاده الاسلام من غيرها مع قطن بن حارثة العليمى باقامة الصلاة لوقتها، وايتاء الزكاة لحقها، فى شدة عقدها، و وفاء عهدها، بمحضر شهود من المسلمين . سعد بن عبادة . وعبد الله بن أنيس . ودحية بن خليفة الكلبى عليهم فى الهمولة الراعية البساط الظؤار فى كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفى الشوى الورى مسنة حامل أو حافل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها مما أخرجت أرضها وفى العثرى شطره بقيمة الامين فلا تزاد عليهم وظيفة ولا تفرق يشهد الله تعالى على ذلك و رسوله . وكتب ثابت بن قيس بن شماس

١٠ — وفود ثقيف على النبى صلى الله عليه وسلم — وفدت ثقيف على النبى صلى الله عليه وسلم فكتب لهم كتابا حين أسلموا أن لهم ذمة الله وأن واديهم حرام عضاهه وصيده وظلم فيه وأن ما كان لهم من دين الى أجل فبلغ أجله فانه لياط مبرأ من الله و رسوله وأن ما كان لهم من دين فى رهن و راء عكاظ فانه يقضى الى رأسه و يلاط بعكاظ

١١ — وفود مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم — وفد ظبيان بن حداد فى سراة

مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء على الله عز وجل بما هو اهله: الحمد لله الذي صدع الارض بالنبات، وفتق السماء بالرجع. ثم قال نحن قوم من سراة مذحج من يحائر بن مالك. ثم قال فتوقلت بنا القلاص، من أعالى الحوف ورؤس الهضاب، يرفعها عوار الربا، ويخفضها بطنان الرقاق، وتلحقها دياجي الدجا. ثم قال وسروات الطائف كانت لبني مهلائيل ابن قينان غرسوا ودانه، وذللوا خشانه، ورعوا قربانه، ثم ذكر نوحا حين خرج من السفينة بمن معه. قال فكان أكثر بنيه بناتا، وأسرعهم نباتا، عادا وثمود فرماهم الله بالدمالق، وأهلكهم بالصواعق، ثم قال وكانت بنو هانئ من ثمود تسكن الطائف، وهم الذين خطوا مشاربها، وأتوا جداولها، وأحيوا غراسها، ورفعوا عريشها، ثم قال ان حمير ملكوا معاقل الارض وقرارها، وكهول الناس وعمارها، ورؤس الملوك وغرارها، فكان لهم البيضاء والسوداء، وفارس الحمراء، والجزية الصفراء، فبطروا النعم، واستحقوا النقم، فضرب الله بعضهم ببعض. ثم قال وان قبائل من الازد نزلوا على عهد عمرو بن عامر ففتحوا فيها الترائع، وبنوا فيها المصانع، واتخذوا الدسائع، ثم ترامت مذحج باسنتها، وتنزت باعنتها، فغلب العزيز ذلها، وقتل الكثير أقلها، ثم قال وكان بنو عمرو وابن حدبة يخبطون عصيدها، ويا كلون حصيدها، ويرشحون خضيدها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان نعيم الدنيا أقل وأصغر عند الله من خرء بعيضة. ولو عدلت عند الله جناح ذباب لم يكن لكافر منها خلاق ولا لمسلم منها لحاق

١٢ — وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم —

وفد لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن المنتفق. قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا المدينة لانسلاخ رجب. فاتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة. فقام في الناس خطيبا. فقال أيها الناس: ألا اني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لا سمعكم اليوم الا فهل من امرئ قد بعثه قومه فقالوا اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم. ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو تلهيه الضلال ألا واني مسؤل هل بلغت ألا اسمعوا ألا اجلسوا فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى اذا فرغ لنا فؤاده وبصره. قلت يارسول الله: ما عندك من علم الغيب.

فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنى أبتغى سقطه فقال : ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله . قال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم ما فى غد ، وعلم المنى حين يكون فى الرحم قد علمه ولا تعلمونه ، وعلم الغيث يشرف عليكم أذلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن عونكم قريب . قال لقيط : لن نعدم من رب يضحك خيراً وعلم يوم الساعة . قلت يارسول الله : انى سائلك عن حاجتى فلا تعجلنى . قال سل عما شئت . قال قلت يارسول الله : علمنا ما تعلم الناس وكما تعلم فانا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذحج التى تدنو الينا . وخثعم التى توالينا . وعشيرتنا التى نحن منها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلبثون ما لبثتم ، ثم يتوفى نبيكم ، ثم تلبثون حتى تبعث الصيحة فلعمر الهك ماتدع على ظهرها من شىء الا مات والملائكة الذين عند ربك ، فيصبح ربك يطوف فى الارض وقد خلت عليهم البلاد . فيرسل ربك بهضب من عند العرش . فلعمر الهك مايدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت الا شقت القبر عنه حتى يلقيه من قبل رأسه فيستوى جالسا ، ثم يقول ربك مهيم لما كان فيه يقول أمس لعهده بالحياة يحسبه حديث عهد بأهله . فقلت يارسول الله : كيف يجمعنا بعد ما قد تمزقتنا الرياح والبلى والسباع . قال أنبئك بمثل ذلك فى إلّ الله أشرفت على الارض وهى مدرة يابسة . فقلت : لا تحيا هذه أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث الا أياما حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة . ولعمر الهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الارض فتخرجون من الاصواء . قال ابن اسحق : الاصواء أعلام القبور من مصارعهم فتنظرون اليه ساعة وينظر اليكم . قال قلت يارسول الله : كيف ونحن ملء الارض وهو شخص واحد ينظر وننظر . قال : أنبئك بمثل ذلك فى إلّ الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ساعة واحدة ويريانكم . قال قلت يارسول الله : فما يفعل بنا ربنا اذا القيناه . قال تعرضون عليه بادية صفحاتكم لا تخفى منكم خافية . فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم . فلعمر الهك ماتخطئ وجه واحد منكم قطرة . فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء . وأما الكافر فتخطمه بمثل الحمم الالود ، ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون . قال فتسلكون جسرا من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول أحس يقول ربك وانه فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهله . فلعمر الهك ما يبسط أحد منكم يده الا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والاذى وتخنس الشمس والقمر فلا ترون منهما أحداً . قال

قلت يارسول الله : فيم نبصر يومئـذ . قال بمثل بصر ساعتـك وذلك مع طلوع الشمس فى يوم سفرته الارض واجهته بالجبال . قال قلت يارسول الله : فيم نجزى من سيآتنا وحسناتنا . قال : الحسنة بعشر أمثالهـا والسيئة بمثلها أو يعـفو . قال قلت يارسول الله : فـما الجنة أم النار . قال : لعمر إلهك ان النار سبعة أبواب مامنها بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما . قال قلت يارسول الله : فعلام نطلع من الجنة . قال : على أنهار من عسل مصفى . وأنهار من كاس ما ان بها صداع ولا ندامة . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة . لعمر الهك ما تعلمون وخير من مثله معـه وأزواج مطهـرة . قال قلت يارسول الله : أولنا فيها أزواج أومنهن مصلحات . قال : الصالحات للصالحين تلذون بهن مثـل لذاتـكم فى الدنيا وتلذذ بكم غير أن لا توالد . قال لقيط : أقصى مانحن بالغـون ومنتهون اليـه . قال قلت يارسول الله : علام أبايعك . قال : فبسـط الى يده . قال : على اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وزيال الشرك ، فلا تشرك بالله إلهـا غـيره قال فقلت : وان لنا ما بين المشرق والمغرب فقبض يده وظن أنى أشترط عليه شيأ لا يعطينيه . قال قلت : نحل منها حيث شئنا ، ولا يجزى عن امرئ الا نفسه ، فبسط الى يده وقال ذلك لك : حل حيث شئت ، ولا يجزى عنك الا نفسك . فانصرفنا عنه

١٣ — وفود قيلة على النبي صلى الله عليه وسلم — خرجت قيلة ابنة مخرمة التميمية تبغى الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وكان عم بناتها وهو أثوب بن أزهر قد انتزع منهـا بناتها فبكت جويرية منهن حـديباء قد أخذتها الفرصة عليها مسيح من صوف . فذهبت بها فبينما هما ترتـكان الجمل اذا انتفجت الارنب . فقالت الحديباء : الفيصة والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب ، ثم سنح الثعلب فسمته اسما نسيه ناقل الحديث . ثم قالت فيه مثل ماقالت فى الارنب : فبينما هما ترتـكان الجمل اذ برك الجمـل وأخذه رعدة . فقالت الحـديباء : أخـذتك والامانة أخـذة أثوب . قالت قيلة . فقلت لهـا فما أصـنع ويحـك . قالت : قلبى ثيابك ظهورها لبطونها ، وادحرجى ظهرك لبطنك ، وقلبى أحلاس جملك ، ثم خلعت سبيجها فقلبته ثم ادحرجت ظهرها لبطنها . فلما فعلت ما أمرتنى به انتفض الجمل ثم قام فناج وبال . فقالت : أعيدى عليه أداتك ففعلت ، ثم خرجنا نرتك . فاذا أثوب يسعى وراءنا بالسيف صلتا فوألنا الى حواء ضخم فدأراه حتى ألقى الجمل الى رواقه الاوسط جملا ذلولا واقتحمت داخله وأدركنى بالسيف فأصابت ظبته طائفة من قرون رأسيه . ثم قال ألقى الى ابنـة أخى ياد فار فالقيتها اليـه

فجعلها على منكبيه وذهب بها وكانت أعلم به من أهل البيت، وخرجت الى أخت لى ناكح فى بنى شيبان أبتغى الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينما أنا عندها تحسب انى نائمة اذ جاء زوجها من الشام . فقال لها : وأبيك لقد وجدت لقيلة صاحب صدق . قالت أختى من هو . قال : حريث بن حسان الشيبانى وافد بكر بن وائل ذا صباح . فقالت أختى : لا تخبرها فتتبع أخا بكر بن وائل بين سمع الارض و بصرها ليس معها أحد من قومها . قالت : وسمعت ماقالا ، فغدوت الى جملى فشددت عليه . ثم نشدت عنه فوجدته غير بعيد ، فسألته الصحبة: فقال نعم: وكرامة و ركابهم مناخة . قالت : فسرت معه صاحب صدق حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالناس صلاة غد قد أقيمت حين شق الفجر والنجوم شابكة فى السماء والرجال لا تكاد تعارف من ظلمة الليل ، فصففت مع الرجال ، وكنت امرأة قريبة عهد بجاهلية . فقال الرجل الذى يلينى من الصف : امرأة أنت أم رجل . فقلت لا : بل امرأة . فقال : انك كدت تفتنينى فصلى فى النساء وراءك فاذا صف من نساء قد حدث عند الحجرات لم أكن رأيته اذ دخلت فكنت فيهن حتى اذا طلعت الشمس دنوت فجعلت اذا رأيت رجلا ذا رئاء وقشر طمح اليه بصرى لارى رسول الله فوق الناس حتى جاء رجل . فقال : السلام عليك يارسول الله . فقال : وعليك السلام ورحمة الله وعليه تعنى النبى صلى الله عليه وسلم أسمال مليتين كانتا بزعفران قد نفضتا ومعه عسيب نخلة منشق غير توصيتين من أعلاه وهو قاعد القرفصاء . فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متخشعا فى الجلسة أرعدت من الفرق . فقال جليسه يارسول الله : أرعدت المسكينة . فقال رسول الله : ولم ينظر الى وأنا عند ظهره يامسكينة عليك السكينة . قالت : فلما قالها صلى الله عليه وسلم أذهب الله ما كان أدخل فى قلبى من الرعب . وتقدم صاحبى أول رجل . فبايعه على الاسلام عليه وعلى قومه ، ثم قال يارسول الله : اكتب بيننا وبين تميم كتابا بالدهناء لا يجاوزها الينا منهم الا مسافر أو مجاور . قال ياغلام : اكتب له بالدهناء . قالت : فلما رأيته أمر بأن يكتب له شخص بى وهى وطنى ودارى . فقلت يارسول الله: انه لم يسألك السوية من الارض اذ سألك انما هذه الدهناء مقيد الجمل ومرعى الغنم ونساء بنى تميم وأبناؤها وراء ذلك . فقال : أمسك ياغلام صدقت المسكينة المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر، و يتعاونان على الفتان . فلما رأى حريث أن قد حيل دون كتابه . قال : كنت أنا وأنت كما قال فى المثل : حتفها تحمل ضأن باظلافها . فقلت :

أماوالله ان كنت لدليـلا فى الظلماء جواداً لدى الرحل عفيفا عن الرفيقة . ولـكن لا تلمنى على حظى اذ سألت حظك . قال : وأى حظ لك فى الدهناء لا أبالك . قلت : مقيد جملى تريده لجمل امرأتك . فقلت : لا جرم أنى أشهد رسول الله أنى لك أخ ما حييت اذ أثنيت على عنده . فقلت : اذ بدأتها فلن أضيعها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : أيلام ابن هـذه أن يفصل الخطة، و ينتصر من وراء الحجرة . فقلت : فقد والله ولدته يا رسول الله حراما فقاتل معك يوم الربذة ، ثم ذهب يعترى من خيـبر فأصابته حماها وترك على النساء . فقال : أيغلب أحيدكم على أن يصاحب صويحبة فى الدنيا معروفاء . فوالذى نفس محمد بيده ان أحيدكم ليبـلى فيستعير اليه صويحبة فيا عباد الله لا تعذبوا اخوانكم . فـكتب لها فى قطعة أديم أحمر لقيلة ونسوة قبـلة ان لا يظلمن حقا ولا يكرهن على منـكح وكل مؤمن مسلم لهن نصـير أحسن ولا تسئن

١٤ ـ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكيدر دومة ـ من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكيدر دومة حـين أجاب الى الاسلام ، وخلع الانداد والاصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل وأكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى واغفال الارض والحلقة . ولكم السلاح والحصن . ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخمس لا تعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقها ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه .

١٥ ـــ كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر الحضرمي — من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاقيال العباهلة من حضرموت باقام الصلاة، وايتاء الزكاة، فى التبعة شاة ، وفى التيمة لصاحبها ، وفى السيوف الخمس ، لاخـلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار ومن أجبى فقد أربى ، وكل مسكر حرام .

١٦ ـ حديث جرير بن عبد الله البجلي ـ قدم جرير بن عبد الله البجلى على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم . فسأله عن منزله ببيته فقال سهل ودكداك ، وسـلم وأراك ، وحمض وعـلاك ، الى نخلة ونخلة ماؤها ينبوع ، وجنابها مريع ، وشتاؤها ربيع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان خير الماء الشبم ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى الاراك ،

والسلم، اذا أخلف كان لجينا، واذا أسقط كان رديئا، واذا أكل لينا ، وفى كلامه عليه الصلاة والسلام : ان الله خلق الارض السفلى من الزبد الجفاء ، والماء الكباء .

١٧ ـ حديث عياش بن أبى ربيعة ـ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عياش بن أبى ربيعة الى بنى عبد كلال . وقال له خذ كتابى بيمينك وادفعه بيمينك فى أيمانهم . فهم قائلون لك اقرأ فاقرأ : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين . فاذا فرغت منها فقل آمن محمد وأنا أول المؤمنين فلن تأتيك حجة الا وقد دحضت، ولا كتاب زخرف الا وذهب نوره ، ومح لونه ، وهم قارئون فاذا رطنوا فقد ترجموا فقل حسن آمنت بالله وبما أنزل من كتاب الله . فاذا أسلموا فسلهم قضبهم الثلاثة التى اذا تخصروا بها سجدلهم . وهى الاثل قضيب ملمع ببياض . وقضيب ذو عجز كانه من خيزران . والاسود البهيم كأنه من ساسم . ثم اخرجها فحرقها فى سوقهم :

١٨ ـ حديث راشد بن عبد الله السلمي ـ عبد الله ابن الحكم الواسطى من بعض أشياخ أهل الشام قال قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب . و وجه راشد بن عبد الله أميرا على القضاء والمظالم قال . راشد بن عبد الله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر شأوه * و ردت عليه ما نفته تماضر
وحكمه شيب القذال عن الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلى * عن الجهل لما ابيض منى الغدائر
على أنه قد هاجه بعد صحوة * به فرض ذى الآجام عيش بواكر
ولما دنت من جانب الفرض أخصبت * وحلت ولاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها * و بين قرى بصرى ونجران كافر
فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

١٩ ـ وفود نابغة بنى جعدة على النبي صلى الله عليه وسلم ـ وفد أبو ليلى نابغة بنى جعدة على النبى صلى الله عليه وسلم فانشده شعره الذى يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم: الى أين أبا ليلى قال الى الجنة. قال النبي صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى. فلما انتهى الى قوله:

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك. فعاش مائة وثلاثين سنة لم ينفض له ثنية. و بقي حتى وفد على عبد الله بن الزبير في أيامه بمكة وامتدحه. فقال له، يا أبا ليلى ان أدنى وسائلك عندنا الشعر. لك في مال الله حقان حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بشركتك أهل الاسلام في فيئهم ثم أحسن صلته وأجازه

٢٠ — وفود طهية بن أبي زهير النهدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم —

لما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهية بن أبي زهير فقال يا رسول الله أتيناك من غوري تهامة باكوار الميس، ترمي بنا العيس، نستحلب الصبير، ونستخلب الخبير، ونستعضد البرير، ونستخيل الرهام، ونستجيل الجهام، من أرض غائلة النطا، غليظة الوطا، نشف المدهن، ويبس الجعثن، وسقط الاملوج، ومات العسلوج، وهلك الهدي، ومات الودي، برئنا اليك يا رسول الله من الدتن والعنن، وما يحدث الزمن، لنا دعوة السلام، وشريعة الاسلام، ماطما البحر، وقام تعار، ولنا نعم همل اغفال، ما تبض ببلال، ووفير كثير الرسل، قليل الرسل، أصابتها سنية حمراء، مؤزلة ليس بها علل، ولا نهل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر، ويانع الثمر، وافجر له الثمد، وبارك له في المال والولد، من أقام الصلاة كان مسلما، ومن آتى الزكاة كان محسنا، ومن شهد أن لا إله الا الله كان مخلصا، لكم يا بني نهد، ودائع الشرك، ووضائع الملك، لا تلطط في الزكاة، ولا تلحد في الحياة، ولا تثاقل عن الصلاة، وكتب معه كتابا الى بني نهد. بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله ورسله، لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة، ولكم العارض والفريش، وذو العنان الركوب، والفلو الضبيس، لا يمنع سرحكم، ولا يعضد طلحكم، ولا يحبس دركم، مالم تضمروا الرماق، وتأكلوا الرباق، من أقر بما في هذا الكتاب، فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة، ومن أبى عليه فعليه الدبوة

٢١ — وفود جبلة بن الايهم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه —

العجلى قال : حدثنى أبو الحسن على بن أحمد بن عمرو بن الاجدع الكوفى بهيت . قال حدثنى ابراهيم بن على مولى بنى هاشم . قال حدثنا ثقات شيوخنا أن جبلة بن الايهم بن أبى شمر الغسانى لما أراد أن يسلم كتب الى عمر بن الخطاب من الشام يعلمه بذلك و يستأذنه فى القدوم عليه . فسر بذلك عمر و المسلمون . فكتب اليه أن اقدم ولك مالنا وعليك ماعلينا . فخرج جبلة فى خمسمائة فارس من عك وجفنة . فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشى المنسوج بالذهب والفضة ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط مارية وهى جدته . فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الاخرج ينظر اليه حتى النساء والصبيان وفرح المسلمون بقدومه واسلامه حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر بن الخطاب . فبينا هو يطوف بالبيت اذ وطئ على ازاره رجل من بنى فزاره فحله . فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزارى عمر بن الخطاب فبعث اليه فقال مادعاك ياجبلة الى أن لطمت أخاك هذا الفزارى فهشمت أنفه . فقال انه وطئ ازارى فحله . فلولا حرمة هذا البيت لاخذت الذى فيه عيناه . فقال له عمر أما أنت فقد أقررت اما أن ترضيه والا أقدته منك . قال أتقيده منى وأنا ملك وهو سوقة . قال ياجبلة انه قد جمعك واياه الاسلام فما تفضله بشىء الا بالعافية . قال والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية . قال عمر هو ذلك قال اذن أتنصر . قال ان تنصرت ضربت عنقك . قال واجتمع قوم جبلة و بنو فزارة فكادت تكون فتنة . فقال جبلة أخرنى الى غد يا أمير المؤمنين . قال ذلك لك فلما كان جنح الليل خرج جبلة وأصحابه فلم يثن حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر وأقام عنده وأعظم هرقل قدوم جبلة وسر بذلك وأقطعه الاموال والارضون والرباع . فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا الى هرقل يدعوه الى الاسلام فاجابه الى المصالحة على غير الاسلام . فلما أراد أن يكتب جواب عمر قال للرسول ألقيت ابن عمك هذا الذى ببلدنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا . قال مالقيته . قال القه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك . وذهب الرسول الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل . قال الرسول فلم أزل أتلطف فى الاذن حتى أذن لى فدخلت عليه فرأيت رجلا أصهب اللحية ذا سبال . وكان عهدى به أسمر أسود اللحية والرأس فنظرت اليه فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها فى لحيته حتى عاد

أصهب وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفني رفعني معه في السرير فجعل يسائلني عن المسلمين فذكرت خيرا وقلت قد أضعفوا اضعافا على ما تعرف . فقال كيف تركت عمر بن الخطاب قلت بخير . فرأيت الغم قد تبين فيه لما ذكرت له من سلامة عمر قال فانحدرت عن السرير . فقال لم تابى الكرامة التي اكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال علام قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه . فقلت له: ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله . قال أبعد ما كان مني قلت نعم قد فعل رجل من بني فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلما . قال ذرني من هذا ان كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويوليني الامر بعده رجعت الى الاسلام قال ضمنت لك التزويج ولم أضمن لك الامرة . قال فاومأ الى خادم بين يديه فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة . وقال لي كل فقبضت يدي وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل في آنية الذهب والفضة . فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فاكل في الذهب والفضة وأكلت في الخلنج . فلما رفع الطعام جئ بطساس الفضة وأباريق الذهب . وأوما الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فالتفت فاذا خدم معهن الكراسي مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ثم سمعت حسا فاذا عشر جوار قد أقبلن مطمومات الشعر متكسرات في الحلي عليهن ثياب الديباج فلم أر وجوها قط أحسن منهن فاقعدهن على الكراسي عن يمينه ثم سمعت حسا فاذا عشر جوار أخرى فاجلسهن على الكراسي عن يساره . ثم سمعت حسا فاذا جارية كانها الشمس حسنا وعلى رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفي يدها اليمنى جامة فيها مسك وعنبر وفي يدها اليسرى جامة فيها ماء ورد فاومأت الى الطائر أو قال فصفرت بالطائر فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيه . ثم أومأت اليه أو قال . فصفرت به فطار حتى نزل على صليب في تاج جبلة . فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه وضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجواري اللواتي عن يمينه فقال بالله اطربنني فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلّقَ فى الزمان الاول
يسقون من ورد البريص عليهم * راحا يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدرى من قائل هذا . قلت : لا . قال قائله حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم التفت الى الجوارى اللاتى عن يساره فقال : بالله ابكيننا فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن و يقلن :

لمن الدار أقفرت بمعان * بين أعلى اليرموك فالجمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـــر محلا لحادث الازمان
قد أرانى هناك دهرا مكينا * عند ذى التاج مقعدى ومكانى
ودنا الفصح فالولائد ينظمـــن سراعا أكلة المرجان
لم يعللن بالمغافر والصمـــغ ولا نقف حنظل الشريان

قال فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيته . ثم قال : أتدرى من قال هذا . قلت لا أدرى قال حسان بن ثابت ثم أنشا يقول :

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها لجاج ونخوة * و بعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى الامر الذى قال لى عمر
و ياليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أومضر
و ياليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ثم سألنى عن حسان أحى هو ؟ قلت نعم تركته حيا . فامر لى بكسوة ومال ، ونوق موقرة برا ، ثم قال لى : ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرئه سلامى . وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر الجمال على قبره . فلما قدمت على عمر أخبرته خبر جبلة ومادعوته اليه من الاسلام ، والشرط الذى شرطه وانى ضمنت له التزويج ولم أضمن له الامرة . فقال : هلا ضمنت له

الامرة ، فاذا أفاءالله به الى الاسلام قضى عليه بحكمه عز وجل ، ثم ذكرت له الهدية التى أهداها الى حسان بن ثابت ، فبعث اليه وقد كف بصره فأتى وقائد يقوده . فلما دخل قال يا أمير المؤمنين : انى لاجد رياح آل جفنه عندك . قال : نعم هذا رجل أقبل من عنده . قال : هات ياابن أخى انه كريم من كرام مدحتهم فى الجاهلية ، فحلف أن لا يلقى أحدا يعرفنى الا أهدى الىّ معه شيئا ، فدفعت اليه الهدية المالَ والثيابَ وأخبرته بما كان أمر به فى الابل ان وجد ميتاً . فقال : وددْت انى كنت ميتا فنحرت على قبرى . قال الزبير : وانصرف حسان وهو يقول:

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم تغذهم آباؤهم باللوم

لم ينسنى بالشام اذ هو ربها * ملكا ولا متنصرا بالروم

يعطى الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم

فقال له رجل : كان فى مجلس عمر أتذكر ملوكا كفرة أبادهم الله وأفناهم . قال ممن الرجل ؟ قال مزنى . قال : أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة . قال : ثم جهزنى عمر الى قيصر وأمرنى ان أضمن لجبلة ما اشترط به ، فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه فى أم الكتاب

٢٢ـ وفود الاحنف على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ المدائنى قال: قدم الاحنف ابن قيس التميمى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أهل البصرة وأهل الكوفة . فتكلموا عنده فى أنفسهم وماينوب كلّ واحد منهم . وتكلم الاحنف . فقال : يا أمير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيدى الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وان اخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الامم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازلَ كسرى وقيصر ، و بنى الاصفر . فهم من المياه العذبة ، والجنان المختلفة ، فى مثل حولاء السلى وحدقة البعير ، تاتيهم ثمارهم غضة لم تخضر ، وانا نزلنا أرضاً نشاشة . طرف فى فلاة ، وطرف فى ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب ، وجانب سبخة نشاشة ، لا يجف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منا فعها فى مثل مرى النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ولدها ترنق العنز تخاف عليه العدو والسبع فالا ترفع خسيستنا ، وتنعش ركيستنا ، وتجبر فاقتنا ، وتزيد فى عيالنا عيالا ، وفى رجالنا رجالا ، وتصغر درهمنا ، وتكبر قفيزنا ، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا . قال عمر : هذا والله السيد . هذا والله السيد . قال الاحنف : فما

زلت أسمعها بعدها. فاراد زيد بن جبلة أن يضع منه . فقال ياأمير المؤمنين: انه ليس هناك وأمه باهلية . قال عمر : هو خير منك ان كان صادقا يريد ان كانت له نية . فقال الاحنف :

أنا ابن الباهلية أرضعتني * بثدى لا أجد ولا وخيم

أغض على القذى أجفان عيني * الى شر السفيه الى الحليم

قال فرجع الوفد واحتبس الاحنف عنده حولا وأشهرا . ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق صنع اللسان ، وانى خفتك فاحتبستك ، فلم يبلغنى عنك الا خير رأيت لك جولا ومعقولا فارجع الى منزلك واتق الله ربك * وكتب الى أبي موسى الاشعرى : ان يحتفر لهم نهرا

٢٣ ـ وفود الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه

العتبي عن أبيه قال : وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فاراد أن يقرع بينهما فى الرياسة . فلما اجتمعت بنو تميم . قال الاحنف :

ثوى قدح عن قومه طالما ثوى * فلما أتاهم قال قوموا تناجروا

فقال عمرو بن الاهتم : انا كنا وأنتم فى دار جاهلية فكان الفضل فيها لمن جهل . فسفكنا دماءكم ، وسبينا نساءكم ، وانا اليوم فى دار الاسلام والفضل فيها لمن حلم ، فغفر الله لنا ولك . قال: فغلب يومئذ عمرو بن الاهتم على الاحنف ووقعت القرعة لآل الاهتم . فقال عمرو بن الاهتم:

لما دعتنى للرياسة منقر * لدى مجلس أضحى به النجم باديا

شددت لها أزرى وقد كنت قبلها * لامثالها مما أشد ازاريا

وعمرو بن الاهتم ؟ هو الذى تكلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن الزبرقان . فقال عمرو: مطاع فى أدنيه شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان: والله يارسول الله انه ليعلم منى أكثر مما قال ولكن حسدنى . قال: أما والله يارسول الله انه الزمر المروأة ، ضيق العطن ، أحمق الولد ، لئيم الخال . والله ما كذبت فى الاولى ، ولقد صدقت فى الاخرى رضيت عن ابن عمى . فقلت : أحسنت ماعلمت ، ولم أكذب ، وسخطت عليه . فقلت أقبح ماعلمت ، ولم أكذب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من البيان لسحرا

٢٤ ـ وفود عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ اذ أوفده سعد

لما فتحت القادسية على يدى سعد بن أبى وقاص . أبلى فيها عمرو بن معديكرب بلاء حسنا فاوفده سعد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكتب اليه معه بالفتح وأثنى فى الكتاب على عمرو . فلما قدم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد . فقال أعرابى فى نمرته، أسد فى نامورته ، نبطى فى حبوته، يقسم بالسوية ، و يعدل فى القضية، و ينفل فى السرية ، و ينقل الينا حقنا نقل الذرة . فقال عمر : لشد ما تقارضتما الثناء ، وكان عمر قد كتب الى سعيد يوم القادسية أن يعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن . فقال سعد لعمرو بن معديكرب : ما معك من القرآن . قال : مامعى شىء . قال : ان أمير المؤمنين كتب الى أن اعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن . فقال عمرو :

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد * قالت قريش الا تلك المقادير

تعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

قال فكتب سعد بابياته الى عمر فكتب اليه أن يعطى على مقاماته فى الحرب :

٢٥ — وفود أهل اليمامة على أبى بكر الصديق رضى الله عنه ـ وفد أهل اليمامة على أبى بكر الصديق رضى الله عنه بعد ايقاع خالد وقتله مسيلمة الكذاب . فقال لهم أبو بكر ما كان يقول صاحبكم . قالوا اعفنا ياخليفة رسول الله . قال : لابد أن تقولوا . قالوا : كان يقول ياضفدع كم تنقين لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم لا يعدلون . فقال لهم أبو بكر : ويحكم ماخرج هذا من إل ولا بر ، فاين ذهب بكم . قال أبو عبيد الإل الله تعالى والبر الرجل الصالح

٢٦ — وفود عمرو بن معديكرب على مجاشع بن مسعود وفد عمرو بن معديكرب الزبيدى على مجاشع بن مسعود السلمى وكانت بين عمرو و بين سليم حروب فى الجاهلية فقدم عليه البصرة يساله الصلة . فقال له اذكر حاجتك . فقال له : حاجتى صلة مثلى . فأعطاه عشرة آلاف درهم وفرسا من بنات الغبراء وسيفا جرازا، ودرعا حصينة، وغلاما خبازا . فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس كيف وجدت صاحبك . قال لله بنو سليم ما أشد فى الهيجاء لقاءها ، وأكرم فى اللأواء عطاءها، وأثبت فى المكرمات بناءها، والله يا بنى سليم لقد قاتلنا كم فى الجاهلية فما أجبنا كم ، ولقد هاجينا كم فما أفحمنا كم ، ولقد سألنا كم فما أبخلنا كم

فلله مسـؤلا نوالا ونائلا * وصاحب هيج يوم هيج مجاشع

٢٧ — وفود الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضي الله عنه

أبو بكر بن أبى شيبة قال : وفـد الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية بعـد عام الجماعة . فقال لمعاوية: والله لاحبونك بجائزه ما أجزت بها أحدا قبلك ، ولا أجيز بها أحدا بعدك ، فامر له بمائة ألف . و فى بعض الحـديث أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على ابنته فاطمة . فوجد الحسن طفلا يلعب بين يديها . فقال لهـا : ان الله تعالى سيصلح على يدى ابنك هـذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين

٢٨ — وفود زيد بن منبه على معاوية رحمه الله — العتبى قال : قدم زيد بن منبه على معاوية من البصرة وهو أخو يعلى بن منبه صاحب جمـل عائشة ومتولى تلك الحروب ورأس أهل البصرة . وكان عتبة بن أبى سفيان قد تزوج ابنـة يعلى بن منبه . فلما دخـل على معاوية شكا اليه دينا لزمه . فقال يا كعب : اعطه ثلاثين ألفا . فلما ولى قال : وليوم الجمل ثلاثين ألفا أخرى . ثم قال له الحق بصهرك يعنى عتبة فقدم عليه مصر . فقال : انى سرت اليك شهرين أخوض فيهما المتالف ، ألبس أردية الليـل مرة ، وأخوض فى السراب أخرى ، موقرا من حسن الظن بك وهاربا من دهر قطم ، ودين لزم ، بعد غنى جدعنا به أنوف الحاسدين ، فلم أجد الا اليك مهربا وعليـك معولا . فقال عتبة : مرحبا بك وأهلا ان الدهر أعاركم غنى ، وخلطكم بنـا . ثم استرد ما أمكنه أخذه . وقد أبقى لكم منا مالا ضيعة معه ، وأنا واضع يدى و يدك بيد الله . فاعطاه ستين ألفا كما أعطاه معاوية رحمه الله تعالى

٢٩ — وفود عبد العزيز بن زرارة على معاوية رحمه الله تعالى — العتبي عن أبيه

قال : وفد عبد العزيز بن زرارة على معاوية وهو سـيد أهل الـكوفة . فلما أذن له وقف بين يديه وقال يا أمير المؤمنين : لم أزل أهز ذوائب الرحال اليك ، اذ لم أجد معولا الا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار ، وأسم المجـاهل بالآثار ، يقودنى اليك أمل ، وتسوقنى بلوى ، والمجتهد يعـذر ، واذا بلغتك فقطنى . فقال معاوية : احطط عن راحلتك رحلها . وخرج عبـد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية الى الصائفة فهلك هناك فكتب به يزيد بن معاوية الى معاوية . فقال لزرارة : أتانى اليوم نعى سـيد شباب العرب . قال زرارة يا أمير المؤمنين : هو ابنى أو ابنك . قال بل ابنك .

قال : للموت ماتلد الوالدة . أخذه سابق البربدى فقال :

وللموت تغذو الوالدات سخالها * كما لخراب الدهر تبنى المساكن

وقال آخر :

للموت يولد منا كل مولود * لاشيء يبقى ولا يفنى بموجود

٣٠ — وفود عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية — المدائني قال : قدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية . فقال له : كم كان عطاؤك . فقال له : ألف ألف . قال قد أضعفناها لك قال : فداك أبي وأمي ، وماقلتها لاحد قبلك . قال : أضعفناها لك ثانيـة . فقيـل ليزيد : أتعطي رجلا واحدا أربعة آلاف ألف . فقال ويحكم ، انما أعطيتها أهـل المدينة أجمعين ، فما يده فيها الا عارية . فلما كان في السنة الثانية قدم عبد الله بن جعفر . وقدم مولى له يقال له نافع كانت له منزلة من يزيد بن معاوية . قال نافع : فلما قدمنا عليـه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف وقضى عنه ألف ألف ثم نظر الى فتبسم . فقلت هذه لتلك الليلة . وكنت سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعته فيها فذكرته بها . وقدمت عليه هدايا من مصر كثيرة . فامر بها لعبد الله بن جعفر وكانت له مائة ناقة . فقلت لابن جعفر : لوسألته منهـا شيأ نحتلبه في طريقنا ففعل فامر بصرفها كلها اليه . فلما أراد الوداع أرسل الىّ فدخلت عليـه . فقال : ويلك انما أخرتك لا تفرغ اليك هات قول جميل :

خليلي فيما عشتما هـل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فاسمعته فقال : أحسنت والله هات حاجتك فـاسألته شيأ الا أعطانيه . فقال : ان يصلح الله هذا الامر من قبل ابن الزبير تلقانا بالمدينـة فان هذا لا يحسن الا هناك فمنع والله من ذلك شؤم ابن الزبير .

٣١ — وفود عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان قال بذيح : وفد عبد الله ابن جعفر على عبد الملك بن مروان . وكان زوج ابنته أم كلثوم من الحجاج على ألفى ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانيـة . وحملها اليه الى العراق . فمكثت عنده ثمانية أشهر . قال بذيح : فلما خرج عبـد الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان خرجنا معه حتى دخلنا دمشق فانا لنحط رحالنا اذ جاءنا الوليد بن عبـد الملك على بغلة وردة ومعه الناس . فقلنا : جاء الى ابن جعفر ليحييه ويدعوه الى منزله . فاستقبله ابن جعفر بالترحيب . فقال له : لـكن أنت لا مرحباً بك ولا أهلا .

فقال : مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك . قال : بلى ولشر منها . قال : وفيم ذلك . قال :
انك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة بني عبد مناف ففرشتها عبد ثقيف يتفخذها . قال وفي
هذا عتب علي يا ابن أخي . قال وما أكثر من هذا . قال والله ان أحق الناس أن لا يلومني في هذا
لأنت وأبوك ان من كان قبلكم من الولاة ليصلون رحمي و يعرفون حقي وانك وأباك منعتماني
ما عندكما حتى ركبني من الدين ماوالله لو أن عبدا مجدعا حبشيا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف
لزوجتها فانما افديت بها رقبتي من النار . قال فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على
عبد الملك وكان الوليد اذ غضب عرف ذلك في وجهه فلما رآه عبد الملك . قال مالك أبا العباس . قال
انك سلطت عبد ثقيف وملكته ورفعته حتى تفخذ نساء عبد مناف . وأدركته الغيرة فكتب
عبد الملك الى الحجاج يعزم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها . فما قطع الحجاج عنها رزقا
ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا . قال وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى هلك .
قال بديح فما كان يأتي علينا هلال الا وعند ناعير مقبلة من الحجاج عليها الطف وكسوة وميرة حتى
لحق عبد الله بن جعفر بالله . ثم استأذن ابن جعفر على عبد الملك فلما دخل عليه استقبله عبد الملك
بالترحيب ثم أخذ بيده فأجلسه معه على سريره . ثم سأله فألطف المسئلة حتى سأله عن مطعمه
ومشربه . فلما انقضت مساءلته قال له يحيى بن الحكم أمن خبثة كان وجهك أبا جعفر قال وما
خبثة قال أرضك التي جئت منها . قال سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها طيبة
وتسميها خبثة لقد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفين . فلما خرج من عنده هيأ له ابن
جعفر هدايا وألطافا فقلت لبديح ما قيمة ذلك قال قيمته مائة ألف من وصف ووصائف وكسوة
وحرير ولطف من لطف الحجاز . قال فبعثني بها فدخلت عليه وليس عنده أحد فجعلت
أعرض عليه شيأ شيأ . قال فما رأيت مثل اعظامه لكل ما عرضت عليه من ذلك وجعل يقول
كلما أريته شيأ عافى الله أبا جعفر ما رأيت كاليوم وما كنا نريد أن يتكلف لنا شيأ من هذا وان
كنا لمتذممين محتشمين . قال فخرجت من عنده وأذن لاصحابه فوالله لبينا أنا أحدثه عن تعجب
عبد الملك واعظامه لما أهدى اليه اذا بفارس قد أقبل علينا . فقال أبا جعفر ان أمير المؤمنين يقرأ
السلام عليك ويقول لك جمعت له وخش رقيق الحجاز وأباقهم وحبست عنا فلانة فابعث بها
الينا وذلك انه حين دخل عليه أصحابه جعل يحدثهم عن هدايا ابن جعفر ويعظمها عندهم . فقال له
يحيى بن الحكم وماذا أهدى اليك ابن جعفر جمع لك وخش رقيق الحجاز وأباقهم وحبس عنك

فلانة . قال ويلك وما فلانة هذه . قال مالم يسمع والله حد بمثلها قط جمالا وكمالا وخلقا وأدبا وأراد كرامتك بعث بها اليك . قال وأين تراها وأين تكون . قال هى والله معه وهى نفسه التى بين جنبيه . فلما قال الرسول ماقال وكان ابن جعفر فى أذنه بعض الوقر اذا سمع مايكره تصام فأقبل على فقال مايقول يابديح . قال : قلت فان أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول انه جاءنى بريد من ثغر كذا يقول ان الله نصر المسلمين وأعزهم . قال اقرأ أمير المؤمنين السلام وقل له أعز الله نصرك وكبت عدوك : فقال الرسول ياأباجعفر انى لست أقول هذا وأعاد مقالته الاولى فسألنى فصرفته الى وجه آخر فاقبل على الرسول : فقال ياماض أيرسل أمير المؤمنين تهكم وعن أمير المؤمنين تجيب هذا الجواب أما والله لاطلين دمك . فانصرف وأقبل على ابن جعفر فقال من ترى صاحبنا قلت صاحبك بالامس ، قال أظنه فما الرأى عندك قلت ياأبا جعفر قد تكلفت له ما تكلفت فان منعتها اياه جعلتها سببا لمنعك ولوطلب أمير المؤمنين احدى بناتك ما كنت أرى أن تمنعها اياه . قال ادعها لى : فلما أقبلت رحب بها . ثم أجلسها الى جنبه . ثم قال أما والله ما كنت أظن أن يفرق بينى و بينك الا الموت . قالت وماذاك قال انه حدث أمر وليس والله كائنا فيه الا ما أحببت جاء الدهر فيه بما جاء . قالت وماهو قال ان أمير المؤمنين بعث يطلبك فان تهوين فذاك والا والله لم يكن أبداً ، قالت ماشىء لك فيه هوى ولا أظن فيه فرجا عنك الا فديته بنفسى وأرسلت عينيها بالبكاء . فقال لها أما اذ فعلت فلا ترينى مكروها فمسحت عينيها وأشار اليها . فقال ويحك يابديح استحثها قبل ان تتقدم الى من القوم بادرة قال ودعا بأربع جوار ودعا صاحب نفقته بخمسمائة دينار ودعا مولاة له كانت تلى طيبه فدحست لها ربعة عظيمة مملوأة طيبا . ثم قال عجلها و يلك فخرجت أسوقها حتى انتهيت الى الباب واذا الفارس قد بلغ عنى فما تركنى الحجاب أن تمس رجلاى الارض حتى أدخلت على عبد الملك وهو يتلظى . فقال لى ياماض وكذا أنت المجيب عن أمير المؤمنين والمتهكم برسله قلت : ياأمير المؤمنين ائذن لى أتكلم . قال وما تقول يا كذا وكذا . قلت ائذن لى جعلنى الله فداك أتكلم . قال تكلم قلت ياأمير المؤمنين أنا أصغر شأنا وأقل خطرا من أن يبلغ كلامى من أمير المؤمنين ما أرى وهل أنا الا عبد من عبيد أمير المؤمنين . نعم قد قلت ما بلغك وقد يعلم أمير المؤمنين أنا انما نعيش فى كنف هذا الشيخ وان الله لم يزل اليه محسنا فجاءه من قبلك شىء ما أتاه قط مثله انما طلبت نفسه التى بين جنبيه فأجبت بما بلغك لاسهل الامر عليه ثم سألنى فاخبرته واستشارنى فاشرت

عليه وها هي ذه قد جئتك بها . قال أدخلها ويلك : قال فأدخلتها عليه وعنده مسلمة ابنه غلام ما رأيت مثله ولا أجمل منه حين اخضر شاربه . فلما جلست وكلمها أعجب بكلامها : فقال لله أبوك أمسكك لنفسي أحب اليك أم أهبك لهذا الغلام فانه ابن أمير المؤمنين ، قالت يا أمير المؤمنين لست لك بحقيقة وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجها . قال فقام من مكانه ما راجعها فدخل وأقبل عليها مسلمة : فقال يا لكاع أعلى أمير المؤمنين تختارين . قالت يا عدو نفسه أتما تلومني ان اخترتك لعمر الله . لقد قال رأى من اختارتك قال فضيقت والله مجلسه واطلع علينا عبد الملك قد ادهن بدهن وارى الشيب وعليه حلة تتلألأ كأنها الذهب بيده مخصرة يخطر بها فجلس مجلسه على سريره . ثم قال ايها الله أبوك أمسكك لنفسي أحب لك ، أم أهبك لهذا الغلام : قالت ومن أنت أصلحك الله ، قال لها الخصي هذا أمير المؤمنين . قالت لست مختارة على أمير المؤمنين أحدا . قال فأين قولك آنفا قالت رأيت شيخا كبيرا وأرى أمير المؤمنين أشب الناس وأجملهم ولست مختارة عليه أحدا . قال دونكها يا مسلمة . قال بذيح فنشرت عليه الكسوة والدنانير التي معي وأريته الجواري والطيب قال عافى الله ابن جعفر أجزيني أن لا يكون لها عندنا نفقة وطيب وكسوة : فقلت بلى ولكنه أحب أن يكون معها ما تكتفي به حتى تستأنس . قال فقبضها مسلمة فلم تلبث عنده الا يسيرا حتى هلكت قال بذيح فوالله الذي ذهب بنفس مسلمة ما جلست معه مجلسا ولا وقفت موقفا نازعه فيه الحديث الا قال أبغني مثل فلانة . فاقول ابغني مثل ابن جعفر . قال فقلت لبذيح ويلك فما أجازه به قال قال حين دفع اليه حاجته ودينه لاجيزنك جائزة لو نشر لي مروان من قبره مازدته عليها فأمر له بمائة ألف ، وايم الله اني لاحسبه أنفق في هديته ومسيره ذلك وجاريته التي كانت عدل نفسه مائتي ألف

٣٢ — وفود الشعبي على عبد الملك بن مروان — كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أن ابعث الى رجلا يصلح للدين والدنيا أتخذه سميرا وجليسا وخليا . فقال الحجاج ماله الا عامر الشعبي وبعث به اليه فلما دخل عليه وجده قد كبا مهتما فقال ما بال أمير المؤمنين . قال ذكرت قول زهير :

كأني وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى * فكيف بمن يرمى وليس برامي
فلو أنني أرمى بنبل رأيتها * ولكنني أرمى بغير سهام

على الراحتين تارة وعلى العصا * أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

قال له الشعبي ليس كذلك يا أمير المؤمنين . ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ سبعين حجة:

كانى وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبي ردائيا

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

باتت تشكى الى النفس موهنة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فان تزادى ثلاثا تبلغى أملا * وفى الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد

ولما بلغ عشرا ومائة سنة قال :

أليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصا تحنى عليها الاضالع

أخبر أخبار القرون التى خلت * أنوء كانى كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أومضر

فقوما فقولا بالذى تعلمانه * ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذى لا صديقه * أضاع ولا خان الخليل ولا غدر

الى سنة ثم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال الشعبي فلقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها

٢٣ـ وفود الحجاج بابراهيم بن طلحة على عبد الملك بن مروان ـ عمر بن عبد العزيز قال: لما ولى الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتله ابن الزبير استخلص ابراهيم ابن محمد بن طلحة فقربه وعظم منزلته فلم تزل تلك حاله عنده حتى خرج الى عبد الملك بن مروان فخرج معه معادلا لا يقصر له فى بر واعظام حتى حضر به عبد الملك . فلما دخل عليه لم يبدأ بشىء بعد السلام الا أن قال له قدمت عليك أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له بها نظيرا فى الفضل والادب والمروءة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قدر الابوة وما بلوت منه فى الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة . وقد أحضرته بابك ليسهل عليه اذنك وتعرف له ما عرفته . فقال أذكرتنا رحما قريبة وحقا واجبا يا غلام ائذن لابراهيم ابن محمد بن طلحة . فلما

دخل عليه أدناه عبد الملك حتى أجلسه على فراشه . ثم قال له يا ابن طلحة ان أبا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفك به في الفضل والادب والمروأة وحسن المذهب مع قرابة الرحم و وجوب الحق وعظم قدر الابوة وما بلاه منك في الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة . فلا تدعن حاجة في خاصة نفسك وعامتك الا ذكرتها . فقال يا أمير المؤمنين ان أول الحوائج وأحق ماقدم بين يدى الامور ما كان لله فيه رضا ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة وعندى نصيحة لا أجد بداً من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وأنا خال فاخلني يا أمير المؤمنين ترد عليك نصيحتى . قال: دون أبي محمد . قال: نعم دون أبي محمد . قال عبد الملك للحجاج قم . فلما خطرف الستر أقبل على . فقال : يا ابن طلحة قل نصيحتك . فقال : تالله يا أمير المؤمنين لقد عمدت الى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه و بعده من الحق وقربه من الباطل فوليته الحرمين وهما ماهما و بهما من بهما من المهاجرين والانصار والموالى الاخيار يطؤهم و يسومهم الخسف و يحكم فيهم بغير السنة بعد الذى كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم ثم ظننت أن ذلك فيما بينك و بين الله زاهق وفيما بينك و بين نبيك غداً اذا جاثاك للخصومة بين يدى الله في أمته أما والله لا تنجو هنالك الا بحجة فارتبع على نفسك أودع . فقال له عبد الملك : كذبت ومنت وظن بك الحجاج مالم يجده فيك وقد يظن الخير بغير أهله قم فانت الكاذب المائن . قال: فقمت وما أعرف طريقا . فلما تخطرفت الستر لحقنى لاحق فقال احبسوا هذا وقال للحجاج ادخل . فدخل فمكث مليا من النهار لا أشك أنهما في أمرى . ثم خرج الآذن فقال ادخل يا ابن طلحة . فلما كشف لى الستر لقيني الحجاج وهو خارج وأنا داخل . فاعتنقني وقبل ما بين عيني وقال اما اذا جزى الله المتواخين خيرا بفضل تواصلهم فجزاك الله عنى أفضل الجزاء . فوالله لئن سلمت لك لارفعن ناظرك ولاعلين كعبك ولا تبعن الرجال عثرة قدميك . قال فقلت يهزأ بي وحق الكعبة . فلما وصلت الى عبد الملك أدناني حتى أدناني مجلسى الاول . ثم قال : يا ابن طلحة لعل أحدا شاركك في نصيحتك هذه قلت والله يا امير المؤمنين ما أعلم أحدا أنصع عندى يدا ولا أعظم معروفا من الحجاج . ولو كنت محابيا أحدا لغرض دنيا لحابيته . ولكني آثرت الله و رسوله وآثرتك والمؤمنين عليه . قال : قد علمت أنك لم ترد الدنيا ولو أردتها لكانت لك في الحجاج . ولكن أردت الله والدار الآخرة وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استقلالا لهما و وليته العراقين وما هنالك من الامور التى لا يدحضها

الامثـله وأعلمته أنك استدعيتنى الى ولايته عليهما استزادة له لا لزمه بذلك من حقك ما يؤدى اليك عنى أجر نصيحتك فاخرج معـه فانك غير ذام لصحبته

٣٤ — وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الازارقة — أبو الحسن المداينى قال: لما هزم المهلب بن أبى صفرة قطرى بن الفجاءة صاحب الازارقة بعث الى مالك بن بشير . فقال له: انى موفدك الى الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك . و بعث اليه بجائزة فردها . وقال انما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه . فلما دخل على الحجاج قال له ما اسمك قال مالك بن بشـير قال ملك و بشارة كيف تركت المهلب . قال أدرك ما أمّل وأمن من خاف . قال كيف هو بجنده . قال والدرؤف قال فـكيف جنده له . قال أولاد برة . قال كيف رضاهم عنه . قال وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل . قال فكيف تصنعون اذا القيتم عدوكم . قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم و يلقونا بجدهم فيطمعون فينا . قال كذلك الجد اذا لقى الجـد . قال فما حال قطرى . قال كادنا ببعض ما كدناه قال فما منعكم من اتباعه . قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعـه . قال فاخبرنى عن ولد المهلب قال أعباء القتال بالليل حماة السرح بالنهار . قال أيهم أفضل . قال ذلك الى أبيهم . قال لتقولن . قال هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها . قال أقسمت عليـك هل روّأت فى هـذا الـكلام . قال ما أطلع الله على غيبـه أحدا . فقال الحجاج لجلسائه ، هذا والله الـكلام المطبوع ، لا الـكلام المصنوع

٣٥ — وفود جرير على عبد الملك بن مروان — لما مـدح جرير بن الخطفى الحجاج بن يوسف بشعره الذى يقول فيه:

من سد مطلع النفاق عليكم * أم من يصول كصولة الحجاج

و بشعره الذى يقول فيه :

أم من يغار على النساء حفيظة * اذ لا يثقن بغـيرة الازواج

وقوله دعا الحجاج مثـل دعاء نوح * فاسمع ذا المعارج فاستجابا

قال له الحجاج: ان الطاقة تعجز عن المـكافأة . ولـكنى موفدك على أمير المؤمنـين عبد الملك بن مروان . فسر اليه بكتابى هـذا فسار اليه . ثم استأذنه فى الانشاد فاذن له . فقال :

أتصحو أم فؤادك غير صاح * قال له عبد الملك بل فؤادك فلما انتهى الى قوله :

تعزت أم حرزة ثم قالت * رأيت الواردين ذوى امتياح

ثقى بالله ليس له شريك * ومن عنـد الخليفـة بالنجاح
سأشكر ان رددت الى ريشي * وأنبت القوادم فى جناحى
ألستم خـير من ركب المطايا * وأندى العالمـين بطون راح

ارتاح عبد الملك وكان متكئاً فاستوى جالسا. ثم قال: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هـذا أو ليسكت. ثم قال له ياجرير أترى أم حرزة تروبها مائة ناقة من نعم كلب. قال: اذا لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله. فامر له بمائة ناقة من نعم كلب كلها سود الحدقة. فقال يا أمير المؤمنين: انها اباق ونحن مشايخ وليس باحد نا فضل عن راحلته فلو أمرت بالرعاء. فامر له بثمانية من الرعاء وكانت بين يدى عبد الملك صحاف من فضة يقرعها بقضيب فى يده. فقال له جرير: والمحلب يا أمير المؤمنين وأشار الى صحفة منها فنبذها اليه بالقضيب. وقال خذها لا نفعتك ففى ذلك يقول جرير:

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * مافى عطائهم منّ ولا سرف

٣٦ — وفود جرير عن أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه —

قدم جرير بن الخطفى على عمر بن عبـد العزيز رضى الله عنـه عن أهل الحجاز فاسـتأذنه فى الشعر. فقال مالى وللشعر ياجرير انى لفى شغل عنه. فقال: يا أمير المؤمنـين انها رسالة عن أهل الحجاز. قال فهاتها اذا. فقال:

كم من ضرير أمير المؤمنـين لدى * أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر
أصابت السنة الشهباء ماملـكت * يمينـه فخنـاه الجهـد والـكبر
ومن قطيـع الحشا عاشت مخبأة * ماكانت الشمس تلقاها ولا القمر
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة * قامت تنادى باعلى الصوت ياعمر

٣٧ — وفود دكين الراجز على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه — قال دكين

ابن رجاء الفقيمى الراجز: مدحت عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة فامر لى بخمس عشرة ناقة كرائم صعابا. فـكرهت أن أرمى بها الفجاج فتنشر على ولم تطب نفسى ببيعها فقدمت علينا رفقـة من مصر فسألتهم الصحبة. فقالوا ان خرجت الليلة فقلت انى لم أودع الامـير ولا بد من وداعه. قالوا فان الامير لا يحجب عن طارق ليل فاستاذنت عليه فاذن لى وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لى يا دكين ان لى نفسا تواقة فان أنا صرت الى أكثر مما أنا فيه فبعين ما أرينك قلت له أشهد لى بذلك أيها الامير. قال انى أشهد الله قلت ومن خلقـه قال هذين الشيخين. قلت لاحدهما من أنت

يرحمك الله أعرفك . قال سالم بن عبد الله . فقال لى عمر لقد استسميت الشاهد . وقلت للآخر من أنت ؟ يرحمك الله . قال أبو يحيي مولى الامير : وكان مزاحم يكنى أبا يحيي . قال دكين : فخرجت بهن الى بلدى فرمى الله فى أذنابهن بالبركة حتى اتخذت منهن الضياع والرباع والغلمان فانى لبصحراء فلج اذا بريد يركض الى الشام . فقلت له : هل من مغربة خبر قال مات سليمان بن عبد الملك قلت فمن القائم بعده . قال عمر بن عبد العزيز . قال فانخت قلوصى فالقيت عليها أداتى وتوجهت عنده فلقيت جريرا فى الطريق جائيا من عنده . فقلت من أين أبا حرزة . قال من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء . قلت فما ترى فانى خرجت اليه . قال عول عليه فى مال ابن السبيل كما فعلت فانطلقت فوجدته قاعدا على كرسى فى عرصة داره قد أحاط الناس به . فلم أجد اليه سبيلا للوصول . فناديت باعلى صوتى :

يا عمر الخيرات والمكارم * وعمر الدسائع العظائم

انى امرؤ من قطن بن دارم * أطلب حاجى من أخى مكارم

اذ تنتحى والليل غير نائم * عند أبى يحيي وعند سالم

فقام أبو يحيي فقرج لى . وقال يا أمير المؤمنين ان لهذا البدوى عندى شهادة قال أعرفها ادن منى يا دكين أنا كما ذكرت لك ان لى نفسا تواقة وان نفسى تاقت الى أشرف منازل الدنيا . فلما أدركتها وجدتها تتوق الى الآخرة والله ما رزأت من أموال الناس شيأ فاعطيك منه وما عندى الا ألفا درهم أعطيك أحدهما فامر لى بالف درهم . فوالله ما رأيت ألفا كان أعظم بركة منه

٣٨ — وفود كثير والاحوص على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه —

حماد الراوية قال : قال لى كثير عزة ألا أخبرك عما دعانى الى ترك الشعر . قلت نعم قال شخصت أنا والاحوص ونصيب الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكل واحد منا يدل عليه بسابقة واخاء قديم ونحن لا نشك أنا سيشركنا فى خلافته . فلما رفعت لنا أعلام خناصره لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتى العرب فسلمنا فرد . ثم قال أما بلغكم أن امامكم لا يقبل الشعر قلنا ما توضح الينا خبر حتى انتهينا اليك و وجمنا وجمة عرف ذلك فينا . فقال ان يك ذو دين بنى مروان قد ولى وخشيتم حرمانه فان ذا دنياها قد بقى ولكم عندى ما تحبون وما ألبث حتى أرجع اليكم وأمنحكم ما أنتم أهله . فلما قدم كانت رحالنا عنده باكرم منزل وأكرم منزول عليه . فاقمنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الاذن هو وغيره فلا يؤذن لنا الى ان قلت فى جمعة من تلك الجمع لو أنى دنوت من عمر فسمعت كلامه فحفظته كان ذلك رأيا . ففعلت فكان مما حفظت من كلامه لكل سفر زاد

لامحالة فتزودوا السفر كم من الدنيا الى الآخرة بالتقوى . وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه أو عقابه فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا العدو كم فى كلام كثير لا أحفظه . ثم قال : أعوذ بالله ان آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيلتى وتبد ومسكنتى فى يوم لا ينفع فيه الا الحق والصدق ثم بكى حتى ظننت أنه قاض نحبه وارتج المسجد وما حوله بالبكاء وانصرفت الى صاحبي . فقلت لهما خذا فى شرح من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فان الرجل آخرى وليس بدنيوى الى أن استأذن لنا مسلمة فى يوم جمعة بعد ما أذن للعامة فلما دخلت سلمت ثم قلت يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدث بجفائك ايانا وفود العرب . قال يا كثير انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل أفى واحد من هؤلاء أنت قلت بلى ابن السبيل منقطع به . وأنا صاحبك قال ألست صاحب أبى سعيد قلت بلى . قال ما أرى ضيف أبى سعيد منقطعا به . قلت يا أمير المؤمنين أتأذن لى فى الانشاد . قال نعم ولا تقل الا حقا فقلت :

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تقبل اشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذى * أتيت فأمسى راضيا كل مسلم
ألا انما يكفى الفتى بعد زيغه * من الاود الباقى ثقاف المقوم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها * تراءى لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحيانا بعين مريضة * وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزا كأنما * سقتك مدوفا من سمام وعلقم
وقد كنت من أجبالها فى ممنع * ومن بحرها فى مزبد الموج مفعم
وما زلت تواقا الى كل غاية * بلغت بها أعلى البناء المقوم
فلما أتاك الملك عفوا ولم يكن * لطالب دنيا بعده من تقدم
ومالك اذ كنت الخليفة مانع * سوى الله من مال رعيت ودرهم
تركت الذى يفنى وان كان رونقا * وآثرت ما يبقى برأى مصمم
وأضررت بالفانى وشمرت للذى * أمامك فى يوم من الشر مظلم
سما لك هم فى الفؤاد مورق * بلغت به أعلى المعالى بسلم
فما بين شرق الارض والغرب كلها * منادينادى من فصيح وأعجم

يقول أمير المؤمنين ظلمتنى * لاخذلدينار ولا أخذ درهم
ولا بسط كف لامرئ غير مجرم * ولا السفك منه ظالما ملء محجم
ولو يستطيع المسلمون لقسموا * لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فأربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال فاقبل على وقال انك مسؤل عما قلت . ثم تقدم الاحوص فاستأذنه فى الانشاد فقال قل ولا تقل الاحقا فقال :

وما الشعر الاحكمة من مؤلف * لمنطق حق أو لمنطق باطل
فلا تقبلن الا الذى وافق الرضا * ولا ترجعنا كالنساء الارامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة * ولا شأمة فعل الظلوم المخاتل
ولكن أخذت الحق جهدك كله * تقفو مثال الصالحين الاوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا * ومن ذا يرد الحق من قول قائل
ومن ذا يرد السهم بعد مضائه * على فوقه اذغار من نزع نائل
ولولا الذى قد عودتنا خلائف * غطاريف كانوا كالليوث البواسل
لما وخدت شهرا برحلى شملة * يقدمتون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذى به * حبينا زمانا من ذويك الاوائل
فان لم يكن للشعر عندك موضع * وان كان مثل الدر فى نظم قائل
وكان مصيبا صادقا لا يعيبه * سوى أنه يبنى بناء المنازل
فان لنا قربى ومحض مودة * وميراث آباء مشوا بالمناصل
فذادوا عدو السلم عن عقر دراهم * وأرسوا عمود الدين بعد التمايل
وقبلك ماأعطى هنيدة جلة * على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الاله المستضاء بنوره * عليه سلام بالضحى والاصائل

فقال انك مسؤل عما قلت . ثم تقدم نصيب فاستأذنه فى الانشاد . فلم يأذن له وأمره بالغزو الى دابق فخرج اليها وهو محموم وأمر لى بثلثمائة وللاحوص بمثلها ولنصيب بمائة وخمسين :

٣٩ـ وفود الشعراء على عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ـ ابن الكلبى لما استخلف عمر ابن عبدالعزيز رضى الله عنه وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد الى الخلفاء قبله . فاقاموا ببابه أياما لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدى بن أرطاة على عمر بن عبدالعزيز . وكانت له منه

مكانة فقال جرير :

يا أيها الرجل المزجي مطيته * هذا زمانك انى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * انى لدى الباب كالمصفود فى قرن
وحش المكانة من أهلى ومن ولد * نائى المحلة عن دارى وعن وطنى

قال نعم : أباحرزة ونعمى عين . فلما دخل على عمر . قال يا أمير المؤمنين : ان الشعراء ببابك واقوالهم باقية وسنانهم مسنونة . قال ياعدى : مالى وللشعراء . قال يا أمير المؤمنين : ان النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى وفيه أسوة لكل مسلم . قال ومن مدحه قال : عباس بن مرادس فكساه حلة قطع بها لسانه قال وتروى قوله . قال نعم :

رأيتك ياخير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما
ونورت بالبرهان أمرا مدمسا * وأطفات بالبرهان نارا مضرما
فمن مبلغ عنى النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش الهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال صدقت فمن بالباب منهم . قال : ابن عمك عمر بن أبي ربيعة . قال : لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه أليس هو القائل :

ألا ليت أنى يوم حانت منيتى * شممت الذى ما بين عينيك والفم
وليت طهورى كان ريقك كله * وليت حنوطى من مشاشك والدم
و ياليت سلمى فى القبور ضجيعتى * هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته والله تمنى لقاءها فى الدنيا و يعمل عملا صالحا . والله لا دخل على أبدا . فمن بالباب غير من ذكرت . قلت جميل بن معمر العذرى . قال هو الذى يقول :

ألا ليتنا نحيا جميعا وان نمت * يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها ويلتقى * مع الليل روحى فى المنام وروحها

اعزب به فوالله لا دخل على أبدا فمن غير من ذكرت . قال : كثير عزة . قال هو الذى يقول :

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة راكعين سجودا

اعزب به فمن بالباب غيرمن ذكرت . قال الاحوص الانصاري . قال: أبعده الله وأسحقه . أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هربت منه :

الله بيني و بين سيدها * يفرعني بها وأتبع

أعزب به فمن بالباب غير من ذكرت . قال همام بن غالب الفرزدق قال : أليس هو القائل يفخر بالزنا :

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى يرجى أم قتيل نحاذره
وأصبحت لا القوم الجلوس وأصبحت * مغلقة دونى عليها دساكره
فقلت ارفعوا الاحراس لا يشعروا بنا * ووليت فى أعقاب ليل أبادره

أعزب به فوالله لا دخل على أبداً . فمن بالباب غير من ذكرت . قلت الاخطل التغلبي قال: أليس هو القائل

فلست بصائم رمضان عمرى * ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عنسا بكوراً * الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعير يدعو * قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

أعزب به فوالله لا وطئ لى بساطا أبدا وهو كافر . فمن بالباب غير من ذكرت . قلت جرير ابن الخطفى قال أليس هو القائل :

لولا مراقبة العيون أريننا * مقل المها وسوالف الآرام
هل ينهينك ان قتلنا مرقشا * أو ما فعلن بعروة بن حزام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له فخرجت اليه . فقلت ادخل أباحرزة فدخل وهو يقول :

ان الذى بعث النبي محمدا * جعل الخلافة فى امام عادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه * حتى ارعوى وأقام ميل المائل
والله أنزل فى القرآن فضيلة * لابن السبيل وللفقير العائل

انى لارجو منك خيرا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه . قال: اتق الله ياجرير ولا تقل الاحقا فانشأ يقول :

كم باليمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

ممن يعدك تكفى فقد والده * كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به * خبلا من الجن أومسامن البشر

خليفة الله ماذا تامرن بنا * لسنا اليكم ولا فى دار منتظر

مازلت بعدك فى هم يؤرقنى * قدطال فى الحى اصعادى ومنحدرى

لاينفع الحاضر المجهود بادينا * ولا يعود لنا باد على حضر

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر

أتى الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

هذى الارامل قدقضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فقال : ياجرير والله لقدوليت هذا الامر وما أملك الا ثلثمائة فمائة أخذها عبدالله ومائة أخذتها أم عبدالله ياغلام اعطه المائة الباقية . فقال: والله يا أمير المؤمنين انها لاحب مال كسبته الى ثم خرج . فقالوا له : ماوراءك . قال: مايسوءكم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض . ثم أنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

٤٠ — وفود نابغة بنى جعدة على ابن الزبير رحمه الله تعالى — الزبير بن بكار قاضى الحرمين قال : قحمت السنة ، نابغة بنى جعدة ، فوفد الى ابن الزبير . فدخل عليه فى المسجد الحرام ثم أنشده :

حكيت لنا الصديق لما وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس فى الحق فاستووا * فعاد صباحا حالك اللون مظلم

أتاك أبو ليلى تجوب به الرجا * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لتجبر منه جانبا زعزعت به * صروف الليالى والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير : هون عليك أباليلى فالشعر أدنى وسائلك عندنا ، أما صفوة أموالنا فلآل الزبير وأما عفوته . فان بنى أسد وتيماء تشغلها عنك، ولكن لك فى مال الله سهمان سهم برؤيتك

رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وسهم بشركتك فى فيئهم . ثم أخذ بيده ودخل به دار النعم فأعطاه قلائص سبعا ، وجملا رحيلا ، وأوقر له الركاب برا وتمرا ، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحب صرفا . فقال ابن الزبير : ويح أبى ليلى لقد بلغ به الجهد . قال النابغة أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : ماوليت قريش فعدلت ، واسترحمت فرحمت ، وحدثت فصـدقت : ووعـدت فانجزت ، فانا والنبيون فراط القاصفين . قال الزبير بن بكار : الفارط الذى يتقدم الى المـاء ، يصلح الرشاء والدلاء ، والقاصف الذى يتقدم لشراء الطعام

٤١ ـــ وفود أهل الـكوفة على ابن الزبير رحمه الله تعالى ـــ قال : لمـا قتل المصعب ابن الزبير المختار بن أبى عبيد خرج حاجا فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ومعه وجوه أهل العراق . فقال له يا أمير المؤمنين : جئتك بوجوه أهل العراق لم أدع لهم بها نظيرا لتعطيهم من هذا المـال . قال : جئتنى بعبيد أهل العراق لأعطيهم مال الله والله لا فعلت . فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسهم . قال لهم : يا أهل الـكوفة وددت والله أن لى بكم من أهل الشام صرف الدينار والدرهم بل لـكل عشرة رجلا . قال عبيد الله بن ظبيان أتدرى يا أمير المؤمنين ما مثلنا ومثلك فيما ذكرت . قال وما ذاك : قال فان مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام كما قال أعشى بكر بن وائل :

علقتها عرضا وعلقت رجلا ٭ غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل

أحببناك نحن وأحببت أنت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك . ثم انصرف القوم من عنده خائبين . فـكاتبوا عبد الملك بن مروان وغدروا بمصعب بن الزبير

٤٢ ـ وفود رؤبة على أبى مسلم ـ الاصمعى قال : حدثنا رؤبة قال قدمت على أبى مسلم صاحب الدعوة فانشدته فنادانى يا رؤبة فنوديت له من كل مكان يا رؤبة فاجبت :

لبيك اذ دعوتنى لبيكا ٭ أحمد ربا ساقنى اليكا ٭ الحمد والنعمة فى يديكا

قال بل فى يدى الله عز وجـل . قلت وأنت لما أنعمت حمـدت . ثم استأذنت فى الانشاد فاذن لى فانشدته :

مازال ياتى الملك من أقطاره ٭ من عن يمينـه وعن يساره

مشمرا لا يصطلى بناره ٭ حتى أقر الملك فى قراره

فقال انك أتيتنا وقد شف المال واستنفده الانفاق . وقد أمرنا لك بجائزة وهى تافهة يسيرة ومنك

العود وعلينا المعول ، والدهر أطرق مستتب ، فلا تلق بجنبيك الاشدة . قال : فقلت الذى أفادنى الامير من كلامه أحب الى من الذى أفادنى من ماله

٤٣ — وفود العتابى على المأمون — الشيبانى قال : كان كلثوم العتابى أيام هرون الرشيد فى ناحية المامون . فلما خرج الى خراسان شيعه الى قومس حتى وقف على سنداد كسرى . فلما حاول وداعه قال له المامون لا تدع زيارتنا ان كان لنا من هذا الامر شىء . فلما أفضت الخلافة الى المامون وفد اليه العتابى زائرا . فحجب عنه فتعرض ليحيى بن أكثم . فقال أيها القاضى ان رأيت ان تذكر بى أمير المؤمنين . فقال له يحيى ما أنا بالحاجب . قال له قد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان . فدخل على المأمون . فقال يا أمير المؤمنين أجرنى من العتابى ولسانه . فلم يأذن له وشغل عنه . فلما رأى العتابى جفاءه قد تمادى كتب اليه :

ماعلى ذا كنا افترقنا بسندا * دولا هكذا رأينا الاخاء * لم أكن أحسب الخلافة يزدا دبها ذو الصفاء الاصفاء * تضرب الناس بالمثقفة السمـ * رعلى غدرهم وتنسى الوفاء

فلما قرأ أبياته دعابه . فلما دنامنه سلم بالخلافة ووقف بين يديه . فقال : ياعتابى بلغتنا وفاتك فغمتنا ثم انتهت الينا وفادتك فسرتنا . فقال يا أمير المؤمنين : لوقسم هذا البر على أهل منى وعرفات لوسعهم . فانه لا دين الا بك ولا دنيا الا معك . قال سل حاجتك . قال يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة فاحسن جائزته وانصرف

٤٤ ـ وفود أبى عثمان المازنى على الواثق ـ لما وفد أبو عثمان بكر بن محمد على الواثق قال له هل خليت وراءك أحدا يهمك أمره . قلت أخية لى ربيتها فكأنها بنتى . قال ليت شعرى ماقالت حين فارقتها . قال أنشدتنى قول الاعشى :

تقول ابنتى يوم جد الرحيل * أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا فلا رمت من عندنا * فانا نخاف بان تخترم
أرانا اذا أضمرتك البلا * دتجفى وتقطع منا الرحم

قال ليت شعرى ماقلت لها . قال أنشدتها يا أمير المؤمنين قول جرير :

ثقى بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أتاك النجاح وأمر له بعشرة آلاف درهم . ثم قال حدثنى حديثا ترويه عن أبى مهدية مستظرفا . قلت يا أمير المؤمنين حدثنى الاصمعى قال : قال لى أبو مهدية بلغنى أن الاعراب

والاغراب سواء فى الهجاء . قلت نعم . قال فاقرأ : الاعراب أشد كفرا ونفاقا ولا تقرأ الاغراب ولا يغرنك الغرب وان صام وصلى . فضحك الواثق حتى شغر برجله وقال لقد لقى أبو مهدية من الغربة شرا وأمر لى بخمسمائة دينار

٤٥ ـ الوافدات على معاوية * وفود سودة ابنة عمارة على معاوية ـ عامر الشعبى قال :
وفدت سودة ابنة عمارة بن الاشتر الهمدانية على معاوية بن أبى سفيان فاستأذنت عليه فاذن لها . فلما دخلت عليه سلمت عليه . فقال لها كيف أنت يا ابنة الاشتر . قالت بخير يا أمير المؤمنين قال لها أنت القائلة لابيك :

شمّرْ كفعل أبيك يا ابن عمارة * يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسينَ ورهطه * واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبى محمد * علم الهدى ومنارة الايمان
فقُدِ الجيوش وسر أمام لوائه * قدما بابيض صارم وسنان

قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب . فدع عنك تذكار ما قد نسى . قال هيهات ليس مثل مقام أخيك نسى . قالت صدقت : والله يا أمير المؤمنين ما كان أخى خفىّ المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم فى رأسه نار

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين اعفائى مما استعفيته . قال قد فعلت فقولى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين انك للناس سيد ، ولامورهم مقلد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابن أرطاة قدم بلادى ، وقتل رجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلته فشكرناك ، واما لا فعرفناك ، . فقال معاوية : اياى تهددين بقومك ، والله لقد هممت أن أردك اليه على قتب أشرس ، فينفذ حكمه فيك فسكتت . ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه * قبر فاصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به ثمنا * فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذلك . قالت على بن أبى طالب رحمه الله تعالى . قال ما أرى عليك منه أثرا . قالت بلى

أتيته يوما فى رجل ولاه صدقاتنا . فكان بيننا و بينه ما بين الغث والسمين . فوجدته قائما يصلى فانفتل من الصلاة . ثم قال برأفة و تعطف ألك حاجة فاخبرته خبر الرجل . فبكى ثم رفع يديه الى السماء . فقال اللهم انى لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ . اذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك والسلام . فعزله ياأمير المؤمنين ماخزمه بخزام ولا ختمه بختام . فقال معاوية : اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها . فقالت ألى خاصة أم لقومى عامة . قال وما أنت وغيرك . قالت هى والله اذا الفحشاء واللؤم ان كان عدلا شاملا وان لا يسعنى ما يسع قومى . قال هيهات لظكم ابن أبى طالب الجرأة وغركم قوله: فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله : ناديت همدان والابواب مغلقة * ومثل همدان سنى فتحة الباب

كالهندوانى لم تفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها :

٤٦ — وفود بكارة الهلالية على معاوية — محمد بن عبد الله الخزاعى عن الشعبى قال استاذنت بكارة الهلالية على معاوية ابن أبى سفيان فاذن لها وهو يومئذ بالمدينة . فدخلت عليه وكانت امرأة قد أسنت وعشى بصرها وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها . فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام . وقال كيف أنت ياخالة . قالت بخير ياأمير المؤمنين . قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات فقد . قال عمرو بن العاص : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين يازيد دونك فاحتفر من دارنا * سيفا حساما فى التراب دفينا

قد كنت أدخره ليوم كريهة * فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال مروان وهى والله القائلة ياأمير المؤمنين :

أترى ابن هند للخلافة مالكا * هيهات ذاك وان أراد بعيد

منتك نفسك فى الخلاء ضلالة * أغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاصى هى والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى * فوق المنابر من أمية خاطبا

فالله أخر مدتى فتطاولت * حتى رأيت من الزمان عجائبا

فى كل يوم للزمان خطيبهم * بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا . فقالت يامعاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتى ، أنا والله قائلة ماقالوا وما خفى عليك منى أكثر . فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك اذكرى حاجتك قالت الآن فلا

٤٧ — وفود الزرقاء على معاوية — عبيد الله بن عمرو الغسانى عن الشعبى قال: حدثنى جماعة من بنى أمية ممن كان يسمر مع معاوية قال: بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد ، اذ ذكروا الزرقاء ابنة عدى بن قيس الهمدانية . وكانت شهدت مع قومها بصفين : فقال أيكم يحفظ كلامها . قال بعضهم نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال فأشيروا على فى أمرها . فقال بعضهم نشير عليك بقتلها : قال بئس الرأى أشرتم به على ، أيحسن بمثلى أن يتحدث عنه ، أنه قتل امرأة بعد ماظفر بها . فكتب الى عامله بالكوفة أن يوفدها اليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعدة من فرسان قومها ، وأن يمهد لها وطاء لينا . و يسترها بستر خصيف ، و يوسع لها فى النفقة . فأرسل اليها فأقرأها الكتاب : فقالت ان كان أمير المؤمنين جعل الخيار الى فانى لا آتيه وان كان حتم فالطاعة أولى . فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به . فلما دخلت على معاوية : قال مرحباً وأهلا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ، قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة . قال كيف كنت فى مسيرك ، قالت ربيبة بيت أو طفلا ممهدا . قال بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت اليك . قالت أنى لى بعلم مالم أعلم : قال ألست الراكبة الجمل الاحمر والواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب ، فما حملك على ذلك . قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس ، و بتر الذنب ، ولم يعد ماذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث بعده الامر . قال لها معاوية : أتحفظين كلامك يومئذ قالت : لا والله لا أحفظه ولقد أنسيته قال لكنى أحفظه لله أبوك ، حين تقولين ، أيها الناس ارعووا وارجعوا ، انكم قد أصبحتم فى فتنة ، غشتكم جلابيب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيالها فتنة عمياء صماء بكماء ، لا تسمع لناعقها ، ولا تنساق لقائدها ، ان المصباح لا يضىء فى الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد الا الحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه . أيها الناس : ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها ، فصبرا يامعشر المهاجرين على الغصص ، فكان قد اندمل شمل الشتات ، والتأمت كلمة الحق ، ودمغ الحق بالظلمة ، فلا يجهلن أحد فيقول كيف وأنى ليقضى

الله أمرا كان مفعولا ، ألا وان خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، ولهـذا اليوم مابعده * والصبر خير فى الامور عواقبا * ايها فى الحرب قدما غيرنا كصين ولا متشاكسين .
ثم قال لها: والله يازرقاء لقـد شركت عليا فى كل دم سفكه . قالت أحسن الله بشارتك، وأدام سـلامتك ، فمثلك بشر بخير وسر جليسه . قال أو يسرك ذلك . قالت نعم : والله لقـد سررت بالخبر، فانى لك بتصديق الفعل . فضحك معاوية وقال: والله لوفاؤكم له بعد موته، أعجب من حبكم له فى حياته ، اذكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين : آليت على نفسى أن لا أسال أميرا أعنت عليه أبدا، ومثلك أعطى عن غير مسئلة، وجاد عن غير طلبة . قال صدقت: وأمر لها وللذين جاؤا معها بجوائز وكساء

٤٨ ـ وفود أم سنان بنت جشمة على معاوية رحمه الله تعالى ـ سعيد بن أبى حـذافة قال: حبس مروان وهو والى المدينـة غلاما من بنى ليث فى جناية جناها ، فاتته جدة الغلام وهى أم سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية . فكلمته فى الغلام فاغلظ مروان ، فخرجت الى معاوية . فدخلت عليه فانتسبت فعرفها . فقال لها: مرحباً يا ابنة جشمة ماأقدمك أرضنا . وقد عَهِدتك تشتمينا وتحضين علينا عدونا : قالت ان لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو، وان أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت . قال: صدقتِ نحن كذلك فكيف قولك:

عَزَبَ الرقاد فمقلتى لاترقـد * والليل يصـدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لامقام فشمـروا * ان العدو لآل أحمـد يقصـد
هـذا على كالهلال تحفـه * وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد * ان يهـدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفرا * والنصر فـوق لوائه مايفـقد

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تـكون لنا خلفا . فقال رجـل من جلسائه كيف يا أمير المؤمنين وهى القائلة :

اما هلـكت أبا الحسـين فلم تزل * بالحق تعرف هاديا مهـديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت * فـوق الغصون حمـامة قمريا
قد كنت بعـد محمد خلفا كما * أوصى اليـك بنا فكنت وفيا

قالت ياأمير المؤمنين : لسان صدق ، وقول نطق ، ولئن تحقق ماظننا، فحظك الاوفر، والله ماورثك والله الشنآن فى قلوب المسلمين الاهؤلاء، فادحض مقالتهم، وأبعد منزلتهم، فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ، ومن المؤمنين حبا ، قال وانك لتقولين ذلك . قالت: سبحان الله والله مامثلك مدح بباطل، ولا اعتذر اليه بكذب، وانك لتعلم ذلك من رأينا، وضمير قلوبنا، كان والله على أحب الينا منك ، وأنت أحب الينا من غيرك . قال ممن: قالت من مروان بن الحكم وسعيد بن العاصى . قال وبم استحققت ذلك عندك ، قالت بسعة حلمك، وكريم عفوك . قال: فانهما يطمعان فى ذلك ، قالت هما والله من الرأى على ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى . قال والله لقد قاربت فما حاجتك . قالت ياأمير المؤمنين : ان مروان تبنك بالمدينة تبنك من لايريد منها البراح، لايحكم بعدل ، ولا يقضى بسنة، يتتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابنى فاتيته : فقال كنت وكنت . فاسمعته أخشن من الحجر، وألقمته أمر من الصاب ، ثم رجعت الى نفسى باللائمة ، وقلت لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو منه . فاتيتك ياأمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظراً ، وعليه معربا . قال صدقت : لاأسالك عن ذنبه ، والقيام بحجته ، اكتبوا لها باطلاقه . قالت ياأمير المؤمنين وأنى لى بالرجعة ، وقد نفد زادى ، وكلت راحلتى، فامر لها براحلة وخمسة آلاف

٤٩ — وفود عكرشة بنت الاطرش على معاوية رحمه الله تعالى —

أبو بكر الهذلى عن عكرمة قال : دخلت عكرشة بنت الاطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكاز فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست . فقال لها معاوية : الآن ياعكرشة صرت عندك أمير المؤمنين . قالت نعم اذلا على حى : قال ألست المتقلدة حمائل السيوف بصفين وأنت واقفة بين الصفين تقولين . أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يرحل من أوطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها ، ولاتنصرم همومها ، وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم ، ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب ، لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فاجابوه ، واستدعاهم الى الباطل فلبوه ، فالله الله عباد الله فى دين الله، اياكم والتواكل فان ذلك ينقض عز الاسلام ، ويطفىء نور الحق، هذه بدر الصغرى ، والعقبة الاخرى، يامعشر المهاجرين والانصار ، امضوا على بصيرتكم ،

واصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غداً ، وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير ، فكأنى أراك على عصاك هــذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطرش ابن رواحة ، فان كنت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك . قالت يا أمير المؤمنين : انه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وانا قد فقدنا ذلك . قالت فما يجبر لنا كسير ، ولا ينعش لنا فقير ، فان كان ذلك عن رأيك ، فمثلك تنبه عن الغفلة وراجع التوبة ، وان كان عن غــير رأيك ، فمامثلك استعان بالخونة ، ولا استعمل الظلمة . قال معاوية : ياهــذه انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق ، وبحور تنفهق . قالت ياسبحان الله : والله مافرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا وهو علام الغيوب . قال معاوية : يا أهل العراق نبهكم على بن أبى طالب فلم تطاقوا . ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وانصافها

٥٠ ـ قصة دارمية الحجونية مع معاوية رحمه الله تعالى ـ سهل بن أبى سهل التميمى عن أبيه قال : حج معاوية فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لهــا دارمية الحجونية . وكانت سوداء كثيرة اللحم . فأخبر بسلامتها فبعث اليها فجيء بها . فقال : ماجاء بك ياابنة حام . فقالت : لست لحام ان عبتنى أنا امرأة من بنى كنانة . قال صدقت : أتدرين لم بعثت اليك . قالت : لا يعلم الغيب الا الله . قال : بعثت اليك لاسالك علىم أحببت علياً وأبغضتنى ، وواليته وعاديتنى . قالت : أوتعفينى . قال : لا أعفيك . قالت : أما اذا أبيت . فانى أحببت علياً على عدله فى الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر ، وطلبتك ماليس لك بحق ، وواليت علياً على ماعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء وحبــه المساكين ، واعظامه لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك فى القضاء ، وحكمك بالهوى . قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك . فقالت ياهذا بهند والله كان يضرب المثل فى ذلك لا بى . قال معاوية : ياهذه اربعى فانا لم نقل الا خيراً انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، واذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها ، فرجعت وسكنت . قال لها ياهذه : هل رأيت علياً . قالت إى والله . قال : فكيف رأيته . قالت : رأيته والله لم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك . قال : فهل سمعت كلامه . قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت صدأ الطست . قال صدقت : فهل لك من حاجة . قالت : أوتفعل اذا سألتك . قال نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء

فيها خلها وراعيها . قال: تصنعين بهـا ماذا . قالت : اغـدو بألبانها الصغار ، واستحيي بها الـكبار ، وا كتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال: فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب . قالت: سبحان الله أودونه . فانشأ معاوية يقول:

اذا لم أعـد بالحـلم مني عليكم * فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم

خذيها هنيأ واذكري فعل ماجد * جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما والله لو كان علي حياً ما أعطاك منها شيأ . قالت : لا والله ولا وبرة واحـدة من مال المسلمين

٥١ ـ وفود أم الخير بنت حريش على معاوية ـ عبـد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : كتب معاوية الى واليه بالـكوفة أن يحمل اليه أم الخـير بنت الحريش بن سراقة البارقي برحلها وأعلمه اني مجازيه بالخير خيراً أو بالشر شراً بقولها فيـه . فلما ورد عليه كتابه ركب اليها فاقرأها كتابه . فقالت: أما أنا فغير زائغة عن طاعة، ولا معتلة بكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لامور تختلج في صدري، فلما شيعها وأراد مفارقتها . قال لها : يا أم الخير ان أمير المؤمنين كتب الي أنه مجازيني بالخير خيراً أو بالشر شراً . فما لي عندك . قالت ياهذا: لا يطمعك برك بي أن أسرك بباطل، ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غـير الحق، فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية . فانزلها مع الحرم . ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه . فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال لها: وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتني بهذا الاسم . قالت : يا أمـير المؤمنين لكل أجل كتاب . قال صدقت: فـكيف حالك ياخالة وكيف كنت في مسيرك . قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت اليك . فانا في مجلس أنيق، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم . قالت ياأمير المؤمنين: يعيذك الله من دحض المقال، وما تؤدي عاقبته . قال: ليس هذا أردنا . أخبرينا كيف كان كلامك اذ قتل عمار ابن ياسر . قالت: لم أكن زورته قبل، ولا رويته بعد . وانما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة فان أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت . فالتفت معاوية الى جلسائه . فقال: أيكم يحفظ كلامها . فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال هات قال: كاني بها بين بردين زئبريين كثيفي النسيج وهي على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول . ياأيها الناس: اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . ان الله قد أوضح

لكم الحق، وأبان الدليل، و بين السبيل، و رفع العلم، ولم يدعكم فى عمياء مدلهمة، فاين تريدون رحمكم الله أفرارا عن أمير المؤمنين، أم فرارا من الزحف، أم رغبة عن الاسلام، أم ارتدادا عن الحق. أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوأخباركم ثم رفعت رأسها الى السماء وهى تقول: اللهم قدعيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، و بيدك يارب أزمة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق الى أهله، هلموا رحمكم الله الى الامام العادل، والرضى التقى، والصديق الاكبر، انها احن بدرية، وأحقاد جاهلية، وثب بها واثب حين الغفلة، ليدرك ثارات بنى عبد شمس. ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون، صبرا يامعشر المهاجرين والانصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة، لا تدرى أين يسلك بها من فجاج الارض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وعما قليل ليصبحن نادمين، حتى تحل بهم الندامة، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص، انه من ضل والله عن الحق وقع فى الباطل، ألا ان أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها، فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، وتقوى كلمة الشيطان، فالى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأبى سبطيه خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وجعله باب دينه، وأبان ببغضه المنافقين، وهاهو ذا مفلق الهام، ومكسر الاصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزيه، وأفنى أهل أحد، وهزم الاحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرق به جمع أهوائهم، فيالها من وقائع زرعت فى قلوب نفاقا، وردة وشقاقا، وزادت المؤمنين ايمانا، قد اجتهدت فى القول، و بالغت فى النصيحة، و بالله التوفيق والسلام عليكم و رحمة الله. فقال معاوية: ياأم الخير ما أردت بهذا الكلام الا قتلى ولو قتلتك ماحرجت فى ذلك. قالت والله ما يسوءنى أن يجرى قتلى على يدى من يسعدنى الله بشقائه. قال: هيهات ياكثيرة الفضول ما تقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله. قالت: وماعسيت أن أقول فى عثمان استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون. قال معاوية: ياأم الخير هذا ثناؤك الذى تثنين. قالت: لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا. ولكن كان سابقا الى الخير وانه لرفيع الدرجة غدا. قال: فما تقولين فى الزبير. قالت وما أقول فى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه. وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة. وأنا أسألك بحق الله يامعاوية فان قريشا تحدثت أنك أحلمها أن تعفينى من هذه المسائل وتسألنى عما شئت من

غيرها. قال نعم: ونعمة عين قد أعفيتك منها. ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة

٥٢ — وفود أروى بنت عبد المطلب على معاوية رحمه الله — العباس بن بكار قال: حدثني عبدالله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي أن أروى بنت الحرث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة. فلما رآها معاوية قال: مرحبا بك وأهلا يا خالة فكيف كنت بعدنا فقالت يا ابن أخي لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، من غير دين كان منك، ولا من آبائك، ولا سابقة في الاسلام، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فاتعس الله منكم الجدود، وأضرع منكم الخدود، ورد الحق الى أهله، ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور، فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب اليه منكم، وأولى بهذا الامر، فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى، فغايتنا الجنة وغايتكم النار. فقال: لها عمرو بن العاص كفى أيتها العجوز الضالة واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك. فقالت له: وأنت يا ابن النابغة تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكة وأخذهن لاجرة، ادعاك خمسة نفر من قريش. فسئلت أمك عنهم. فقالت: كلهم أتاني. فانظروا أشبههم به. فالحقوه به فغلب عليك شبه العاصي بن وائل فلحقت به. فقال مروان: كفى أيتها العجوز واقصري لما جئت له. فقالت: وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم. ثم التفتت الى معاوية. فقالت: والله ما جرأ علي هؤلاء غيرك. فان أمك القائلة في قتل حمزة:

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان لي عن عتبة من صبر * وشكر وحشي على دهري

* حتى ترم أعظمي في قبري *

فاجابتها بنت عمي وهي تقول:

خزيت في بدر وبعد بدر * يا ابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك: قالت مالي اليك حاجة وخرجت عنه:

- ٥ -

فرش كتاب مخاطبة الملوك

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: قد مضى قولنا في الوفود والوافدات ومقاماتهم بين يدي نبي الله صلى الله عليه وسلم و بين يدي الخلفاء والملوك . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده في مخاطبة الملوك والتزلف اليهم بسحر البيان ، الذي يمازج الروح لَطَافةً ، ويجرى مع النفس رقة، والكلام الرقيق مصايد القلوب ، وان منه لما يستعطف المستشيط غيظاً ، والمندمل حقدا ، حتى يطفىء جمرة غيظه، ويسل دقائق حقده ، وان منه لما يستميل قلب اللئيم ، ويأخذ بسمع الكريم وبصره ، وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة ، وشافعا مقبولا قال تبارك وتعالى «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم» وسنذكر في كتابنا هذا ان شاء الله تعالى من تخلَّص من أنشوطة الهلاك ، وتفلت من حبائل المنية ، بحسن التنصل، ولطيف التوصل ، ولين الجواب ، ورقيق الاستعتاب ، حتى عادت سيِّئاته حسنات ، وعيض بالثواب بدلا من العقاب ، وحفظ هذا الباب ، أوجبُ على الانسان من حفظ عرضه ، والزم له من قِوام بدنه :

١ - البيان - كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفي حتى يتأدى الى الفهم ويتقبله العقل ، فذلك البيان الذي ذكره الله في كتابه ، ومنَّ به على عباده . فقال تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » وسئل النبي صلى الله عليه وسلم . فيم الجمال: فقال في اللسان يريد البيان . وقال صلى الله عليه وسلم: « ان من البيان لسحراً » وقالت العرب أنفذ من الرمية كلمة خفية . وقال الراجز :

لقد خشيت أن تكون ساحرا * راوية مرا ومرا شاعرا

وقال سهل بن هرون : العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم . وقالوا البيان بصر، والعي عمى كما أن العلم بصر والجهل عمى . والبيان من نتاج العلم . والعي من نتاج الجهل . وقالوا ليس لمنقوص البيان بهاء، ولو حك بيافوخه عنان السماء . وقال: صاحب المنطق حد الانسان الحي الناطق المبين . وقال: الروح عماد البدن، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم

٢ — تبجيل الملوك وتعظيمهم — قال النبي صلى الله عليه وسلم «اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه» وقالت العلماء لا يؤم ذو سلطان في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته الا باذنه . وقال زياد : لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين . وقال يحيي بن خالد بن برمك : مساءلة الملوك عن حالها، من سجية النوكى، فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير : فقل صبح الله الامير بالنعمة والكرامة، واذا كان عليلا فاردت أن تسأله عن حاله : فقل أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة ، فان الملوك لا تسئل ولا تشمت ولا تكيف وأنشد:

ان الملوك لا يخاطبونا * ولا اذا ملوا يعاتبونا * وفي المقال لا ينازعونا
وفي العطاس لا يشمتونا * وفي الخطاب لا يكيفونا * يثني عليهم ويبجلونا
* فافهم وصاتي لا تكن مجنونا *

اعتل الفضل بن يحيي فكان اسمعيل بن صبيح الكاتب اذا أتاه عائدا لم يزد على السلام عليه والدعاء له . ويخفف في الجلوس . ثم يلقى: حاجبه فيساله عن حاله وما كله ومشربه ونومه وكان غيره يطيل الجلوس . فلما أفاق من علته : قال ماعادني في علتي هذه الا اسمعيل بن صبيح . وقال أصحاب معاوية : لمعاوية انا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك . فقال علامة ذلك ، أن أقول اذا شئتم . وقيل ذلك ليزيد فقال اذا قلت على بركة الله . وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان : فقال اذا وضعت الخيزرانة ، ومن تمام خدمة الملوك أن يقرب الخادم اليه نعليه . ولا يدعه أن يمشي اليهما ويجعل النعل اليمنى مقابلة الرجل اليمنى واليسرى مقابلة اليسرى واذا رأى متكأ يحتاج الى اصلاح أصلحه قبل أن يؤمر فلا ينتظر في ذلك أمره . ويتفقد الدواة قبل أن يامره وينفض عنها الغبار اذا قربها اليه وان رأى بين يديه قرطاسا قد تباعد عنه قربه ووضعه بين يديه على كسره . ودخل الشعبي على الحجاج قال له كم عطاك . قال ألفين . قال ويحك كم عطاؤك قال ألفان قال فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك . قال لحن الامير فلحنت ، وأعرب الامير فأعربت . ولم أكن ليلحن الامير فاعرب أنا عليه ، فاكون كالمقرع له بلحنه، والمستطيل عليه بفضل القول قبله، فاعجبه ذلك منه ووهبه مالا

٣ — قبلة اليد — عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم . ومن حديث وكيع عن سفيان . قال قال قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب

ومن حديث الشعبي قال: لقي النبي عليه الصلاة والسلام جعفر بن أبي طالب . فالتزمه وقبل ما بين عينيه . قال اياس ابن دغفل رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسين . الشيباني عن أبي الحسن عن مصعب قال : رأيت رجلا دخل على علي بن الحسين في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه العتبي . قال: دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبل يده . وقال يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقبيل ، لعلوها في المكارم ، وطهرها من المآثم ، وانك تقل التثريب ، وتصفح عن الذنوب، فمن أراد بك سوأ فجعله الله حصيد سيفك، وطريد خوفك . ودخل جعفر بن يحيي في زي العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكومة ومعه ثمامة بن أشرس . فقال ثمامة هذا أبو الفضل فنهض اليه سليمان فقبل يده . وقال له بابي أنت مادعاك الى أن تحمل عبدك هذه المنة التي لا أقوم بشكرها ولا أقدر أن أكافيء عليها . الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فاخذ عبد الله بن عباس بركابه . فقال له لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . قال له زيد أرني يدك فأخرج اليه يده فاخذها وقبلها . وقال هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن نفعل بأهل بيت نبينا . وقالوا قبلة الامام في اليد وقبلة الاب في الرأس وقبلة الاخ في الخد وقبلة الاخت في الصدر وقبلة الزوجة في الفم

٤ - من كره من الملوك تقبيل اليد — العتبي قال : دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده : فقال أف له ان العرب ماقبلت الايدي الا هلوعا ولا فعلته العجم الا خضوعا واستأذن رجل المأمون في تقبيل يده : فقال له ان قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمي خديعة ولا حاجة بك أن تذل ولا بنا أن نخدع . واستاذن أبو دلامة الشاعر المهدي في تقبيل يده : فقال أما هذه فدعها . قال مامنعت عيالي شيئا أيسر فقدا عليهم من هذه

٥ — حسن التوقيع في مخاطبة الملوك — قال هرون الرشيد لمعن بن زائدة كيف زمانك يامعن . قال ياأمير المؤمنين : أنت الزمان فان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد الزمان . وهذا نظير قول سعيد بن مسلم : وقد قال له أمير المؤمنين الرشيد من بيت قيس في الجاهلية . قال ياأمير المؤمنين بنو افزارة . قال فمن بيتهم في الاسلام قال ياأمير المؤمنين الشريف من شرفتموه: قال صدقت أنت وقومك . ودخل معن بن زائدة على أبي جعفر فقال له: كبرت يامعن قال في طاعتك ياأمير المؤمنين قال وانك لتتجلد . قال على أعدائك ياأمير المؤمنين . قال وان فيك لبقية: قال هي لك ياأمير المؤمنين . قال أي الدولتين أحب اليك أو أبغض دولتنا أو دولة بني أمية . قال

ذلك اليك يا أمير المؤمنين ان زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الى وان زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب الى . قال صدقت : وقال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح أهذا منزلك . قال هو لامير المؤمنين ولى به قال كيف ماؤه . قال أطيب ماء : قال فكيف هواؤه . قال أفسح هواء . وقال أبو جعفر المنصور لجرير بن يزيد : انى أردتك لامر . قال يا أمير المؤمنين : قد أعد الله لك منى قلبا معقودا بطاعتك ، ورأيا موصولا بنصيحتك ، وسيفا مشهورا على عدوك ، فاذا شئت فقل . وقال المامون لطاهر بن الحسين : صف لى ابنك عبدالله . قال يا مير المؤمنين : ان مدحته عبته ، وان ذممته اغتبته ، ولكنه قدح فى كف مثقف ليوم نضال فى خدمة أمير المؤمنين . وأمر بعض الخلفاء رجلا بامر فقال أنا أطوع لك من الرداء ، وأذل لك من الحذاء . وقال آخر : أنا أطوع لك من يدك ، وأذل لك من نعلك ، وقال المنصور لمسلم بن قتيبة : ما ترى فى قتل أبى مسلم . قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . قال حسبك أبا أمية . وقال المامون : ليزيد بن مزيد ما أكثر الخلفاء فى ربيعة . قال بلى ، ولكن منابرهم الجذوع . وقال المنصور لاسحاق بن مسلم أفرطت فى وفائك لبنى أمية . قال يا أمير المؤمنين : انه من وفى لمن يرجى كان لمن لا يرجى أوفى . وقال هرون لعبد الملك بن صالح : صف لى منبجا . قال رقيقة الهواء ، لينة الوطاء ، قال فصف لى منزلك بها . قال دون منازل أهلى ، وفوق منازل أهلها ، قال ولم وقدرك فوق أقدارهم قال ذلك خلق مير المؤمنين أتأسى به وأقفوا أثره وأحذو مثاله ، ودخل المامون يوما بيت الديوان : فرأى غلاما جميلا على اذنه قلم ، فقال من أنت يا غلام : قال انا الناشئ فى دولتك ، والمتقلب فى نعمتك ، والمؤمل لخدمتك ، الحسن بن رجاء ، قال المامون بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته . على بن يحيي قال : انى عند المتوكل حين دخل عليه الرسول برأس اسحاق بن اسماعيل . فقام على بن الجهم يخطر بين يدى المتوكل و يقول :

أهلا وسهلا بك من رسول * جئت بما يشفى من الغليل

* برأس اسحاق بن اسماعيل *

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع ، ودخل ابن عقال بن شبة على أبى عبيد الله كاتب المهدى . فقال يا ابن عقال لم أرك منذ اليوم . قال والله انى لا لقاك بشوق ، وأغيب عنك بتوق ، وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح . وكان أسود هل لك فيما يثمر المحادثة

يريد المنادمة . فقال أصلح الله الامير : اللون مرمد ، والشعر مفلفل ، ولم أقعد اليك بكريم عنصر ، ولا بحسن منظر ، وانما هو عقلي ولساني ، فان رأيت أن لا تفرق بينهما فافعل . ولما ودع المأمون الحسن بن سهل عند مخرجه من مدينة السلام قال له : يا أبا محمد ألك حاجة تعهد الى فيها . قال نعم يا أمير المؤمنين أن تحفظ على من قلبك مالا أستعين على حفظه الا بك . وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة للمأمون : لو لم أشكر الله الا على حسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين من قصده الى بحديثه، واشارته الى بطرفه ، لكان ذلك من أعظم ما توجبه النعمة ، وتفرضه الصنيعة، قال المأمون ذلك والله لان الامير يجد عندك من حسن الافهام اذا حدثت ،وحسن الفهم اذا حدثت ، مالا يجده عند غيرك

٦ — مدح الملوك والتزلف اليهم — فى سيرة العجم أن أزدشير بن يزدجرد لما استوثق له أمره جمع الناس . فخطبهم خطبة حضهم فيها على الالفة والطاعة، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصفف الناس أربعة ، فخروا له سجدا ، وتكلم متكلمهم، فقال لا زلت أيها الملك محبوا من الله بعز النصر ،ودرك الامل،ودوام العافية،وتمام النعمة،وحسن المزيد، ولا زلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع اليك الذمامات ، حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها ، ولا تنقطع زهرتها ، فى دار القرار التى أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده ، والحظوة لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة البحور والانهار ، حتى تستوى أقطار الارض كلها فى علوك عليها، ونفاذ أمرك فيها ،فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، و وصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بانفسنا اتصال النسيم فاصبحت قد جمع الله بك الايادى بعد افتراقها ، وألف بين القلوب بعد تباغضها ، وأذهب عنا الاحن والحسائد بعد توقد نيرانها، بفضلك الذى لا يدرك بوصف ، ولا يحد بنعت . فقال أزدشير : طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا ، وللداعى اذا كان للاجابة أهلا . دخل حسان بن ثابت على الحرث الجفنى فقال : أنعم صباحا أيها الملك السماء غطاؤك ، والارض وطاؤك ، و والدى و والدتى فداؤك ، أنى يناويك المنذر ، فوالله لقذالك أحسن من وجهه،ولأمك أحسن من أبيه، ولظلك خير من شخصه، ولصمتك خير من كلامه ، ولشمالك خير من يمينه . ثم أنشأ يقول :

قذالك أحسن من وجهه * وأمك خير من المنذر

ويسرى يديك اذا أعسرت * كيمنى يديه فلا تمتر

ودخل خالد بن عبد الله القسرى على عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة فقال: يا أمير المؤمنين من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها، كما قال الشاعر:

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا . ابن أبى طاهر قال: دخل المأمون بغداد فتلقاه وجوه أهلها . فقال له رجل منهم يا أمير المؤمنين بارك الله لك فى مقدمك، وزاد فى نعمتك، وشكرك عن رعيتك، تقدمت من قبلك، وأتعبت من بعدك، وآيست أن يعاين مثلك، أما فيما مضى فلا نعرفه، وأما فيما بقى فلا نرجوه، فنحن جميعا ندعو لك، ونثنى عليك، خصب لنا جنابك، وعذب ثوابك، وحسنت نظرتك وكرمت مقدرتك، جبرت الفقير، وفككت الاسير، فانت يا أمير المؤمنين كما قال الاول:

مازلت فى البذل والنوال واط * لاق لعان بجرمه غلق
حتى تمنى البراء أنهم * عندك أسرى فى القيد والحلق

ودخل رجل على خالد بن عبد الله القسرى فقال: أيها الامير انك لتبذل ماجل، وتجبر ما اعتل، وتكثر ما قل، ففضلك بديع، ورأيك جميع . وقال رجل للحسن بن سهل: لقد صرت لا أستكثر كثيرك، ولا أستقل قليلك، قال وكيف ذلك . قال لانك أكثر من كثيرك، وان قليلك أكثر من كثير غيرك . وقال خالد بن صفوان لوال دخل عليه: قدمت فاعطيت كلا بقسطه من نظرك ومجلسك، وصلاتك وعداتك، حتى كأنك من كل أحد وكانك لست من أحد . وقال الرشيد لبعض الشعراء: هل أحدثت فينا شيأ . قال يا أمير المؤمنين المديح كله دون قدرك، والشعر فيك كله فوق قدرى، ولكنى أستحسن قول العتابى:

ماذا عسى مادح يثنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تقديس وتطهير
فت الممادح الا أن ألسننا * مستنطقات بما تخفى الضمائر

مدح خالد بن صفوان رجلا فقال: قريع المنطق، جزل الالفاظ، عربى اللسان، قليل الحركات، حسن الاشارات، حلو الشمائل، كثير الطلاوة، صموتا قؤلا، يهنأ الجرب، ويداوى الدبر، ويقيل الحز، ويطبق المفصل، لم يكن بالبرم فى مروءته، ولا بالهذر فى منطقه، متبوعا غير تابع، كأنه علم فى رأسه نار . دخل سهل بن هرون على الرشيد فوجده يضاحك ابنه المامون . فقال:

اللهم زده من الخيرات ، وابسط له فى البركات ، حتى يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمسه، مقصرا عن غده . فقال له الرشيد: ياسهل من روى من الشعر أحسنه وأجوده، ومن الحديث أصحه وأبلغه ، ومن البيان أفصحه وأوضحه ، اذا رام أن يقول لم يعجزه . قال سهل : ياأمير المؤمنين ماظننت أحدا تقدمنى الى هذا المعنى . فقال : بل أعشى همدان حيث يقول :

وجدتك أمس خير بنى لؤى * وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

وكان المأمون قد استثقل سهل بن هرون . فدخل عليه يوما والناس عنده على منازلهم . فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب . فلما فرغ أقبل سهل بن هرون على ذلك الجمع . فقال: مالكم تسمعون ولا تعون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتعجبون ولا تصغون، أما والله انه ليقول و يفعل فى اليوم القصير ،مثل ماقالت وفعلت بنو مروان فى الدهر الطويل،عربكم كعجمهم، وعجمهم كعرب بنى تميم، ولكن كيف يشعر بالدواء،من لا يعرف الداء، قال فرجع له المامون الى رأيه الاول . وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العتكى . فلما أثنى الوقد على الحجاج عند عبد الملك بن مروان قال زياد ياأمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو ، وسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تاخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك عند الحجاج أحد أخف ولا أحب اليه منه . الشيبانى قال: أقام المنصور صالحا ابنه . فتكلم فى أمر فاحسن . فقال شبيب بن شبة: تالله مارأيت كاليوم أبين بيانا، ولا أعرب لسانا، ولا أربط جاشا، ولا أبل ريقا، ولا أحسن طريقا، وحق لمن كان المنصور رأباه، والمهدى أخاه، أن يكون كما قال زهير :

هو الجواد فان يلحق بشاوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ماقدما من صالح سبقا

وخرج شبيب بن شبة من دار الخلافة يوما . فقيل له كيف رأيت الناس . قال: رأيت الداخل راجيا، والخارج راضيا، وقيل لبعض الخلفاء ان شبيب بن شبة يستعمل الكلام و يستعذبه فلو أمرته أن يصعد المنبر فجاة لافتضح . قال: فامر رسولا فاخذ بيده فصعده المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم . ثم قال: ألا ان لامير المؤمنين أشباها أربعة . فمنها الاسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر، فاما الاسد الخادر . فاشبه منه

صولته ومضاءه وأما البحر الزاخر : فاشبه منه جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر : فاشبه منه نوره وضياءه ، وأما الربيع الناضر : فاشبه منه حسنه وبهاءه . ثم نزل : قال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه تكلم بحاجتك . قال يا أمير المؤمنين : بهر الدرجة ، وهيبة الخلافة ، يمنعانى من ذلك . قال : فعلى رسلك ، فانا لا نحب مدح المشاهدة ، ولا تزكية اللقاء . قال يا أمير المؤمنين : لست أمدحك ، ولكن أحمد الله على النعمة فيك . قال : حسبك فقد أبلغت . ودخل رجل على المنصور . فقال له : تكلم بحاجتك . فقال : يبقيك الله يا أمير المؤمنين . قال : تكلم بحاجتك فانك لا تقدر على هذا المقام كل حين . قال والله يا أمير المؤمنين : ما أستقصر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتنم مالك ، وان عطاءك لشرف ، وان سؤالك لزين ، وما لامرئ بذل وجهه اليك نقص ولا شين . قال : فاحسن جائزته وأكرمه . ابراهيم بن السندى قال : دخل العمانى على المأمون وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج . فقال له : إياك أن تنشدنى الا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دلقان . قال : فغدا عليه فى زى الاعراب فانشده . ثم دنا فقبل يده وقال : قد والله يا أمير المؤمنين أنشدت يزيد بن الوليد ، وابراهيم بن الوليد ، ورأيت وجوههما ، وقبلت أيديهما ، وأخذت جوائزهما ، وأنشدت مروان وقبلت يده ، وأخذت جائزته ، وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده ، وأخذت جائزته ، وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده ، وأخذت جائزته ، الى كثير من أشباه الخلفاء ، وكبراء الامراء ، والسادة الرؤساء ، فلا والله يا أمير المؤمنين ما رأيت فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسن وجها ، ولا أنعم كفا ، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين . قال : فاعظم له الجائزة على شعره ، وأضعف له على كلامه ، وأقبل عليه بوجهه وبشره ، فبسطه حتى تمنى جميع من حضره أنهم قاموا مقامه . العتبى عن سفيان بن عيينة قال : قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق . فنظر الى شاب منهم يتجوس للكلام . فقال : أكبروا أكبروا . فقال : يا أمير المؤمنين انه ليس بالسن . ولو كان الامر كله بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك . فقال عمر : صدقت رحمك الله تكلم . فقال يا أمير المؤمنين : انا لم نأتك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا . وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك . قال : فما أنتم . قال : وفد الشكر . قال : فنظر محمد بن كعب القرظى الى وجه عمر يتهلل . فقال : يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك . فان ناسا خدعهم الثناء وغرهم شكر الناس فهلكوا . وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم . فالقى عمر رأسه على صدره

٧ — التنصل والاعتذار — قال النبي صلى الله عليه وسلم « من لم يقبل من متنصل عذراً صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض » وقال « المعترف بالذنب كمن لا ذنب له » وقال « الاعتراف يهدم الاقتراف » وقال الشاعر :

اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائباً * اليك فلم تغفر له فلك الذنب

واعتذر رجل الى ابراهيم بن المهدى فقال : قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب . واعتذر رجل الى جعفر بن يحيى فقال : قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار ، وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن . وقال ابراهيم الموصلى : سمعت جعفر بن يحيى يعتذر الى رجل من تاخر حاجة ضمنها وهو يقول : أحتج اليك بغالب القضاء ، وأعتذر اليك بصادق النية . وقال رجل لبعض الملوك : أنا من لا يحاجك عن نفسه ، ولا يغالطك فى جرمه ، ولا يلتمس رضاك الا من جهة عفوك ، ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ، ولا يستميلك الا بالاعتراف بالزلة وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر * لاسيما عن غير ذى ناصر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فما له غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا * أن يفسد الاول بالآخر

وكتب الحسن بن وهب الى محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفر ما أحسن العفو كله * ولاسيما عن قائل ليس لى عذر

وقال آخر

اقبل معاذير من ياتيك معتذراً * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقالت الحكماء : ليس من العدل سرعة العذل . وقال الاحنف بن قيس : رب ملوم لا ذنب له . وقال آخر : لعل له عذراً وأنت تلوم

وقال حبيب :

البر بى منك وطأ العذر عندك لى * فيما أتاك فلم تقبل ولم تلم
وقام علمك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

وقال آخر :

اذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

ومن قولنا فى هذا المعنى :

عذيرى من طول البكا لوعة الاسى * وليس لمن لا يقبل العذر من عذر

وقال آخر :

فهبنى مسيأ كالذى قلت ظالما * فعفو جميل كى يكون لك الفضل

فان لم أكن للعفو عندك للذى * أتيت به أهلا فانت له أهل

ومن الناس من لا يرى الاعتذار ويقول: اياك وما يعتذر منه. وقالوا : ما اعتذر مذنب الا ازداد ذنباً. وقال الشاعر محمود الوراق :

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

قال ابن شهاب الزهرى: دخلت على عبد الملك بن مروان فى رجال من أهل المدينة. فرآنى أحدثهم سنا. فقال لى من أنت : فانتسبت له. فقال: لقد كان أبوك وعمك نعاقين فى فتنة ابن الاشعث. فقلت يا أمير المؤمنين: ان مثلك اذا عفا لم يعد ، واذا صفح لم يثرب، فاعجبه ذلك. وقال أين نشأت قلت بالمدينة. قال : عند من طلبت . قلت سعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وقبيصة بن ذؤيب. قال : فاين أنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء. فلما انصرفت من عنده لم أبارح عروة بن الزبير حتى مات. ودخل ابن السماك على محمد بن سليمان بن على، فرآه معرضاً عنه. فقال: مالى أرى الامير كالعاتب على. قال ذلك لشىء بلغنى عنك كرهته. قال: اذاً لا أبالى. قال ولم. قال: لانه اذا كان ذنبا غفرته ، وان كان باطلا لم تقبله. دخل جرير بن عبد الله على أبى جعفر المنصور وكان واجداً عليه. فقال له : تكلم بحجتك. فقال: لو كان لى ذنب تكلمت بعذرى. ولكن عفو أمير المؤمنين أحب الى من براءتى. وأتى موسى الهادى برجل فجعل يقرعه بذنوبه. فقال يا امير المؤمنين : ان اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك ، واقرارى به يلزمنى ذنباً لم أجنه. ولكن أقول :

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة فى الاجر

سعى بعبد الملك بن الفارسى الى المامون. فقال له المامون : ان العدل من عدله أبو العباس. وقد كان وصفك بما وصفك به. ثم أتتنى الاخبار بخلاف ذلك. فقال: يا أمير المؤمنين ان الذى بلغك عنى تحميل على. ولو كان كذلك لقلت نعم كما بلغك. فاخذت بحظى من الله فى

الصدق . واتكلت على أمير المؤمنين فى سعة عفوه . قال : صدقت . محمد بن القاسم الهاشمى أبو العيناء قال : كان أحمد بن يوسف الكاتب قد تولى صدقات البصرة . فجار فيها وظلم ، فكثر الشاكى له والداعى عليه ، ووافى باب أمير المؤمنين زهاء خمسين رجلا من جلة البصريين . فعزله المأمون وجلس لهم مجلسا خاصا . وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم . فكان مما حفظ من كلامه . أن قال يا أمير المؤمنين لو أن أحدا ممن ولى الصدقات سلم من الناس لسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الله عزوجل «ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون» فاعجب المأمون جوابه ، واستجزل مقاله ، وخلى سبيله . محمد بن القاسم الهاشمى أبو العيناء قال: قال لى أبو عبد الله أحمد بن أبى دؤاد ، دخلت على الواثق . فقال لى مازال قوم فى ثلبك ونقصك . فقلت يا أمير المؤمنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، والله ولى جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وماذل من كنت ناصره ، ولا ضاع من كنت حافظه ، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين . قال قلت أبا عبد الله :

وسعى الى بعيب عزة معشر * جعل الاله خدودهن نعالها

قال أبو العيناء : قلت لاحمد بن أبى دؤاد ، ان قوما تظافروا على . قال يد الله فوق أيديهم : قلت انهم عدد وأنا واحد . قال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة: قلت ان للقوم مكرا . قال ولا يحيق المكر السيئ الا باهله : قال أبو العيناء فحدثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف الكاتب . فقال : ما يرى ابن أبى دؤاد الا أن القرآن أنزل عليه . هجا نهار بن توسعة قتيبة بن مسلم وكان ولى خراسان بعد يزيد بن المهلب فقال :

كانت خراسان أرضا اذ يزيد بها * وكل باب من الخيرات مفتوح

فبدلت بعده قردا نطوف به * كأنما وجهه بالخل منضوح

فطلبه فهرب منه . ثم دخل عليه بكتاب أمه . فقال ويحك بأى وجه تلقانى . قال: بالوجه الذى ألقى به ربى وذنوبى اليه أكثر من ذنوبى اليك . فقربه ووصله وأحسن اليه . وأقبل المنصور يوما راكبا والفرج بن فضالة جالس عند باب الذهب . فقام الناس اليه . ولم يقم . فاستشاط المنصور غيظا وغضبا ودعا به : فقال مامنعك من القيام مع الناس حين رأيتنى . قال خفت أن يسالنى الله تعالى لم فعلت ويسالك عنه لم رضيت . وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسكن غضبه وقربه

وقضى حوائجه . يحيى بن أكثم قال: انى عند المأمون يوما، حتى أتى برجل ترعد فرائصه فلما مثل بين يديه . قال له المامون: كفرت نعمتى . ولم تشكر معروفى . قال يا أمير المؤمنين: وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله بك على . فنظر الى وقال متمثلا:

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد * لكثرة مال أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره * فقال اشكروا لى أيها الثقلان

ثم التفت الى الرجل . فقال له هلا قلت كما قال أصرم بن حميد:

رشحت حمدى حتى اننى رجل * كلى بكل ثناء فيك مشتغل
خولت شكرى ما خولت من نعم * فحر شكرى لما خولتنى خول

٨ — الاستعطاف والاعتراف ـ لما سخط المهدى على يعقوب بن داود: قال له يا يعقوب . قال لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لموجدتك . قال: ألم أرفع من قدرك اذ كنت وضيعا، وأبعد من ذكرك اذ كنت خاملا، وألبسك من نعمتى مالم أجد لك بها يدين من الشكر، فكيف رأيت الله أظهر عليك، ورد اليك منك . قال: ان كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب، وان كان مما استخرجته دفائن الباغين فعائذ بفضلك . فقال: والله لولا الحنث فى دمك بما تقدم لك، لالبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا . ثم أمر به الى الحبس . فتولى وهو يقول الوفاء يا أمير المؤمنين كرم، والمودة رحم، وأنت بهما جدير . أخذت الشعراء معنى قوله ألبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا . فقال معلى الطائى:

طوقته بحسام طوق داهية * ما يستطيع عليه شد أزرار

وقال حبيب:

طوقته بالحسام طوق ردى * أغناه عن مس طوقه بيده

وقال: طوقته بالحسام منصلتا * آخر طوق يكون فى عنقه

ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد . أذن له بالدخول عليه . فلما مثل بين يديه . قال: الحمد لله الذى سهل لى سبيل الكرامة بلقائك، ورد على النعمة بوجه الرضا منك، وجزاك الله يا أمير المؤمنين، فى حال سخطك جزاء المحسنين المراقبين، وفى حال رضاك جزاء المنعمين المتطولين، فقد جعلك الله وله الحمد تثبت تحرجا عند الغضب، وتمتن تطولا بالنعم، وتستبقى المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو . لما ظفر المامون بابراهيم بن المهدى: وهو الذى يقال له ابن شكلة . أمر

بادخاله عليه . فلما مثل بين يديه . قال: ولى الثار محكم فى القصاص، والعفو أقرب للتقوى، وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك ، فان صفحت فبكرمك ، وان أخذت فبحقك . قال المامون: انى شاورت أبا اسحق والعباس فى قتلك ، فاشارا على به . قال اما أن يكون قد نصحاك فى عظم قدر الملك، وماجرت عليه عادة السياسة فقد فعلا . ولكن أبيت أن تستجلب النصر الا من حيث عودك الله ، ثم استعبر باكيا . قال له المامون: مايبكيك . قال جذلا اذ كان ذنبى الى من هذه صفته . ثم قال يا أمير المؤمنين: انه وان كان جرمى يبلغ سفك دمى، فحلم أمير المؤمنين وتفضله يبلغانى عفوه، ولى بعدهما شفاعة الاقرار بالذنب، وحرمة الاب بعد الاب . قال المامون: لو لم يكن فى حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك، لبلغك اليه حسن توصلك، ولطيف تنصلك، فصواب تصويب ابراهيم لرأى أبى اسحق والعباس ألطف فى طلب الرضا ودفع المكروه عن نفسه من تخطئتهما . وقال المامون :لاسحق بن العباس لا تحسبنى أغفلت اجلابك مع ابن المهلب وتاييدك لرأيه، وايقادك لناره . قال يا أمير المؤمنين: والله لاجرام قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرمى اليك ولرحمى أمس من أرحامهم . وقد قال : كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه المنة وممتثل بها . قال هيهات تلك أجرام جاهلية عفا عنها الاسلام وجرمك جرم فى اسلامك وفى دار خلافتك . قال يا أمير المؤمنين: فوالله للمسلم أحق باقالة العثرة، وغفران الزلة، من الكافر هذا كتاب الله بينى وبينك يقول الله تعالى «وسارعوا الى مغفرة من ربكم الى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» فهى للناس يا أمير المؤمنين سنة دخل فيها المسلم والكافر والشريف والمشروف . قال صدقت: اجلس ورِيت بك زنادى، فلا قدح نارى، من الغابرين من أهلك أمثالك . العتبى عن أبيه قال : قبض مروان بن محمد لمعاوية بن عمرو بن عتبة ماله بالبرذاسان . فقال انى قد وجدت قطيعة عمك لابيك انى أقطعتك بستانى . والبستان لا يكون الا عامرا . وأنا مسلم اليك العامر وقابض منك الغامر . فقال يا أمير المؤمنين: ان سلفك الصالح لو شهدوا مجلسنا هذا كانوا شهودا على ما ادعيته، وشفعاء فيما طلبته، يسألونك باحسانك الى، مكافأة احسان سلفى اليهم، فشفع فينا الاموات، واحفظ منا القرابات، واجعل مجلسك هذا مجلسا يلزم من بعدنا شكره . قال لا والله الا أن أجعلها طعمة منى لك لا قطيعة من عمك لابيك . قال قد قبلت ذلك ففعل . العتبى قال: أمر عبد الملك بن مروان بقطع أرزاق آل أبى سفيان وجوائزهم

لموجدة وجدها على خالد بن يزيد بن معاوية . فدخل عليه عمرو بن عتبة . فقال يا أمير المؤمنين: ان أدنى حقك متعب، و بعضه فادح لنا، ولنا مع حقك علينا حق عليك، با كرام سلفنا لسلفك، فانظر الينا بالعين التى نظروا بها اليهم، وضعنا بحيث وضعتنا الرحم منك . قال عبد الملك: انما يستحق عطيتى من استعطاها، فأما من ظن أنه يكتفى بنفسه، فسنكاه الى نفسه . ثم أمر له بعطية و بلغ ذلك خالدا فقال أبا لحرمان يهددنى يد الله فوق يده باسطة ، وعطاء الله دونه مبذول، فأما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذها . العتبى قال: حدثنا طارق بن المبارك عن عمرو بن عتبة قال: جاءت دولة المسودة، وأنا حديث السن كثير العيال، متفرق المال، فجعلت لا أنزل قبيلة من قبائل العرب الا شهرت فيها . فلما رأيت أمرى لا يكتتم أتيت سليمان بن على . فاستاذنت عليه قرب المغرب . فاذن لى وهو لا يعرفنى . فلما صرت اليه قلت أصلحك الله لفظتنى البلاد اليك، ودلنى فضلك عليك ، فاما قبلتنى غانما، واما رددتنى سالما . قال: ومن أنت فانتسبت له فعرفنى وقال مرحبا اقعد . فتكلم غانما سالما . قلت أصلحك الله ان الحرم التى أنت أقرب الناس اليهن معنا، وأولى الناس بهن بعدنا، قد خفن بخوفنا، ومن خاف خيف عليه . قال: فاعتمد سليمان على يديه، وسالت دموعه على خديه . ثم قال يا ابن أخى: يحقن الله دمك، و يستر حرمك . و يسلم مالك ان شاء الله . ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت . فلم أزل فى جوار سليمان آمنا . وكتب سليمان الى أبى العباس أمير المؤمنين أما بعد يا أمير المؤمنين فانا انما حاربنا بنى أمية على عقوقهم، ولم نحاربهم على أرحامهم، وقد دفت الىّ منهم دافة لم يشهروا سلاحا، ولم يكثروا جمعا، وقد أحسن الله اليك فاحسن، فان رأى أمير المؤمنين أن يكتب لهم أمانا و يأمر بانفاذه الى فليفعل . فكتب لهم كتابا منشورا وأنفذه الى سليمان بن على فى كل من لجأ اليه من بنى أمية، فكان يسميه أبو مسلم كهف الاباق . دخل عبد الملك بن صالح يوما على الرشيد . فلم يلبث فى مجلسه أن التفت الرشيد فقال متمثلا :

أريد حياته و يريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال أما والله لكأنى أنظر الى شؤ بوبها قد همع، وعارضها قد لمع، وكأنى بالوعيد قد وقع، فأقلع عن براجم بلا معاصم ، وجماجم بلا غلاصم ، فمهلا مهلا فبى والله يسهل لكم الوعر ، و يصفو لكم الكدر ، وألقت اليكم الامور مقاليد أزمتها، فالتدارك التدارك قبل حلول داهية ، خبوط باليد لبوط بالرجل . قال عبد الملك: أفذا ما تكلمت أم توأما يا أمير المومنين . قال

بل فـذا . قال اتق الله فى ذى رحمـك وفى رعيتك التى استرعاك الله، ولا تجعل الكفر مكان الشكر، ولا العقاب موضع الثواب، فقد محضت لك النصيحة، وأديت لك الطاعة، وشددت أواخى ملكك بأثقـل من ركنى يلملم، وتركت عـدوك سبيلا تتعاوره الاقدام، فالله الله فى ذى رحمك أن تقطعه بعـد أن وصلته، ان الكتاب لنميمة واش و بغى باغ ينهش اللحم، و يلغ الدم، فكم ليـل تمام فيك كابدته، ومقام ضيق فرجته، وكنت كما قال الشاعر أخو بنى كلاب :

ومقام ضـيق فرجته * بلسانى ومقامى وجـدل

لو يقوم الفيل أوفياله * زل عن مثل مقامى و زحل

فرضى عنه و رحب به . وقال و ريت بك زنادى . والتفت الرشيد يوما الى عبد الملك بن صالح فقال أكفرا بالنعمة، وغدرا بالامام، قال لقـد بوئت اذا باعباء الندم، وسعيت فى استجلاب النقم، وماذلك ياأمير المومنـين الا بغى باغ نافسنى فيك بقديم الولاية، وحق القرابة، ياأمير المومنين انك خليفـة الله و رسوله صلى الله عليه وسلم فى أمته، وأمينه على رعيته، لك عليها فضل الطاعة، وأداء النصيحة، ولهـا عليك التثبت فى حادثها، والعـدل فى حكمها . فقال له هرون : تضع لى من لسانك ، وترفع على من جناحك، بحيث يحفظ الله لى عليـك . هذا قمامة كاتبك يخبرنى بفعلك . فقال عبد الملك أحقا ياقمامة . قال نعم لقد أردت ختل أمير المومنين والغدر به . فقال عبد الملك : كيف لا يكذب على من خلفى من يبهتـنى فى وجهى . قال الرشيد : هذا ابنك شاهد عليك . قال ياأمير المومنين : هو بين مامور أوعاق فان كان مامورا فعذور وان كان عاقا فما أخاف من عقوقـه أكثر . وقال له الرشيد : يوما وكان معتلا عليه أتبقون بالرقة . قال و نبرغث قال له ياابن الفاعلة ماحملك على أن سألتك عن مسـئلة . فرددت على فى مسئلتين . وأمر به الى الحبس . فلم يزل فى حبسه حتى أطلقه الامين . ابراهيم بن السندى . قال : سمعت عبـد الملك بن صالح يقول بعـد اخراج المخـلوع له من الحبس وذكر الرشـيد وفعله به . فقـال : والله ان الملك لشئ مانويتـه ولا تمنيتـه، ولا نصبت له ولا أردته، ولو أردته لكان الى أسرع من الماء الى الحدور، ومن النار الى يبس العرفج، وانى لماخوذ بما لم أجن، ومسؤل عمـا لا أعرف ، ولـكن حين رآنى للملك قمينا، وللخلافة خطيرا، و رأى لى يدا تنالها اذا امدت، وتبلغها اذا بسطت، ونفسا تـكمل لخصالها، وتستحقها بفعالها، وان كنت لم أجن تلك الخصال، ولم أصطنع تلك الفـعال، ولم أترشح لهـا فى السر، ولا أشرت اليها فى الجهر، و رآها تحن حنـين الوالدة الوالهة ، وتميل ميـل الهلوك خاف أن

ترغب الى خير مرغب، وتنزع الى أخصب منزع، عاقبنى عقاب من سهر في طلبها، وجهد في التماسها، فان كان انما حسبنى انى أصلح لها وتصلح لى، وأليق بها وتليق بى، فليس ذلك بذنب جنيته فاتوب منه، ولا تطاولت له فاحط نفسى عنه، وان زعم أنه لا صرف لعقابه، ولا نجاة من عذابه، الا أن أخرج له من جد العلم، والحلم والحزم، فكما لا يستطيع المضياع أن يكون مصلحا، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلا، وسواء عليه عاقبنى على علمى وحلمى، أم عاقبنى على نسبي وسنى، وسواء عليه عاقبنى على جمالى، أو عاقبنى على محبة الناس لى، ولو أردتها لا عجلته عن التفكير، وشغلته عن التدبير، ولما كان فيها من الخطب الا اليسير. ابراهيم بن السندى قال: كنت أساير سعد بن سلم حتى قيل له ان أمير المومنين قد غضب على رجاء بن أبى الضحاك وأمر باخذ ماله. فارتاع بذلك وجزع. فقيل له ما يروعك منه. فوالله ما جعل الله بينكما نسبا ولا سببا. فقال بلى النعمة نسب بين أهلها والطاعة سبب موكد بين الاولياء. وبعث بعض الملوك الى رجل وجد عليه. فقال لما مثل بين يديه أيها الامير ان الغضب شيطان. فاستعذ بالله منه. وانما خلق العفو للمذنب، والتجاوز للمسئ، فلا تضق عما وسع الرعية من حلمك وعفوك فعفا عنه وأطلق سبيله. لما اتهم سالم بن قتيبة أبا مجلز على بعض الامر قال: أصلح الله الامير تثبت فان التثبت نصف العفو. قال الحجاج لرجل دخل عليه أنت صاحب الكلمة: قال أبوء بالذنب وأستغفر الرب وأسأل العافية. قال قد عفونا عنك. وأرسل بعض الملوك في رجل أراد عقوبته. فلما مثل بين يديه قال أسالك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى، الا نظرت في أمرى نظر من برئى أحب اليه من سقمى، وبراءتى أحب اليه من جرمى. وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة ونحن مقرون بالذنب. فان تعف عنى فاهل ذلك أنت وان تعاقبنى فاهل ذلك أنا. أمر معاوية بن أبى سفيان بعقوبة روح بن زنباع. فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها، أو تنقض منى مريرة أنت أبرمتها، أو تشمت بى عدوا أنت وقمته، الا أتى حلمك وصفحك عن خطئى وجهلى. فقال معاوية خليا عنه اذا أراد الله أمرا يسره. وجد عبد الملك بن مروان على رجل فجفاه واطرحه. ثم دعا به ليسأله عن شئ فرآه شاحبا ناحلا. فقال له متى اعتللت فقال ما مسنى سقم. ولكنى جفوت نفسى اذ جفانى الامير وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنى أمير المؤمنين فادعاه الى

نفسه . وقعد الحسن بن سهل لنعيم بن حازم فاقبل اليه حافيا حاسراً وهو يقول ذنبي أعظم من السماء ذنبي أعظم من الارض . فقال له الحسن أيها الرجل لا باس عليك قد تقدمت لك طاعة، وحدثت لك توبة، وليس للذنب بينهما موضع . ولئن وجد موضعاً فما ذنبك فى الذنوب باعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو . أذنب رجل من بنى هاشم ذنبا الى المامون فعاتبه فيه . فقال يا أمير المؤمنين : من حمل مثل حالتى، ولبس ثوب حرمتى، ومت بمثل قرابتى، اغتفر له فوق زلتى، قال صدقت يا ابن عمى وصفح عنه . واعتذر رجل الى المامون من ذنب . فقال له وان كانت زلتى قد أحاطت بحرمتى فان فضلك محيط بها، وكرمك موقوف عليها، أخذه صريع الغوانى فقال:

ان كان ذنبي قد أحاط بحرمتي * فاحط بذنبي عفوك المأمولا

دخل يزيد بن عمر بن هبيرة على أبي جعفر المنصور بعدما كتب أمانه . فقال يا أمير المؤمنين: ان امارتكم بكر، ودولتكم جديدة، فاذيقوا الناس حلاوتها، وجنبوهامرارتها، تخف على قلوبهم طاعتكم، وتسرع الى أنفسهم محبتكم، ومازلت مستبطئا لهذه الدعوة، فلما قام قال أبو جعفر عجبا من كل من يأمر بقتل هذا . ثم قتله بعد ذلك غدراً . الهيثم بن عدى قال: لما انهزم عبد الله بن على من الشام قدم على المنصور وفد منهم فتكلموا عنده . ثم قام الحرث فقال يا أمير المؤمنين انا لسنا وفد مباهاة، وانما نحن وفد توبة، ابتلينا بفتنة استخفت كريمنا، واستفزت حليمنا، ونحن بما قدمنا معترفون، ومما سلف منا معتذرون، فان تعاقبنا فقد أجرمنا، وان تعف عنا فطالما أحسنت الى من أساء منا . فقال المنصور: للحرسى هذا خطيبهم وأمر برد ضياعه عليه بالغوطة . قال أحمد بن أبى دواد ما رأينا رجلا نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يحب أن يفعله الا تميم بن جميل فانه كان تغلب على شاطئ الفرات . وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم فى يوم الموكب حين يجلس للعامة . ودخل عليه . فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف فاحضرا فجعل تميم بن جميل ينظر اليهما ولا يقول شيئا . وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه وكان جسيما وسيما ورأى أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره . فقال يا تميم : ان كان لك عذر فات به أو حجة فادل بها . فقال أما اذ قد أذن لى أمير المؤمنين فانى أقول . الحمد لله الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين: ان الذنوب تخرس الالسنة، وتصدع الافئدة، ولقد عظمت الجريرة، وكبر الذنب، وساء الظن ولم يبق الا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما اليك أولاهما بامتنانك ،

وأشبههما بخلافتك، ثم أنشأ يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظني من حيثما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي * وأي امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف * يسل على السيف فيه وأسكت
وماجزعي من أن أموت وانني * لاعلم ان الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت
كاني أراهم حين أنعى اليهم * وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة * أذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لايبعد الله روحه * وآخر جذلان يسر و يشمت

قال فتبسم المعتصم وقال: كاد والله ياتميم يسبق السيف العذل، اذهب فقد غفرت لك الصبوة وتركتك للصبية. وحكى أن أمير المؤمنين المهدي قال لابي عبيد الله لما قتل ابنه انه لو كان في صالح خدمتك، وما تعرفناه من طاعتك، وفاء يجب به الصفح عن ولدك، ماتجاوز أمير المؤمنين ذلك به الى غيره. ولكنه نكص على عقبيه وكفر بربه. قال: أبو عبيد الله رضانا عن أنفسنا وسخطنا عليها موصول برضاك وسخطك. ونحن خدم نعمتك تثيبنا على الاحسان فنشكر، وتعاقبنا على الاساءة فنصبر. أبو الحسن المدائني قال: لما حج المنصور مر بالمدينة: فقال للربيع الحاجب على بجعفر بن محمد قتلني الله ان لم أقتله فمطل به. ثم ألح عليه فحضر. فلما كشف الستر بينه و بينه ومثل بين يديه همس جعفر بشفتيه. ثم تقرب وسلم فقال لاسلم الله عليك ياعدو الله تعمل على الغوائل في ملكي قتلني الله ان لم أقتلك. قال ياأمير المؤمنين ان سليمان صلى الله على محمد وعليه أعطى فشكر، وان أيوب ابتلى فصبر، وان يوسف ظلم فغفر، وأنت على ارث منهم، وأحق من تأسى بهم، فنكس أبو جعفر رأسه مليا وجعفر واقف. ثم رفع رأسه فقال: الى أبا عبد الله فأنت القريب القرابة، وذو الرحم الواشجة، السليم الناحية، القليل الغائلة، ثم صافحه بيمينه، وعانقه بشماله، وأجلسه معه على فراشه، وانحرف له عن بعضه وأقبل عليه بوجهه يحادثه و يسائله. ثم قال يار بيع عجل لابي عبد الله كسوته وجائزته واذنه. فلما حال الستر بيني و بينه أمسكت بثوبه. فقال ماأرانا يار بيع الا وقد حبسنا: فقلت لا عليك هذه مني لا منه. فقال هذه أيسر سل

حاجتك ، فقلت له انى منذ ثلاث أدفع عنك وادارى عليك و رأيتك اذ دخلت همست بشفتيك ثم رأيت الامر انجلى عنك وأنا خادم سلطان ولا غنى لى عنه فاحب منك أن تعلمنيه . قال نعم قلت : اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام، واكنفنى بحفظك الذى لا يرام، ولا أهلك وأنت رجائى فكم من نعمة أنعمتها على قل لك عندها شكرى فلم تحرمنى وكم من بلية ابتليتنى بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى بك أدرأ فى نحره، واستعيذ بخيرك من شره، فانك على كل شىء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . المدائنى قال : لما كان يزيد بن راشد خطيبا وكان فيمن دعا الى خلع سليمان ابن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد . فنذر سليمان قطع لسانه فلما أفضت الخلافة اليه دخل عليه يزيد بن راشد . فجلس على طرف البساط مفكرا . ثم قال يا أمير المؤمنين : كن كنبى الله صلى الله عليه وسلم : ابتلى فصبر ، وأعطى فشكر ، وقدر فغفر . قال ومن أنت . قال يزيد ابن راشد فعفا عنه . حبس الرشيد رجلا . فلما طال حبسه كتب اليه ان كل يوم يمضى من نعيمك يمضى من بؤسى مثله والامد قريب والحكم لله فأطلقه . ومر أسد بن عبد الله القسرى وهو والى خراسان بدار من دور الاستخراج ودهقان يعذب فى حبسه وحول أسد مساكين يستجدونه فامر لهم بدراهم تقسم فيهم . فقال الدهقان : يا أسد ان كنت تعطى من يرحم فارحم من يظلم فان السموات تنفرج لدعوة المظلوم ، يا أسد احذر من ليس له ناصر الا الله ، واتق من لا جنة له الا الابتهال الى الله ان الظلم مصرعه وخيم ، فلا يغتر بابطاء الغياث من ناصر متى شاء ان يجيب أجاب ، وقد أملى لقوم ليزدادوا اثما فأمر أسد بالكف عنه . عتب المأمون على رجل من خاصته فقال له يا أمير المؤمنين : ان قديم الحرمة ، وحديث التوبة ، يمحوان ما بينهما من الاساءة . فقال صدقت و رضى عنه . وكان ملك من ملوك فارس عظيم المملكة شديد النقمة وكان له صاحب مطبخ فلما قرب اليه طعامه صاحب المطبخ سقطت نقطة من الطعام على يديه . فزوى لها الملك وجهه وعلم صاحب المطبخ أنه قاتله فكفأ الصحفة على يديه . فقال الملك على به . فلما أتاه قال له قد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك ، فما عذرك فى الثانية . قال استحييت للملك أن يقتل مثلى فى سنى وقدم حرمتى فى نقطة . فاردت أن أعظم ذنبى ليحسن به قتلى . فقال له الملك لئن كان لطف الاعتذار ينجيك من القتل ما هو بمنجيك من العقوبة اجلدوه وخلوه . الشيبانى دخل محمد ابن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم . فقال يا أمير المؤمنين : محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وغصن من أغصان دوحتك ، أتاذن فى الكلام

قال نعم: قال استمتع الله حياطة ديننا ودنيانا. و رعاية أدنانا وأقصانا ببقائك، وأساله أن يزيد في عمرك من أعمارنا، وفي أثرك من آثارنا، و يقيك الاذى باسماعنا وأبصارنا، هذا مقام العائذ بفضلك، الهارب الى كنفك وظلك، الفقير الى رحمتك وعدلك، ثم تكلم في حاجته فقضاها .

وقال عبيد بن أيوب وكان يطلبه الحجاج لجناية جناها. فهرب منه وكتب اليه:

أذقني طعم النوم أوسل حقيقة * على فان قامت فقصل بنانيا
خلعت فؤادي فاستطار فاصبحت * ترامى به البيدا القفار ترامیا

ولم يقل أحد في هذا المعنى أحسن من قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني * وتلك التي تستك منها المسامع
فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقس في أنيابها السم ناقع
وكلفتني ذنب امرئ وتركته * كذي العر يكوى غيره وهو راتع
فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتاى عنك واسع

وقال فيه أيضا،

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب
فان أك مظلوما فعبد علمته * وان تك ذا عتب فمثلك يعتب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني جناية * لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ألم تر أن الله أعطاك صورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقال ابن الطثرية:

فهبني امرأ اما بريئا علمته * واما مسيئا تاب منه وأعتبا
وكنت كذي داء يبغي لدائه * طبيبا فلما لم يجده تطببا

وقال الممزق العبدي لعمرو بن هند:

تروح وتغدو وما يحل وضينها * اليك ابن ماء المزن وابن المحرق
أحقا أبيت اللعن أن ابن مزننا * على غير اجرام بريقي مشرق
فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فادركني ولما أمزق

فأنت عميد الناس مهما تقل نقل * ومهما تضع من باطل لا يحقق

وتمثل بهذه الابيات عثمان بن عفان فى كتابه الى على بن أبى طالب يوم الدار . وكتب محمد بن الزيات لما أحس بالموت وهو فى حبس المتوكل برقعة الى المتوكل فيها:

هى السبيل فمن يوم الى يوم * كانه ماتريك العين فى النوم

لاتعجلن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم

ان المنايا وان أصبحت ذا فرج * تحوم حولك حوما أيما حوم

فلما وصلت الى المتوكل وقرأها أمر باطلاقه فوجدوه ميتا . وقال عمر للمنصور وقد أراد عقوبة رجل يا أمير المؤمنين ان الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والمتفضل قد جاوز حد المنصف ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه أوكس النصيبين ، دون أن يبلغ الدرجتين، جرى بين أبى مسلم صاحب الدعوة وقائد من قواده يقال له شهرام كلام . فقال له قائده كلمة فيها بعض الغلظ ثم ندم على ما كان منه فجعل يتضرع و يتنصل اليه . فقال له أبو مسلم لا عليك لسان سبق ، و وهم أخطأ ، وانما الغضب شيطان ، وانما جرأتك على، لطول احتمالى عنك ، فان كنت للذنب متعمدا، فقد شاركتك فيه ، وان كنت مغلوبا فان العذر يسعك ، وقد عفونا على كل حال . فقال أصلح الله الامير ، ان عفوك مثلك لا يكون غرورا . قال أجل . قال فان عظم الذنب لا يدع قلبى يسكن وألح فى الاعتذار . فقال له أبو مسلم: عجبا لك انك أسأت فاحسنت، فلما أحسنت أأسيء . دخل أبودلف على المامون وقدكان عتب عليه ثم أقاله . فقال له وقد خلا مجلسه قل أبادلف وماعسيت أن تقول وقد رضى عنك أمير المؤمنين وغفر لك مافعلت . فقال يا أمير المؤمنين: ليالى تدنى منك بالبشر مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر

فمن لى بالعين التى كنت مرة * الىّ بها فى سالف الدهر تنظر

قال المامون لك بها رجوعك الى مناصحتك ، واقبالك على طاعتك ، ثم عادله الى ما كان عليه وقال له المامون يوما أنت الذى تقول:

انى امرؤ كسروى الفعال * أصيف الجبال واشتو العراقا

ماأراك قدمت لحق طاعة ، ولا قضيت واجب حرمة . قال يا أمير المؤمنين: انما هى نعمتك ، ونحن فيها خدمك ، وماهراقة دمى فى طاعتك ، الا بعض مايجب لك . ودخل أبودلف على المامون . فقال أنت الذى يقول فيك ابن جبلة :

إنما الدنيا أبودلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فقال يا أمير المؤمنين شهادة زور، وكذب شاعر، وملق مستجد، ولكني الذي يقول فيه ابن أخيه :

ذريني أجوب الارض فى طلب الغنى * فما الكرخ بالدنيا ولا الناس قاسم

الكرخ منزل أبى دلف وكان اسمه قاسم بن عبد الله. وقال المنصور لمعن بن زائدة ما أظن ماقيل عنك من ظلمك أهل اليمن واعتسافك عليهم الاحقا . قال كيف ذلك ياأمير المؤمنين . قال بلغنى عنك أنك أعطيت شاعراً لبيت قاله الف دينار . فانشده البيت وهو:

معن بن زائدة الذى زيدت به * فخرا الى فخر بنو شيبان

قال نعم ياأمير المؤمنين قد أعطيته الف دينار لكن على قوله:

مازلت يوم الهاشمية معلما * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

قال فاستحيا المنصور وجعل ينكث بالمخصرة . ثم رفع رأسه وقال اجلس أبا الوليد . أتى عبد الملك بن مروان باعرابى سرق فامر بقطع يده فانشا يقول:

يدى ياأمير المؤمنين أعيذها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
ولا خير فى الدنيا وكانت خسيسة * اذا ماشمالى فارقتها يمينها

فابى الا قطعه . فقالت أمه ياأمير المؤمنين واحدى وكاسبى . قال بئس الكاسب كان لك وهذا حدٌّ من حدود الله . قالت ياأمير المؤمنين اجعله من بعض ذنوبك التى تستغفر الله منها فعفا عنه:

٩ — تذكير الملوك بذمام متقدم — قال ثمامة بن أشرس للمامون لما صارت اليه الخلافة كان لى أملان أمل لك وأمل بك . فاما أملى لك فقد بلغته . وأما أملى بك فلا أدرى مايكون منك فيه . قال يكون أفضل مارجوت وأملت فجعله من سماره وخاصته . الاصمعى قال : لما مات يزيد بن عبد الملك وصارت الخلافة الى هشام بن عبد الملك خر أصحابه سجودا الا الابرش الكلبى . فقال له : ياأبرش مامنعك أن تسجد كما سجدوا . قال ياأمير المؤمنين: لانك ذهبت عنا وتركتنا . قال فان ذهبت بك معى . قال أوتفعل ياأمير المؤمنين . قال نعم : قال فالآن طاب السجود ثم سجد . ولما صارت الخلافة الى أبى جعفر كتب اليه رجل من اخوانه :

انا بطانتـك الالى * كنا نـكابدماتـكابد
ونرى فنعرف بالعـدا * وةوالبعادلمن تباعـد
ونبيت من شفق عليـــك ريئة والليل هاجد
هـذا أوان وفاء ما * سبقت به منك المواعد

فوقـع أبوجعفر على كل بيت منهـا صدقت صدقت . ثم دعابه وألحقه فى خاصته . وقال حبيب الشاعر فى هـذا المعنى :

وان أولى الموالى أن تواسيه * عندالسرورلمن واساك فى الحزن
ان الـكرام اذاماأسهلواذكروا * من كان يألفهم فى الموطن الخشن

١٠ — حسن التخلص من السلطان — ابوالحسن المدائنى قال : كان العباس ابن سهل والى المدينة لعبدالله بن الزبير . فلمابايع الناس عبـدالملك بن مروان ولى عثمان بن حيان المرى وأمره بالغلظة على أهل الطنة . فعرض يومابذكر الفتنة وأهلها . فقال له قائل هذا العباس بن سهل على مافيه كان مع ابن الزبيروعمل له . فقال عثمان بن حيان و يلى والله لاقتلنه . قال العباس فبلغنى ذلك فتغيبتُ حتى أضر بى التغيُّب . فاتيتُ ناسامن جلسائه . فقلت لهم مالى أخاف وقد أمننى عبدالملك بن مروان . فقالواوالله مايذكرك الاتغيظ عليـك وقلما كلم على طعامه فى ذنب الاانبسط . فلو تنكرت وحضرت عشاءه وكلمته . قال ففعلت وقلت على طعامه وقدأتى بجفنـة ضخمة ذات ثريدولحم والله لـكانى أنظرالى جفنـة حيان بن معبـد والناس يتكاوسون عليها وهو يطوف فى حاشيته يتفقد مصالحها يسحب أردية الخز حتى ان الحسك ليتعلق به فما يميطه . ثم يؤتى بجفنة تهادى بين أربعة مايستقلون بها الا بمشقة وعناء وهذا بعدما يفرغ الناس من الطعام و يتنحون عنه فيأتى الحاضر من أهله والطارئ من أشراف قومه ومابا كثرهم من حاجة الى الطعام وماهو الاالفخر بالدنو من مائدته والمشاركة ليده . قال هيه أنت رأيت ذلك قلت أجل والله . قال لى ومن أنت . قلت وأنا آمِنٌ . قال نعم : قلتُ العباس بن سهل بن سـعد الانصارى . قال مرحباوأهلاأهل الشرف والحق . قال فلقدرأيتنى بعدذلك ومابالمدينة رجل أوجه منى عنده . فقيل له بعدذلك أنت رأيت حيان بن معبـد يسحب أردية الخز و يتكاوس الناس على مائدته . فقال والله لقدرأيته ونزلنا الماء وغشينا وعليه عباءة ذكوانية فلقـدجعلنا نذوده عن رحلنا مخافة أن يسرقه . أبوحاتم قال : حدثنا أبوعبيـدة . قال أخذسراقة بن مرداس

أسيرا يوم جبانة السبيع . فقدم في الاسرى الى المختار . فقال سراقة:

امنن على اليوم ياخيرمعد * وخيرمن لبي وصلي وسجد

فعفا عنه المختار وخلى سبيله . ثم خرج مع اسحق بن الاشعث فاتى به المختار أسيرا . فقال له : ألم أعف عنك وأمنن عليك أما والله لاقتلنك . قال لا والله لا تفعل ان شاء الله . قال ولم: قال لان أبي خبرني أنك تفتح الشام حتى تهدم مدينة دمشق حجرا حجرا وأنا معك ثم أنشده:

ألا أبلغ أبا اسحق أنا * حملنا حملة كانت علينا

خرجنا لا نرى الضعفاء منا * وكان خروجنا بطرا وحينا

تراهم في مصافهم قليلا * وهم مثل الدبا لما التقينا

فاسجح اذ قدرت فلو قدرنا * لجرنا في الحكومة واعتدينا

تقبل توبة مني فاني * سأشكر ان جعلت النقد دينا

قال فخلى سبيله . ثم خرج اسحق بن الاشعث ومعه سراقة فاخذ أسيرا وأتي به المختار . فقال الحمد لله الذي أمكنني منك ياعدو الله هذه ثالثة . فقال سراقة أما والله ماهؤلاء الذين أخذوني فأين هم لا أراهم انا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض وتحتهم خيل بلق تطير بين السماء والارض . فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس . ثم دعا لقتاله فقال:

الا من مبلغ المختار عني * بأن البلق دهم مضمرات

أرى عيني ما لم ترأياه * كلانا عالم بالترهات

كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات

كان معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الاسرى . فقام اليه أصغر القوم . فقال له: يامعن أتقتل الاسرى عطاشا فأمر لهم بالماء فلما سقوا . قال : يامعن أتقتل ضيفانك فأمر معن باطلاقهم . لما أتي عمر بن الخطاب بالهرمزان أسيرا دعاه الى الاسلام فأبى عليه . فأمر بقتله فلما عرض عليه السيف قال لو أمرت لي ياأمير المؤمنين بشربة من ماء فهو خير من قتلي على الظمأ . فأمر له بها فلما صار الاناء بيده . قال: أنا آمن حتى أشرب . قال نعم: فالقى الإناء من يده وقال الوفاء ياأمير المؤمنين نور أبلج . قال : لك التوقف حتى أنظر في أمرك ارفعا عنه السيف فلما رفع عنه . قال: الآن أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله . فقال له عمر ويحك أسلمت خير اسلام فما أخرك . قال : خشيت ياأمير المؤمنين أن يقال ان اسلامي انما كان جزعا

من الموت . فقال عمر ان لفارس حلوما بها استحقت ما كانت فيه من الملك . ثم كان عمر يشاوره بعد ذلك فى اخراج الجيوش الى أرض فارس و يعمل برأيه . لما أتى الحجاج بالاسرى الذين خرجوا مع ابن الاشعث أمر بقتلهم . فقال رجل أصلح الله الامير ان لى حرمة . قال : وما هى . قال : ذكرت فى عسكر ابن الاشعث فشتمت فى أبويك فعرضت دونهما فقلت لا والله ما فى نسبه مطعن فقولوا فيه ودعوا نسبه . قال : ومن يعلم ما ذكرت فالتفت الى أقرب الاسرى الىّ فقلت هذا يعلمه . قال : له الحجاج ما تقول فيما يقول . قال : صدق أصلح الله الامير و بر . قال : خليا عن هذا لنصرته وعن هذا لحفظ شهادته . عمرو بن بحر الجاحظ قال : أتى روح بن حاتم برجل كان متلصصا فى طريق الزقاق . فأمر بقتله . فقال أصلح الله الامير لى عندك يد بيضاء . قال : وما هى . قال : انك جئت يوما الى مجمع موالينا بنى نهشل والمجلس محتفل . فلم يتحفز لك أحد . فقمت من مكانى حتى جلست فيه ، ولولا محض كرمك ، وشرف قدرك ، ونباهة أوليتك ، ماذكرتك هذه عند مثل هذا . قال ابن حاتم صدق وأمر باطلاقه . وولاه تلك الناحية وضمنه اياها . ولما ظفر المأمون بابى دلف وكان يقطع فى الجبال أمر بضرب عنقه . فقال يا أمير المؤمنين : دعنى أركع ركعتين . قال افعل فركع وحبر أبياتا . ثم وقف بين يديه فقال :

بع بى الناس فانى * خلف ممن تبيع

واتخذنى لك درعا * قلصت عنه الدروع

وارم بى كل عدو * فأنا السهم السريع

فاطلقه وولاه تلك الناحية فاصلحها . أتى معاوية يوم صفين بأسير من أهل العراق فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك . قال لا تقل ذلك يا معاوية فانها مصيبة . قال وأى نعمة أعظم من أن أمكننى الله من رجل قتل جماعة من أصحابى فى ساعة واحدة اضرب عنقه يا غلام . فقال الاسير اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ، وانك لا ترضى بقتلى ، وانما يقتلنى فى الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو أهله ، وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله ، قال له ويحك لقد سببت فابلغت ، ودعوت فأحسنت ، خليا عنه . أمر مصعب بن الزبير برجل من أصحاب المختار أن تضرب عنقه . قال أيها الامير : ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ، و وجهك هذا الذى يستضاء به ، فاتعلق باطرافك وأقول ، أى رب سل هذا فيم قتلنى . قال أطلقوه فانى جاعل ما وهبت له من حياته فى خفض اعطوه مائة ألف . قال : الاسير بأبى أنت وأمى أشهد أن لقيس الرقيات

منها خمسين ألفا . قال ولم . قال لقوله :

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

أمر عبد الملك بقتل رجل . فقال يا أمير المؤمنين انك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله فعفا عنه . أتى الحجاج باسرى من الخوارج . فامر بضرب أعناقهم فقدم فيهم شاب . فقال والله يا حجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو . فقال اف لهذه الجيف ما كان فيهم من يقول مثل هذا وأمسك عن القتل . وأتى الحجاج باسرى فامر بقتلهم . فقال له رجل منهم لا جزاك الله يا حجاج عن السنة خيرا فان الله تعالى يقول « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء » فهذا قول الله فى كتابه . وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الاخلاق :

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل القلائد

فقال الحجاج ويحكم أعجزتم أن تخبرونى بما أخبرنى هذا المنافق وأمسك عمن بقى . الهيثم ابن عدى قال : أتى الحجاج بحرورية . فقال لاصحابه ما تقولون فى هذه قالوا اقتلها أصلح الله الامير ونكل بها غيرها . فتبسمت الحرورية . فقال لها لم تبسمت . فقالت لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرا من وزرائك يا حجاج استشارهم فى قتل موسى . فقالوا أرجه وأخاه . وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلى . فضحك الحجاج وأمر باطلاقها . قال معاوية ليونس الثقفى : اتق الله لاطيرنك طيرة بطيأ وقوعها . قال أليس بى وبك المرجع الى الله . قال نعم فاستغفر الله . ودخل رجل من بنى مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زبيريا . فقال له عبد الملك أليس الله قد ردك على عقبيك . قال ومن رد اليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه . فسكت عبد الملك وعلم أنه أخطأ . دخل يزيد ابن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك . فقال له سليمان على امرئ أمرك وجرأك وسلطك على الامة لعنة الله أتظن الحجاج استقر فى قعر جهنم أم هو يهوى فيها . قال يا أمير المؤمنين : ان الحجاج يأتى يوم القيامة بين أخيك وأبيك فضعه من النار حيث شئت . قال : عبيد الله بن زياد لقيس ابن عباد ما تقول فىّ وفى الحسين . قال اعفنى أعفاك الله . قال : لا بد أن تقول . قال : يجىء أبوه يوم القيامة فيشفع له ويجىء أبوك فيشفع لك . قال : قد علمت غشك وخبثك لئن فارقتنى يوما لاضعن أكثرك شعرا بالارض . الاصمعى قال : بعث الحجاج الى يحيى ابن يعمر . فقال له أنت الذى تقول ان الحسين بن على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن

رسول الله لتاتيني بالمخرج مما قلت أولاضربن عنقك . فقال له ابن يعمر وان جئت بالمخرج فانا آمن . قال نعم : قال اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى الى قوله وعيسى فمن أبعد عيسى من ابراهيم وانما هو ابن بنته أو الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم . فقال له الحجاج والله لكأني ما قرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بها قاضيا حتى مات . أبو بكر بن أبي شيبة قال: دخل عبد الرحمن بن أبي ليلى على الحجاج . فقال لجلسائه ان أردتم أن تنظروا الى رجل يسب أمير المؤمنين عثمان بن عفان فهذا عندكم يعني عبد الرحمن . فقال عبد الرحمن معاذ الله أيها الامير أن أكون أسب أمير المؤمنين انه ليحجزني عن ذلك ثلاث آيات في كتاب الله تعالى قال الله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » فكان عثمان منهم . ثم قال « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية » فكان أبي منهم . ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية » فكنت أنا منهم . فقال صدقت . أبو عوانة قال : بعث الىّ الحجاج فقال لي ما اسمك قلت ما أرسل الى الامير حتى عرف اسمي . قال متى هبطت هذا البلد . قلت حين هبط أهله . قال ما تقرأ من القرآن . قلت أقرأ منه ما اذا تبعته كفاني . قال اني اريد ان أستعين بك في عملي . قلت ان تستعن بي تستعن بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعني فهو أحب الى وان تقحمني اقتحم . قال ان لم اجد غيرك أقحمتك وان وجدت غيرك لم اقحمك . قلت وأخرى اكرم الله الامير . اني ما علمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك . والله اني لا تعار من الليل فما يأتيني النوم من ذكرك حتى أصبح هذا ولست لك على عمل . قال: هيه كيف قلت فاعدت عليه . فقال اني والله لا أعلم على وجه الارض خلقا هو أجرأ على دم مني انصرف . قال : فقمت فعدلت عن الطريق كأني لا أبصر . فقال أرشدوا الشيخ . لما أتى الحجاج بأسرى الجماجم أتى فيهم بعامر الشعبي . ومطرف بن عبد الله الشخير . وسعيد بن جبير . وكان الشعبي ومطرف يريان التقية . وكان سعيد بن جبير لا يراها وكان قد تقدم كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج في أسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف . فمن أقر منهم بالكفر في خروجهم علينا فيخلى سبيله . ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه . فقال الحجاج للشعبي وأنت ممن ألب علينا مع ابن الاشعث اشهد على نفسك بالكفر . فقال أصلح الله الامير نبا بنا المنزل ، وأحزن بنا

الجناب، واستحلسنا الخوف، وا كتحلنا السهر، وخبطنا فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة، ولا فجرة أقوياء . قال : لله أبوك لقد صدقت ما بررتم بخروجكم علينا، ولا قويتم خلوا سبيل الشيخ . ثم قال : لمطرف أتقر على نفسك بالكفر . قال : أصلح الله الامير ان من شق العصا، وسفك الدماء، ونكث البيعة، وفارق الجماعة، وأخاف المسلمين، لجدير بالكفر فخلى سبيله . ثم قال: لسعيد بن جبير أتقر على نفسك بالكفر . قال: ما كفرت منذ آمنت بالله . فضرب عنقه . ثم استعرض الاسرى فمن أقر بالكفر خلى سبيله ومن أبى قتله حتى أتى بشيخ وشاب . فقال للشاب أكافر أنت . قال: نعم . قال : لكن الشيخ لا يرضى بالكفر . فقال له الشيخ أعن نفسي تخادعني يا حجاج والله لو علمت أعظم من الكفر لقلته . فضحك الحجاج وخلى سبيله . فلما مات الحجاج وقام سليمان . قال الفرزدق :

لئن نفر الحجاج آل معتب * لقوا دولة كان العدو يدالها
لقد أصبح الاحياء منهم أذلة * وموتاهم فى النار كلحا سبالها
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم * فصار عليهم بالعذاب اتقالها
ألكنى الى من كان بالصين أورمى * به الهند الواح عليها خلالها
هلم الى الاسلام والدين عندنا * فقد مات عن أهل العراق خبالها

لما ولى سليمان بن عبد الملك كتب الى عامله بالاردن اجمع يدى عدى بن الرقاع الى عنقه وابعث به الىّ على قتب بلا وطاء . ووكل به من ينخس به ففعل ذلك . فلما انتهى الى سليمان بن عبد الملك ألقى بين يديه القاء لا روح فيه . فتركه حتى ارتد اليه روحه . ثم قال : له أنت أهل لما نزل بك ألست القائل فى الوليد:

معاذر بى أن تبقى ونفقده * وأن نكون لراع بعده تبعا

قال لا والله يا أمير المؤمنين ما هكذا قلت وانما قلت :

معاذر بى أن نبقى ونفقدهم * وأن نكون لراع بعدهم تبعا

فنظر اليه سليمان واستضحك . فأمر له بصلة وخلى سبيله . العتبى قال : كان بين شريك القاضى والربيع حاجب المهدى معارضة . فكان الربيع يحمل عليه المهدى . فلا يلتفت اليه حتى رأى المهدى فى منامه شريكا القاضى مصروفا وجهه عنه . فلما استيقظ من نومه دعا الربيع وقص عليه رؤياه . فقال يا أمير المؤمنين: ان شريكا خالفك وانه فاطمى محض . قال المهدى :

عليّ به . فلما دخل عليه قال له ياشريك بلغني أنك فاطمي . قال له شريك : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمي الا أن تعني فاطمة بنت كسرى . قال : ولكني أعني فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . قال : أفتلعنها يا أمير المؤمنين . قال : معاذ الله . قال : فماذا تقول فيمن يلعنها . قال : عليه لعنة الله . قال : فالعن هذا يعني الربيع فانه يلعنها فعليه لعنة الله . قال الربيع : لا والله يا أمير المؤمنين ما ألعنها . قال له شريك : ياماجن فما ذكرك لسيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين في مجالس الرجال . قال المهدي : دعني من هذا فاني رأيتك في منامي كان وجهك مصروف عني وقفاك الي . وما ذلك الا بخلافك عليّ . ورأيت في منامي كأني أقتل زنديقا . قال شريك : ان رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق صلوات الله على محمد وعليه . وان الدماء لا تستحل بالاحلام . وان علامة الزندقة بينة . قال : وما هي . قال : شرب الخمر والرشا في الحكم ومهر البغي . قال : صدقت والله أبا عبد الله أنت والله خير من الذي حملني عليك . ودخل شريك القاضي على المهدي . فقال له الربيع خنت مال الله ومال أمير المؤمنين . قال : لو كان ذلك لاتاك سهمك . العتبي قال : دخل جامع المحاربي على الحجاج وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيبا جريا على السلطان . وهو الذي قال للحجاج اذ بنى مدينة واسط بنيتها في غير بلدك ، وتورثها غير ولدك ، فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم . فقال له جامع أما انه لو أحبوك لاطاعوك ، على أنهم ما شنؤك لنسبك ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ، فدع عنك ما يبعدهم منك ، الى ما يقربهم اليك ، والتمس العافية ممن دونك ، تعطها ممن فوقك ، وليكن ايقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك . قال : الحجاج ما أرى أن اردبني اللكيعة الى طاعتي الا بالسيف . قال : أيها الامير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار . قال : الحجاج الخيار يومئذ لله . قال : أجل ولكنك لا تدري لمن يجعله الله . فغضب وقال ياهناه انك من محارب فقال جامع :

وللحرب سمينا وكنا محاربا * اذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

فقال الحجاج والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك . قال جامع : ان صدقناك أغضبناك ، وان غششناك أغضبنا الله ، فغضب الامير أهون علينا من غضب الله . قال : أجل وسكن وشغل الحجاج ببعض الامر فانسل جامع . فمر بين الصفوف من أهل الشام حتى جاوزها الى صفوف العراق . فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق . وقيس العراق . وتميم العراق .

وأزد العراق . فلما رأوه أشرأبوا اليه . وقالوا له ما عندك دفع الله عنك . قال: ويحكم عموه بالحلم كما يعمكم بالعداوة، ودعوا التعادي ما عاداكم، فاذا ظفرتم تراجعتم وتعافيتم، أيها التميمي هو أعدى لك من الازدي، وأيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي . وهل ظفر بن ناواه منكم الا بمن بقي معه منكم وهرب جامع من فووه ذلك الى الشام واستجار بزفر بن الحرث فأجاره . العتبي قال : كان هرون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم وكان مسلم بن الوليد صريع الغواني قد رمي عنده بالتشيع . فأمر بطلبه فهرب منه ثم أمر بطلب أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة . فهرب منه . ثم وجدهو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد . فلما أتي بهما قيل له يا أمير المؤمنين قد أتي بالرجلين . قال : أي الرجلين قيل أنس بن أبي شيخ ومسلم بن الوليد . فقال: الحمد لله الذي أظفرني بهما يا غلام أحضرهما . فلما دخلا عليه نظر الى مسلم وقد تغير لونه فرق له . وقال ايه يا مسلم أنت القائل:

أنس الهوى ببني علي في الحشا * وأراه يطمح عن بني العباس

قال بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين :

أنس الهوى ببني العمومة في الحشا * مستوحشا من سائر الايناس
واذا تكاملت الفضائل كنتم * أولى بذلك يا بني العباس *

قال فعجب هرون من سرعة بديهته . وقال له بعض جلسائه استبقه يا أمير المؤمنين فانه من أشعر الناس وامتحنه فسترى منه عجبا . فقال له قل شيئا في أنس . فقال يا أمير المؤمنين أفرخ روعي أفرخ الله روعك يوم الحاجة الى ذلك فاني لم أدخل على خليفة قط ثم أنشا يقول :

تلمظ السيف من شوق الى أنس * فالموت يلحظ والاقدار تنتظر
* فليس يبلغ منه ما يؤمله * حتى يؤامر فيه رأيك القدر
أمضي من الموت يعفو عند قدرته * وليس للموت عفو حين يقتدر

قال : فاجلسه هرون وراء ظهره لئلا يرى ما هم به حتى اذا فرغ من قتل أنس . قال له : أنشدني أشعر شعرك . فكلما فرغ من قصيدة . قال : له التي تقول فيها الوحل فاني رويتها وأنا صغير فانشده شعره الذي أوله:

أديرا على الراح لا تشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

حتى انتهى الى قوله :

اذا ما علت منا ذؤابة شارب * تمشت بنا مشي المقيد في الوحل

فضحك هرون وقال عليك أما رضيت أن قيدته حتى يمشي في الوحل . ثم أمر له بجائزة وخلى سبيله ، قال كسرى : ليوسف المغني وقد قتل الفلهبذ تلميذه كنت استريح منك اليه ، ومنه اليك ، فاذهب حسدك ، ونغل صدرك ، شطر تمتعي وأمر أن يطرح تحت أرجل الفيلة . فقال أيها الملك : اذا كنت أنا قد أذهبت شطر تمتعك وأذهبت أنت الشطر الآخر أليس جنايتك على نفسك مثل جنايتي عليك . قال كسرى : دعوه . فادله على هذا الكلام الا ما جعل له من طول المدة .
يعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قال : دخلت يوما على الرشيد أمير المؤمنين وهو متغيظ متربد . فندمت على دخولي عليه وقد كنت أفهم غضبه في وجهه . فسلمت فلم يرد . فقلت داهية ناد . ثم أومأ الي فجلست . فالتفت الي وقال لله عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فلقد نطق بالحكمة حيث يقول :

يا أيها الزاجري عن شيمتي سفها * عمدا عصيت مقام الزاجر الناهي
أقصر فانك من قوم أرومتهم * في اللؤم فافخر بهم ماشئت أو باهي
يزين الشعر أفواها اذا نطقت * بالشعر يوما وقد يزري بافواه
قد يرزق المرء لا من فضل حيلته * ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي
لقد عجبت لقوم لا أصول لهم * أثروا وليسوا وان أثروا باشباه
ما نالني من غنى يوما ولا عدم * الا وقولي عليه الحمد لله *

فقلت يا أمير المؤمنين ومن ذا الذي بلغت عليه المقدرة أن يسامي مثلك أو يدانيه . قال : لعله من بني ابيك وأمك . كان الكميت بن يزيد يمدح بني هاشم ويعرض ببني أمية . فطلبه هشام فهرب منه عشرين سنة لا يستقر به القرار من خوف هشام . وكان مسلمة بن عبد الملك له على هشام حاجة في كل يوم يقضيها له ولا يرده فيها . فلما خرج مسلمة بن عبد الملك يوما الى بعض صيوده اتى الناس يسلمون عليه وأتاه الكميت بن يزيد فيمن اتى فقال السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته اما بعد :

قف بالديار وقوف زائر * وتأن انك غير صاغر
حتى انتهى الى قوله يا مسلم ابن ابي الوليد * لميت ان شئت ناشر
علقت حبالي من حبا * لك ذمة الجار المجاور
فالآن صرت الى أمية * والامور الى المصائر

والآن كنت به المصيب * كمهتد بالامس حائر

فقال مسلمة سبحان الله من هذا الهندكى الجلحاب الذى أقبل من اخريات الناس فبدأ بالسلام ثم أما بعد ثم الشعر . قيل له هذا الكميت بن يزيد . فاعجب به لفصاحته و بلاغته فساله مسلمة عن خبره وما كان فيه طول غيبته . فذكر له سخط أمير المؤمنين عليه . فضمن له مسلمة أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام وهشام لا يعرفه . فقال الكميت السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته الحمد لله . قال هشام : نعم الحمد لله ما هذا . قال : الكميت مبتدئ الحمد ومبتدعه، الذى خص بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته، أحمده حمد من علم يقينا، وأبصر مستبينا، وأشهد له بما شهد به لنفسه قائما بالقسط، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده العربى، ورسوله الامى، أرسله والناس فى هفوات حيرة ، ومدلهمات ظلمة، عند استمرار أبهة الضلال، فبلغ عن الله ما أمر به، و نصح لامته ، وجاهد فى سبيله ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وسلم . ثم انى يا أمير المؤمنين تهت فى حيرة، وحرت فى سكرة، اذ لأم بى خطرها، وأهب بى داعيها، واجابنى غاويها ، فاقطوطيت الى الضلالة ، وتسكعت فى الظلمة والجهالة، حائرا عن الحق، قائلا بغير صدق، فهذا مقام العائذ، ومنطق التائب ، ومبصر الهدى بعد طول العمى، يا امير المؤمنين كم من عاثر أقلتم عثرته، ومجترم عفوتم عن جرمه . فقال له هشام : وأيقن أنه الكميت ويحك من سن لك الغواية، وأهب بك فى العماية . قال : الذى أخرج أبى آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزما، وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحابا متفرقا فلفقت بعضه الى بعض حتى التحم فاستحكم هدار رعده، وتلألأ برقه، فنزل الارض فرويت واخضلت واخضرت وأسقت فروى ظمآنها، وامتلأ عطشانها، فكذلك نعدك أنت يا امير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد الغموس فيها ، وحقن بك دماء قوم أشعر خوفك قلوبهم فهم يبكون لما يعلمون من حزمك و بصيرتك، وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب اذا احمرت الحدق، وعضت المغافير بالهام، عز بأسك، واستربط جاشك، مسعار رهتان، وكاف بصير بالاعداء مغرى، الخل بالنكراء مستغن برأيه عن رأى ذوى الالباب برأى أريب، وحلم مصيب، فاطال الله لامير المؤمنين البقاء، وتمم عليه النعماء، ودفع به الاعداء ، فرضى عنه هشام وأمر له بجائزة . العتبى قال : لما أتى بابن هبيرة الى خالد بن عبد الله القسرى وهو والى العراق أتى به مغلولا مقيدا فى مدرعة . فلما صار بين يدى خالد ألقته الرجال الى

الارض . فقال أيها الامير: ان القوم الذين أنعموا عليك بهذه النعمة قد أنعموا بها على من قبلك، فا نشدك الله أن تستن فى بسنة يستن بها فيك من بعدك، فامر به الى الحبس فامر ابن هبيرة غلمانه . فحفروا له تحت الارض سردابا حتى خرج الحفر تحت سريره . ثم خرج منه ليلا وقد أعدت له أفراس يداولها حتى أتى مسلمة بن عبد الملك . فاستجار به فاجاره واستوهبه مسلمة بن عبد الملك فوهبه اياه . فلما قدم خالد بن عبد الله القسرى على هشام وجد عنده ابن هبيرة . فقال له اباق العبد أبقت . قال له حين نمت نومة الامة . فقال الفرزدق فى ذلك :

لما رأيت الارض قد سد ظهرها * فلم يبق الا بطنها لك مخرجا *

دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فاصبحت تحت الارض قد سرت ليلة * وماسار مثلها حين أدلجا

خرجت ولم تمنن عليك طلاقة * سوى حثك التقريب من آل أعوجا

ودخل الناس على ابن هبيرة بعد ما أمنه هشام بن عبد الملك يهنونه ويحمدون له رأيه . فقال متمثلا :

من يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

ثم قال لهم ما كان قولكم لو عرض لى أو أدركت فى طريقى . ومثل هذا قول القطامى :

والناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهى ولام المخطىء الهبل

عبد الله بن سوار قال: قال لى الربيع الحاجب أتحب أن تسمع حديث ابن هبيرة مع مسلمة . قلت نعم قال فارسل لخصى كان لمسلمة يقوم على وضوئه فجاءه فقال حدثنا حديث ابن هبيرة مع مسلمة . قال : كان مسلمة بن عبد الملك يقوم من الليل فيتوضأ ويتنفل حتى يصبح فيدخل على أمير المؤمنين فانى لأصب الماء على يديه من آخر الليل وهو يتوضأ اذ صاح صائح من وراء الرواق انا بالله وبالامير . فقال مسلمة صوت ابن هبيرة اخرج اليه فخرجت اليه ورجعت فاخبرته . فقال أدخله فدخل فاذا رجل يميد نعاسا . فقال : أنا بالله وبالامير . قال : أنا بالله وأنت بالله . ثم قال : انا بالله وبالامير . قال : انا بالله وأنت بالله حتى قالها ثلاثا . ثم قال : انا بالله فسكت عنه . ثم قال لى : انطلق به فوضئه وليصل . ثم اعرض عليه أحب الطعام اليه فانه به وافرش له فى تلك الصفة لصفة بين يدى بيوت النساء . ولا توقظه حتى يقوم متى قام . فانطلقت به فتوضا وصلى وعرضت عليه الطعام . فقال : شربة سويق فشرب وفرشت له فنام وجئت الى مسلمة فاعلمته فغدا الى هشام فجلس عنده حتى اذا حان قيامه . قال : يا أمير المؤمنين لى حاجة . قال : قضيت

الا ان تكون فى ابن هبيرة . قال : رضيت يا أمير المؤمنين . ثم قام منصرفا حتى اذا كاد أن يخرج من الايوان رجع فقال يا أمير المؤمنين ماعودتنى أن تستثنى فى حاجة من حوائجى وانى أكره أن يتحدث الناس انك أحدثت على الاستثناء . قال: لا استثنى عليك . قال فهو ابن هبيرة فعفا عنه

١١ — فضيلة العفو والترغيب — كان للمامون خادم وهو صاحب وضوئه فبينما هو يصب الماء على يديه اذ سقط الاناء من يده فاغتاظ المامون عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ان الله يقول والكاظمين الغيظ . قال : قد كظمت غيظى عنك . قال : والعافين عن الناس . قال : قد عفوت عنك . قال : والله يحب المحسنين . قال : اذهب فانت حر . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل . فقال : له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين ان الله قد فعل ماتحب من الظفر فافعل ما يحب من العفو . الاصمعى قال : عزم عبد الله بن على على قتل بنى أمية بالحجاز . فقال له عبد الله بن حسين بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم اذا أسرعت بالقتل فى أكفائك، فمن تباهى بسلطانك، فاعف يعف الله عنك . دخل ابن خريم على المهدى وقد عتب على بعض آهل الشام وأراد أن يغزوهم جيشا . فقال يا أمير المؤمنين عليك بالعفو عن المذنب ، والتجاوز عن المسىء ، فلان تطيعك العرب طاعة محبة ، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف . أمر المهدى بضرب عنق رجل . فقام اليه ابن السماك . فقال ان هذا الرجل لا يجب عليه ضرب العنق . قال: فما يجب عليه . قال : تعفو عنه فان كان من أجر كان لك دونى وان كان من وزر كان على دونك فخلى سبيله . كلم الشعبى ابن هبيرة فى قوم حبسهم . فقال ان كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم، وان كنت حبستهم بحق فالعفو يسعهم . العتبى قال: وقعت دماء بين حيين من قريش فاقبل أبو سفيان فما بقى أحد واضع رأسه الا رفعه . فقال : يامعشر قريش هل لكم فى الحق أو فيما هو أفضل من الحق . قالوا وهل شىء أفضل من الحق . قال نعم : العفو فتهادر القوم واصطلحوا . وقال عدى بن أبى طلحة ليزيد بن عاتكة ماظلم أحد ظلمك ولا نصر نصرك فهل لك فى ثالثة نقلها . قال : وماهى . قال : ولا عفا عفوك . وقال المبارك بن فضالة كنت عند أبى جعفر جالسا فى السماط اذ أمر برجل أن يقتل . فقلت يا أمير المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدى الله الا من كانت له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن مذنب» فامر باطلاقه . وقال الاحنف بن قيس أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم «أقرب مايكون العبد من غضب الله اذا

غضب» وتقول العرب فى أمثالها ملكت فاسجح، وارحم ترحم، وكما تدين تدان، ومن بر يوما بر به

١٢ — بعد الهمة وشرف النفس — دخل نافع بن جبير بن مطعم على الوليد وعليه كساء غليظ وخفان جسيان . فسلم وجلس فلم يعرفه الوليد . فقال لخادم بين يديه سل هذا الشيخ من هو فسأله . فقال له أعزب فعاد الى الوليد فاخبره . فقال عد اليه واسأله فعاد اليه . فقال له مثل ذلك فضحك الوليد . وقال له من أنت . قال : نافع بن جبير بن مطعم . وقال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله الا أوصى بك الامير زيادا . قال : يا أبت اذا لم يكن للحى الا وصية الميت فالحى هو الميت . وقال معاوية لعمرو بن سعيد : الى من أوصى بك أبوك . قال ان أبى أوصى الىّ ولم يوص بى . قال وبما أوصى اليك . قال أن لا يفقد اخوانه منه الا وجهه . وقال مالك بن مسمع لعبيد الله بن ظبيان : مافى كنانتى سهم أنا به أوثق منى بك . قال وانى لفى كنانتك أما والله لئن كنت فيها نائما لاطولنها ولئن كنت فيها قاعدا لاخرقنها . قال كثر الله مثلك فى العشيرة . قال لقد سألت الله شططا . وقال يزيد بن المهلب : ما رأيت أشرف نفسا من الفرزدق هجانى ملكا ومدحنى سوقة . وقدم عبيد الله بن ظبيان على عتاب بن ورقاء الرياحى : وهو والى خراسان فاعطاه عشرين ألفا . فقال له والله ما أحسنت فاحمدك، ولا أسأت فألومك، وانك لاقرب البعداء، وأحب البغضاء . وعبيد الله بن ظبيان هذا هو القائل والله ماندمت على شىء قط ندمى على عبد الملك بن مروان اذ أتيته برأس المصعب بن الزبير فخر لله ساجدا أن لا أكون قد ضربت عنقه . فاكون قد قتلت ملكين من ملوك العرب فى يوم واحد . ومن أشرف الناس همة عقيل بن علفة المرى وكان أعرابيا يسكن البادية . وكان تصهر اليه الخلفاء . وخطب اليه عبد الملك ابن مروان ابنته لاحد أولاده . فقال له جنبنى هجناء ولدك . وقال عمر بن عبد العزيز : لرجل من بنى أمية كان له أخوال فى بنى مرة قبح الله شبها غلب عليك من بنى مرة . فبلغ ذلك عقيل بن علفة . فاقبل اليه فقال له قبل أن يبتدئه بالسلام بلغنى يا أمير المؤمنين أنك غضبت على رجل من بنى عمك له أخوال فى بنى مرة . فقلت قبح الله شبها غلب عليك من بنى مرة . وأنا أقول قبح الله الام الطرفين . ثم انصرف . فقال عمر بن عبد العزيز : من رأى أعجب من هذا الشيخ الذى أقبل من البادية ليست له حاجة الا شتمنا . ثم انصرف . فقال له رجل من بنى مرة والله يا أمير المؤمنين ماشتمك وماشتم الا نفسه نحن والله ألام الطرفين . أبو حاتم السجستانى عن محمد بن العتبى بن عبد الله قال : سمعت أبى يحدث عن أبى عمرو المرى قال : كان بنو عقيل بن علفة بن

مرة بن غطفان يتناقلون و ينتجعون الغيث . فسمع عقيل بن علفة بنتاله ضحكت . فشهقت في آخر ضحكها . فاخترط السيف وحمل عليها وهو يقول :

فرقت اني رجل فروق * بضحكة آخرها شهيق

وقال عقيل اني وان سيق الى المهر * ألف وعبدان وذود عشر

* أحب أصهاري الى القبر *

وقال الاصمعي كان عقيل بن علفة المرى رجلا غيورا . وكان يصهر اليه الخلفاء واذا خرج يمتار خرج بابنته الجرباء معه . قال فنزلوا ديرا من أديار الشام يقال له دير سعد . فلما ارتحلوا قال عقيل: قضت وطرا من دير سعد وربما * علا عرض منها بدير الجماجم

ثم قال لابنه ياعملس أجز . فقال :

* فاصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته ياجرباء أجيزي . فقالت :

كان الكرا أسقاهم صرخدية * عقارا تمشى في المطا والقوائم

قال ومايدريك أنت ما نعت الخمر . فاخذ السيف وهوى نحوها . فاستعانت باخيها عملس . فحال بينه وبينها . قال فاراد أن يضربه . قال فرماه بسهم فاختل فخذيه فبرك . ومضوا وتركوه حتى اذا بلغوا أدنى ماء للاعراب . قالوا لهم انا أسقطنا جزورا فادركوها وخذوا معكم الماء . ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول:

ان بني زملوني بالدم * شنشنة أعرفها من أخزم * من يلق أبطال الرجال يكلم

والشنشنة الطبيعه . وأخزم فحل معروف . وهذا مثل للعرب . ومن أعز الناس نفسا وأشرفهم همما الانصار . وهم الاوس والخزرج ابنا قيلة لم يؤدوا أتاوة قط في الجاهلية الى أحد من الملوك . وكتب اليهم تبع يدعوهم الى طاعته و يتوعدهم ان لم يفعلوا . فكتبوا اليه:

العبد تبعكم يروم قتالنا * ومكانه بالمنزل المتذلل

انا أناس لا ننام بارضنا * عض الرسول ببظر أم المرسل

فغزاهم تبع أبو كرب . فكانوا يقاتلونه نهارا و يخرجون اليه القرى ليلا . فتذمم من قتالهم ورحل عنهم . ودخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك . فقال له من أنت وتجهم له كانه لا يعرفه . فقال له : الفرزدق وما تعرفني يا أمير المؤمنين . قال لا . قال أنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود

العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر العرب ، قال والله لتبينن ماقلت أولا وجعن ظهرك ، ولاهدمن دارك ، قال نعم يا أمير المؤمنين . أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها . وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر . وأما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحى . وأما أفرس العرب فالحريش بن عبد الله السعدى . وأما أشعر العرب فها أناذا بين يديك يا أمير المؤمنين . فاغتم سليمان مما سمع من فخره ولم ينكره . وقال ارجع على عقبيك . فمالك عندنا شىء من خير . فرجع الفرزدق وقال :

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا * اليك ولا من قلة فى مجاشع

وقال الفرزدق فى الفخر :

بنو دارم قومى ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها

يجرون هداب اليمان كانهم * سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

وقال الاحوص فى الفخر وهو أفخر بيت قالته العرب :

مامن مصيبة نكبة أرمى بها * الا تشرفنى وترفع شانى

واذا سألت عن الكرام وجدتنى * كالشمس لاتخفى بكل مكان

وقال أبو عبيدة اجتمعت وفود العرب عند النعمان بن المنذر . فاخرج اليهم بردى محرق . وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما . فقام عامر بن أحيمر السعدى فاتزر باحدهما وارتدى بالآخر . فقال النعمان بم أنت أعز العرب . قال العز والعدد من العرب فى معد . ثم فى نزار . ثم فى تميم . ثم فى سعد . ثم فى كعب . ثم فى عوف . ثم فى بهدل . فمن أنكر هذا من العرب فلينافرنى فسكت الناس . ثم قال النعمان : هذه حالك فى قومك . فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك . قال أنا ابو عشرة . وخال عشرة . وعم عشرة . وأما أنا فى نفسى فهذا شاهدى ثم وضع قدمه فى الارض ثم قال من أزالها عن مكانها . فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد . فذهب بالبردين ففيه يقول الفرزدق :

فما تم فى سعد ولا آل مالك * غلام اذا ماقيل لم يتبهدل

لهم وهب النعمان بردى محرق * بمجد معد والعديد المحصل

وفى أهل هذا البيت من سعد بن زيد مناة كانت الافاضة فى الجاهلية . ومنهم بنو صفوان الذى يقول فيهم أوس بن مغراء السعدى :

ولا يريمون فى التعريف موقفهم * حتى يقال أجيزوا آل صفوانا
ما تطلع الشمس الا عنـد أولنا * ولا تغيب الا عنـد أخرانا

وقال الفرزدق فى مثل هذا المعنى:

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس أوقفوا

وكانت هند بنت صعصعة هى عمة الفرزدق تقول : من جاءت من نساء العرب بار بعـة كأر بعتى يحل لها أن تضع عندهم خمارها فصرمتى لها . أبى صعصعة . وأخى غالب . وخالى الاقرع بن حابس . وزوجى الزبرقان بن بدر . فسميت ذات الخمار . وممن شرفت نفسه ، و بعدت همته ، طاهر بن الحسين الخراسانى . وذلك أنه لما قتل محمد بن زبيدة وخاف المامون أن يغـدر به امتنع عليه بخراسان ولم يظهر خلعه . وقال :

أيسومنى المامون خطة عاجز * أوما رأى بالامس رأس محمد
يوفى على رأس الخلائق مثل ما * توفى الجبال على رؤس القدفد
انى من القوم الذى هم هم * قتلوا أخاك وأقعدوك بمرصد

وهو القائل :

غضبت على الدنيا فانهبت ماحوت * وأعقبتها منى باحدى المتالف
* قتلت أمير المؤمنين وانما * بقيت فناء بعـده للخلائف
وقد بقيت فى أم رأسى فتـكة * فاما لرشـــد أو لرأى مخالف

فاجابه محمد بن يزيد بن مسلمة :

عتبت على الدنيا فلا كنت راضيا * فلا أعقبت الا باحدى المتالف
فمن أنت أو ما أنت يافقع فرقـد * اذا أبت منا لم تعلق بكاتف
ستعلم ماتجـنى عليك وماجنت * يداك فلا تفخر بقتل الخلائف

وهو القائل :

مدمن الاغضاء موصول * ومـديم العتب ممـلول
ومـدين البيض فى تعب * وغـريم البيض ممطول
وأخو الوجهين حيث رمى * بهـواه فهـو مدخـــول
اقصرى عمـا طمحت به * ففراغى عنك مشـغول

سائلي عمن تسائلني * قد يرد الخير مسؤل

أنا من تعرف نسبته * سلفي الغر البهاليل

سل بهم تنبيك نجدتهم * مشرفيات مصاقيل

كل عضب مشرب علقا * وغرار الحد مفلول

مصعب جدي نقيب بني * هاشم والامر مخبول

وحسين رأس دعوتهم * بعده والحق مقبول

وأبي من لا كفاء له * من يسامي مجده قولوا

صاحب الرأي الذي حصلت * رأيه القوم المحاصيل

حل منهم بالذرا شرفا * دونه عز وتبجيل

تفصح الانباء عنه اذا * أسكت الانباء مجهول

سل بني الجبار يوم غدا * حوله الجرد الابابيل

اذ علت مفرقه يده * نوطها أبيض مصقول

أبطن المخلوع كلكله * وحواليه المقاويل

فثوى والترب مصرعه * غال عنه ملكه غول

قاد جيشا نحو بابله * ضاق عنه العرض والطول

وهبوا لله أنفسهم * لا معازيل ولا ميل

ملك تحتاج صولته * ونداء الدهر مبذول

نزعت منه تمائمه * وهو مرهوب ومأمول

وتره يسعى اليه به * ودم يجنيه مطلول

وبدت يوم الوداع لنا * غادة كالشمس عطبول

* ثم ولت لتودعنا * كحلها بالدمع مغسول

* أيها البادي ببطنته * لا غاليطك تحصيل

فاجابه محمد بن يزيد بن مسلمة وكان من أصحابه وآثرهم عنده. ثم اعتذر اليه وزعم أنه لم يدعه الى اجابته الا قوله * من يسامي مجده قولوا * فأمر له بمائة ألف و زاده أثرة ومنزلة :

لا يرعك القال والقيل * كل ما حملت تحميل

ماهوى لى كنت أعرفـه * بهوى غـيرك موصول
أيخون العهد ذو ثقة * لايخون العهد متبول
حملتنى كل لائمة * كل ماحملت محمول
واحكمى ماشئت واحتكمى * فحرامى لك تحليل
أين لى عنك الى بدل * لابديل منك مقبول
مالدارى منك مقفرة * وضميرى منك مأهول
تتعاطى شد مئزرها * ونطاق الخصر محلول
شملنا اذ ذاك مجتمع * وجناح البين مشكول
قد تاولت على جهة * ولنا ويحك تاويل
ان دليلك يوم غدا * بك فى الحين لضليل
قاتل المخلوع مقتول * ودم القاتل مطلول
قد يخون الرمح حامله * وسنان الرمح مصقول
وينال الوتر طالبه * بعدماتشلو المثا كيل
ياأخا المخلوع طلت يدا * لم يكن فى باعها طول
وبنعماه الذى كفرت * جالت الخيل الابابيل
وبراع غيرذى شفق * فعلت تلك الافاعيل
ياابن بنت النار موقدها * مالحاذيه سراويل *
من حسين أبوه من * مصعب غالتهم غول
ان خير القول أصدقه * حين تصطك الاقاويل

أبو جعفر البغدادى قال : لما انقبض طاهر بن الحسين بخراسان عن المأمون وأخذ حذره أدب له المامون وصيفا باحسن الآداب وعلمه فنون العلم . ثم أهداه اليه مع ألطاف كثيرة من طرائف العراق . وقد واطأه على أن يسمه وأعطاه سم ساعة . ووعده على ذلك باموال كثيرة . فلما انتهى الى خراسان وأوصل طاهر الهدية قبل الهدية . وأمر بانزال الوصيف فى دار وأجرى عليه مايحتاج اليه من التوسعة فى النزالة وتركه أشهرا . فلما برم الوصيف بمكانه كتب اليه ياسيدى ان كنت تقبلنى فاقبلنى والا فردنى الى أمير المؤمنين . فارسل اليه وأوصله الى نفسه . فلما انتهى

الى باب المجلس الذى كان فيه أمره بالوقوف عند باب المجلس . وقد جلس على لبد أبيض وقرع رأسه ، و بين يديه مصحف منشو ر وسيف مسلول ، فقال قد قبلنا ما بعث به أمير المؤمنين غيرك فانا لا نقبلك . وقد صرفناك الى أمير المؤمنين وليس عندى جواب أكتبه الا ما ترى من حالى ، فابلغ أمير المؤمنين السلام وأعلمه بالحال التى رأيتنى فيها . فلما قدم الوصيف على المامون وكلمه ما كان من أمره و وصف له الحالة التى رآه فيها شاور و ز راءه فى ذلك وسألهم عن معناه ، فلم يعلمه واحد منهم . فقال المامون : لكنى قد فهمت معناه . أما تقريعه رأسه وجلوسه على اللبد الابيض فهو يخبرنا انه عبد ذليل . وأما المصحف المنشو ر فانه يذكرنا بالعهود التى له علينا ، وأما السيف المسلول ، فانه يقول : ان نكثت تلك العهود فهذا يحكم بينى و بينك أغلقوا عنا باب ذكره . ولا تهيجوه فى شيء مما هو فيه ، فلم يهجه المأمون حتى مات طاهر بن الحسين وقام عبد الله ابن طاهر مكانه فكان أحكم الناس على المأمون ، وكتب طاهر بن الحسين الى المأمون فى اطلاق ابن السندى من حبسه وكان عامله على مصر ، فعزله عنها وحبسه ، فاطلقه له وكتب اليه :

أخى أنت ومولاى * فما ترضاه أرضاه * وما تهوى من الامر
فانى أنا أهواه * لك الله على ذاك * لك الله لك الله

١٣ — مراسلة بين الملوك — العتبى عن أبيه قال : أهدى ملك اليمن عشر جزائر الى مكة ، وأمر أن ينحرها أعز قرشى ، فقدمت وأبو سفيان عروس بهند بنت عتبة ، فقالت له أيها الرجل لا يشغلنك النساء عن هذه المكرمة التى لعلها أن تفوتك ، فقال لها ياهذه دعى زوجك وما يختار لنفسه ، والله ما نحرها غيرى الا نحرته ، فكانت فى عقلها حتى خرج أبو سفيان فى اليوم السابع فنحرها ، زهير عن أبى الجوَّية الجرمى قال : كتب قيصر الى معاوية أخبرنى عمن لا قبلة له وعمن لا أب له وعمن لا عشيرة له وعمن سار به قبره ، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق فى رحم ، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء ، وابعث الى فى هذه القارورة . بزر كل شيء ، فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى ابن عباس ، فقال أما من لا قبلة له فالكعبة ، وأما من لا أب له فعيسى ، وأما من لا عشيرة له فآدم ، وأما من سار به قبره فيونس ، وأما ثلاثة أشياء لم تخلق فى رحم فكبش ابراهيم ، وناقة ثمود ، وحية موسى ، وأما شيء فالرجل له عقل يعمل بعقله ، وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل و يعمل برأى ذوى العقول ، وأما لا شيء فالذى ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره ، وملأ القارو رة ماء ، وقال هذا بزر كل شيء ، فبعث به الى معاوية فبعث به

معاوية الى قيصر . فلما وصل اليه الكتاب والقارورة . قال ما خرج هذا الا من أهل بيت النبوة . نعيم بن حماد قال : بعث ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز كتابا فيه من ملك الاملاك الذى هو ابن ألف ملك . والذى تحته ابنة ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل . والذى له نهران ينبتان العود والالوة والجوز والكافور الذى يوجد ريحه على مسيرة اثنى عشر ميلا الى ملك العرب الذى لا يشرك بالله شيأ . أما بعد : فانى قد بعثت اليك بهدية وما هى بهدية ولكنها تحية قد أحببت أن تبعث الى رجلا يعلمنى و يفهمنى الاسلام والسلام يعنى بالهدية الكتاب . الرياشى قال : لما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التى رأى أبوك تركها . فان كان صوابا فقد أخطأ أبوك وان كان خطأ فما عذرك . فكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما . وكتب ملك الروم الى عبد الملك بن مروان أكلت لحم الجمل الذى هرب عليه أبوك من المدينة لاغزينك جنودا مائة ألف ومائة ألف . فكتب عبد الملك الى الحجاج أن يبعث الى على بن الحسين و يتوعده و يكتب اليه بما يقول . ففعل فقال ان الله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ليس منها لحظة الا يحيى فيها و يميت و يعز و يذل و يفعل ما يشاء . وانى لارجو أن يكفتك منها بلحظة واحدة . فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان . وكتب به عبد الملك الى ملك الروم . فلما قرأه قال ما خرج هذا الا من كلام النبوة . بعث ملك الهند الى هرون الرشيد بسيوف قلعية . وكلاب سيورية . وثياب من ثياب الهند . فلما أتته الرسل بالهدية أمر الاتراك فصفوا صفين ولبسوا الحديد حتى لا يرى منهم الا الحدق وأذن للرسل فدخلوا عليه . فقال لهم ما جئتم به . قالوا هذه أشرف كسوة بلدنا . فامر هرون القطاع بان يقطع منها جلالا و براقع كثيرة لخيله . فتصلب الرسل على وجوههم وتذمموا و نكسوا رؤسهم . ثم قال لهم ماعندكم غير هذا ! . قالوا هذه سيوف قلعية لا نظير لها . فدعا هرون بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب . فقطعت السيوف بين يديه سيفا سيفا كما يقطع الفجل من غير أن تنثنى له شفرة . ثم عرض عليهم حد السيف فاذا لا فل فيه . فصلب القوم على وجوههم . ثم قال لهم ماعندكم غير هذا . قالوا هذه كلاب سيورية لا يلقاها سبع الا عقرته . فقال لهم هرون فان عندى سبعا فان عقرته فهى كما ذكرتم . ثم أمر بالاسد فاخرج اليهم فلما نظروا اليه هالهم . وقالوا ليس عندنا مثل هذا السبع فى بلدنا . قال لهم هرون هذه سباع بلدنا . قالوا فنرسلها عليه وكانت

الا كاب ثلاثة . فارسلت عليه فرقته . فاعجب بهاهرون . وقال لهم تمنوا فى هذه الكلاب ماشئتم من طرائف بلدنا . قالوا اما نتمنى الا السيف الذى قطعت به سيوفنا . قال لهم هذا مما لا يجوز فى ديننا أن نهاديكم بالسلاح . ولولا ذلك ما بخلنا به عليكم . ولكن تمنوا غير ذلك ماشئتم . قالوا امانتمنى الا به . قال لا سبيل اليه . ثم أمر لهم بتحف كثيرة وأحسن جائزتهم :

٦

كتاب الياقوتة فى العلم والادب

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى مخاطبة الملوك ومقاماتهم . وما تفننوا فيه من بديع حكمهم والتزلف اليهم بحسن التوصل ولطيف المعانى و بارع منطقهم واختلاف مذاهبهم . ونحن قائلون بحمد الله و توفيقه فى العلم والادب فانهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا . وفرق ما بين الانسان وسائر الحيوان وما بين الطبيعة الملكية، والطبيعة البهيمية وهو مادة العقل وسراج البدن ، ونور القلب وعماد الروح ، وقد جعل الله بلطيف قدرته، وعظيم سلطانه، بعض الاشياء عمد البعض ومتولدا من بعض . فاجالة الوهم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذكر ، وخواطر الذكر تنبه روية الفكر . وروية الفكر تثير مكامن الارادة والارادة تحكم أسباب العمل . فكل شئ يقوم فى العقل و يمثل فى الوهم يكون ذكرا . ثم فكرا . ثم ارادة . ثم عملا ، والعقل متقبل للعلم لا يعمل فى غير ذلك شيأ . والعلم علمان علم حمل . وعلم استعمل . فما حمل منه ضر وما استعمل نفع . والدليل على ان العقل انما يعمل فى تقبل العلوم كالبصر فى تقبل الالوان والسمع فى تقبل الاصوات وأن العاقل اذا لم يعلم شيئا كان كمن لا عقل له . والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا و تلقنه كتابا كان كابله البهائم وأضل الدواب . فان زعم زاعم فقال انا نجد عاقلا قليل العلم فهو يستعمل عقله فى قلة علمه فيكون أسد رأيا ، وأنبه فطنة ، وأحسن موارد ومصادر من الكثير العلم مع قلة العقل . فان حجتنا عليه ما قدذكرناه من حمل العلم واستعماله فقليل العلم يستعمله العقل خير من كثيره يحفظه القلب . قيل للمهلب بم أدركت ما أدركت . قال بالعلم . قيل له فان غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت . قال ذلك علم حمل وهذا علم استعمل . وقد قالت الحكماء العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود . فان كان قائد بلا سائق

هلكت ، وان كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا ، واذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها

١ — فنون العلم — قال سهل بن هرون وهو عند المأمون من أصناف العلم مالا ينبغي للمسلمين أن ينظروا فيه . وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال . فقال المامون قد يسمى بعض الناس الشيء علما وليس بعلم . فان كان هذا أردت فوجهه الذى ذكرت ولو قلت أيضا ان العلم لا يدرك غوره ، ولا يسبر قعره ، ولا تبلغ غايته ، ولا تستقصى أصوله ، ولا تنضبط أجزاؤه ، صدقت . فان كان الامر كذلك فابدأ بالاهم فالاهم ، والاوكد فالاوكد ، وبالفرض قبل النفل ، يكن ذلك عدلا قصدا ومذهبا جميلا . وقد قال بعض الحكماء لست أطلب العلم طمعا فى غايته ، والوقوف على نهايته ، ولكن التماس مالا يسع جهله . فهذا وجه لما ذكرت . وقال آخرون : علم الملوك النسب والخبر ، وعلم أصحاب الحروب درس كتب الايام والسير ، وعلم التجار الكتاب والحساب . فاما أن يسمى الشيء علما وينهى عنه من غير أن يسئل عما عوأنفع منه فلا . وقال محمد بن ادريس رضى الله عنه : العلم علمان علم الابدان . وعلم الاديان . وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا . ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن فى العلوم . وقال أبو يوسف القاضي : ثلاثة لا يسلمون من ثلاثة . من طلب النجوم لم يسلم من الزندقة . ومن طلب الكيمياء لم يسلم من الفقر . ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب . وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى : العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كفاك من علم الدين أن تعرف مالا يسع جهله . وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثل . وقول الشاعر :

وما من كاتب الا ستبقى * كتابته وان فنيت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء * يسرك فى القيامة أن تراه

وقال الاصمعي : وصلت بالملح ونلت بالغريب . وقالوا : من أكثر من النحو حمقه ، ومن أكثر من الشعر بذله ، ومن أكثر من الفقه شرفه . وقال أبو نواس الحسن بن هانئ :

كم من حديث معجب عندى لكا * لو قد نبذت به اليك لسركا

مما تخيره الرواة مهذب * كالدر منتظما يسر المملكا

أتتبع العلماء أكتب عنهمو * كيما أحدث من لقيت فيضحكا

٢ — الحض على طلب العلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل » وقال عليه الصلاة والسلام « الناس عالم ومتعلم وسائرهم همج » وعنه صلى الله عليه وسلم « ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ولمداد ما جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيل الله » وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام : لف العلم حول عنقك، وا كتبه فى ألواح قلبك . وقال أيضا : اجعل العلم مالك، والادب حليتك . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمة كل انسان ما يحسن . وقيل لابى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم . قال ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم . وقال عروة بن الزبير رحمه الله تعالى : يا بنى اطلبوا العلم فان تكونوا صغارا لا يحتاج اليكم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم . وقال ملك الهند لولده : وكان له أربعون ولدا يا بنى أكثروا من النظر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حرفا . فان ثلاثة لا يستوحشون فى غربة الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى . وقال المهلب لبنيه : اياكم أن تجلسوا فى الاسواق الا عند زراد أو وراق أراد الزراد للحرب والوراق للعلم . وقال الشاعر :

نعم الانيس اذا خلوت كتاب * تلهو به ان خانك الاحباب
لا مفشيا سرا اذا استودعته * وتفاد منه حكمة وصواب

وقال : ولكل طالب لذة متنزه * وألذ نزهة عالم فى كتبه

ومر رجل بعبيد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر وهو جالس فى المقبرة وبيده كتاب . فقال له : ما أجلسك ههنا قال انه لا أوعظ من قبر ولا أمتع من كتاب . وقال رؤبة بن العجاج : قال لى النسابة البكرى يا رؤبة لعلك من قوم ان سكت عنهم لم يسألونى ، وان حدثتهم لم يفهمونى ، قلت انى أرجو أن لا أكون كذلك . قال فما آفة العلم ونكرته وهجنته . قلت تخبرنى . قال آفته النسيان ، ونكرته الكذب ، وهجنته نشره عند غير أهله . وقال عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما : منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا . وقال : ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال رجل لابى هريرة : أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أضيعه . قال كفاك بترك طلب العلم اضاعة له . وقال عبد الله بن مسعود : ان الرجل لا يولد عالما وانما العلم بالتعلم . وأخذه الشاعر فقال :

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل

ولآخر :

تعلم فليس المرء يخلق عالما * وما عالم أمرا كمن هو جاهله

ولآخر :

ولم أر فرعا طال الا باصله * ولم أر بدو العلم الا تعلما

وقال آخر :

العلم يحيي قلوب الميتين كما * تحيا البلاد اذا مامسها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه * كما يجلى سواد الظلمة القمر

وقال بعض الحكماء: اقصد من أصناف العلم الى ماهو أشهى لنفسك ، وأخف على قلبك ، فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك

٣ — فضيلة العلم — حدثنا أيوب بن سليمان بن عامر بن معاوية عن أحمد بن عمران الاخفش عن الوليد بن صالح الهاشمي عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفي عن أبي مخنف عن كميل النخعي . قال : أخذ بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . فخرج بي الى ناحية الجبانة . فلما أصحر تنفس الصعداء . ثم قال : يا كميل ان هذه القلوب أوعية . فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة، عالم ربانى ، ومتعلم عن سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا الى ركن وثيق ، يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالانفاق ،يا كميل محبة العلم دين يدان به ، تكسب الطاعة في حياته ، وجميل الاحدوثة بعد وفاته ، ومنفعة المال تزول بزواله والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، ها ان ههنا لعلما جما ، وأشار بيده الى صدره،لو وجدت له حملة فلا أجد لقناعيرما أفون، يستعمل الدين للدنيا ، ويستظهر بحجج الله على أوليائه ، وبنعم الله على كتابه ، أومنقاد لحملة الحق ولا بصيرة له في أحبائه ، ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ليس من رعاة الدين أقرت شبها بنماء الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى لاتخلو الارض من قائم بحجة لله ظاهر ، أوخائف مقهور ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، وكم رأينا أولئك الاقلين عددا

والاعظمين أجرابهم يحفظ الله حججه، حتى يودعوها نظائرهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الايمان حتى باشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استخشن المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالرفيق الاعلى ، يا كميل أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة الى دينه ، هاه هاه شوقا اليهم انصرف اذا شئت قيل للخليل بن أحمد: أيهما أفضل العلم أو المال . قال : العلم . قيل له : فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الملوك . والملوك لا يزدحمون على أبواب العلماء . قال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك ، وجهل الملوك بحق العلماء . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « فضل العلم خير من فضل العبادة » وقال عليه الصلاة والسلام « ان قليل العمل مع العلم كثير كما أن كثيره مع الجهل قليل » وقال عليه الصلاة والسلام « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المنطلين وتأويل الجاهلين » وقال الاحنف بن قيس : كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يكسب بعلم فالى ذل ما يصير . وقال أبو الاسود الدؤلى : الملوك حكام على الدنيا والعلماء حكام على الملوك . وقال أبو قلابة : مثل العلماء فى الارض مثل النجوم فى السماء من تركها ضل ، ومن غابت عنه تحير . وقال سفيان بن عيينة : انما العالم مثل السراج من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئا كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئا . وفى بعض الاحاديث ان الله لا يقتل نفس التقى العالم جوعا . وقيل للحسن بن أبى الحسن البصرى : بم صارت الحرفة مقرونة مع العلم ، والثروة مقرونة مع الجهل . فقال : ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى أهل العلم وهم قليل . ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر

٤ — ضبط العلم والتثبت فيه — قيل لمحمد بن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ماهذا العلم الذى بنت به عن العالم . قال : كنت اذا أخذت كتابا جعلته مزرعة . وقيل لمصقلة : ما أكثر شكك . قال محاماة عن اليقين . وسال شعبة أيوب السختيانى عن حديث . فقال : أشك فيه . فقال : شكك أحب الى من يقينى . وقال أيوب : ان من أصحابى من أرتجى بركة دعائه ولا أقبل حديثه . وقالت الحكماء : علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم . فاذا فعلت ذلك حفظت ما علمت وعلمت ما جهلت . وسال ابراهيم النخعى عامرا الشعبى عن مسئلة فقال لا أدرى . فقال هذا والله العلم سئل عما لا يدرى . فقال لا أدرى . وقال مالك بن انس : اذا ترك العالم

لاأدرى اصيبت مقاتله . وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : من سئل عما لا يدرى . فقال لاأدرى فقد أحرز نصف العلم . وقالوا : العلم ثلاثة حديث مسند ، وآية محكمة ، ولاأدرى فجعلوا الأدرى من العلم اذا كان صوابا من القول . وقال الخليل بن أحمد : انك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجلس عند غيره . وكان الخليل قد غلبت عليه الاباضية حتى جالس أيوب . وقالوا: عواقب المكاره محمودة . وقالوا الخير كله فيما أكرهت النفوس عليه:

٥ — انتحال العلم — قال بعض لا ينبغى لاحد أن ينتحل العلم فان الله عز وجل يقول « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وقال عز وجل « وفوق كل ذى علم عليم » وقد ذكر عن موسى بن عمران عليه السلام : أنه لما كلمه الله تعالى تكليما ودرس التوراة وحفظها حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقا أعلم منه . فهون الله اليه نفسه بالخضر عليه السلام . وقال مقاتل بن سليمان وقد دخلته أبهة العلم: سلونى عما تحت العرش الى أسفل من الثرى . فقام اليه رجل من القوم . فقال ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل الثرى ولكن نسألك عما كان فى الارض وذكره الله فى كتابه أخبرنى عن كلب أهل الكهف ما كان لونه فافحمه . وقال قتادة : ماسمعت شيئا قط ولا حفظت شيئا قط فنسيته . ثم قال ياغلام هات نعلى . فقال هما فى رجليك ففضحه الله . وأنشد أبو عمرو بن العلاء فى هذا المعنى:

من تحلى بغير ما هو فيه * فضحته شواهد الامتحان

وقال قتادة : حفظت مالم يحفظ أحد . وأنسيت مالم ينس أحد . حفظت القرآن فى سبعة أشهر . وقبضت على لحيتى وأنا أريد قطع ما تحت يدى فقطعت مافوقها . ومر الشعبى بالسدى وهو يفسر القرآن . فقال: لو كان هذا الساعة نشوان يضرب على أسته بالطبل أما كان أحسن له . وقال بعض المنتحلين :

تجهلنى قومى وفى عقد مئزرى * تمنون أمثالا لهم محكم العقل

وما عزلى من غامض العلم غامض * مدى الدهر الا كنت منه على فهم

وقال عدى بن الرقاع

وعلمت حتى ما أسائل عالما * عن حرف واحدة لكى أزدادها

٦ — شرائط العلم — وقالوا: لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ على العلم ثمنا . وقالوا: رأس العلم الخوف لله

وقيل للشعبي أفتني أيها العالم . فقال: انما العالم من اتقى الله . وقال الحسن : يكون الرجل عالما ولا يكون عابدا . ويكون عابدا ولا يكون عاقلا . وكان مسلم بن يسار عالما عابدا عاقلا . وقالوا: ماقرن شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم . ومن عفو الى قدرة . وقالوا : من تمام آلة العلم أن يكون شديد الهيبة ، رزين المجلس ، وقورا صموتا بطىء الالتفات ، قليل الاشارات ، ساكن الحركات ، لا يصخب ولا يغضب ، ولا يبهر فى كلامه ، ولا يمسح عثنونه عند كلامه فى كل حين فان هذه كلها من آفات العي . وقال الشاعر :

ملى ببهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل الاصابع

ومدح خالد بن صفوان رجلا . فقال : كان بديع المنطق ، جزل الالفاظ ، عربى اللسان ، قليل الحركات ، حسن الاشارات ، حلو الشمائل ، كثير الطلاوة ، صموتا وقورا يهنأ الجرب ويداوى الدبر ، ويقد الحز ، ويطبق المفصل ، لم يكن بالزمر المروءة ، ولا الهذر المنطق ، متبوعا غير تابع ، كانه علم فى رأسه نار . وقال عبدالله بن المبارك فى مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة * فالسائلون نواكس الاذقان

هدى الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

وقال عبدالله بن المبارك فيه أيضا :

صموت اذا ما الصمت زين أهله * وفتاق أبكار الكلام المختم

وعى ماوعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

ودخل رجل على عبدالملك بن مروان . وكان لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما . فقال له: أنى لك هذا . فقال: لم أمنع قط ياأمير المؤمنين علما أفيده ، ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت اذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته . وقالوا : لوأن أهل العلم صانوا علمهم لسادوا أهل الدنيا لكن وضعوه غير موضعه فقصر فى حقهم أهل الدنيا

٧ — حفظ العلم واستعماله — قال عبدالله بن مسعود تعلموا فاذا علمتم فاعملوا وقال مالك بن دينار : العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا وقالوا : لولا العمل لم يطلب العلم ولولا العلم لم يطلب العمل . وقال الطائى :

ولم يحمدوا من عالم غير عامل * ولم يحمدوا من عامل غير عالم

وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : أيها الناس تعلموا كتاب الله تعرفوا به ، واعملوا

به تكونوامن أهله . وقالوا : الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . وروى زياد عن مالك قال: كن عالما أومتعلما واياك والثالثة فانها مهلكة ، ولا تكون عالما حتى تكون عاملا . ولا تكون مؤمنا حتى تكون تقيا . وقال: أبو الحسن كان ابن الجراح يتحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث . وكان الشعبي والزهرى يقولان ماسمعنا حديثا قط وسألنا اعادته

٨ — رفع العلم وقولهم فيه — قال عبدالله بن مسعود تعلموا العلم قبل أن يرفع . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء » وقال عبدالله بن عباس رضوان الله عليهما لما ورى زيد بن ثابت فى قبره :من سره أن يرى كيف يقبض العلم فهكذا يقبض :

٩ — تحامل الجاهل على العالم — قال النبي صلى الله عليه وسلم « ويل لعالم أمر من جاهله » وقالوا: اذا أردت أن تفحم عالما فاحضره جاهلا . وقالوا : لا تناظر جاهلا ولا لجوجا فانه يجعل المناظرة ذريعة الى التعلم بغير شكر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ارحموا عزيزا ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال » وجاء كيسان الى الخليل بن أحمد يسأله عن شيء . ففكر فيه الخليل ليجيبه . فلما استفتح الكلام قال له لا أدرى ماتقول فانشأ الخليل يقول :

لوكنت تعلم ماأقول عذرتنى * أوكنت أعلم ماتقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتى فعذلتنى * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقال حبيب : وعاذل عذلته فى عذله * فظن أنى جاهل من جهله

ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما باخيك كله

١٠ — تبجيل العلماء وتعظيمهم — الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت فاخذ عبد الله بن عباس بركابه . فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . قال زيد أرنى يدك . فلما أخرج يده قبلها . وقال هكذا أمرنا ان نفعل بابن عم نبينا . وقالوا : خدمة العالم عبادة . وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : من حق العالم عليك اذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة وتجلس قدامه . ولا تشر بيدك . ولا تغمز بعينيك . ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تاخذ بثوبه . ولا تلح عليه فى السؤال . فانما هو بمنزلة النخلة

المرتبطة التى لا يزال يسقط عليك منها شيء. وقالوا اذا جلست الى العالم فسل تفقها ولا تسل تعنتا:

١١ — عويص المسائل — الاوزاعى عن عبدالله بن سعيد عن الصنابحى عن معاوية بن أبى سفيان قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاغلوطات. قال الاوزاعى يعنى صعاب المسائل. وكان ابن سيرين اذا سئل عن مسئلة فيها أغلوطة. قال للسائل أمسكها حتى تسأل عنها أخاك ابليس. وسال عمر بن قيس مالك بن أنس عن محرم نزع نابى ثعلب فلم يرد عليه شيئا. وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال: ماتقول فى رجل أمه عند رجل آخر. فقال يمسك عنها أراد عمر ان الرجل يموت وأمه عند رجل آخر وقول على يمسك عنها يريد الزوج يمسك عن أم الميت حتى تستبرئ من طريق الميراث. وسأل رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الانسان فى ثوبه أوفى خفه أوفى جبهته من حصى المسجد. فقال ارم بها. قال الرجل زعموا أنها تصيح حتى تردالى المسجد. فقال دعها تصيح حتى ينشق حلقها. فقال الرجل سبحان الله ولها حلق. قال فمن أين تصيح. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » كيف هذا الاستواء. قال الاستواء معقول والكيف مجهول. ولا أظنك الا رجل سوء. وروى مالك بن أنس الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده فى الاناء حتى يغسلها. فان أحدكم لا يدرى أين باتت يده. فقال له رجل فكيف تصنع فى المهراس أباعبدالله والمهراس حوض مكة الذى يتوضأ الناس فيه. فقال من الله العلم وعلى الرسول البلاغ ومنا التسليم أمروا الحديث وقيل لابن عباس رضى الله عنهما: ماتقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء. قال يكفيه منها كوكب الجوزاء. وسئل على بن أبى طالب رضوان الله عليه أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والارض. فقال أين توجب المكان وكان الله عز وجل ولا مكان

١٢ — التصحيف — وذكر الاصمعى رجلا بالتصحيف. فقال كان يسمع فيعى غير مايسمع. ويكتب غير ماوعى ويقرأ فى الكتاب غير ماهو فيه. وذكر آخر رجلا بالتصحيف فقال كان اذا نسخ الكتاب مرتين عاد سريانيا

١٣ — طلب العلم لغير الله — قال النبى صلى الله عليه وسلم « اذا أعطى الناس العلم ومنعوا العلم وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الارحام لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا» وقال الفضيل بن عياض كان العلماء ربيع الناس اذا رآهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود أن يكون غنيا . قال أحمد بن أبي الحوارى : قال لى أبو سليمان فى طريق الحج يا أحمد ان الله قال لموسى بن عمران مر ظلمة بنى اسرائيل أن لا يذكرونى فانى لا أذكر من ذكرنى منهم الا بلعنة حتى يسكت . ويحك يا أحمد بلغنى أنه من حج بمال من غير حله ثم لبى . قال الله تبارك وتعالى لا لبيك ولا سعديك حتى تؤدى ما بيديك فما يؤمننا أن يقال لنا ذلك

١٤ ـ باب من أخبار العلماء والادباء ـ أملى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشنى ان عبد الله بن عباس سئل عن أبى بكر رضى الله عنه . فقال : كان والله خيرا كله مع الحدة التى كانت فيه . قالوا : فاخبرنا عن عمر رضوان الله عليه . قال: كان والله كالطير الحذر الذى نصب له فخ فهو يخاف أن يقع فيه . قالوا : فاخبرنا عن عثمان رضوان الله عليه . قال : كان والله صواما قواما . قالوا : فأخبرنا عن على بن أبى طالب رضوان الله عليه . قال : كان والله ممن حوى علما وحلما حسبك من رجل أعزته سابقته وقدمته قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلما أشرف على شىء الا ناله . قالوا : يقال انه كان مجدودا . قال : أنتم تقولونه وذكروا أن رجلا أتى الحسن . فقال أبا سعيد انهم يزعمون أنك تبغض عليا . فبكى حتى اخضلت لحيته . ثم قال كان على بن أبى طالب سهما صائبا من مرامى الله على عدوه ، وربانى هذه الامة وذا سابقتها ، وذا فضلها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنومة عن أمر الله ، ولا بالملولة فى حق الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ، وأعلام بينة ، ذاك على بن أبى طالب يالكع . وقال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون فى آخر الزمان علماء يزهدون فى الدنيا ولا يزهدون ، ويرغبون فى الآخرة ولا يرغبون ينهون عن اتيان الولاة ولا ينتهون ، يقربون الاغنياء ، ويبعدون الفقراء ، ويتبسطون للكبراء ، وينقبضون عن الحقراء ، أولئك اخوان الشياطين وأعداء الرحمن . وقال محمد بن واسع . لأن تطلب الدنيا بأقبح مما تطلب به الآخرة خير من أن تطلبها باحسن مما تطلب به الآخرة . وقال الحسن: العلم علمان علم فى القلب فذاك العلم النافع . وعلم فى اللسان فذاك حجة الله على عباده . وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ان الزبانية لا تخرج الى فقيه ولا الى حملة القرآن الا قال لهم اليكم عنا دونكم عبدة الاوثان فيشتكون الى الله فيقول ليس من علم كمن لا يعلم » وقال مالك بن دينار

من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه . ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة . وقال ابن شبرمه : ذهب العلم غبرات فى أوعية سوء . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من طلب العلم لاربع دخل النار من طلبه ليباهى به العلماء وليمارى به السفهاء وليستميل به وجوه الناس اليه أوليأخذ به من السلطان » وتكلم مالك بن دينار فابكى أصحابه . ثم افتقد مصحفه فنظر الى أصحابه وكلهم يبكى . فقال ويحكم كلكم يبكى فمن أخذ هذا المصحف . وسئل خالد بن صفوان عن الحسن البصرى . فقال : كان اشبه الناس علانية بسريرة ، وسريرة بعلانية ، وآخذ الناس لنفسه مما يأمر به غيره ، من رجل استغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم ، واحتاجوا الى ما فى يديه من دينهم ، ودخل عروة بن الزبير بستانا لعبد الملك بن مروان . فقال عروة ما أحسن هذا البستان . فقال له عبد الملك أنت والله أحسن منه ان هذا يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى اكلك كل يوم . وقال محمد بن شهاب الزهرى : دخلت على عبد الملك مروان فى رجال من أهل المدينة . فرآنى أحدثهم سنا . فقال : من أنت فانتسبت اليه فعرفنى . فقال : لقد كان أبوك وعمك نعاقين فى فتنة ابن الزبير ، قلت ياأمير المؤمنين مثلك اذا عفا لم يعد . واذا صفح لم يثرب . قال لى أين نشأت قلت بالمدينة . قال عند من طلبت . قلت عند ابن يسار وابن أبى ذئب وسعيد بن المسيب . قال لى وأين كنت من عروة ابن الزبير . فانه بحر لا تكدره الدلاء . وذكر الصحابة عند الحسن البصرى . فقال : رحمهم الله شهدوا وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، فما اجتمعوا عليه تبعنا ، وما اختلفوا فيه وقفنا . وقال جعفر بن سليمان : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : ما رأيت أحدا أقشف من شعبة ، ولا أعبد من سفيان ، ولا أحفظ من ابن المبارك . وقال : ما رأيت مثل ثلاثة عطاء بن أبى رباح بمكة ، وطاوس ومحمد ابن سيرين بالعراق ، ورجاء بن حيوة بالشام ، وقيل لاهل مكة كيف كان عطاء ابن أبى رباح فيكم . فقالوا : كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد . وكان عطاء بن أبى رباح أسود أعور أفطس أشل أعرج . ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة . وكان الاحنف بن قيس أعور أعرج ولكنه اذا تكلم جلا عن نفسه . وقال الشعبي : لولا أنى زوحمت فى الرحم ما قامت لاحد معى قائمة وكان توأما . وقيل لطاوس هذا قتادة يريد أن يأتيك . قال لئن جاء لاقومن قيل انه فقيه قال ابليس أفقه منه . قال رب بما أغويتنى . وقال الشعبي : القضاة أربعة عمر وعلى وأبو موسى وعبد الله . وقال الحسن ثلاثة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم الابن والاب والجد عبد الرحمن

ابن أبي بكر بن أبي قحامة ومعن بن يزيد بن الاخنس السلمي . وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود فقيها شاعراً وكان أحد السبعة من فقهاء المدينة . وقال الزهري كنت اذا لقيت عبيد الله بن عبد الله، فكانما أفجر به بحرا . وقال عمر بن عبد العزيز: وددت لو أن لي مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود لم يفتني . ولقيه سعيد بن المسيب فقال : له أنت الفقيه الشاعر ، قال لابد للمصدور أن ينفث . وكتب عبيد الله بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز و بلغه عنه شيء يكرهه:

أبا حفص أتاني عنك قول * قطعت به وضاق به جوابي
أباحفص فلا أدري أرغمي * تريد بما تحاول أم عتابي
فان تك عاتبا نعتب والا * فما عودي اذا بيراع غاب
وقد فارقت أعظم منك رزأ * وواريت الاحبة في التراب
وقد عز واعلي وأسلموني * معا فلبست بعدهم ثيابي

وكان خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم عالما كثير الدراسة للكتب و ربما قال الشعر . ومن قوله :

هل أنت منتفع بعلـ * ـمك مرة والعلم نافع
ومن المشير عليك * بالرأي المسدد أنت سامع
الموت حوض لا محا * لة فيه كل الخلق شارع
ومن التقى فازرع فا * نك حاصد ما أنت زارع

وقال عمر بن عبد العزيز ما ولدت أمية مثل خالد بن يزيد ما استثني عثمان ولا غيره . وكان الحسن في جنازة فيها نوائح ومعه سعيد بن جبير فهم سعيد بالانصراف . فقال له الحسن: ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك . وعن عيسى بن اسمعيل عن ابن عائشة عن ابن المبارك قال : علمني سفيان الثوري اختصار الحديث . وقال الاصمعي : حدثنا شعبة قال دخلت المدينة فاذا لمالك حلقة واذا نافع قد مات قبل ذلك بسنة . وذلك سنة ثماني عشرة ومائة . وقال أبو الحسن بن محمد : ما خلق الله أحدا كان أعرف بالحديث من يحيى بن معين كان يؤتى بالاحاديث قد خلطت وقلبت . فيقول هذا الحديث لذا وذا لهذا فيكون كما قال . وقال شريك : اني لاسمع الكلمة فيتغير لها لوني . وقال ابن المبارك : كل من ذكر لي عنه وجدته دون ما ذكر الا حيوة بن شريح وأبا عون . وكان حيوة بن شريح يقعد للناس فتقول له أمه قم يا حيوة الق

الشعير للدّجاج فيقوم . وقال أبو الحسن : سمع سليمان التيمي من سفيان الثورى ثلاثة آلاف حديث . وكان يحيى بن اليمان يذهب بابنه داود كل مذهب . فقال له يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم كان عبد الله . ثم كان علقمة . ثم كان ابراهيم . ثم كان منصور . ثم كان سفيان . ثم كان وكيع قم يا داود يعنى أنه أهل للامامة . ومات داود سنة أربع ومائتين . وقال الحسن : حدثنى أبى قال أمر الحجاج ان لا يؤم بالكوفة الاعربى . وكان يحيى بن وثاب يؤم قومه بنى أسد وهو مولى لهم . فقالوا اعتزل . فقال ليس عن مثلى نهى أنا لاحق بالعرب . فأبوا فأتى الحجاج فقرأ فقال من هذا . فقالوا يحيى بن وثاب . قال ماله : قال أمرت أن لا يؤم الاعربى فنحاه قومه . فقال ليس عن مثل هذا نهيت يصلى بهم . قال فصلى بهم الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء . ثم قال اطلبوا اماما غيرى انما أردت ان لا تستذلونى . فاما اذا صار الامر الى فانا أؤمكم لا ولا كرامة . وقال الحسن : كان يحيى بن اليمان يصلى بقومه فتعصب عليه قوم منهم . فقالوا لا تصلى بنا لا نرضاك ان تقدمت نحيناك . فجاء بالسيف فسل منه أربع أصابع ثم وضعه فى المحراب . وقال : لا يدنومنى أحد الا ملأت السيف منه . فقالوا بيننا وبينك شريك فقدموه الى شريك . فقالوا : ان هذا كان يصلى بنا وكرهناه . فقال لهم شريك من هو . فقالوا : يحيى بن اليمان . فقال يا أعداء الله وهل بالكوفة أحد يشبه يحيى لا يصلى بكم غيره . فلما حضرته الوفاة . قال لابنه داود يابنى كاد دينى يذهب مع هؤلاء فان اضطروا اليك بعدى فلا تصل بهم . وقال يحيى بن اليمان : تزوجت أم داود وما كان عندى ليلة العرس الا بطيخة أكلت أنا نصفها وهى نصفها وولدت داود . فما كان عندنا شىء نلفه فيه فاشتريت له كسوة بحبتين فلففناه فيه . وقال الحسن بن محمد : كان لعلى ضفيرتان ولابن مسعود ضفيرتان . وذكر عبد الملك بن مروان روحا . فقال ما أعطى أحد ما أعطى أبو زرعة أعطى فقه الحجاز ، ودهاء أهل العراق ، وطاعة أهل الشام . وروى أن مالك ابن أنس كان يذكر عليا وعثمان وطلحة والزبير . فيقول : والله ما اقتتلوا الا على الثريد الاعفر ذكر هذا محمد بن يزيد فى الكامل . قال : وأما أبو سعيد الحسن البصرى فانه كان ينكر الحكومة على علىّ . وكان اذا جلس متمكنا فى مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا . ثم يذكر عليا فيقول : لم يزل على أمير المؤمنين صلوات الله عليه مظفرا مؤيدا بالنعم حتى حكم . ثم يقول ولم تحكم والحق معك ألا تمضى قدما لا أبالك . وهذه الكلمة وان كان فيها جفاء فان بعض العرب يأتى بها على طبق المدح . فيقول : انظر فى أمر رعيتك لا أبالك وقال أعرابى :

رب العباد مالنا وما لكا * قد كنت تسقينا فما بدا لك * أنزل علينا الغيث لا أبالك
وقال ابن أبى الحوارى قلت لسفيان بلغنى فى قول الله عز وجل « الا من أتى الله بقلب سليم » انه الذى يلقى الله وليس فى قلبه أحد غيره . قال فبكى وقال ما سمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا . وقال ابن المبارك : كنت مع محمد بن النضر الحارثى فى سفينة . فقلت بأى شىء استخرج منه الكلام . فقلت ما تقول فى الصوم فى السفر . قال انما هى المبادرة يا ابن أخى . فجاءنى والله بفتيا غير فتيا ابراهيم والشعبى . وقال الفضيل بن عياض : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فى مجلس بالبصرة . فقال مالك بن دينار : ماهو الا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع : لمن كان عنده كنا نقول ماهو الا عفو الله أو النار . قال مالك بن دينار : انه ليعجبنى أن تكون للانسان معيشة قدر ما يقوته . فقال محمد بن واسع : ماهو الا كما تقول وليس يعجبنى أن يصبح الرجل وليس له غذاء ويمسى وليس له عشاء . وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل . فقال مالك : ما أحوجنى الى أن يعظنى مثلك . وكان يجلس الى سفيان فتى كثير الفكرة ، طويل الاطراق . فاراد سفيان أن يحركه ليسمع كلامه . فقال يا فتى : ان من كان قبلنا مروا على خيل عتاق وبقينا على حمير دبرة . قال يا أبا عبد الله ان كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم . وقال الاصمعى عن شعبة قال : ما أحدثكم عن أحد ممن تعرفون وممن لا تعرفون الا وأيوب ويونس وابن عون خير منهم . قال الاصمعى : وحدثنى سلام بن مطيع . قال أيوب أفقههم ، وسليمان التيمى أعبدهم ، ويونس أشدهم عند الدراهم ، وابن عون أضبطهم لنفسه فى الكلام . وكان ابراهيم النخعى فى طريق فلقيه الاعمش فانصرف معه . فقال له يا ابراهيم ان الناس اذا رأونا قالوا أعمش وأعور . قال وما عليك ان يأثموا ونؤجر . قال وما عليك أن يسلموا ونسلم . وروى سفيان الثورى عن واصل الاحدب قال : قلت لابراهيم ان سعيد بن جبير يقول : كل امرأة أتزوجها طالق ليس بشىء فقال له ابراهيم قل له يستنقع استه فى الماء البارد . قال فقلت لسعيد ما أمرنى به . فقال قل له اذا مررت بوادى النوكى فاحلل به . وقال محمد بن مناذر :

ومن يبغ الوصاة فان عندى * وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون * ولا ترووا أحاديث ابن داب

وقال آخر : أيها الطالب علما * ائت حماد بن زيد
فاقتبس حلما وعلما * ثم قيده بقيد

وقيل لابى نواس : قـد بعثوا فى أبى عبيدة والاصمعى ليجمعوا بينهما . قال أما أبو عبيدة فان مكنوه من سفره قرأ عليهم أساطير الاولين . وأما الاصمعى فبلبل فى قفص يطربهم بصفيره . وذكر عند المنصور محمد بن اسحق وعيسى بن دأب فقال : أما ابن اسحق فاعلم الناس بالسيرة وأما ابن دأب فاذا أخرجته عن داحس والغبراء لم يحسن شيأ . وقال المامون رحمه الله تعالى: من أراد لهوا بلا حرج فليسمع كلام الحسن الطالبى . وسئل العتابى عن الحسن الطالبى فقال : ان جليسه لطيب عشرته لاطرب من الابل على الحداء ومن الثمل على الغناء :

١٥ ـــ قولهم فى حملة القرآن — وقال رجل لابراهيم النخعى انى أختم القرآن كل ثلاث قال ليتك تختمه كل ثلاثين وتدرى أى شىء تقرأ . وقال الحرث الاعور: حدثنى على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين والذكر العظيم والصراط المستقيم » خذها اليك يا أعور . وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم : عجل عليك الشيب يا رسول الله . قال شيبتنى هود واخواتها . وقال عبد الله بن مسعود: الحواميم ديباج القرآن . وقال: اذا رتعت رتعت فى رياض دمثة أتأنق فيهن . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كانت تنزل علينا الآية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها ولا نحفظها . وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون فى أمتى قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليفة » وقال « ان الزبانية لاسرع الى فساق حملة القرآن منهم الى عبدة الاوثان فيشكون الى ربهم فيقول ليس من علم كمن لا يعلم » وقال الحسن حملة القرآن ثلاثة نفر . رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر الى مصر يطلب به ما عند الناس . ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدر به الولاة ، واستطال به على أهل بلده . وقد كثر هذا الضرب فى حملة القرآن لا كثرهم الله عز وجل . ورجل قرأ القرآن : فوضع دواءه على داء قلبه ، فسهر ليلته ، وهملت عيناه ، وتسربل الخشوع ، وارتدى الوقار ، واستشعر الحزن ، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الاحمر بهم يسقى الله الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء

١٦ ـــ العقل ـــ قال سحبان وائل العقل بالتجارب لان عقل الغريزة سلم الى عقل التجربة . ولذلك قال على بن أبي طالب رضوان الله عليه رأى الشيخ خير من جلد الغلام وعلى العاقل أن يكون عالما باهل زمانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن البصرى : لسان العاقل من وراء قلبه، فاذا أراد الكلام تفكر، فان كان له قال، وان كان عليه سكت، وقلب الاحمق من وراء لسانه ، فاذا أراد أن يقول قال . وقال محمد بن الغار : دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فتكلم عنده بكلام أعجب سليمان . فاراد أن يختبره لينظر أعقله على قدر كلامه أم لا . فوجده مضعوفا . فقال : فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق على العقل هجنة ، وخير الامور ماصدق بعضها بعضا وأنشد :

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان ترمنـــه مايروق فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

ومن أحسن ماقيل فى هذا المعنى قول زهير :

وكائن ترى من معجب لك صامت * زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الاصورة اللحم والدم

(وقال) على رضى الله عنه : العقل فى الدماغ ، والضحك فى الكبد ، والرأفة فى الطحال ، والصوت فى الرئة . وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : كان والله أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وهو القائل لست بخب والخب لايخدعنى . وقال زياد : ليس العاقل الذى اذا وقع فى الامر احتال له . ولكن العاقل يحتال للامر حتى لا يقع فيه . وقيل لعمرو بن العاص ماالعقل . فقال : الاصابه بالظن، ومعرفة مايكون بماقد كان . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنـه : من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وذكر ابن عباس رضى الله عنهما فقال : لقد كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق . وقالوا : العاقل فطن متغافل . وقال معاوية : العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغافل . وقال المغيرة ابن شعبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنـه : اذعزله عن كتابة أبى موسى أعن عجز عزلتنى أم عن خيانة . فقال لا عن واحد منهما . ولكنى كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك . وقال معاوية لعمرو بن العاص : ما بلغ من عقلك . قال مادخلت فى شىء قط الا وخرجت منـه . فقال معاوية لكنى مادخلت فى شىء قط وأردت الخروج منه . وقال الاصمعى : ماسمعت الحسن بن سهل مذ صار فى مرتبة الوزارة يتمثل الا بهذين البيتين :

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر:

لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى * ولا باكتساب المال يكتسب العقل
وكم من قليل المال يحمد فضله * وآخر ذو مال وليس له فضل
وما سبقت من جاهل قط نعمة * الى أحد الا أضربها الجهل
وذو اللب ان لم يعط احمدت عقله * وان هو أعطى زانه القول والفعل

وقال محمد بن مناذر:

وترى الناس كثيرا فاذا * عد أهل العقل قلوا فى العدد
لا يقل المرء فى القصد ولا * يعدم القلة من لم يقتصد
لا تعد شرا وعد خيرا ولا * تخلف الوعد وعجل ما تعد
لا تقل شعرا ولا تهمم به * واذا ما قلت شعرا فاجد

ولآخر:

يعرف عقل المرء فى أربع * مشيته أولها والحرك
ودور عينيه وألفاظه * بعد عليهن يدور الفلك
وربما أخلفن الا التى * آخرها منهن سميت لك
هذى دليلات على عقله * والعقل فى أركانه كالملك
ان صح صح المرء من بعده * ويهلك المرء اذا ما هلك
فانظر الى مخرج تدبيره * وعقله ليس الى ما اتهك
فربما خالط أهل الحجا * وقد يكون النوك فى ذى النسك
فان امام سال عن فاضل * فادلل على العاقل لا أم لك

وكان هوذة بن على الحنفى يجيز لطيمة كسرى فى كل عام — واللطيمة عير تحمل الطيب والبز. فوفد على كسرى. فسأله عن بنيه فسمى له عددا. فقال أيهم أحب اليك: قال الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يرجع، والمريض حتى يفيق، فقال له ما غذاؤك فى بلدك. قال الخبز. فقال كسرى لجلسائه: هذا عقل الخبز يفضله على عقول أهل البوادى الذين غذاؤهم اللبن والتمر * وهوذة بن

على الحنفى هو الذى يقول فيه أعشى بكر :

من يرَ هوذة يسجد غير مكتتب * اذا تعصب فوق التاج أو وضعا

له أكاليل بالياقوت فصلها * صواغها لا ترى عيبا ولا طبعا

وقال أبو عبيدة عن أبى عمرو: لم يتتوج معدى قط . وانما كانت التيجان لليمن . فسألته عن هوذة بن على الحنفى . فقال انما كانت خرزات تنظم له . وقد كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على يدعوه الى الاسلام كما كتب الى الملوك . وفى بعض الحديث : ان الله عز وجل لما خلق العقل . قال له أقبل فاقبل . ثم قال له أدبر فأدبر . فقال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أحب الى منك ولا وضعتك الا فى أحب الخلق الى . ولما خلق الحمق قال له أقبل فأدبر . ثم قال له أدبر فأقبل . فقال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أبغض الى منك ولا وضعتك الا فى أبغض الخلق الى . وبالعقل أدرك الناس معرفة الله عز وجل ولا يشك فيه أحد من أهل العقول يقول الله عز وجل فى جميع الامم « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » وقال أهل التفسير فى قول الله « قسم لذى حجر » قالو الذى عقل . وقالوا: ظن العاقل كهانة . وقال الحسن البصرى: لو كان للناس كلهم عقول خربت الدنيا . وقال الشاعر:

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب

وان حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل فى بلدة بغريب

وقالوا : العاقل يقى ماله بسلطانه ، ونفسه بماله، ودينه بنفسه . وقال الاحنف بن قيس : أنا للعاقل المدبر أرجى منى للاحمق المقبل

١٧ — الحكمة — قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال عليه الصلاة والسلام « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالى فى أى وعاء خرجت » وقال عليه الصلاة والسلام « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » وقال الحكماء : لا يطلب الرجل حكمة الا بحكمة عنده . وقالوا : اذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها . وفى الحديث : خذوا الحكمة ولو من ألسنة المشركين . وقال زياد : أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا فان الشاعر يقول:

اعمل بعلمى وان قصرت فى عملى * ينفعك قولى ولا يضررك تقصيرى

١٨ — نوادر من الحكمة — قيل لقس بن ساعدة : ماأفضل المعرفة . قال معرفة الرجل نفسه . قيل له فما أفضل العلم . قال وقوف المرء عند علمه . قيل له فما أفضل المروءة قال استبقاء الرجل ماء وجهه . وقال الحسن : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم . وقالوا : لاعقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا غنى كرضا عن الله ، وأحق ماصبر عليه ماليس الى تغييره سبيل . وقالوا : أفضل البر الرحمة ، ورأس المودة الاسترسال ، ورأس العقوق مكاتمة الادنين ورأس العقل الاصابة بالظن . وقالوا : التفكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والعلم حياة ، والاول سابق ، والآخر لاحق ، والسعيد من وعظ بغيره . حدث أبوحاتم قال : حدثني أبوعبيدة قال حدثني غير واحد من هوازن من أولى العلم وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية . قالوا : اجتمع عمرو بن الظرب العدواني . وحممة بن رافع الدوسى . ويزعم النساب أن ليلى بنت الظرب أم دوس . وزينب بنت الظرب أم ثقيف عند ملك من ملوك حمير . فقال تساءلا حتى أسمع ماتقولان . فقال عمرو لحممة أين تحب أن تكون أياديك . قال : عند ذى الرتبة العديم ، وعند ذى الخلة الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف الحليم . قال : من أحق الناس بالمقت . قال : الفقير المختال : والضعيف الصوال ، والغنى القوال . قال : فمن أحق الناس بالمنع . قال : الحريص الكاند ، والمستميد الحاسد ، والملحف الواجد . قال : من أجدر الناس بالصنيعة . قال : من اذا أعطى شكر ، واذا منع عذر ، واذا مطل صبر ، واذا قدم العهد ذكر . قال : من أكرم الناس عشرة . قال : من اذا قرب منح ، واذا ظلم صفح ، وان ضويق سمح . قال : من ألأم الناس . قال : من اذا سأل خضع ، واذا سئل منع ، واذا ملك كنع ، ظاهره جشع ، وباطنه طبع . قال : فمن أجل الناس . قال : من عفا اذا قدر ، وأجمل اذا انتصر ، ولم تطغه عزة الظفر . قال : فمن أحزم الناس . قال : من أخذ رقاب الاسود بيديه ، وجعل العواقب نصب عينيه ، ونبذ التهيب دبر أذنيه . قال : فمن أخرق الناس . قال : من ركب الخطار ، واعتسف العثار ، وأسرع فى البدار قبل الاقتدار . قال : من أجود الناس . قال : من بذل المجهود ، ولم يأس على المفقود . قال : من أبلغ الناس قال من حلى المعنى المزيز ، باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل ، قبل التحزيز . قال : من أنعم الناس عيشا . قال : من تحلى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وتجاوز مايخاف ، الى مالايخاف . قال : فمن أشقى الناس . قال : من حسد

على النعم ، وسخط على القسم ، واستشعر النـدم ، على ماانحتم . قال : من أغنى الناس قال من استشعر اليـاس ، وأظهر التجمل للناس ، واستكثر قليـل النعم ، ولم يسخط على القسم قال : فمن أحكم الناس . قال: من صمت فادكر ، ونظر فاعتـبر ، ووعظ فازدجر . قال: من أجهل الناس . قال : من رأى الخرق مغنما ، والتجاوز مغرما . وقال : أبوعبيـدة ـ الخـلة الحاجة ـ والخلة الصداقة ـ والكاند الذى يكفر النعمة ـ والكنود الكنوز ـ والمستميد مثل المستمير والمستعطى يكون منـه اشتقاق المائدة لانها تماد ـ وكنع تقبض ـ يقال منه تـكنع جلده اذا تقبض يريد أنه ممسك بخيل ـ والجشع أسوأ الحرص ـ والطبع الدنس ـ والاعتساف ركوب الطريق على غير هداية ـ و ركوب الامر على غير معرفة ـ والمزيز من قولهم هذا أمز من هذا أى أفضل منه وأزيد ـ والمطبق من السيوف الذى يصيب المفاصل لا يجاوزها : وقال عمرو ابن العاص : ثلاث لا أناة فيهن المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت وتزويج الكفء . وقال: ثلاثة لا ينـدم على ماسلف اليهم ، الله فى عمل له ، والمولى الشكور فيما أسدى اليه ، والارض الكريمة فيما بذر فيها . وقالوا : ثلاثة لا بقاء لها ظل الغمام ، وصحبة الاشرار ، والثناء الكاذب وقالوا : ثـلاثة لا تـكون الا فى ثلاثة ، الغـنى فى النفس ، والشرف فى التواضع ، والكرم فى التقوى . وقالوا : ثلاثة لا تعرف الا فى ثلاثة ذو البأس لا يعرف الا عنـد اللقاء ، وذو الامانة لا يعرف الا عند الاخذ والعطاء ، والاخوان لا يعرفون الا عند النوائب . وقالوا : من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة ، من طلب المـال بالكيمياء لم يسـلم من الافـلاس ، ومن طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة ، ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسـلم من الـكذب . وقالوا : عليكم بثـلاث جالسوا الـكبراء ، وخالطوا الحـكماء ، وسائلوا العلماء . وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه . واجتمعت علماء العرب والعجم على أربع كلمات ، لا تحمل على ظنك مالا تطيق ، ولا تعمل عملا لا ينفعك ، ولا تغتر بامرأة ، ولا تثق بمـال وان كثر . وقال الرياحى فى خطبتـه : بالمربد يا بنى رياح لا تحقروا صغيرا تأخذون عنه فانى أخذت من الثعلب روغانه ، ومن القرد حكايته ، ومن السنور ضرعه ، ومن الكلب نصرته ، ومن ابن آوى حذره ، ولقد تعلمت من القمر سير الليل ، ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين . وقالوا : ابن آدم هو العالم الـكبير الذى جمع الله فيه العلم كله . فكان فيه بسالة الليث ، وصبر الحمـار ، وحرص الخنزير ، وحـذر الغراب ،

وروغان الثعلب ، وضرع السنور ، وحكاية القرد ، وجبن الصرد ، ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته مكتوبا اذا كان الغدر فى الناس طباعا ، فالثقة بالناس عجز ، واذا كان القدر حقا فالحرص باطل ، واذا كان الموت راصدا فالطمأنينة حمق . وقال أبو عمرو ابن العلاء: خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لا تنهكوا وجه الارض فان شحمتها فى وجهها . وقال: بع الحيوان أحسن ما يكون فى عينك . وقالوا: فرقوا بين المنايا، واجعلوا من الرأس رأسين، ولا تلبثوا بدار معجزة . وقالوا: اذا قدمت المصيبة ، تركت التعزية ، واذا قدم الاخاء ، سمج الثناء . وفى كتاب للهند : ينبغى للعاقل أن يدع التماس مالا سبيل اليه ، والا يعد جاهلا كرجل أراد أن يجرى السفن فى البر والعجل فى البحر . وذلك مالا سبيل اليه . وقالوا : احسان المسىء أن يكف عنك أذاه ، واساءة المحسن أن يمنعك جدواه . وقال الحسن البصرى : اقذعوا هذه النفوس فانها طلعة ، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور ، فانكم الا ترعوها تنزع بكم الى شر غاية . يقول : حادثوها بالحكمة . كما يحادث السيف بالصقال، فانها سريعة الدثور ، يريد الصدا الذى يعرض للسيف — واقذعوها من قذعت أنف الجمل اذ دفعته — فانها طلعة يريد متطلعة الى الاشياء . قال: أردشير بن بابك ان للآذان مجة ، وللقلوب مللا ، ففرقوا بين الحكمتين ، يكن ذلك استجماما

١٩ — البلاغة وصفتها — قيل لعمرو بن عبيد: ما البلاغة . قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : فما بصرك مواضع رشدك ، وعواقب غيك . قال ليس هذا أريد . قال: من لم يحسن أن يسكت ، لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع ، لم يحسن أن يسال ، ومن لم يحسن أن يسال ، لم يحسن أن يقول . قال : ليس هذا أريد قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم ، انا معشر بكاء ، أى قليلو الكلام وهو جمع بكى . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : فكانك تريد تخير الالفاظ فى أحسن افهام . قال نعم : قال انك ان أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين ، وتزيين المعانى فى قلوب المستفهمين ، بالالفاظ الحسنة رغبة فى سرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الناطقة ، عن الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب . وقيل لبعضهم ما البلاغة قال : معرفة الوصل من الفصل وقيل لآخر ما البلاغة . قال : ايجاز الكلام ، وحذف الفضول ، وتقريب البعيد . وقيل

لبعضهم ماالبلاغة . قال : أن لا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان فهم القائل . وقال معاوية لصحار العبدى : ماالبلاغة . قال : أن تجيب فلا تبطئ ، وتصيب فلا تخطئ، ثم قال أقلني ياأمير المؤمنين . قال قد أقلتك . قال : لاتبطىء ولا تخطئ . قال أبو حاتم : استطال الكلام الاول، فاستقال وتكلم باوجز منه . وسمع خالد بن صفوان رجلا يتكلم ويكثر فقال . اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان ، وكثرة الهذيان ، ولكنها باصابة المعنى ، والقصد الى الحجة ، فقال له أباصفوان مامن ذنب أعظم من اتفاق الصنعة وتكلم ربيعة الرأى يوما فاكثر والى جنبه أعرابى فالتفت اليه . فقال : ماتعدون البلاغة ياأعرابى قال : قلة الكلام وايجاز الصواب . قال : فما تعدون العى . قال : ما كنت فيه منذ اليوم فكأنما ألقمه حجرا . ومن أمثالهم فى البلاغة قولهم : يقل الحزو يطبق المفصل ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذى يقل الكلام ، ويصيب الفصول والمعانى بالجزار الرفيق يقل حز اللحم ويصيب مفاصله . ومثله قولهم : يضع الهناء مواضع النقب أى لا يتكلم الا فيما يجب فيه الكلام مثل الطالى الرفيق الذى يضع الهناء مواضع النقب والهناء القطران . والنقب الجرب . وقولهم قرطس فلان فاصاب الغرة ، وأصاب عين القرطاس كل هذا مثل للمصيب فى كلامه الموجز فى لفظه

٢٠ ـ وجوه البلاغة ـ البلاغة تكون على أربعة أوجه تكون باللفظ والخط والاشارة والدلالة . وكل منهما له حظ من البلاغة والبيان وموضع لايجوز فيه غيره . ومنه قولهم : لكل مقام مقال ، ولكل كلام جواب، ورب اشارة أبلغ من لفظ فاما الخط والاشارة عند الخاصة فمفهومان عند الخاصة وأكثر العامة . وأما الدلالة . فكل شىء دلك على شىء فقد أخبرك به كما قال الحكيم أشهد أن السموات والارض آيات دالات ، وشواهد قائمات ، كل يؤدى عنك الحجة ، ويشهد لك بالربوبية . وقال الآخر : سل الارض من غرس أشجارك ، وشق أنهارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك اخبارا أجابتك اعتبارا . وقال الشاعر :

لقد جئت أبغى لنفسى مجيرا * فجئت الجبال وجئت البحورا

فقال لى البحر اذ جئته * فكيف يجير ضرير ضريرا

نطقت عينه بما فى الضمير . وقال نصيب بن رباح :

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

يريد لو سكتوا لأثنت عليك حقائب الابل التي يحتقبها الركب من هباتك . وهـذا الثناء انما هو بالدلالة لا باللفظ . وقال حبيب:

الدار ناطقة وليست تنطق * بدثورها ان الجديد سيخلق

وهذا في قديم الشعر وحديثه، وطارف الكلام وتليده، أكثر من أن يحيط به وصف، أو يأتي من ورائه نعت . وقال رجل للعتابي ما البلاغة . قال: كل من بلغك حاجته ، وأفهمك معناه بلا اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ : قالوا قد فهمنا الاعادة والحبسة فما معنى الاستعانة . قال: أن يقول عند مقاطع كلامه اسمع مني وافهم عني ، أو يمسح عثنونه، أو يفتل أصابعه، أو يكثر التفاته من غير موجب، أو يتساعل من غير سعلة أو ينبهر في كلامه . وقال الشاعر :

مليء ببهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل أصابع

وهـذا كله من العي . وقال ابرويز لكاتبه : اعلم أن دعائم المقالات أربع ان التمس لها خامس لم يوجد فان نقص منها واحد لم تتم . وهي سؤالك الشيء، وأمرك بالشيء، واخبارك عن الشيء ، وسؤالك عن الشيء . فاذا طلبت فاسجح ، واذا سألت فاوضح ، واذا أمرت فاحكم ، واذا أخبرت فحقق ، واجمع الكثير ، فيما تريد في القليل مما تقول يريد الكلام الذي تقل حروفه وتكثر معانيه . وقال ربيعة الرأي: اني لاسمع الحديث عطلا فاشنفه واقرطه فيحسن وما زدت فيه شيا ولا غيرت له معنى . وقالوا : خير الكلام ما لم يحتج بعده الى كلام . وللعرب من موجز اللفظ ولطيف المعنى فصول عجيبة ، وبدائع غريبة ، وسنأتي على صدر منها ان شاء الله *

٢١ — فصول من البلاغة — قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها فقال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن حازم . فلينبذه ، وان كان في فيه فليلفظه ، وان كان في صدره فلينفثه، فعجب الناس من حسن ما فصل . وقيل لابن السماك الاسدي أيام معاوية : كيف تركت الناس . قال: تركتهم بين مظلوم لا ينتصف . وظالم لا ينتهي . وقيل لشبيب ابن شبة عند باب الرشيد رحمه الله تعالى : كيف رأيت الناس . قال رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا . وقال حسان بن ثابت في عبد الله بن عباس :

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع * لذي اربة في القول جدا ولا هزلا

ولقى الحسين بن على رضوان الله عليهما الفرزدق فى مسيره الى العراق . فساله عن الناس . فقال : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر فى السماء . وقال مجاشع النهشلى : الحق ثقيل ، فمن بلغها كتفى ، ومن جاوزه اعتدى . وقيل لعلى بن أبى طالب عليه السلام : كم بين المشرق والمغرب . فقال : مسيرة يوم للشمس . قيل له . فكم بين السماء والارض . قال : مسيرة ساعة لدعوة مستجابة . وقيل لاعرابى : كم بين موضع كذا الى موضع كذا قال بياض يوم وسواد ليلة وشكا قوم الى المسيح عليه السلام ذنوبهم . فقال : اتركوها تغفر لكم . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمة كل انسان ما يحسن . وقيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ماأقرب شىء . قال الاجل . قيل له فما أبعد شىء . قال الامل . قيل له فما أوحش شىء . قال الميت . قيل له فما آنس شىء . قال الصاحب المواتى . مر عمرو بن عبيد بسارق يقطع . فقال سارق السريرة قطع سارق العلانية . وقيل للخليل بن أحمد : مالك تروى الشعر ولا تقوله . قال : لانى كالمسن أشحذ ولا أقطع . وقيل لعقيل بن علفة : مالك لا تطيل الهجاء . قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . ومر خالد بن صفوان برجل صلبه الخليفة . فقال : أنبتته الطاعة ، وحصدته المعصية . ومر أعرابى برجل صلبه السلطان . فقال : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ، ومن فارق الحق فالجذع راحلته

٢٢ — **ومن النطق بالدلالة** — ماحدث به العباس بن الفرج الرياشى قال : نزل النعمان بن المنذر ومعه عدى بن زيد العبادى فى ظل شجرة مورقة ليلهو النعمان هناك . فقال له عدى أبيت اللعن : أتدرى ماتقول هذه الشجرة : قال ماتقول . قال تقول :

رب شرب قد أناخوا حولنا * يمزجون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم * وكذاك الدهر حالا بعد حال

فتنغص على النعمان ماهو فيه . وقال رجل لخالد بن صفوان انك لتكثر . قال : أكثر لضربين أحدهما فيما لا تغنى فيه القلة . والآخر لتمرس اللسان فان حبسه يورث العقلة . وكان خالد بن صفوان يقول : لا تكون بليغا حتى تكلم أمتك السوداء ، فى الليلة الظلماء ، فى الحاجة المهمة ، بما تكلم به فى نادى قومك . وانما اللسان عضو اذا مرنته مرن ، واذا تركته كان كاليد تخشنها بالممارسة ، والبدن الذى تقويه برفع الحجر وما أشبهه ، والرجل اذا عودت المشى مشت . وكان نوفل بن مساحق اذا دخل على امرأته صمت فاذا خرج عنها تكلم . فقالت

له اذا كنت عنـدى سكت واذا كنت عند الناس تنطق . قال : انى أجل عن دقيقك وتدقين عن جليلى . وذكر شبيب بن شيبة خالد بن صفوان فقال : ليس له صديق فى السر ، ولا عدو فى العلانية ، وهذا كلام لا يعرف قدره الا أهل صناعته . وقال أبو جعفر لعمرو بن عبيد أعنى باصحابك ياأباعثمان . قال ارفع علم الحق يتبعك أهله

٢٣ — آفات البلاغة — قال محمد كاتب ابراهيم وكان شاعرا راويا طالبا للنحو علامة : قال : سمعت أبادواد وجرى شىء من ذكر الخطب وتمييز الكلام فقال : تلخيص المعانى رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق فى غير أهل البادية نقص ، والنظر فى عيوب الناس عى ، ومس اللحية هلك ، والخروج مما بنى عليه الكلام اسهاب ، قال وسمعته يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وحليها الاعراب ، و بهاؤها تحبير اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراد ، وأنشدنى بيتا فى خطبة اياد :

يومون باللفظ الخفى وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء

وقال ابن الاعرابى : قلت للفضل ما الايجاز عندك . قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد وتكلم ابن السماك يوما وجارية له تسمع . فلما دخل قال لها كيف سمعت كلامى . قالت الى ان تفهمه من لم يفهمه مله من فهمه :

٢٤ — باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة — قال الله تعالى « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » وقال رجل لعمرو بن العاص : والله لاتفرغن لك . قال هنالك وقعت فى الشغل . قال كانك تهددنى والله لئن قلت لى كلمة لاقولن لك عشرا . قال وأنت والله لئن قلت لى عشرا لم أقل لك واحدة . وقال رجل لابى بكر رضى الله عنه والله لاسبنك سبا يدخل القبر معك . قال معك يدخل لامعى . وقيل لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك اليوم أيوب السختيانى حتى رحمناك : قال اياه فارحموا . وشتم رجل الشعبى . فقال له : ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك . وشتم رجل أباذر فقال : ياهذا لا تغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا . فانالا نكافى عمن عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه . ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود . فقالوا له شرا فقال خيرا فقيل له انهم يقولوا شرا وتقول

لهم خيرا فقال : كل واحد ينفق مما عنده . وقال الشاعر :

ثالبني عمرو وثالبته * فأثم المثلوب والثالب

قلت له خيرا وقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

وقال آخر : وذي رحم قلمت أظفار جهله * بحلمي عنه حين ليس له حلم

اذا سمته وصل القرابة سامني * قطيعتها تلك السفاهة والاثم

فداويته بالحلم والمرء قادر * على سهمه ما كان في كفه السهم

وكتب رجل الى صديق له وبلغه أنه وقع فيه :

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالكا

وأنشد طاهر بن عبد العزيز :

اذا ما خليلي أساء مره * وقد كان من قبل ذا مجملا

تحملت ما كان من ذنبه * ولم يفسد الآخر الاولا

٢٥ — صفة الحلم وما يصلح له — قيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم . قال: من قيس بن عاصم المنقرى رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك . فوالله ما حل حبوته، ولا قطع كلامه ، ثم التفت الى ابن أخيه قال له : يا ابن أخي أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك ، ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك ، وحل كتاف ابن عمك ، وسق الى أمه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة . ثم أنشأ يقول :

اني امرؤ لا يطبي حسبي * دنس يهجنه ولا أفن

من منقر في بيت مكرمة * والغصن ينبت حوله الغصن

خطباء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه أعفة لسن

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

وقال رجل للاحنف بن قيس : علمني الحلم يا أبا بحر . قال : هو الذل يا ابن أخي أفتصبر عليه وقال الاحنف : لست حليما ولكني أتحالم . وقيل له : من أحلم أنت أم معاوية . قال : تالله ما رأيت أجهل منكم ان معاوية يقدر فيحلم: وأنا أحلم ولا أقدر . فكيف أقاس عليه أو أدانيه وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الاحنف ما بلغ . قال : ان شئت أخبرتك

بخـلة وان شئت بخلتين وان شئت بثلاث . قال : فما الخلة . قال : كان أقوى الناس على نفسـه . قال : فما الخلتان قال : كان موقى الشر ملقى الخير . قال : فما الثلاث . قال : كان لا يجهل ولا يبغى ولا يبخل . وقيل لقيس بن عاصم : ما الحلم . قال : أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وقالوا : ماقرن شيء الى شيء أزين من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة . وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لا تعرفهم الا ثلاثة : لا يعرف الحلم الا عنـد الغضب ، ولا الشجاع الا عند الحرب ، ولا تعرف أخاك الا اذا احتجت اليه . وقال الشاعر :

ليست الاحلام في حين الرضا * انما الاحلام فى حين الغضب

وفى الحديث « أقرب ما يكون المرء من غضب الله اذا غضب » وقال الحسن : المؤمن حليم لا يجهل وان جهل عليه . وتلا قول الله عز وجل « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقال معاوية : انى لاستحى من ربى أن يكون ذنب أعظم من عفوى أو جهل أكبر من حلمى أو عورة لا أواريها بسـترى . وقال مورق العجلى : ما تكلمت فى الغضب بكلمة ندمت عليها فى الرضا وقال يزيد بن أبى حبيب : انما غضبى فى نعلى فاذا سمعت ما أكره أخذتهما ومضيت . وقالوا : اذا غضب الرجل فليستلق على قفاه واذا عيي فليرفع رجليه . وقيـل للاحنف : ما الحلم فقال: قول ان لم يكن فعل وصمت ان ضر قول . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنـه : من لانت كلمته، وجبت محبته . وقال: حلمك على السفيه ، يكثر أنصارك عليه . وقال الاحنف : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . وقال : رب غيظ تجرعته مخافة ماهو أشد منه وأنشد :

رضيت ببعض الذل خوف جميعه * كذلك بعض الشر أهون من بعض

وأسمع رجـل عمر بن عبـد العزيز بعض ما يكره . فقال : لا عليك انما أردت أن يسـتفزنى الشيطان بعزة السلطان فانال منك اليوم ما تناله منى غدا انصرف اذا شئت . وقال الشاعر فى هذا المعنى:

لن يدرك المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
و يشتموا فترى الالوان كاسفة * لا ذل عجز ولـكن ذل احلام

ولآخر: اذا قيلت العوراء أغضى كأنه * ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

ومن أحسن بيت فى الحلم قول كعب بن زهير:

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهـل

وقال الاحنف: آفة الحلم الذل . وقال لا حلم لمن لا سفيه له . وقال : ماقل سفهاء قوم الا ذلوا

وأنشد : لابد للسودد من رماح * ومن رجال مصلتى السلاح
يدافعون دونه بالراح * ومن سفيه دائم القباح

وقال النابغة الجعدى :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولما أنشد هذا البيت للنبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يفضض الله فاك ، فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية . وقالوا : لا يظهر الحلم الا مع الانتصار كما لا يظهر العفو الا مع الاقتدار . وقال الاصمعى : سمعت أعرابيا يقول : كان سنان بن أبى حارثة أحلم من فرخ الطائر . قلت وما حلم فرخ الطائر . قال انه يخرج من بيضة فى رأس نيق ولا يتحول حتى يتوفر ريشه ويقوى على الطيران :

٢٦ — باب السودد — قيل لعدى بن حاتم : ما السودد قال السيد الاحمق فى ماله ، الذليل فى عرضه ، المطرح لحقده . وقيل لقيس بن عاصم : بم سودك قومك . قال بكف الاذى ، و بذل الندى ، ونصر المولى وقال رجل للاحنف بم سودك قومك وما أنت باشرفهم بيتا ، ولا أصبحهم وجها ، ولا أحسنهم خلقا ، قال بخلاف ما فيك يا ابن أخى . قال : وماذاك قال بتركى من أمرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك . وقال : عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل من سيد قومك . قال أنا قال . كذبت لو كنت كذلك لم تقله . وقال ابن الكلبى : قدم أوس بن حارثة بن لام الطائى وحاتم بن عبد الله الطائى على النعمان بن المنذر . فقال لاياس بن قبيصة الطائى أيهما أفضل . قال أبيت اللعن أيها الملك انى من أحدهما ولكن سلهما عن أنفسهما فانهما يخبرانك . فدخل عليه أوس . فقال أنت أفضل أم حاتم . فقال أبيت اللعن ان أدنى ولد حاتم أفضل منى . ولو كنت أنا وولدى ومالى لحاتم لانهبنا فى غداة واحدة . ثم دخل عليه حاتم . فقال له أنت أفضل أم أوس . فقال أبيت اللعن ان أدنى ولد لاوس أفضل منى . فقال النعمان هذا والله السودد وأمر لكل واحد منهما بمائة من الابل . وسأل عبد الملك ابن مروان روح بن زنباع عن مالك بن مسمع . فقال : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف سيف لا يسأله واحد منهم لم غضبت . فقال عبد الملك هذا والله السودد . وقال أبو حاتم عن القتبى أهدى ملك اليمن سبع جزائر الى مكة وأوصى أن ينحرها أعز قرشى بها فاتت وأبو سفيان عروس بهند . فقالت له هند : ياهذا لا تشغلك النساء عن هذه الاكرومة التى لعلك أن تسبق اليها .

فقال لها يا هذه ذرى زوجك وما اختار لنفسه . فوالله لا نحرها أحد الا نحرته فكانت في عقلها حتى خرج اليها بعد السابع فنحرها . ونظر رجل الى معاوية : وهو غلام صغير . فقال : انى أظن أن هذا الغلام سيسود قومه فسمعته أمه هند فقالت : ثكلته اذا ان لم يسد غير قومه . وقال الهيثم بن عدى : كانوا يقولون اذا كان الصبي سابل الغرة، طويل الغرلة، ملتاث الازرة، فذلك الذى لا يشك في سودده . ودخل ضمرة بن أبي ضمرة على النعمان بن المنذر وكانت به دمامة شديدة . فالتفت النعمان الى أصحابه . وقال : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه . فقال أيها الملك انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فان قال قال ببيان ، وان قاتل قاتل بجنان ، قال صدقت : وبحق سودك قومك . وقيل لعرابة الاوسى : بم سودك قومك قال : باربع خلال أنخدع لهم في مالى، وأذل لهم في عرضى ، ولا أحقر صغيرهم ، ولا أحسد كبيرهم ، وفي عرابة الاوسى يقول الشماخ وهو ضرار :

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وقالوا يسود الرجل باربعة أشياء بالعقل والادب والعلم والمال . وكان سلم بن نوفل سيد بنى كنانة فوثب رجل على ابنه وابن أخيه . فجرحهما فاتى به . فقال ما أمنك من انتقامى . قال فلم سودناك الا أن تكظم الغيظ ، وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه ، فخلى سبيله . فقال فيه الشاعر : يسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد الصنديد سلم بن نوفل

وقال ابن الكلبي : قال لى خالد القسرى ما تعدون السودد . قلت أما في الجاهلية فالرياسة ، وأما في الاسلام فالولاية ، وخير من ذا وذلك التقوى . قال صدقت كان أبي يقول لم يدرك الاول الشرف الا بالعقل ، ولم يدرك الآخر الا بما أدرك به الاول : قلت له : صدق أبوك انما ساد الاحنف بن قيس بحلمه . ومالك بن مسمع بحب العشيرة له . وقتيبة بن مسلم بدهائه . وساد المهلب بهذه الخلال كلها . الاصمعى قال : قيل لاعرابي يقال له منتجع بن نبهان ما السميدع قال السيد الموطأ الاكتاف . وكان عمر بن الخطاب يفرش له فراش في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه أحد الا العباس بن عبد المطلب . وأبو سفيان بن حرب . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابى سفيان ، كل الصيد في جوف الفرا ، والفرا الحمار الوحشى وهو مهموز وجمعه فراء ، ومعناه أنه في الناس مثل الحمار الوحشى في الوحش . ودخل عمرو بن العاص مكة

فرأى قوما من قريش قد تحلقوا حلقة . فلما رأوه رموا بابصارهم اليه فعدل اليهم . فقال أحسبكم كنتم فى شىء من ذكرى . قالوا : أجل كنا نمثل بينك و بين أخيك هشام أيكما أفضل . فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وأمى من قد عرفتم . وكان أحب الناس الى أبيه منى . وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد . وأسلم قبلى واستشهد و بقيت . قال قيس بن عاصم لبنيه لما حضرته الوفاة : احفظوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى أما اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحتقر الناس كباركم . وقال الاحنف بن قيس السودد مع السواد . وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير . أحدهما أن يكون أراد بالسواد سواد الشعر يقول من لم يسد مع الحداثه لم يسد مع الشيخوخة . والوجه الآخر أن يكون أراد بالسواد سواد الناس ودهماءهم . يقول : من لم يطر له اسم على ألسنة العامة بالسودد لم ينفعه ماطار له فى الخاصة وقال أبان بن سلمة :

ولسنا كقوم محدثين سيادة * يرى مالها ولا يحس فعالها

مساعيهم مقصورة فى بيوتهم * ومسعاتنا ذبيان طرا عيالها

الهيثم بن عدى قال : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء تكاثر الناس عليه . فانشد يقول :

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردى بالسودد

٢٧ ــ سودد الرجل بنفسه ــ قال النبى صلى الله عليه وسلم «من أسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» . وقال قس بن ساعدة : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه . وقالوا : انما الناس بابدانهم . وقال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

وقال عبد الله بن معاوية :

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

وقال قس بن ساعدة : لاقضين بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلى ولا يردها أحد بعدى أيما رجل رمى رجلا بملامة دونها كرم فلا لوم عليه . وأيما رجل ادعى كرما دونه لؤم فلا كرم له . وقالت عائشة رضى الله عنها : كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به . وكل لؤم دونه كرم فالكرم

أولى به تريد أن أولى الامور بالانسان خصال نفسه وان كان كريما وآباؤه لئام لم يضره ذلك وان كان لئيما وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك . وقال عامر بن الطفيل العامرى :

وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور فى كل موكب
فما سودتنى عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بجد ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من رماها بمنكبى

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه . فقال له ابن من أنت قال أنا ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى بها توصلت اليك . قال صدقت : فأخذ الشاعر هذا المعنى . فقال :

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى ولا أنا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

وقال بعض المحدثين :

رأيت رجال بنى دالق * ملوكا بفضل تجاراتهم
وبربرنا عند حيطانهم * يخوضون فى ذكر أمواتهم
وما الناس الا بابدانهم * وأحسابهم فى حراماتهم

٢٨ — المروأة — قال النبى صلى الله عليه وسلم «لا دين الا بمروأة» وقال ربيعة الرأى : المروءة ست خصال ثلاثة فى الحضر . وثلاثة فى السفر . فأما التى فى السفر فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق . وأما التى فى الحضر فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : المروأة مروأتان مروأة ظاهرة ومروأة باطنة ، فالمروأة الظاهرة الرياش ، والمروأة الباطنة العفاف . وقدم وفد على معاوية فقال لهم ما تعدون المروأة . قالوا العفاف واصلاح المعيشة . قال اسمع يايزيد . وقيل لابى هريرة ما المروأة . قال تقوى الله وتفقد الضيعة وقيل للاحنف : ما المروأة قال العفة والحرفة . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : انا معشر قريش لا نعد الحلم والجود سوددا ونعد العفاف واصلاح المال مروأة . وقال الاحنف : لا مروأة لكذوب ، ولا سودد لبخيل ، ولا ورع لسيء الخلق ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « تجاوز والذوى المروآت عن عثراتهم فوالذى نفسى بيده ان أحدهم ليعثر وان يده لبيد الله » وقال العتبى عن أبيه : لا تتم مروأة الرجل الا بخمس أن يكون عالما صادقا عاقلا ذا

بيان مستغنيا عن الناس . وقال الشاعر :

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقيل لعبد الملك بن مروان : أكان مصعب بن الزبير يشرب الطلاء . فقال : لو علم مصعب أن الماء يفسد مروأته ما شربه . وقالوا : من أخذ من الديك ثلاثة أشياء . ومن الغراب ثلاثة أشياء تم بها أدبه ومروأته . من أخذ من الديك سخاءه وشجاعته وغيرته . ومن الغراب بكوره لطلب الرزق وشدة حذره وسترسفاده

٢٩ — طبقات الرجال — قال خالد بن صفوان الناس ثلاث طبقات طبقة علماء ، وطبقة خطباء ، وطبقة أدباء ، ورجرجة بين ذلك يغلون الاسعار ، و يضيقون الاسواق ، و يكدرون المياه . وقال الحسن : الرجال ثلاثة فرجل كالغذاء لا يستغنى عنه ، ورجل كالدواء لا يحتاج اليه الا حينا بعد حين ، ورجل كالداء لا يحتاج اليه أبدا . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : الناس ثلاثة ناس ، ونسناس ، وناس غمسوا في ماء الناس . وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة فرجل يدري و يدري أنه يدري فذلك عالم فسلوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه ، ورجل لا يدري و يدري أنه لا يدري فذلك الجاهل فعلموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك الاحمق فارفضوه . وقال الشاعر :

أليس من البلوى بانك جاهل * وانك لاتدري بانك لاتدري

اذا كنت لاتدري ولست كمن درى * فكيف اذا تدري بانك لاتدري

ولآخر : وما الداء الا أن تعلم جاهلا * و يزعم جهلا أنه منك أعلم

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الناس ثلاثة عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، ورعاع همج يميلون مع كل ريح . وقالت الحكماء الاخوان ثلاثة فأخ يخلص لك وده ، و يبذل لك رفده ، و يستفرغ في مهمك جهده . وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته ، وأخ يتملق لك بلسانه ، و يتشاغل عنك بشأنه ، و يوسعك من كذبه وأيمانه . وقال الشعبي : مر رجل بعبد الله بن مسعود . فقال لاصحابه هذا لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم ولا يتعلم ممن يعلم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم «كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة فتهلك»

٣٠ — الغوغاء — الدبا وهي صغار الجراد وشبه بها سواد الناس . وذكر الغوغاء عند

عبدالله بن عباس . فقال: ما اجتمعوا قط الا ضروا ولا افترقوا الا نفعوا . قيل له : قد علمنا ما ضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم . قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد الى أكياره وكل صانع الى صناعته . ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى قوم يتبعون رجلا أخذ في ريبة . فقال: لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا ترى الا في كل شر . وقال حبيب بن أوس الطائي :

ان شئت أن يسود ظنك كله * فاجله في هذا السواد الاعظم

وقال دعبل : —

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * الله يعلم أني لم أقل فندا

اني لافتح عيني حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

٣١ — الثقلاء — قالت عائشة رضي الله عنها نزلت آية في الثقلاء « فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث » وقال الشعبي : من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء . وقيل لجالينوس : بم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل . فقال لان الرجل الثقيل انما ثقله على القلب دون الجوارح . والحمل الثقيل يستعين فيه القلب بالجوارح . وقال سهل بن هرون : من ثقل عليك بنفسه ، وغمك بسؤاله ، فاعره أذنا صماء ، وعينا عمياء ، وكان أبو هريرة اذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه . وكان الاعمش اذا حضر مجلسه ثقيل يقول :

فما الفيل تحمله ميتا * بأثقل من بعض جلاسنا

وقال أبو حنيفة للاعمش وأتاه عائدا في مرضه لولا أن أثقل عليك أبا محمد لعدتك والله في كل يوم مرتين . فقال له الاعمش : والله يا ابن أخي أنت ثقيل علي وأنت في بيتك . فكيف لو جئتني في كل يوم مرتين . وذكر رجلا ثقيلا كان يجلس اليه . فقال : والله اني لابغض شق الذي يليه اذا جلس الي . ونقش رجل على خاتمه أبرمت فقم . فكان اذا جلس اليه ثقيل ناوله اياه وقال اقرأ ما على هذا الخاتم . وكان حماد بن سلمة اذا رأى من يستثقله قال : ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون . وقال بشار العقيلي في ثقيل يكنى أبا عمران :

ربما ثقل الجليس وان كا * ن خفيفا في كفة الميزان

ولقد قلت اذا اظل على القو * م ثقيلا يربى على ثهلان

كيف لا تحمل الامانة أرض * حملت فوقها أبا عمران

ولآخر : أنت يا هذا ثقيل * وثقيل وثقيل

أنت في المنظر انسا * ن وفي الميزان فيل

وقال الحسن بن هانيء في رجل ثقيل:

ثقيل يطالعنا من أمم * اذا سره رغم أنفي ألم * أقــول له اذ بدا لابدا

ولا حملتــه الينا قدم * فقدت خيالك لا من عمى * وصوت كلامك لا من صمم.

وله فيه : وما أظن القلاص منجيتي * منك ولا الفلك أيها الرجل

ولو ركبت الـبراق أدركني * منــك على نأي دارك الثقل

هل لك فيما ملكته هبــة * تأخــذه جمــلة وترتحــل

وله فيه : يامن على الجــلاس كالفتق * كلامك التخديش في الحلق

هل لك في مالي وماقد حوت * يداي مــن جــل ومن دق

تأخذه مــني كــذا فدية * واذهب في البعد وفي السحق

وله فيه : ألا ياجبل المقت الذي أرسى فما يبرح

لقد أكثرت تفكيري * فما أدري لما تصلح * فما تصلح أن تهجى * ولا تصلح أن تمدح

أهدى رجل من الثقلاء الى رجل من الظرفاء جملا . ثم نزل عليه حتى أبرمه فقال فيه :

يامبرما أهدى جمل * خذوا انصرف ألفي جمل * قال وما أوقارها * قلت زبيب وعســل

قال ومن يقودها * قلت له ألفا رجل * قال ومن يســوقها * قلت له ألفا بطــل

قال وما لباســهم * قلت حــلي وحلل * قال وماســلاحهم * قلت سـيوف وأسل

قال عبيد لي اذا * قلت نعم ثم خــول * قال بهــذا فاكتبوا * اذن عليكم لي سجل

قلت له ألفي سجل * فاضمن لنا أن ترتحل * قال وقد أضجرتكم * قلت أجل ثم أجــل

قال وقد أبرمتكم * قلت له الامر جلل * قال وقــد أثقلتكم * قلت له فوق الثقــل

قال فاني راحل * قلت العجل ثم العجل * يا كوكب الشؤم ومن * أربى على نحس زحل

ياجبلا من جبل * في جبل فوق جبل

وقال الحمدوني في رجل بغيض مقيت:

أيا ابن البغيضة وابن البغيض * ومن هو في البغض لا يلحق * سالتك بالله الا صدقت

وعلمي بانك لاتصــدق * أتبغض نفسك من بغضها * والا فانت اذن أحمــق

وله فيه : في حريم الناس اذ كنــــت من الناس تعد

ولقد أنبثت ابليس اذا مارآك يعدو

ولحبيب الطائى فى مثله أى فى رجل مقيت :

يامن تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالرمد
يمشى على الارض مختالا فاحسبه * لبغض طلعته يمشى على كبدى
لوأن فى الارض جزأ من سماجته * لم يقدم الموت اشفاقا على أحد

وللحسن بن هانىء فى الفضل الرقاشى :

رأيت الرقاشى فى موضع * وكان الى بغيضا مقيتا
فقال اقترح بعض ماتشتهى * فقلت اقترحت عليك السكوتا

وأنشد الشعبى :

انى بليت بعشر * نوكى أخفهم ثقيل
بله اذا جالستهم * صدئت لقربهم العقول
لا يفهمونى قولهم * ويدق عنهم ماأقول
فهم كثير بى كما * أنى بقربهم قليل

وقال العتبى كتب الكسائى الى الرقاشى :

شكوت الينا مجانينكم * وأشكو اليك مجانيننا
وأنشات تذكر أقدارهم * فأنتن وأقذر عن عندنا
فلولا السلامة كنا كهم * ولولا البلاء لكانوا كنا

وقال حبيب الطائى :

وصاحب لى ملت صحبته * أفقدنى الله شخصه عجلا
سرقت سكينه وخاتمه * أقطع مابيننا فما فعلا

وقال حبيب :

يامن له فى وجهه اذ بدا * كنوز قارون من البغض
لوفرشىء قط من شكله * فر اذا بعضك من بعض
كونك فى صلب أبينا الذى * أهبطنا جمعا الى الارض

وقال أبو حاتم وأنشدنى أبو زيد الانصارى النحوى صاحب النوادر :

وجه يحيى يدعو الى البصق فيه * غير أني اصون عنه بصاقى

قال أبو حاتم وأنشدنى العتبي :

له وجه يحل البصق فيه * ويحرم أن يلقى بالتحيه

قال وأنشدنى :

قميص أبي أمية ما علمتم * وأوسخ منه جلد أبي أميه

٣٢ — التفاؤل بالاسماء — سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه . فقال ظالم بن سراقة فقال تظلم أنت ويسرق أبوك ولم يسعن به فى شيء . وأقبل رجل الى عمر بن الخطاب فقال له عمر ما اسمك . فقال شهاب بن حرقة . قال ممن قال من أهل حرة النار . قال وأين مسكنك . قال بذات لظى . قال اذهب فان أهلك قد احترقوا فكان كما قال عمر رضى الله عنه . ولقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسروق بن الاجدع فقال له : من أنت . قال مسروق بن الاجدع . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الاجدع شيطان » وروى سفيان عن هشام الدستوائى عن يحيى ابن أبى كثير قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمرائه « لا تبردوا بريدا الا حسن الوجه حسن الاسم » ولما فرغ المهلب بن أبى صفرة من حرب الازارقة وجه بالفتح الى الحجاج رجلا يقال له مالك ابن بشير . فلما دخل على الحجاج . قال له ما اسمك . قال مالك بن بشير . قال ملك وبشارة . وقال الشاعر :

واذا تكون كريهة فرجتها * أدعو بأسلم مرة ورباح

يريد التطير باسلم ورباح للسلامة والربح . الرياشى عن الاصمعى قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على رجل من الانصار . فصاح الرجل بغلاميه ياسالم ويايسار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار فى يسر . وقال سعيد بن المسيب بن حزن ابن أبى وهب المخزومى قدم جدى حزن بن أبى وهب على النبى صلى الله عليه وسلم . فقال له : كيف اسمك قال حزن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل سهل . قال ما كنت لادع اسما سمتنى به أمى . قال سعيد : فانا لنجد تلك الحزونة فى أخلاقنا الى اليوم . وانما تطيرت العرب من الغراب للغربة اذ كان اسمه مشتقا منها . وقال أبو الشيص :

أشاقك والليل ملقى الجران * غراب ينوح على غصن بان

وفى نعبات الغراب اغتراب * وفى البان بين بعيد التدانى

ولآخر فى السفرجل :

أهدى اليه سفرجلا فتطيرا * منه فظل مفكرا مستعبرا

خوف الفراق لان شطر هجائه * سفر وحق له بأن يتطيرا

ولآخر فى السوسن :

ياذا الذى أهدى لنا السوسنا * ما كنت فى اهدائه محسنا

شطر اسمه سوء فقد سؤتنى * ياليت انى لم أر السوسنا

ولآخر فى الاترج :

أهدى اليه حبيبه أترجة * فبكى وأشفق من عيافة زاجر

خاف التبدل والتلون انها * لونان باطنها خلاف الظاهر

وقال الطائى فى الحمام :

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وكان أشعب يختلف الى قينة بالمدينة . فلما أراد الخروج سألها أن تعطيه خاتم ذهب فى يدها ليذ كرها به . قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن هذا العود فلعلك أن تعود

٣٣ — باب الطيرة — قال النبى صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يارسول الله قال : اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ » وقال أبو حاتم ـ السانح ماولاك ميامنه ـ والبارح ماولاك مياسره ـ والخائد ما استقبلك من تجاهك ـ والقعيد الذى يأتيك من خلفك . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا عدوى ولا طيرة » وقال « ليس منا من تطير » وقال « اذا رأى أحدكم الطيرة فقال اللهم لا طير الا طيرك ، ولا خير الا خيرك ، ولا اله غيرك لم تضره » وقد كانت العرب فتطير و يأتى ذلك فى أشعارهم . وقال بعضهم :

وما صدقتك الطير يوم لقيتنا * وما كان من دلاك فينا بخابر

وقال حسان رضى الله تعالى عنه :

ياليت شعرى وليت الطير تخبرنى * ما كان بين علىّ وابن عفانا

لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر ياثارات عثمانا

وقال الحسن بن هانیء :

قام الامين بأمر الله فى البشر * واستقبل الملك فى مستقبل الثمر
فالطير تخبرنا والطير صادقة * عن طيب عيش وعن طول من العمر

وقال الشيبانى : لما قدم قتيبة بن مسلم واليا على خراسان قام خطيبا فسقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان . فقال : أيها الناس ليس كما ظننتم ولكنه كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

٣٤ — اتخاذ الاخوان وما يجب لهم — روى الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير أن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام يابنى لا تستقل عدوا واحدا ولا تستكثر ألف صديق ، ولا تستبدل بأخ قديم أخا مستحدثا ما استقام لك . وفى الحديث المرفوع «المرء كثير باخيه» وقال شبيب بن شيبة : اخوان الصفا خير من مكاسب الدنيا ، هم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ، ومعونة على الاعداء ، وأنشد ابن الاعرابى :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكنّ اخوان الصفاء الذخائر

وقال الاحنف بن قيس : خير الاخوان ما ان استغنيت عنه لم يزدك ، فى المودة وان احتجت اليه لم ينقصك منها ، وان كوثرت عضدك ، وان استرفدت رفدك ، وأنشد :

أخوك الذى ان تدعه لملمة * يجبك وان تغضب الى السيف يغضب

ولآخر :

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازى بغير جناح

ومما يجب للصديق على الصديق النصيحة جهده . فقد قالوا صديق الرجل مرآته يريه حسناته وسيآته . وقالوا : الصديق من صدقك وده ، و بذل لك رفده . وقالوا : خير الاخوان من أقبل عليك اذا أدبر الزمان عنك . وقال الشاعر :

* فان أولى الموالى من تواليه * عند السرور لمن واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ولآخر : الصبر من كرم الطبيعة * والمن مفسدة الصنيعة
ترك التعهد للصديـ * ـق يكون داعية القطيعه

أنشد محمد بن يزيد المبرد لعبد الصمد بن المعذل فى ابراهيم بن الحسن :

يامن فدت نفسه نفسى ومن جعلت * له وقاء لما يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وان شط المزار به * انى وان كنت لا القاه ألقاه
وان طرفى موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم أنى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن * وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفنى ولا تفنى مكارمه * والقطر يحصى ولا تحصى عطاياه

وقيل لبعض الولاة كم صديقا لك . قال لا أدرى الدنيا مقبلة علىّ والناس كلهم أصدقائى . وانما أعرف ذلك اذا أدبرت عنى . ولما صارت الخلافة الى المنصور كتب اليه رجل من اخوانه كتابا فيه هذه الابيات :

انا بطانتك الالى * كنا نكابد ما تكابد * ونرى فنعرف بالعدا
وة والبعاد لمن تباعد * ونبيت عن شفق عليـ * ـك ربيئة والليل هاجد

فلما وصلت الابيات الى أبى جعفر وقع على كل بيت منها صدقت ودعا به فألحقه باخوانه

٣٥ ـ معاتبة الصديق واستبقاء مودته ـ قالت الحكماء : مما يجب للصديق على الصديق الاغضاء عن زلاته ، والتجاوز عن سيآته ، فان رجع وأعتب والا عاتبته بلا اكثار . فان كثرة العتاب مدرجة للقطيعة . وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : لا تقطع أخاك على ارتياب ، ولا تهجره دون استعتاب . وقال أبو الدرداء : من لك بأخيك كله . وقالوا أى الرجال المهذب . وقال بشار العقيلى :

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقالوا معاتبة الاخ خير من فقده . وقال الشاعر :

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ولاحمد بن أبان :

اذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ * وكنت أجازيه فأين التفاضل
ولكن أداويه فان صح سرنى * وان هو أعيا كان فيه تحامل

وقال الاحنف : من حق الصديق أن يتحمل ثلاثا ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة . لعبد

الله بن معاوية :

ولست ببادى صاحبي بقطيعة * ولست بمفش سره حين يغضب
عليك باخوان الثقاة فانهم * قليل فصلهم دون من كنت تصحب
وما الخدن الامن صفالك وده * ومن هوذ ونصح وأنت مغيب

٣٦— فضل الصداقة على القرابة — قيل لبزرجمهر :من أحب اليك أخوك أو صديقك . فقال ما أحب أخى الا اذا كان لى صديقا . وقال أكثم بن صيفى : القرابة تحتاج الى مودة والمودة لاتحتاج الى قرابة . وقال عبد الله بن عباس: القرابة تقطع والمعروف يكفر . وما رأيت كتقارب القلوب . وقالوا: اياكم ومن تكرهه قلوبكم فان القلوب تجازى القلوب . وقال عبدالله بن طاهر الخراسانى :

أميل مع الرفاق على ابن أمى * وأحمل للصديق على الشقيق
وان ألفيتنى ملكا مطاعا * فانك واجدى عبد الصديق
أفرق بين معروفى و بينى * وأجمع بين مالى والحقوق

وقال حبيب الطائى :

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم * ووصفت ماوصفوا من الاسباب
فاذا القرابة لاتقرب قاطعا * واذا المودة أقرب الانساب

وللمبرد . ما القرب الا لمن صحت مودته * ولم يخنك وليس القرب للنسب
كم من قريب دوى الصدر مضطغن * ومن بعيد سليم غير مقترب

وقالت الحكماء : رب أخ لك لم تلده أمك . وقالوا :القريب من قرب نفعه . وقالوا: رب بعيد أقرب من قريب . وقال آخر:

رب بعيد ناصح الجيب * وابن أب متهم المغيب

وقال آخر: أخو ثقة يسر ببعض شانى * وان لم تدنه منى قرابه
أحب الى من ألفى قريب * تبيت صدورهم لى مسترابه

وقال آخر: فصل حبال البعيد ان وصل الحبل وأقص القريب ان قطعه
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
فارض من الدهر ماأتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

وقال: لكل ضيق من الهموم سعه * والليل والصبح لا بقاء معه

لا تحقرن الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

وقال ابن هرمة :

لله درك منى فتى فجعت به * يوم البقيع حوادث الايام

هش اذا نزل الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام

واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

٣٧ — التحبب الى الناس — فى الحديث المرفوع « أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا الناس » وفيه أيضا « اذا أحب الله عبدا حببه الى الناس » ومن قولنا فى هذا المعنى :

وجه عليه من الحياء سكينة * ومحبة تجرى مع الانفاس

واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبى وقاص ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس . واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك وقال أبو دهمان لسعيد بن مسلم و وقف الى بابه فحجبه حينا . ثم أذن له فمثل بين يديه وقال : ان هذا الامر الذى صار اليك وفى يديك ، قد كان فى يدى غيرك فامسى والله حديثا ، ان خيرا فخير وان شرا فشر . فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فان حب عباد الله موصول بحب الله و بغضهم موصول ببغض الله ، لانهم شهداء الله على خلقه ، و رقباؤه على من اعوج عن سبيله . وقال الجارود . سوء الخلق يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل . وقيل لمعاوية من أحب الناس اليك . قال من كانت له عندى يد صالحة . قيل له . ثم من . قال من كانت لى عنده يد صالحة . وقال محمد بن يزيد النحوى أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة فوسع لى وكرهت ان أضيق عليه فانقبضت فاخذ بعضدى وقربنى الى نفسه . وقال انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الدنيا متباغضين . ومن قولنا فى هذا المعنى :

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فاطيب العيش وصل بين الفين

واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا باثنين

٣٨ — صفة المحبة — أبو بكر الوراق قال: سال المأمون عبدالله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ماهو فقال ياأمير المؤمنين اذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الاعضاء ، فتحرك لاشراقها طبائع الحياة ، فيصور من ذلك خلق حاصر للنفس ، متصل بخواطرها يسمى الحب . وسئل حماد الرواية عن الحب ماهو . قال الحب شجرة أصلها الفكر ، وعروقها الذكر ، وأغصانها السهر ، وأوراقها الاسقام ، وثمرتها المنية ، وقال معاذ بن سهل: الحب أصعب ماركب ، وأسكر ماشرب ، وأفظع مالقى وأحلى مااشتهى ، وأوجع مابطن ، وأشهى ماعلن ، وهو كما قال الشاعر:

وللحب آفات اذا هى صرحت * تبدت علامات لها غرر صفر
فباطنه سقم وظاهره جوى * وأوله ذكر وآخره فكر

وقالوا : لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك سرفا ، وقال بشار العقيلي:

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

وقال غيره :

أحبك حبا لوتحبين مثله * أصابك من وجد على جنون
لطيفا مع الاحشاء أمانهاره * فدمع وأما ليله فانين

٣٩ — مواصلتك لمن كان يواصل أباك — من حديث ابن أبى شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم « لاتقطع من كان يواصل أباك تطفىء بذلك نوره فان ودك ود أبيك » وقال عبدالله بن مسعود: من برالحى بالميت أن يصل من كان يصل أباه . وقال أبو بكر : الحب والبغض يتوارثان . ومن أمثالهم فى هذا المعنى : لاتقتنى من كلب سوء جروا . وقال الشاعر :

ترجو الوليد وقد أعياك والده * ومارجاؤك بعد الوالد الولدا

واجتمع عند ملك من ملوك العرب تميم بن مرة . و بكر بن وائل . فوقعت بينهما منازعة ومفاخرة فقالا أيها الملك اعطنا سيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم أينا أجلد . فامر الملك فنحت لهما سيفان من عود فاعطاهما فجعلا يضطربان مليا من النهار . فقال بكر بن وائل :

* لوكان سيفانا حديدا قطعا * قال تميم ابن مرة * أونحتا من جندل تصدعا * وحال الملك بينهما . فقال تميم بن مرة لبكر بن وائل :

* أساجلك العـداوة ما بقينا * فقال له بكر * وان متنا نورثها البنينا * فيقال ان عداوة بكر وتميم من أجـل ذلك الى اليوم . أبوزيد قال أبوعبيـدة : بنى دكان بسجستان بنته بكر بن وائل . فهدمته تميم . ثم بنته تميم فهدمته بكر . فتواقعوا فى ذلك أربعة وعشرين وقيعة . فقال ابن حلزة اليشكرى فى ذلك :

قربى ياخـلى ويحـك درعى * لقحت حربنا وحرب تمـيم
اخـوة فرشـوا الذنوب علينا * فى حديث من دهرهم وقديم
طلبوا صلحنا ولات أوان * ان مايطلبون فوق النجوم

٤٠ — الحسد — قال على رضى الله عنه لا راحة لحسود ، ولا اخاء لملول ، ولا محب لسيء الخلق ، وقال الحسن : مارأيت ظالما أشـبه بمظلوم من حاسد نفس دائم ، وحزن لازم ، وغم لا ينفد . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « كاد الحسد يغلب القدر » وقال معاوية : كل الناس أقدر أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها . وقال الشاعر :

كل العـداوة قد ترجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وقال عبد الله بن مسـعود : لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادى نعم الله . قال الذين يحسـدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . يقول الله فى بعض الكتب : الحسود عدو نعمتى ، متسخط لقضائى ، غير راض بقسمتى ، ويقال : الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء . وأول ذنب عصى الله به فى الارض . فاما فى السماء فحسد ابليس لآدم . وأما فى الارض . فحسد قابيل هابيل . ولابى العتاهية :

يارب ان النـاس لا ينصفوننى * وكيف ولو أنصفتهـم ظلمونى
وان كان لى شيء تصدوا لاخـذه * وان جئت أبغى منهـم منعونى
وان نالهـم بذلى فلا شكر عندهم * وان أنا لم أبذل لهـم شتمونى
وان طرقتنى نقمة فرحوا بها * وان صحبتنى نعمة حسدونى
سأمنع قلـبى أن يحن اليهـم * وأحجب عنهم ناظرى وجفونى

أبوعبيدة معمر بن المثنى قال : مر قيس بن زهير ببلاد غطفان . فرأى ثروة وعددا . فـكره ذلك فقيل له أيسوءك مايسر الناس . قال انك لا تدرى أن مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل وان مع القـلة التحاشد والتناصر . قال وكان يقال ما أرى قوم قط الا تحاسدوا وتجادلوا . وقال

بعض الحكماء: ألزم الناس كآبة أربعة رجل حديد ، ورجل حسود، وخليط الادباء ، وهو غير أديب ، وحكيم محتقر لدى الاقوام . على بن بشر المروزى قال : كتب الى ابن المبارك هذه الابيات:

كل العداوة قد ترجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد
فان فى القلب منها عقدة عقدت * وليس يفتحها راق الى الابد
الا الاله فان يرحم يحللها * وان أباه فلا ترجوه من أحد

سئل بعض الحكماء : أى أعدائك تحب أن يعود لك صديقا . قال : الحاسد الذى لا يرده الا زوال نعمتى . وقال سليمان التيمى: الحسد يضعف اليقين، ويسهر العين، ويكثر الهم . الاحنف ابن قيس : صلى على حارثة بن قدامة السعدى . فقال : رحمك الله كنت لا تحسد غنيا ولا تحقر فقيرا . وكان يقال : لا يوجد الحر حريصا ،ولا الكريم حسودا ،وقال بعض الحكماء ، جهد البلاء أن تظهر الخلة ، وتطول المدة ، وتعجز الحيلة ، ثم لا يعدم صديقا موليا ، وابن عم شامتا ، وجارا حاسدا ، ووليا قد تحول عدوا ، وزوجة مختلفة ، وجارية مستعتبة ، وعبدا يحقرك ، وولدا ينتهرك ، فانظر أين موضع جهدك فى الهرب . لرجل من قريش:

حسدوا النعمة لما ظهرت * فرموها بأباطيل الكلم
واذا ما الله أسدى نعمة * لم يضرها قول أعداء النعم

وقيل : اذا سرك أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمرك . وكانت عائشة رضى الله عنها تمثل بهذين البيتين :

اذا ما الدهر جر على أناس * حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

ولبعضهم :

اياك والحسد الذى هو آفة * فتوقه وتوق غرة من حسد
ان الحسود اذا أراك مودة * بالقول فهو لك العدو المجتهد

لليث بن سعد قال : بلغنى أن ابليس لقى نوحا صلى الله عليه وسلم . فقال له ابليس : اتق الحسد والشح فانى حسدت آدم فخرجت من الجنة . وشح آدم على شجرة واحدة منع منها حتى خرج من الجنة . وقال الحسن : أصول الشر وفروعه ستة فالاصول الثلاثة الحسد ، والحرص ، وحب الدنيا . والفروع كذلك حب الرياسة ، وحب الثناء ، وحب الفخر ،

وقال الحسن: يحسد أحدهم أخاه حتى يقع فى سريرته، وما يعرف علانيته، ويلومه على مالا يعلمه منه، ويتعلم منه فى الصداقة ما يعيره به اذا كانت العداوة ، والله ما أرى هذا بمسلم . ابن أبى الدنيا قال : بلغنى عن عمر بن ذر أنه قال : اللهم من أرادنا بشر فا كفناه باى حكمتك شئت امابتوبة واما براحة . قال ابن عباس : ماحسدت أحدا ماحسدت على هاتين . وقال ابن عباس : لا تحقرن كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر . فانما مثله كما قال الاول رب رمية من غير رام . وقال بعض الحكماء : ما أحق للايمان ولا أهتك للستر من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله ، باغ على عباده ، عات على ربه، يعتد نعم الله نقما ، ومزيده غيرا ، وعدل قضائه حيفا ، للناس حال وله حال ، ليس يهدأ ليلة ، ولا ينام جشعة ، ولا ينفعه عيشة ، محتقر لنعم الله عليه ، متسخط ماجرت به أقداره ، ولا يبرد غليله ، ولا تؤمن غوائله . ان سالمته وترك ، وان واصلته قطعك ، وان صرمته سبقك . ذكر حاسد عند بعض الحكماء فقال: ياعجباه لرجل أسلكه الشيطان مهاوى الضلالة، وأورده قحم الهلكة ، فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد ، ان أنالها من أحب من عباده ، أشعر قلبه الاسف على مالم يقدر له ، وأغاره الكلف بما لم يكن لينالة . أنشدنى فتى بالرملة :

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
النار تأكل بعضها * ان لم تجد ماتأكله

وقال بعض أهل التفسير : فى قوله تعالى «ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين» انه أراد بالذى من الجن ابليس والذى من الانس قابيل وذلك أن ابليس أول من سن الكفر . وقابيل أول من سن القتل . وانما كان أصل ذلك كله الحسد . وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : انه ليس من أحد الا وهو يعرف عيب نفسه فصف لى عيوبك . قال اعفنى ياأمير المؤمنين : قال لست أفعل . قال أنا لحوح حقود حسود : قال مافى ابليس شئ من هذا . وقال المنصور لسليمان بن معاوية المهلبى ماأسرع الناس الى قومك . فقال ياأمير المؤمنين :

ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا

وأنشد أبو موسى لنصر بن سيار :

انى نشأت وحسادى ذوو عدد * ياذا المعارج لا تنقص لهم عددا

ان يحسدونى على حسن البلاء بهم * فمثل حسن بلائى جرلى حسدا

وقال آخر :

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر :

ان الغراب وكان يمشى مشية * فيامضى من سالف الاحوال

حسد القطاة فرام يمشى مشيها * فأصابه ضرب من العقال

وقال حبيب الطائى :

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال محمد بن مناذر :

ياأيها العائبى ومابى من * عيب ألا ترعوى وتزدجر

هل لك عندى وتر فتطلبه * أم أنت مما أتيت معتذر

ان يك قسم الاله فضلنى * وأنت صلد مافيك معتصر

فالحمد والشكر والثناء له * وللحسود التراب والحجر

فما الذى يجتنى جليسك أو * يبدو له منك حين يختبر

اقرأ لنا سورة تذكرنا * فان خير المواعظ السور

أوصف لنا الحكم فى فرائضنا * ماتستحق الانثى أو الذكر

أواروفقها تحيا القلوب به * جاء به عن نبينا الاثر

أو من أعاجيب جاهليتنا * فانها حكمة ومعتبر

أوارو عن فارس لنا مثلا * فان أمثالها لنا عبر

فان تكن قد جهلت ذاك وذا * ففيك للناظرين معتبر

فغن صوتا تشجى القلوب به * وبعض ماقد أتيت يغتفر

الاصمعى قال : كان رجل من أهل البصرة بذياشريرا يؤذى جيرانه ويشتم أعراضهم . فاتاه رجل فوعظه . فقال له : مابال جيرانك يشكونك . قال : انهم يحسدونى . قال له: على أى شىء

يحسدونك . قال: على الصلب قال وكيف ذاك . قال: اقبل معي فاقبل معه الى جيرانه فقعد متحازنا . فقالواله: مالك قال طرق الليلة كتاب معاوية أن أصلب أناومالك بن المنذر وفلان وفلان . فذكر رجالا من أشراف أهل البصرة فوثبوا عليه . وقالوا : ياعدوالله أنت تصلب مع هؤلاء ولا كرامة لك . فالتفت الى الرجل . فقال أما تراهم قد حسدوني على الصلب . فكيف لو كان خيرا . وقيل لابي عاصم النبيل : ان يحيي بن سعيد يحسدك ورعاقرظك . فانشأ يقول :

فلست بحي ولا ميت * اذا لم تعادولم تحسد

٤١ — محاسدة الاقارب — كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الاشعري من ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . وقال أكثم بن صيفي : تباعدوا في الدار تقاربوا في المودة . وقالوا : أزهد الناس في عالم أهله . فرج بن سلام قال : وقف أمية بن أبي الاشكر على ابن عم له فقال :

نشدتك بالبيت الذي طاف حوله * رجال بنوه من لؤي بن غالب

فانك قد جربتني فوجدتني * أعينك في الجلي وأكفيك جانبي

وان دب من قوم اليك عداوة * عقاربهم دبت اليك عقاربي

قال نعم كذلك أنت . قال: فمابال مثيرك لايزال الى دسيسا . قال لا أعود . قال قد رضيت وعفا الله عما سلف . وقال يحيي بن سعيد : من أراد أن يبين عمله، و يظهر علمه، فليجلس في غير مجلس رهطه . وقالوا : الاقارب هم العقارب . وقيل لعطاء بن مصعب : كيف غلبت على البرامكة وكان عندهم من هو آدب منك . قال : كنت بعيد الدار منهم ، غريب الاسم ، عظيم الكبر ، صغير الجرم ، كثير الالتواء ، فقربني اليهم تبعدي منهم ، ورغبهم في رغبتي عنهم ، وليس للقرباء ظرافة الغرباء . وقال رجل لخالد بن صفوان : اني أحبك . قال وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم يريد ان الحسد موكل بالادنى فالادنى . الشيباني قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزها بالانبار فامعن في نزهته وانتبذ من أصحابه فوافى خباء لاعرابي . فقال له الاعرابي : ممن الرجل . قال من كنانة . قال من أي كنانة . قال من أبغض كنانة الى كنانة قال فانت اذا من قريش . قال نعم : قال فمن أي قريش . قال من أبغض قريش الى قريش قال فانت اذا من ولد عبد المطلب . قال نعم . قال فمن أي ولد عبد المطلب أنت . قال من أبغض ولد عبد المطلب الى ولد عبد المطلب . قال فانت اذا أمير المؤمنين السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة

الله و بركاته فاستحسن مارأى منه وأمر له بجائزة . وقال ذو الاصبع العدوانى :

لى ابن عم على ما كان من خلق * محاسد لى أقليه ويقلينى
ازرى بنا اننا شالت نعامتنا * نخالنى دونه أو خلته دونى
ياعمرو الاتدع شتمى ومنقصتى * اضربك حتى تقول الهامة اسقونى
ماذا على وان كنتم ذوى رحمى * أن لاأحبكم ان لم تحبونى *
لاأسأل الناس عما فى ضمائرهم * مافى ضميرى لهم من ذاك يكفيى

وقال آخر :

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا * لاتنبشوا بيننا ما كان مدفوفا
لاتجمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم انا لانحبكم * ولا نلومكم ان لم تحبونا

وقال آخر :

ان النفوس لاجناد مجندة * بالاذن من ربنا تجرى وتختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

وقال أيضا :

ذوالود منى وذوالقربى بمنزلة * واخوتى اسوة عندى واخوانى
عصابة جاورت آدابهم أدبى * فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى

وقال أيضا :

ان نفترق نسبا يؤلف بيننا * أدب أقمناه مقام الوالد
أو نختلف فالوصل مناماؤه * عذب تحدر من غمام واحد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الانفس أجناد مجندة وانها لتتسام فى الهوى كما تتسام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وقال صلى الله عليه وسلم « الصاحب رقعة فى الثوب فلينظر الانسان بم يرقع ثوبه » وقال عليه الصلاة والسلام « امتحنوا الناس باخوانهم » وقال الشاعر :

فاعتبروا الارض بسكانها * واعتبروا الصاحب بالصاحب

وقالوا كل إلف الى الفه ينزع . وقال الشاعر :

والالف ينزع نحوالا لفين كما * طـير السماء على آلافها تقع

وقال امرؤالقيس:

أجارتنا انا غـريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وقال آخر:

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسـل عن قرينـه * فكل قـرين بالمقارن يقتـدى

وقال آخر:

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين * فالمرء منسـوب الى القـرين

أيوب بن سليمان قال: حدثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم. قال: بينما سليمان بن داود عليهـما السلام تحمله الريح اذ مر بنسر واقع على قصر. فقال له: كم لك مذ وقعت ههنا. قال سبعمائة سنة. قال فمن بنى هـذا القصر. قال لا أدرى هكذا وجـدته. ثم نظر فاذا فيه كتاب منقور بابيات من شعر وهى:

خرجنا من قرى اصطخر * الى القصر فقلناه * فمن يسأل عن القصر * فبنيا وجـدناه فلا تصحب أخا السو * ء واياك واياه * فكم من جاهل أردى * حكيما حين آخاه يقاس المـرء بالمـرء * اذا ما المرء ماشاه * وفى الناس من الناس * مقاييس وأشباه

وفى العين غنى للعيـ * ـن ان تنطق أفواه

٤٢ — السعاية والبغى — قال الله تعالى ذكره «يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم» وقال عز وجل «ثم بغى عليه لينصرنه الله» وقال الشاعر:

فلا تسعى على أحد ببغى * فان البغى مصرعه وخيم

وقال العتابى:

بغيت فـلم تقع الا صريعا * كذاك البغى يصرع كل باغ

وقال المامون يوما لبعض ولده: اياك أن تصغى لاستماع قول السعاة فانه ما سعى رجل برجل الا انحط من قدره عنـدى ما لا يتلافاه أبدا. ووقع فى رقعـة ساع سننظر أصـدقت أم كنت من الكاذبين. ووقع فى رقعة رجل سعى اليه ببعض عماله قد سمعنا ما ذكره الله عز وجل فى كتابه فانصرف رحمك الله. فكان اذا ذكر عنـده السعاة. قال ما ظنكم بقوم يلعنهـم الله على الصدق

وسعى رجل الى بلال بن أبى بردة . فقال له : انصرف حتى أكشف عما ذكرت . ثم كشف عن ذلك فاذا هو لغير رشدة . فقال أنا أبو عمرو ما كذبت ولا كذبت حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الساعى لغير رشدة» وسأل رجل عبد الملك الخلوة . فقال : لاصحابه اذا شئتم فقوموا فلما تهيأ الرجل للكلام . قال له : اياك أن تمدحنى فانا أعلم بنفسى منك أو تكذبنى فانه لا رأى لكذوب أو تسعى الى باحد وان شئت أقلتك قال أقلنى . ودخل رجل على الوليد بن عبد الملك وهو والى دمشق لابيه . فقال : للامير عندى نصيحة . فقال ان كانت لنا فاذكرها ، وان كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها . قال جار لى عصى وفر من بعثه . قال أما أنت فتخبر انك جار سوء وان شئت أرسلنا معك . فان كنت صادقا أقصيناك ، وان كنت كاذبا عاقبناك ، وان شئت تاركناك ، قال تاركنى . وفى سير العجم : أن رجلا وشى برجل الى الاسكندر . فقال أتحب أن نقبل منه عليك ومنك عليه . قال لا . قال فكف الشر يكف عنك الشر . وقال الشاعر :

اذا الواشى بغى يوما صديقا * فلا تدع الصديق لقول واش

وقال ذو الرياستين : قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شىء كمن قبله وأجازه . ذكر السعادة عند المامون . فقال : لو لم يكن فى عيبهم الا أنهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكونون الى الله تعالى . وعاتب مصعب بن الزبير الاحنف فى شىء فانكره فقال : أخبرنى الثقة قال كلا ان الثقة لا يبلغ وقد جعل الله السامع شريك القائل . فقال « سماعون للكذب أكالون للسحت » وقال حسبك من شر سماعه . وقال الشاعر :

لعمرك ماسب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

وقال آخر :

لا تقبلن نميمة بلغتها * وتحفظن من الذى أنباكها
لا تنقشن برجل غيرك شوكة * فتقى برجلك رجل من قد شاكها
ان الذى أنباك عنه نميمة * سيدب عنك بمثلها قد حاكها

وقال دعبل :

وقد قطع الواشون ما كان بيننا * ونحن الى أن نوصل الحبل أحوج
رأوا عورة فاستقبلوها بالهم * فلم ينههم حلم ولم يتحرجوا
وكانوا اناسا كنت آمن غيبهم * فراحوا على مالا يحب فادلجوا

٤٣ — الغيبة — قال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا قلت فى الرجل مافيه فقد اغتبته واذا قلت ماليس فيه فقد بهته » ومر محمد بن سيرين بقوم . فقام اليه رجل منهم فقال: أبابكر انا قد نلنا منك فحللنا . فقال انى لا أحل ماحرم الله . وكان رقية بن مصقلة جالسامع أصحابه فذكروا رجلا بشىء فاطلع ذلك الرجل . فقال بعض أصحابه الا أخبره بما قلنا فيه لئلا يكون غيبة . قال أخبره حتى يكون نميمة . اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم . فقال له أمسك عليك أيها الرجل . فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظتها الكرام . محمد بن مسلم الطائفى قال: جاء رجل الى ابن سيرين . فقال بلغنى أنك نلت منى . قال نفسى أعز من ذلك . وقال لبكر بن محمد بن عصمة بلغنى أنك تقع فى قال أنت اذا على أكرم من نفسى . ووقع رجل فى طلحة والزبير عند سعد بن أبى وقاص . فقال له اسكت فان الذى بيننا لم يبلغ ديننا . وعاب رجل رجلا عند بعض الاشراف . فقال له قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس لان طالب العيوب انما يطلبها بقدر مافيه منها أماسمعت قول الشاعر :

لاتهتكن من مساوى الناس ماستروا * فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن مافيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقال آخر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عارعليك اذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فان انتهت عنه فأنت حكيم

وقال محمد بن السماك : تجنب القول فى أخيك لخلتين اما واحدة فلعلك تعيبه بشىء هو فيك . واما الاخرى فان يكن الله عافاك مما ابتلاه كان شكرك الله فيه على العافية تعيير الاخيك على البلاء وقيل لبعض الحكماء: فلان يعيبك . قال انما يقرض الدرهم الوازن . وقيل لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك أيوب السختيانى حتى رحمناك . قال اياه فارحموا . وقال ابن عباس : اذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به ودع منه ماتحب أن يدع منك . وقدم العلاء بن الحضرمى على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له هل تروى من الشعر شيأ قال نعم . قال فانشدنى فانشده :

تحبب ذوى الاضغان تسب نفوسهم * تحببك القربى فقد ترقع النعل
وان حسدوا بالكفر فاعف تكرما * وان غيبوا عنك الحديث فلا تسل
فان الذى يؤذيك منه سماعه * وان الذى قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي عليه السلام ان من الشعر لحكمة . وقال الحسن البصري: لا غيبة فى ثلاثة فاسق مجاهر، وامام جائر، وصاحب بدعة لم يدع بدعته. وكتب الكسائي الى الرقاشي:

تركت المسجد الجامع والترك له ريبه * فلا نافلة تقضى * ولا تقضى لمكتوبه
واخبارك تأتينا * على الاعلام منصوبه * فان زدت من الغيبة زدناك من الغيبه

٤٤ — مداراة أهل الشر — قال النبي عليه الصلاة والسلام « شر الناس من اتقاه الناس لشره » وقال عليه الصلاة والسلام « اذا لقيت اللئيم فخالفه واذا لقيت الكريم فخالطه » وقال أبو الدرداء انا لنكشر فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم . وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان . فقال: ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية . وقال الاحنف: رب رجل لا تغيب فوائده وان غاب وآخر لا يسلم منه جليسه وان احترس . وقال كثير بن هراسة ان من الناس ناسا ينتقصونك اذا زدتهم، وتهون عندهم اذا خاصصتهم، ليس لرضاهم موضع تعرفه، ولا لسخطهم موضع تحذره، فاذا عرفت أولئك باعيانهم فابذل لهم موضع المودة، واحرمهم موضع الخاصة، يكن ما بذلت لهم من المودة حائلا دون شرهم، وما حرمتهم من الخاصة قاطعا لحرمتهم، وأنشد العتبي:

لى صديق يرى حقوقى عليه * نافلات وحقه الدهر فرضا
لو قطعت البلاد طولا اليه * ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما فعلت غير كثير * واشتهى أن يزيد فى الارض أرضا

وفى هذه الطبقة من الناس من يقول فيه دعبل الخزاعى :

اسقهم السم ان ظفرت بهم * وامزج لهم من لسانك العسلا

كتب سهل بن هرون الى موسى بن عمران فى أبى هذيل العلاف:

ان الضمير اذا سألتك حاجة * لابى الهذيل أخاف ما أبدى
حتى اذا طالت شقاوته * وعناؤه فاجبه بالرد

وقال صالح بن عبد القدوس :

تجنب صديق السوء واصرم حباله * وان لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف من غير أهله * يجده وراء البحر أو فى قراره
ولله فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وقال آخر :

بلاء ليس يشبهه بلاء * عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه * ليرتع منك فى عرض مصون

عرض على أبى مسلم صاحب الدعوة فرس جواد . فقال لقواده لماذا يصلح مثل هذا الفرس قالوا انا نغزو عليه العدو . قال لا ولكن يركبه الرجل فيهرب عليه من جار السوء

٤٥ — ذم الزمان — قالت الحكماء: جبل الناس على ذم زمانهم وقلة الرضا عن أهل عصرهم . فمنه قولهم رضا الناس غاية لا تدرك . وقولهم لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة وقولهم الناس يعيرون ولا يغفرون والله يغفر ولا يعير . وفى الحديث : لو أن المؤمن كالقدح لقال الناس ليس ولولا . وقال الشاعر :

من لابس الناس لم يسلم من الناس * وضرسوه بانياب وأضراس

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها قالت رحم الله لبيدا كان يقول :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * و بقيت فى خلف كجلد الاجرب

فكيف لو أبصر زماننا هذا لقد كان بعضهم يقول ذهب الناس وبقى النسناس فكيف لو أدرك زماننا هذا . قال عروة : ونحن نقول رحم الله عائشة فكيف لو أدركت زماننا هذا . دخل مسلم بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن هرون . فقال له عبد الملك أى زمان أدركت أفضل، وأى الملوك أكمل . قال أما الملوك فلم أر الا حامدا أو ذاما . وأما الزمان فيرفع أقواما و يضع أقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ، و يفرق عديدهم ، و يهرم صغيرهم ، و يهلك كبيرهم وقال الشاعر :

أيا دهر ان كنت عاديتنا * فما قد صنعت بنا ما كفاكا
جعلت الشرار علينا خيارا * ووليتنا بعد وجه قفاكا

وقال آخر :

اذا كان الزمان زمان يتم * وعكل فالسلام على الزمان
زمان صار فيه الصدر عجزا * وصار الزج قدام السنان
لعل زماننا سيعود يوما * كما عاد الزمان على بطان

أبو جعفر الشيبانى قال : أتانا يوما أبو مياس الشاعر ونحن فى جماعة . فقال : ما أنتم وما

تتذاكرون قلنا نذكر الزمان وفساده . قال : كلا انما الزمان وعاء وما ألقى فيه من خير أو شر كان على حاله . ثم أنشأ يقول :

أرى حللا تصان على أناس * وأخلاقا تداس فما تصان
يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

أنشد فرج بن سلام :

هذا الزمان الذى كانا نحذره * فيما يحدث كعب وابن مسعود
ان دام ذا الدهر لم نحزن على أحد * يموت منا ولم نفرح بمولود

وقال حبيب الطائى :

لم أبك فى زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر فى طاهر بن الحسين :

اذا كانت الدنيا تنال بطاهر * تجنبت منها كل ما فيه طاهر
وأعرضت عنها عفة وتكرما * وارجأتها حتى تدور الدوائر

وقال مؤمن بن سعيد فى معقل الضبى وابن أخيه عثمان :

لقد ذلت الدنيا وقد ذل أهلها * وقد ملها أهل الندى والتفضل
اذا كانت الدنيا تجود بخيرها * الى مثل عثمان ومثل المحول
ففى است أم دنيانا وفى است أم خيرها * وفى است أم عثمان وفى است أم معقل

وقال محمد بن مناذر :

ياطالب الاشعار والنحو * هذا زمان فاسد الحشو * نهاره أوحش من ليله
ونشوه من أخبث النشو * فدع طلاب النحو لا تبغه * ولا تقل شعرا ولا تروِ
فما يجوز اليوم الا امرؤ * مستحكم العرف أو الشذو * أو طرمذان قوله كاذب
* لا يفعل الخير ولا يزو *

ومن قولنا فى هذا المعنى :

رجاء دون أقربه السحاب * ووعد مثل ما لمع السراب * ودهر سادت العبدان فيه
وعاثت فى جوانبه الذئاب * وأيام خلت من كل خير * ودنيا قد تدرعها الكلاب
كلاب لو سألتهم ترابا * لقالوا عندنا انقطع التراب

يعاقب من أساء القول فيهم * وان يحسن فليس له ثواب

كتب عمرو بن بحر الجاحظ الى بعض اخوانه فى ذم الزمان بسم الرحمن الرحيم حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة ، واستعمله بالطاعة ، كتبت اليك وحالى حال من كثفت غمومه ، وأشكلت عليه أموره ، واشتبه عليه حال دهره ، ومخرج أمره ، وقل عنده من يثق بوفائه ، أو يحمد مغبة اخائه ، لاستحالة زماننا ، وفساد أيامنا ، ودولة انذالنا ، وقدما كان من قدم الحياء على نفسه ، وحكم الصدق فى قوله ، وآثر الحق فى أموره ، ونبذ المشتبهات عليه من شؤنه ، تمت له السلامة ، وفاز بوفور حظ العافية ، وحمد مغبة مكروه العاقبة ، فنظرنا اذ حال عندنا حكمه ، وتحولت دولته ، فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان ، والصدق آفة على المال ، والقصد فى الطلب بترك استعمال القحة ، واخلاق العرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأى ، اذ صارت الحظوة الباسقة ، والنعمة السابغة ، فى لؤم المشيئة ، وثناء الرزق من جهة محاشاة الرخاء ، وملابسة معرة العار ، ثم نظرنا فى تعقب المتعقب لقولنا ، والكاشر لحجتنا ، فاقمنا له علما واضحا ، وشاهدا قائما ، ومنارا بينا ، اذ وجدنا من فيه السفولية الواضحة ، والمثالب الفاضحة ، والكذب المبرح ، والخلف المصرح ، والجهالة المفرطة ، والركاكة المستخفة ، وضعف اليقين والاستثبات ، وسرعة الغضب والجراءة ، قد استكمل سروره ، واعتدلت أموره ، وفاز بالسهم الاغلب ، والحظ الاوفر ، والقدر الرفيع ، والجواز الطائع ، والامر النافذ ، ان زل قيل حكم ، وان أخطأ قيل أصاب ، وان هذى فى كلامه وهو يقظان ، قيل رؤيا صادقة ، من نسمة مباركة ، فهذه حجتنا والله على من زعم أن الجهل يخفض ، وأن النوك يردى ، وأن الكذب يضر ، وأن الخلف يزرى ، ثم نظرنا فى الوفاء والامانة ، والنبل والبلاغة وحسن المذهب ، وكمال المروأة ، وسعة الصدر ، وقلة الغضب ، وكرم الطبيعة ، والفائق فى سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه ، فوجدنا فلان بن فلان ، ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ، ولا قام له بوظائف فرضه ، ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به ، فهذا دليل أن الطلاح جدى من الصلاح ، وان الفضل قد مضى زمانه ، وعفت آثاره ، وصارت الدائرة عليه ، كما كانت الدائرة على ضده ، ووجدنا العقل يشقى به قرينه ، كما أن الجهل والحمق يحظى به حديثه ، ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومعربا عن الايام حيث يقول :

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل أخى الجهل

وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى هزل
فانى رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

فبقيت أبقاك الله مثل من أصبح على أوفاز ، ومن النقلة على جهاز ، لا يسـوغ له نعمة ، ولا يطعم عينيه غمضة ، فى أهاويل يباكره مكروهها ، ويراوحـه عقابيها ، فلو أن الدعاء أجيب ، والتضرع سمع ، لكانت العدة العظمى ، والرجفة الكبرى ، فليت أى أخى ما استبطئه من النفخة ، ومن فجأة الصيحة ، قضى فحان ، وأذن به فكان ، فوالله ماعذبت أمة برجفة ، ولا ريح ولا سخطة ، عذاب عينى برؤية المغايظة المدمنة ، والاخبار المهلكة ، كان الزمان بوكل بعذابى ، أو ينصب بأيامى ، فما عيش من لا يسر بأخ شفيق ، ولا يصطبح فى أول نهاره الا برؤية من يكرهـه ، ويغمه من تغمه طلعته ، فقـد طالت الغمة ، وواظبت الكربة ، وادلهمت الظلمة ، وخمد السراج ، وتباطأ الانفراج

٤٦ — فساد الاخوان — قال أبو الدرداء: كان الناس ورقا لاشـوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه . وقيل لعروة بن الزبير: ألا تنتقل الى المدينة . قال ما بقى بالمدينة الا حاسد على نعمة أو شامت بمصيبة . الخشنى أنشدنى الرياشى :

اذا ذهب التكرم والوفاء * وباد رجاله وبقى الغثاء * وأسلمنى الزمان الى رجال كامثال الذئاب لها عواء * صديق كلما استغنيت عنهم * وأعداء اذا جهد البلاء
اذا ماجئتهـم يتدافعـونى * كأنى أجرب أعـداه داء
أقول ولا ألام على مقال * على الاخوان كلهم العفاء

وقالت الحكماء : لاشىء أضيع من مودة من لا وفاء له ، واصطناع من لاشكر عنـده ، والكريم يود الكريم عن لقية واحدة ، واللئيم لا يصل أحدا الا عن رغبة أو رهبة . وفى كتاب للهند : ان الرجل السوء لا يتغير عن طبعه ، كما أن الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر الا مرا وسمع رجل أبا العتاهية ينشد :

فارم بطرفك حيث شئـت فلا ترى الا بخيلا

وقال أيضا فى هذا المعنى :

لله در أبيك أى زمان * أصبحت فيه وأى أهل زمان
كل يواريك المودة جاهدا * يعطى ويأخذ منك بالميزان

فاذارأى رجحان حبة خردل * مالت مودته الى الرجحان

وقال : أرى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا

وان كانت حوائجنا اليهم * يقبح حسن أوجههم علينا

فان منع الاشحة ماالديهم * فانا سوف نمنع مالدينا

وقال :

موالينا اذا احتاجوا الينا * وليس لنا احتياج للموالى

للبكرى :

وخليل لم أخنه ساعة * فى دمى كفيه ظلما قد غمس

كان فى سرى وجهرى ثقتى * لست عنه فى مهم أحترس

ستر البغض بالفاظ الهوى * وادعى الود بغش ودلس

ان رآنى قال لى خيرا وان * غبت عنه قال شرا ودحس

ثم لما أمكنته فرصة * حمل السيف على مجرى النفس

* وأراد الروح لكن خانه * قدر أيقظ من كان نعس

وأنشد العتبى :

اذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب من غير جرم عليا

طلبت رضاك فان عزنى * عددتك ميتا وان كنت حيا

فلا تعجبن بما فى يديكا * فاكثر منه الذى فى يديا

وقال ابن أبى حازم :

وصاحب كان لى وكنت له * أشفق من والد على ولد

كنا كساق تسعى بها قدم * أو كذراع نيطت الى عضد

حتى اذا دبت الحوادث فى * عظمى وحل الزمان من عقدى

أحول عنى وكان ينظر من * طرفى ويرمى بساعدى ويدى

وقال :

وخل كان يحفظ لى جناحا * فودعنى فنابذنى جماحا

فقلت له ولى نفس عزوف * اذا حميت تقحمت الرماحا

سأبدل بالمطامع منك ياسا * وباليأس استراح من استراحا

وقال عبدالله بن معاوية بن جعفر :

وأنت أخى مالم تكن لى حاجة * فان عرضت أيقنت ان لا أخاليا

فلا زال مابيني وبينك بعدما * بلوتك فى الحاجات الا تماديا

كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

وقال البحترى :

أشرق أم أغرب ياسعيد * وأنقص من رباعى أو أزيد

غدتنى عن نصيبين الغوادى * فبختى أبله فيها بليد

وخلفني الزمان على رجال * وجوههم وأيديهم حديد

ألا ليت المقادر لم تقدر * ولم تكن العطايا والجدود

لهم حال حسن فهن بيض * وأخلاق سمجن فهن سود

وقال ابن أبى حازم :

وقالوا لو مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم

بليت ومر بى خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم

فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يعود على عديم

وقال :

قد بلوت الناس طرا * لم أجد فى الناس حرا

صار حلو الناس فى العـ * ـين اذا ما ذيق مرا

وقال :

من سلا عنى أطلقـ * ـت حبالى من حباله

أو أحذ الوصل سارعـ * ـت بجهدى فى فصاله

انما أحذو على فعـ * ـل صديقى بمثاله

غير مستحز اذا ازور * وكأنى من عياله

لن يرانى أبدا أعـ * ـظم ذا مال لماله

لا ولا أدري بمن يغـ * ـفل عني سـوء حاله
انما أقضى عـلى ذا * ك وهـذا بفـعاله
كيف مايصرفني الدهـ * ـر فاني من رجاله

ومن قولنا في هذا المعنى :

اباصالح جاءت على الناس غفلة * على غفـلة ماتت بكل كريم
فليت الاولى كانوا يغادون بالاولى * أقامـوا فيفدى ظاعن بمقيم

٤٧ — من قاده الـكبر الى النار — نظر الحسـن الى عبـد الله بن الاهتم يخطر فى المسجد فقال : انظروا الى هذا ليس منه عضو الا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعنة . وقال سعد ابن أبي وقاص لابنه : يابني اياك والـكبر ، وليكنْ فيما تستعين به على تركه ، علمك بالذى منه كنت ، والذى اليه تصير ، وكيف الـكبر مع النطفة التى منها خلقت ، والرحم التى منها قذفت ، والغـذاء الذى به غذيت . وقال يحي بن حيان الشريف اذا تقوى تواضع ، والوضيع اذا تقوى تـكبر . وقال بعض الحكماء : كيف يستقر الـكبر فيمن خلق من تراب ، وطوى على القـذر ، وجرى مجرى البول . وقال الحسن : عجبا لابن آدم كيف يتكبر وفيـه تسع سموم كلها يقذى وذكر الحسن المتكبرين فقال : يكفى أحـدهم ينص نصا بنفض مذرو يه ، و يصرف أصدر يه يملخ فى الباطن ملخا ، يقول ها أناذا فاعرفوني ، قد عرفناك يا أحمق ، مقتك الله ومقتك الصالحون ووقف عيينة بن حصن بباب عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقال استأذنوا لى على أمير المؤمنين وقولوا هذا ابن الاخيار بالباب . فاذن له فلما دخل عليه . قال له أنت ابن الاخيار . قال نعم قال له بل أنت ابن الاشرار . وأما ابن الاخيار فهو يوسف بن يعـقوب بن ابراهيم . وقيل لعبد الله بن ظبيان كثر الله فى العشيرة أمثالك . فقال لقـد سألتم الله شططا . وقيل لرجل من عبد الدار عظيم الـكبر الا تأتى الخليفة . قال أخشى أن لا يحمل الحسن فىَّ . وقيل له ألا تلبس فان البرد شديد قال حسبي يدفيني . وقيل للحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق أيها الامير . قال خير منزل لو أدركت بها أربعة نفر فتقربت الى الله سبحانه وتعالى بدمائهم . قيـل له ومن هم . قال مقاتل بن مسمع ولى سجستان فاتاه الناس فاعطاهم الاموال . فلما قدم البصرة بسط له الناس أرديتهم فمشى عليها . فقال لمثل هذا فليعمل العاملون . وعبد الله بن ظبيان خطب خطبة أوجز فيها فناداه الناس من أعراض المسجد كثر الله فينا أمثالك . قال لقد كلفتم ربكم شططا . ومعبد بن زرارة كان ذات يوم جالسا على

طريق فرت به امرأة . فقالت يا عبد الله أين الطريق لمكان كذا . فقال لمثلي يقال يا عبد الله ويلك وأبو سماك الحنفي أضل ناقته . فقال والله لئن لم ترد علي ناقتي لا صليت أبدا . وقال ناقل الحديث ونسي الحجاج نفسه وهو خامس هؤلاء الاربعة بل هو أشدهم كبرا وأعظمهم الحادا حين كتب الى عبد الملك فى عطسة عطسها فشمته أصحابه ورد عليهم بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين وتشميت أصحابه له ورده عليهم . فياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما . وكتابه اليه ان خليفة الرجل فى أهله أكرم عليه من رسوله اليهم وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين العتبي قال: رأيت محرز امولى باهلة يطوف على بغلة بين الصفا والمروة . ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد راجلا فقلت له أراجل أنت فى مثل هذا الموضع . قال نعم انى ركبت فى موضع يمشى الناس فيه . فكان حقيقا على الله أن يرجلني فى موضع يركب الناس فيه . وقال بعض الحكماء :

ويا ليتها الكبرى فتطوى سماؤنا * لها وتمد الارض مد أديم
فما الموت الا عيش كل مبخل * وما العيش الا ترك كل ذميم
واعذر من أدمى الجفون من البكا * كريم رأى الدنيا بكف لئيم

ومثله فى هذا المعنى :

أبا صالح أين الكرام باسرهم * أفدني كريما فالكريم رضاء
أحقا يقول الناس فى جود حاتم * وان سنانا كان فيه سخاء
عذيرى من خلف تخلف منهم * عياء ولؤم فاضح وجفاء
حجارة بخل ماتجود وربما * تفجر من صم الحجارة ماء
ولو أن موسى جاء يضرب بالعصا * لما انبجست من ضربه البخلاء
بقاء لئام الناس موت عليهم * كما أن موت الاكرمين بقاء
عزيز عليهم أن تجود أكفهم * عليهم من الله العزيز عفاء

ومثله قولنا فى هذا المعنى :

ساق ترنم يشدو فوقه ساق * كأنه لحنين الصوت مشتاق
ياضيعة الشعر فى بله جرامقة * تشابهت منهم فى اللؤم أخلاق

قالوا: من عز باقبال الدهر ذل بادباره . وقالوا : من أبطره الغنى أذله الفقر . وقالوا : من ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها . ومن ولي ولاية يرى ولايته أكبر من نفسه تغير لها . وقال يحيي

ابن حيان الشريف اذا تقوى تواضع، والوضيع اذا تقوى تكبر. وقال كسرى: احذروا صولة الكريم اذا جاع، واللئيم اذا شبع. وكتب على بن الجهم الى ابن الزيات:

أباجعفر عرج على خلطائكا * وأقصر قليلا من مدى غلوائكا
فان كنت قد أوتيت فى اليوم رفعة * فان رجائى فى غد كرجائكا

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى:

لقد عجبت منه الليالى لانه * صبور على عضلاء تلك البلابل
اذا نال لم يفرح وليس لنكبة * ألمت به بالجاشع المتضائل

وقال الحسن بن هانئ:

ولقد حزنت فلم أمت حزنا * ولقد فرحت فلم أمت فرحا

كتب عقيل بن أبى طالب الى أخيه على بن أبى طالب عليه السلام يسأله عن حاله. فكتب اليه على رضى الله عنه:

فان تسألنى كيف أنت فاننى * جليد على عض الزمان صليب
عزيز علىّ أن ترى بى كآبة * فيفرح واش أو يساء حبيب

٤٨ — باب فى التواضع — قال النبى صلى الله عليه وسلم «من تواضع لله رفعه الله»

قالت الحكماء: كل نعمة يحسد عليها الا التواضع. وقال عبد الملك بن مروان رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم «أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وأنصف عن قوة الحديث» وقال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك. وأصبح النجاشى يوما جالسا على الارض والتاج عليه فأعظمت بطارقته ذلك وسألوه عن السبب الذى أوجبه. فقال: وجدت فيما أنزل الله على المسيح اذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع أتممتها عليه وانه ولد لى هذه الليلة غلام فتواضعت شكر الله. خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويده على المعلى بن الجارود العبدى. فلقيته امرأة من قريش. فقالت له يا عمر. فوقف لها فقالت كنا نعرفك مدة عميرا ثم صرت من بعد عمير عمر ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين. فاتق الله يا ابن الخطاب وانظر فى أمور الناس فانه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، من خاف الموت، خشى الفوت، فقال المعلى ايها يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين. فقال له: عمر اسكت أتدرى من هذه هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه فعمر أحرى أن يسمع قولها ويقتدى به. وقال أبو عباد:

ماجلس الى رجل قط الا خيل الىّ انى أنا جالس اليه . وسئل الحسن عن التواضع فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا الا رأيت له الفضل عليك . وقال رجل لبكر بن عبد علمنى التواضع . فقال : اذا رأيت من هو أكبر منك فقل سبقنى الى الاسلام والعمل الصالح فهو خير منى وان رأيت أصغر منك فقل سبقته الى الذنوب والعمل السيىء فانا شر منه . وقال أبو العتاهية:

يامن تشرف بالدنيا و زينتها * ليس التشرف رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين

٤٩ — الرفق والاناة — قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة » وقالت الحكماء : يدرك بالرفق مالا يدرك بالعنف ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته . وقال أشجع السلمى لجعفر بن يحيى بن خالد ما كاد يدرك بالرجال ولا بالمال ما أدركت بالرفق . وقال النابغة:

الرفق يمن والاناة سعادة * فاستأن فى رفق تلاق نجاحا

وقالوا : العجل بريد الزلل * أخذ القطامى التغلبي هذا المعنى فقال :

قد يدرك المتانى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال عدى بن زيد :

قد يدرك المبطىء من حظه * والجبن قد يسبق جهد الحريص

٥٠ — استراحة الرجل بمكنون سره الى صديقه — تقول العرب أفضيت اليك بشقورى وأطلعتك على عجرى و بجرى ولو كان فى جسدى برص ما كتمته . وقال الله تبارك وتعالى « لكل نبأ مستقر » وقالت الحكماء : لكل سر مستودع . وقالوا : مكاتمة الادنين صريح العقوق . وقال الشاعر :

وأنبأت عمرا بعض مافى جوانحى * وجرعته من مر ما أتجرع
ولا بد من شكوى الى ذى حفيظة * اذا جعلت اسرار نفسى تطلع

وقال حبيب :

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة * ولكن تفيض النفس عند امتلائها

وأنشد أبو الحسن محمد المصرى :

لعب الهوى بمعالمى ورسومى * ودفنت حيا تحت ردم همومى

وشكوت همى حين ضقت ومن شكا * هما يضيق به فغير ملوم

وقال آخر :

اذا لم أطق صبرا رجعت الى الشكوى * وناديت تحت الليل ياسامع النجوى

وأمطرت صحن الخد غيثا من البكا * على كبد حرا الترى فما تروى *

٥١ — الاستدلال باللحظ على الضمير — قالت الحكماء: العين باب القلب فما كان فى القلب ظهر فى العين . أبو حاتم عن الاصمعى عن يونس عن ابن مصعب عن عثمان بن ابراهيم بن محمد قال : انى لاعرف فى العين اذا عرفت ، وأعرف فيها اذا أنكرت ، وأعرف فيها اذا لم تعرف ولم تنكر ، أما اذا عرفت فبحوص ، وأما اذا أنكرت فبجحظ ، وأما اذا لم تعرف ولم تنكر فبسجو . وقال صريع الغوانى :

جعلنا علامات المودة بيننا * مصائد لحظ هن أخفى من السحر

فاعرف فيها الوصل فى بين طرفها * وأعرف فيها الهجر فى النظر الشزر

وقال محمود الوراق :

ان العيون على القلوب شواهد * فبغيضها لك بين وحبيبها

واذا تلاحظت العيون تفاوضت * وتحدثت عما تجن قلوبها

ينطقن والافواه صامتة فما * يخفى عليك بريئها ومريبها

وقال ابن أبى حازم :

خذ من العيش ما كفا * ومن الدهر ماصفا

عين من لايحب وصـ * ـلك تبدى لك الجفا

ومن قولنا فى هذا المعنى :

صادق فى الحب مكذوب * دمعه للشوق مسكوب

كل ما تطوى جوانحه * فهو فى العينين مكتوب

وقال الحسن بن هانىء :

وانى لطير العين بالعين زاجر * فقد كدت لايخفى على ضمير

٥٢ ـ الاستدلال بالضمير على الضمير ـ كتب حكيم الى حكيم اذا أردت معرفة مالك عندى فضع يدك على صدرك فكما تجدنى كذلك أجدك . وقالوا : اياكم ومن تبغضه قلوبكم

فان القلوب تجازى القلوب . وقال ذو الاصبع :

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم * مافى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

وقال محمود الوراق :

لا تسألن المرء عما عنده * واستمل ما فى قلبه من قلبكا
ان كان بغضا كان عندك مثله * أوكان حبا فازمنك بحبكا

٥٣ — الاصابة بالظن — قيل لعمرو بن العاص ما العقل . قال : الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لله در ابن عباس ان كان لينظر الى الغيب من ستر رقيق . وقال الشاعر :

وقلما يفجأ المكروه صاحبه * حتى يرى لوجوه الشر أسبابا

وانما ركب الله العقل فى الانسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن ويفهم الكثير بالقليل . ومن قولنا فى هذا المعنى :

ياغافلا مايرى الامحاسنه * ولو درى مارأى الامساويه
انظر الى باطن الدنيا بظاهرها * كل البهائم يجرى طرفها فيه

٥٤ — تقديم القرابة وتفضيل المعارف — قال الشيبانى أول من آثر القرابة والاولياء عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقال كان عمر يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله ولا يرى أفضل من عمر وقال : لما آوى طريد النبى صلى الله عليه وسلم مانقم الناس على أن وصلت رحما وقربت عما وقيل لمعاوية بن أبى سفيان : ان آذنك يقدم معارفه وأصدقاءه فى الاذن على أشراف الناس ووجوههم . فقال : ويلكم ان المعرفة لتنفع فى الكلب العقور ، والجمل الصؤول ، فكيف فى رجل حسيب ذى كرم ودين . وقال رجل لزياد أصلح الله الامير ان هذا يدل بمكانة يدعيها منك قال نعم : وأخبرك ماينفعه من ذلك ان كان الحق له عليك أخذتك به أخذا شديدا وان كان عليه قضيته عنه . وقال الشاعر :

أقول لجارى اذ أتانى مخاصما * يدل بحق أو يدل بباطل
اذا لم يصل خيرى وأنت مجاورى * اليك فما شرى اليك بواصل

العتبى قال : ولى عبد الله بن خالد بن عبد الله القسرى البصرة فكان يحابى أهل مودته . فقيل له

أى رجل أنت لولا أنك تحابى . قال وما خير الصديق اذا لم يقطع لصديقه قطعة من دينه . وولى ابن شبرمة قضاء البصرة وهو كاره فاحسن السيرة . فلما عزل اجتمع اليه أهل خاصته ومودته فقال لهم والله لقد وليت هذه الولاية وأنا كاره وعزلت عنها وأنا كاره ومابى فى ذلك الا مخافة أن يلى هذه الوجوه من لا يعرف حقها . ثم تمثل بقول الشاعر :

فما السجن أبكانى ولا القيد شفنى * ولا أننى من خشية الموت أجزع

بلى ان أقواما أخاف عليهم * اذا مت أن يعطوا الذى كنت أمنع

وقال الشاعر :

اذا كان الامير عليك خصما * فليس بقابل منك الشهودا

وقال زياد : أحب الولاية لثلاث وأكرهها لثلاث ، أحبها لنفع الاولياء ، وضر الاعداء ، واسترخاص الاشياء ، وأكرهها لروعة البريد ، وموت العزل ، وشماتة العدو . ويقول الحكماء : أحق من شاركك فى النعمة شركاؤك فى المصيبة . أخذه الشاعر فقال :

وان أولى الموالى أن تواسيه * عند السرور لمن وساك فى الحزن

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وقال حبيب :

قبح الاله عداوة لا تتقى * ومودة يدلى بها لا تنفع

٥٥ ـ فضل العشيرة ـ قال على بن أبى طالب رضى الله عنه عشيرة الرجل خير للرجل من غير العشيرة ان كف عنهم يدا واحدة كفوا عنه أيديا كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم ان الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه الا بنسبه وسأتلو عليكم من ذلك آيات من كتاب الله قال الله عز وجل فيما حكاه عن لوط «لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد» يعنى العشيرة ولم يكن للوط عشيرة فوالذى نفسى بيده ما بعث الله نبيا من بعده الا فى ثروة من قومه ، ومنعة من عشيرته ، ثم ذكر شعيبا اذ قال له قومه «انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك» وكان مكفوفا والله ماهابوا الا عشيرته . وقيل لبزرجمهر : ما تقول فى ابن العم . قال هو عدوك وعدو عدوك

٥٦ ـ الدين ـ من حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «الدين ينقص ذا الحسب» وقال عمر لا سيفع أسيفع جهينة رضى من دينه وأمانته أن يقال سبق الحاج ألا وانه قد ادان معرضا وأصبح قد دين به فمن كان له عنده شىء فليأتنا بالغداة يقسم ماله بين غرمائه . واياكم

والدين فان أوله هم وآخره حزن . وقال مولى قضاعة :

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد * على لانسان من الناس درهما
ولكنني مولى قضاعة كلها * فلست أبالى أن أدين وتغرما

وقال آخر : اذا ماقضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

وقال سفيان الثورى : الدين هم بالليل وذل بالنهار فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله قلادة فى عنقه
ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا متقنعا . فقال له : كان لقمان الحكيم يقول القناع
ريبة بالليل ذل بالنهار . فقال الرجل لقمان الحكيم لم يكن عليه دين . وقال ابن المقفع الغنوى :

يعيبوننى بالدين قومى وانما * تداينت فى أشياء تكسبهم حمدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

٥٧ — مجانبة الخلف والكذب — قال النبى صلى الله عليه وسلم «مجانبة الكذب[1] الايمان» وقالت الحكماء ليس لكذاب مروأة . وقالوا : من عرف بالكذب لم يجز صدقه وقال النبى صلى الله عليه وسلم «لا يجوز الكذب فى جد ولا هزل» وقال «لا يكون المؤمن كذابا» وقال عبد الله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق . وقال حبيب فى عياش :

يا أكثر الناس وعدا حشوه خلف * وأكثر الناس قولا حشوه كذب

ومن قولنا فى هذا المعنى :

فصادمت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من بخل ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا
صحيفة أفنيت ليت بها وعسى * عنوانها راحة الراجى اذا يئسا
وعدله هاجس فى الغدر قد برمت * أحشاء صدرى به من طول ما انحبسا
مواعد غرنى منها وميض سنا * حتى مددت اليها الكف مقتبسا

٥٨ — التنزه عن استماع الخنى والقول به — اعلم أن السامع شريك القائل فى الشر قال الله « سماعون للكذب » وقال العتبى : حدثنى أبى عن سعد القصر قال نظر عمر بن عتبة رجلا يشتم عندى رجلا . فقال لى ويلك وما قال لى ويلك قبلها نزه نفسك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن الكلام به فان السامع شريك القائل وان عمد الى شر ما فى وعائه فافرغه فى

---

(١) بياض بالاصل

وعائك ولو ردت كلمة جاهل فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها

٥٩ — باب فى الغلو فى الدين — توفى رجل فى عهد عمر بن ذر ممن أسرف على نفسه فى الذنوب ، وجاوز فى الطغيان ، فتجافى الناس عن جنازته ، فحضرها عمر بن ذر وصلى عليه . فلما أدلى فى قبره قال : يرحمك الله أبا فلان ، صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفرت وجهك لله بالسجود ، فان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وذى خطايا . ومن حديث أبى هريرة : عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » وقال « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ثم ذكر الرجل يرى أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فانى يستجاب له قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله بعثنى بالحنيفية السمحة ولم يبعثنى بالرهبانية المبتدعة سنتى الصلاة والنوم والافطار والصوم فمن رغب عن سنتى فليس منى » وقال صلى الله عليه وسلم « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهر أبقى » وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خير هذه الامة النمط الاوسط يرجع اليهم الغالى ويلحق بهم التالى . وقال مطرف : بن عبد الله بن الشخير لابنه وكان قد تعبد يا بنى ان الحسنة بين السيئتين يعنى الدين بين الافراط والتقصير وخير الامور أوسطها وشر السير الحقحقة وقال سلمان الفارسى : القصد والدوام فانت الجواد السابق . وقالوا : عامل البركات كل الطعام ان أكل منه قوتا عصمه وان أسرف منه بشمه . وفى بعض الحديث : ان عيسى بن مريم عليه السلام لقى رجلا . فقال له : ما تصنع قال أتعبد . قال فمن يعود عليك . قال أخى . قال هو أعبد منك . ونظير هذا أن رفقة من الاشعريين كانوا فى سفر . فلما قدموا قالوا ما رأينا يا رسول الله بعدك أفضل من فلان كان يصوم النهار فاذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل . قال فمن كان يمهن له ويكفله . قالوا كلنا . قال كلكم أفضل منه . وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا قال انه ماهو بتشعيب اللمة ، ولا قشف الهيئة ، ولكنه خلف النفس عن الشهوة . على ابن عاصم عن أبى اسحق عن الشيبانى قال : رأيت محمد بن الحنفية واقفا بعرفات على برذون وعليه مطرف خز أصفر . السدى عن ابن جريج عن ابن عباس قال : كان يرتدى برداء بالف . اسمعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عايه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران رداء وعمامة . وقال معمر : رأيت قميص أيوب السختيانى يكاد

بمس الارض فسألته عن ذلك . فقال : ان الشهرة كانت فيما مضى فى تبذيل القميص وانها اليوم فى تشميره . أبوحاتم عن الاصمعى : ان ابن عون اشترى برنسا فمر على معاذة العدوية : فقالت مثلك يلبس هذا . فذكرت ذلك لابن سيرين : قال أفلا أخبرتها أن تميما الدارى اشترى حلة بالف فصلى فيها . قدم حماد بن سلمة البصرة فجاءه فرقد السنجى وعليه ثياب صوف . فقال له حماد دع عنك نصرانيتك هذه . فقال له : لقد رأيتنا ننتظر ابراهيم وعليه معصفرة ونحن نرى أن الميتة قد حلت له . أبو الحسن المداينى قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والى خراسان فى مدرعة صوف . فقال له : مايدعوك الى لباس هذه فسكت . فقال له : قتيبة أ كلمك لاتجيبنى . قال أكره أن أقول زهدا فأزكى نفسى أو أقول فقرا فأشكو ربى فما جوابك الا السكوت . قال ابن السماك : لاصحاب الصوف والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم فقد أحببتم أن يطلع الناس عليها وان كان مخالفا لقد هلكتم . وكان القاسم بن محمد يلبس الخز . وسالم ابن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان فى مسجد المدينة فلا ينكر هذا على هذا ولا ذا على هذا ودخل رجل على محمد بن المنكدر فوجده قاعدا على حشايا مضاعفة وجارية تغلفه بالغالية . فقال رحمك الله جئت أسألك عن شيء وجدتك فيه يريد التزين . قال على هذا أدركت الناس وصلى الاعمش فى مسجد قوم فأطال بهم الامام . فلما فرغ . قال له ياهذا لا تطل صلاتك فانه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف . قال الامام وانها لكبيرة الا الخاشعين . فقال له الاعمش أنا رسول الخاشعين اليك انهم لايحتاجون الى هذا منك . العتبى قال : أصابت الربيع بن زياد نشابة على جبينه . فكانت تنتقض عليه كل عام فاتاه على ابن أبى طالب عائدا فقال له : كيف تجدك ياأباعبد الرحمن . قال أجدنى لو كان لا يذهب مابى الا بذهاب بصرى لتمنيت ذهابه . قال وماقيمة بصرك عندك . قال لو كانت لى الدنيا فديته بها . قال لاجرم يعطيك الله على قدر الدنيا لوكانت لك فانفقتها فى سبيل الله ان الله يعطى على قدر الالم والمصيبة وعنده بعد تضعيف كثير . قال له الربيع : ياأمير المؤمنين انى لاشكو اليك عاصم بن زياد قال وماله قال لبس العباء ، وترك الملاء ، وغم أهله ، وأحزن ولده ، قال على عاصما . فلما أتاه عبس فى وجهه . وقال ويلك ياعاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره أخذك منها أنت أهون على الله من ذلك أوماسمعته يقول «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» حتى قال «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وتالله لا بتذال نعم الله بالفعال ، أحب الى من ابتذالها بالمقال ،

وقدسمعته يقول « وأما بنعمة ربك فحدث » وقوله « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » قال عاصم فعلام اقتصرت أنت ياأمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب . قال ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يشنع بالفقير فقره . قال فما خرج حتى لبس الملاء وترك العباء . محمد بن حاطب الجمحي قال : حدثني من سمع عمرو بن شعيب وكنت سمعته أنا وأبى جميعا . قال حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمرو وكانت امرأته تلطف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : كيف أنت ياأم عبد الله . قالت : كيف أكون وعبد الله بن عمرو رجل قد تخلى من الدنيا قال لها كيف ذلك . قالت : حرم فلا ينام ، ولا يفطر ، ولا يطعم اللحم ، ولا يؤدى الى أهله حقهم . قال فأين هو . قالت خرج و يوشك أن يرجع الساعة . قال فاذا رجع فاحبسيه على فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عبد الله وأوشك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرجعة . فقال ياعبد الله بن عمرو ماهذا الذى بلغنى عنك انك لا تنام . قال أردت بذلك الامن من الفزع الاكبر . قال و بلغنى أنك لا تفطر . قال أردت بذلك ماهو خير منه فى الجنة . قال و بلغنى انك لا تؤدى الى أهلك حقهم . قال أردت بذلك نساء هن خير منهن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الله بن عمرو ان لك فى رسول الله أسوة حسنة . فرسول الله يصوم و يفطر ، و يأكل اللحم ، و يؤدى الى أهله حقوقهم ، ياعبد الله بن عمرو ان لله عليك حقا ، وان لبدنك عليك حقا ، وان لاهلك عليك حقا ، فقال يارسول الله ماتأمرنى أن أصوم خمسة أيام وأفطر يوما . قال لا . قال فأصوم أربعة وأفطر يوما . قال لا . قال فاصوم ثلاثة وافطر يوما . قال لا . قال فيومين وأفطر يوما . قال لا . قال فيوما . قال ذلك صيام أخى داود ياعبد الله بن عمرو كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ومواثيقهم فكانوا هكذا وخالف بين أصابعه . قال فما تأمرنى يارسول الله . قال تأخذ ماتعرف ، وتدع ماتنكر ، وتعمل بخاصة نفسك ، وتدع الناس وعوام أمرهم . قال ثم أخذ بيده و جعل يمشى به حتى وضع يده فى يد أبيه . وقال له أطع أباك . فلما كان يوم صفين قال له أبوه عمرو ياعبد الله أخرج فقاتل . فقال ياأبتاه أتأمرنى ان اخرج فاقاتل وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعت وعهد الى . قال أنشدك الله ألم يكن آخر ماقال لك أن أخذ بيدك فوضعها فى يدى . وقال أطع أباك . قال اللهم بلى . قال فانى اعزم عليك أن تخرج فتقاتل . قال فخرج فقاتل متقلدا بسيفين

٦٠ — القول فى القــدر ــــ أتى قوم من أهل القدر محمد بن المنكدر . فقالوا له : أنت الذى تقول ان الله يعذب الخلق على ماقدر عليهــم . فصرف وجهه عنهم ولم يجبهم . فقالوا له : أصلحك الله ان كنت لا تجيبنا فلا تخلنا من بركة دعائك . فقال : اللهم لا تردنا بعقوبتك ، ولا تمكر بنا فى خلتك ، ولا تؤاخذنا بتقصيرنا عن رضاك ، قليل أعمالنا تقبل ، وعظيم خطايانا تغفر ، أنت الله الذى لم يكن شىء قبلك ، ولا يكون شىء بعــدك ، ولى الاشياء ، ترفع بالهدى من تشاء ، لا من أحسن استغنى عن عونك ، ولا من أساء عليك ولا من استبد بشىء من حكومتك وقدرتك ، فكيف لنا بالمغفرة وليست الا فى يديك ، وكيف لنا بالرحمة وليست الا عندك ، ياحفيظ لا ينسى ، وقديم لا يبلى ، حى لا يموت ، بك عرفناك ، وبك اهتدينا اليك ، ولولا أنت لم ندر ما أنت ، سبحانك وتعاليت ، فقال القــوم قد والله أخــبر وماقصر . وقال ذكر القدر فى مجلس الحسن البصرى . فقال : ان الله خلق الخلق للابتلاء لم يطيعوه باكراه ، ولم يعصوه بغلبة ، ولم يهملهم من الملك ، وهو القادر على ما أقدرهم عليه ، والمالك لما ملكهم اياه ، فان يأتمر العباد بطاعة الله لم يكن مثبطا ، بل يزيدهم هدى الى هداهم ، وتقوى الى تقواهم ، وان يأتمروا بمعصية الله كان الله قادرا على صرفهم ان شاء ، وان حال بينهــم وبين المعصية فمن بعــد اعذار وانذار . مروان بن موسى قال : حدثنا أبو ضمرة أن غيلان قــدم بكلمة قد صاغها حتى وقف على ربيعة . فقال له : أنت الذى تزعم ان الله أحب أن يعصى . فقال له ربيعة : أنت الذى تزعم أن الله يعصى كرها فكأنما ألقمه حجرا . قيل لطاوس هذا قتادة يحب أن يأتيك فقال : ان جاء لاقوم قيل له انه فقيه . قال ابليس أفقه منه . قال رب بما أغويتنى . وقيــل للشعبى رأيت قتادة . قال نعم رأيت كناسة بين حشين القدر هو العلم والكتاب والكلمة والاذن والمشيئة . قال الاصمعى : سألت اعرابيا فقلت له مافضل بنى فلان على بنى فلان . قال الكتاب يعنى القــدر وقال الله عز وجل « انا كل شىء خلقناه بقدر » وقال « كل فى كتاب مبين » وقال « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين » يعنى القــدر . وقال « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما » قال الخشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام : شاعران من فحول الجاهلية ذهب أحدهما فى بيته مذهب العدلية . والآخر ذهب مذهب الجبرية . فالذى ذهب مذهب العدلية فاعشى بكر حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالـ * ـعدل وولى الملامة الرجلا

والذى ذهب مذهب الجبرية فلبيد بن ربيعة حيث يقول :

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريث وعجل

من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال وماشاء أضل

وقال اياس بن معاوية : كلمت الفرق كلها ببعض عقلى وكلمت القدرى بعقلى كله . فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال نعم قلت فان الامر كله لله . ومن قول الله عز وجل فى القدر « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهدا كم أجمعين » وقال « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هدا كم للايمان ان كنتم صادقين » ابن شهاب قال : أنزل الله على نبيه آية فى القدرية « الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين » وقال « ولو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » وقال محمد بن سيرين : ماينكر القدرية أن يكون الله علم من خلقه علما فكتبه عليهم . وقال رجل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : ماتقول فى القدر . قال ويحك أخبرنى عن رحمة الله أ كانت قبل طاعة العباد . قال نعم : قال على أسلم صاحبكم وقد كان كافرا . فقال الرجل له أليس بالمشيئة الاولى التى أنشأنى بها أقوم وأقعد وأقبض وأبسط . قال له : انك بعد فى المشيئة أما انى أسالك عن ثلاث . فان قلت فى واحدة منهن لا كفرت ، وان قلت نعم فانت أنت فمد القوم أعناقهم ليسمعوا مايقول . فقال له على : أخبرنى عنك أخلقك الله كما شئت أو كما شاء . قال بل كما شاء . قال فخلقك الله لما شئت أو لما شاء . قال بل لما شاء . قال فيوم القيامة تاتيه بما شئت أو بما شاء . قال بل بما شاء . قال قم فلا مشيئة لك . قال هشام بن محمد السائب الكلبى : كان هشام بن عبد الملك قد أنكر على غيلان التكلم فى القدر وتقدم اليه فى ذلك أشد التقدم . وقال له فى بعض ماتوعده به من الكلام ما أحسبك تنتهى حتى تنزل بك دعوة عمر بن عبد العزيز اذا احتج عليك فى المشيئة بقول الله عز وجل « وما تشاؤن الا أن يشاء الله » فزعمت أنك لم تلق لها بالا . فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فاقطع يده ورجله ولسانه واضرب عنقه فانته أولى بك ودع عنك ماضره اليك أقرب من نفعه . فقال له غيلان : لحينه وشقوته ابعث الى يا أمير المؤمنين من يكلمنى ويحتج على فان أخذته حجتى أمسكت عنى فلا سبيل لك الى وان أخذتنى حجته فسالتك بالذى أكرمك بالخلافة الا نفذت فى مادعا به عمر على فغاظ قوله هشاما . فبعث الى الاوزاعى فحكى له ماقال لغيلان وما رد غيلان عليه . فالتفت اليه الاوزاعى . فقال له : أسالك عن خمس أو ثلاث . فقال غيلان عن

ثلاث . قال الاوزاعى هل علمت أن الله أعان على ماحرم . قال غيلان ماعلمت وعظمت عنده قال فهل علمت أن الله قضى على ما نهى . قال غيلان هذه أعظم مالى بهذا من علم . قال فهل علمت ان الله حال دون ما أمر . قال غيلان حال دون ما أمر ماعلمت . قال الاوزاعى هذا موات من أهل الزيغ فامر هشام بقطع يده ورجله . ثم ألقى فى الكناسة فاحتوشه الناس يعجبون من عظيم ما أنزل الله به من نقمته . ثم أقبل رجل كان كثيرا ماينكر عليه التكلم فى القدر فتخلل الناس حتى وصل اليه . فقال ياغيلان اذكر دعاء عمر . فقال غيلان أفلح اذا هشام ان كان الذى نزل بى بدعاء عمر أو بقضاء سابق فانه لاحرج على هشام فيما أمر به . فبلغ كلمته هشاما فامر بقطع لسانه وضرب عنقه لتمام دعوة عمر . ثم التفت هشام الى الاوزاعى وقال له قد قلت يا أبا عمرو ففسر فقال نعم قضى على ما نهى عنه نهى آدم عن أكل الشجرة . وقضى عليه با كلها وحال دون ما أمر به أمر ابليس بالسجود لآدم . وحال بينه و بين ذلك . وأعان على ما حرم حرم الميتة وأعان المضطر على أكلها . الرياشى عن سعيد بن عامر عن جويرية عن سعيد بن أبى عروبة قال : لما سألت قتادة عن القدر فقال رأى العرب تريد أم رأى العجم . فقلت بل رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة * الا كتابا قد خلا مسطورا

وقال أعرابى : الناظر فى قدر الله كالناظر فى عين الشمس يعرف ضوأها ولا يحتم على حدودها

وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها * فالنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ماعاش ممدود له أمل * لا تنتهى العين حتى ينتهى الاثر

وقال آخر :

والجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجد فى الحوادث أوذر

ماأقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

عبد الرحمن بن القصير قال : حدثنا يونس بن بلال عن يزيد بن أبى حبيب أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله أيقدر الله على الشر ثم يعذبنى عليه . قال نعم وأنت اظلم . قال : وحدثنى أبو عبد الرحمن المقرى يرفعه الى أبى هريرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم . ومن حديث عبد الله بن مسعود قال : ما كان كفر بعد نبوة قط الا كان مفتاحه التكذيب بالقدر . ثمامة بن أشرس قال : دخل أبو العتاهية على المأمون لما قدم العراق . فامر له بمال وجعل يحادثه . فقال له يوما ما في الناس أجهل من القدرية . قال له المأمون أنت بصناعتك أبصر فلا تتخطاها الى غيرها . قال له يا أمير المؤمنين اجمع بيني و بين من شئت منهم فارسل الى فدخلت عليه . فقال لى هذا يزعم انك وأصحابك لا حجة عندكم . قلت فليسأل عما بداله فحرك أبو العتاهية يده . وقال من حرك هذه قلت من ناك أمه . فقال يا أمير المؤمنين شتمني قلت له نقضت أصلك يا عاض بظر أمه . فضحك المامون فقلت له يا جاهل تحرك يدك . ثم تقول من حركها فلم أشتمك وان كنت أنت المحرك لها فهو قولى . قال له المأمون عندك زيادة في المسئلة . قال الكندى : في الفن التاسع من التوحيد اعلم ان العالم كله مسوس بالقضاء والقدر أعنى بالقضاء ما قسم لكل مفعول بما هو أصلح وأحكم وأتقن في بنية الكل لانه جل ثناؤه خلق وأبدع مضطرا ومختارا بتمام القدرة . فلما كان المختار عن تمام الحكمة لان تمام الحكمة لمبدع الكل كان لو أطلق واختاره لاختار كثيرا مما فيه فساد الكل فقدر جل ثناؤه بنيسة للكل تقديرا محكما فصير بعضه سوانح لبعض يختار بارادته ومشيئته غير مقهور ماهوا صلح وأحكم في بنية الكل . فتقدير هذه السوانح هو القدر . فبالقضاء والقدر ساس جل ثناؤه جميع ما أبدع . فهذه السياسة المحكمة المتقنة التى لا يدخلها زلل ولا نقص فاتضح أن كل مفعول فيما قسم له ربه من الاحوال لا خارج عنها وان بعض ذلك باضطرار و بعضه باختيار وأن المختار عن سوانح قدره و بارادته لا بالكره فعل . سئل اعرابى : عن القدر فقال ذاك علم اختصمت فيه الظنون، وكثر فيه المختلفون، والواجب علينا أن نرد ما أشكل من حكمه الى ماسبق من علمه، اصطحب مجوسى وقدرى في سفر . فقال القدرى للمجوسى مالك لا تسلم قال ان أذن الله في ذلك كان . قال ان الله قد أذن الا أن الشيطان لا يدعك . قال فانا مع أقواهما وقال رجل لهشام بن الحكم أنت تزعم أن الله في فضله وكرمه وعدله كلفنا مالا نطيقه ثم يعذبنا عليه قال هشام : قد والله فعل ولكن لا نستطيع أن نتكلم . اجتمع عمرو بن عبيد مع الحرث بن مسكين بمنى . فقال له : ان مثلى ومثلك لا يجتمعان في مثل هذا الموضع فيفترقان من غير فائدة فان شئت فقل وان شئت فانا أقول . قال له قل : قال هل تعلم أحدا أقبل للعذر من الله عز وجل . قال لا قال فهل تعلم عذرا أبين من عذر من قال لا أقدر فيما تعلم أنت انه لا يقدر عليه . قال لا . قال فلم

تقبل قول من لا أقبل للمذر منه عذرا ولا أبين من عذر فا تقطع الحرث بن مسكين فلم يرد شيأ

٦١ ـ رد المأمون على الملحدين وأهل الاهواء ـ قال المامون للثنوى الذى تكلم عنده أسألك عن حرفين لا أزيد عليهما هل ندم مسىء قط على اساءته . قال بلى : قال فالندم على الاساءة اساءة أم احسان . قال بل احسان : قال فالذى ندم هو الذى أساء أم هو غيره . قال بل هو الذى أساء . قال فارى صاحب الخير هو صاحب الشر . قال فانى أقول الذى ندم غير الذى أساء . قال فندم على شىء كان منه أم على شىء كان من غيره : قال له أيضا أخبرنى عن قولك باثنين هل يستطيع أحدهما ان يخلق خلقا لا يستعين فيه بصاحبه . قال نعم . قال فما تصنع باثنين واحد يخلق كل شىء خير لك وأصح . وقال المامون: للمرتد الخراسانى الذى أسلم على يديه وحمله معه الى العراق فارتد عن الاسلام أخبرنى ما الذى أوحشك مما كنت به آنسا من ديننا فوالله لان استحييك بحق ، أحب الى من أن أقتلك بحق ، وقد صرت مسلما بعد أن كنت كافرا ، ثم عدت كافرا بعد ان صرت مسلما ، وان وجدت عندنا دواء لدائك تداويت به ، وان أخطأك الشفاء ، ونبا عليك الدواء ، كنت قد أبليت العذر فى نفسك ، ولم تقصر فى الاجتهاد لها ، فان قتلناك فى الشريعة ، وترجع أنت فى نفسك الى الاستبصار واليقين، ولم تفرط فى الدخول من باب الحزم . قال المرتد : أوحشنى منكم ما رأيت من الاختلاف فى دينكم . قال المامون : لنا اختلافان أحدهما كاختلافنا فى الاذان وتكبير الجنائز وصلاة العيدين والتشهد والتسليم من الصلاة ووجوه القراآت واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك وهذا ليس باختلاف وانما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنة . فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يأثم ومن ربع لم يأثم والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر فان كان انما أوحشك هذا . فينبغى أن يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تاويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين اليهود والنصارى اختلاف فى شىء من التأويلات . ولو شاء الله أن ينزل كتبه مفسرة ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يختلف فى تاويله لفعل . ولكنا لم نجد شيا من أمور الدين والدنيا وقع الينا على الكفاية الا مع طول البحث والتحصيل والنظر . ولو كان الامر كذلك لسقطت البلوى والمحن وذهب التفاضل والتباين ولما عرف الحازم من العاجز ولا الجاهل من العالم وليس على بينة الدنيا . قال المرتد : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان المسيح

عبدالله وأن محمدا صادق وانك أمير المؤمنين . وقال المأمون : لعلى بن موسى الرضا بم تدعون هذا الامر . قال بقرابة على من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له المامون ان لم يكن ههنا الا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من كان أقرب اليه من على أو من فى مثل قعدده وان كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلى فى هذا الامر حق وهما حيان . فاذا كان الامر كذلك فان عليا قد ابتزهما حقهما وهما صحيحان واستولى على مالا يجب له فما أجابه على بن موسى بشىء

وكتب واصل بن عطاء الغزالى الى عمرو بن عبيد أما بعد : فان انسلاب نعمة العبد بيد الله ، وتعجيل المعاقبة ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام ، والمجاورة للجدال ، الذى يحول بين المرء وقلبه ، وقد عرفت ما كان يطعن به عليك ، وينسب اليك : ونحن بين ظهرانى الحسن بن أبى الحسن رحمه الله لاستبشاع قبح مذهبك ، نحن ومن قد عرفته من جميع أصحابنا ، ولمة اخواننا ، الحاملين الواعين عن الحسن ، فبالله بل كملة وأعيان وحفظة ما أدمث الطبائع ، وأرزن المجالس ، وأبين الزهد ، وأصدق الالسنة ، اقتدوا والله بمن مضى شهابهم ، وأخذوا بعهدهم ، عهدى والله بالحسن وعهدكم به أمس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرقى الاجنحة وآخر حديث حدثنا اذ ذكر الموت وهول المطلع فاسف على نفسه ، واعترف بذنبه ثم التفت والله عنة ويسرة معتبرا باكيا ، فكانى أنظر اليه يمسح مرفض العرق عن جبينه ، ثم قال اللهم انى قد شددت وضين راحلتى ، وأخذت فى أهبة سفرى ، الى محل القبر ، وفرش العفو ، فلا تؤاخذنى بما ينسبون الى من بعدى ، اللهم انى قد بلغت ما بلغنى عن رسولك ، وفسرت من محكم كتابك ما قد صدقه حديث نبيك ، ألا وانى خائف عمرا ألا وانى خائف عمرا شكاية لك الى ربه جهرا وأنت لا أنت عن يمين أبى حذيفة أقربنا اليه . وقد بلغنى كثيرا مما حملته نفسك ، وقلدته عنقك ، من تفسير التنزيل ، وعبارة التاويل ، ثم نظرت فى كتبك ، وما أهدته الينا رواتك ، من تنقيص المعانى ، وتفريق المبانى ، فدلت شكاية الحسن عليك بالتحقيق ، بظهور ما ابتدعت ، وعظم ما تحملت ، فلا يغررك تدبير من حولك ، وتعظيمهم طولك ، وخفضهم أعينهم عنك اجلالا لك ، غدا والله تمضى الخيلاء والتفاخر ، وتجزى كل نفس بما تسعى ، ولم يكن كتابى اليك ، وتجليبى عليك ، الا ليذكرك بحديث الحسن رحمه الله وهو آخر حديث حدثناه ، فاد المسموع ، وانطق بالمفروض ، ودع تاويلك الاحاديث

على غير وجهها ، وكن من الله وجلا انتهى النصف من كتاب الياقوتة فى العلم والادب يتلوه باب من أخبار الخوارج . وجدت فى بعض النسخ زيادة فاوردتها وهى

٦٢ — ماجاء فى ذم الحمق والجهل — قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجاهل يظلم من خالطه و يعتدى على من هودونه و يتطاول على من هوفوقه و يتكلم بغير تمييز وان رأى كريمة أعرض عنها وان عرضت فتنة أردته وتهور فيها » وقال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث العجب وكثرة المنطق وأن ينهى عن شئ و يأتيه . وقال أزدشير : بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل الناس تنفر منه و يغضب من أن ينسب اليه . وكان يقال : لا تغررك قرابة ولا اخوة ولا الف فان أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها . وقيل : خصلتان لا تقربانك من الاحمق كثرة الالتفات وسرعة الجواب . وقيل : لا تصحب الجاهل فانه يريد أن ينفعك فيضرك . ولبعضهم :

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

ولابى العتاهية :

احذر الاحمق لا تصحبه * انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب * زعزعته الريح يوما فانخرق
أو كصدع فى زجاج فاحش * هل ترى صدع زجاج يلتصق
فاذا عاتبته كى يرعوى * زاد شرا وتمادى فى الحمق

٦٣ — أصناف الاخوان — قال العتابى : الاخوان ثلاثة أصناف ، فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل . فاما الفرع البائن من أصله فاخاء بنى على مودة ثم انقطعت فحفظ على زمام الصحبة . واما الاصل المتصل بفرعه فاخاء أصله الكرم وأغصانه التقوى . وأما الفرع الذى لا أصل له فالمموه الظاهر الذى ليس له باطن . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الصاحب رقعة فى قميصك فانظر بما ترقعه » . وقالوا : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا . وفد دحيم الكلبي على أمير المؤمنين على رضى الله عنه . فمازال يذكر معاوية و يطريه فى مجلسه . فقال على رضى الله عنه :

صديق عدوى داخل فى عداوتى * وانى لمن ود الصديق ودود

فلاتقربنمني وأنت صديقه * فان الذى بين القلوب بعيد

وفى هذا المعنى قول العتابى :

تودعـدوى ثم تزعـم أننى * صديقك ان الرأى عنك لعازب

وليس أخى من ودنى رأى عينه * ولـكن أخى من ودنى وهو غائب

وقال آخر : ليس الصديق الذى ان زل صاحبه * يوما رأى الذنب منه غير مغفور

وان أضاع له حقا فعاتبـه * فيـه أتاه بتزويق المعاذير

ان الصديق الذى تلقاه يعذرنى * ماليس صاحبه فيه بمعذور

وقال آخر : كم من أخ لك لم يلده أبوكا * وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا

صاف الكرام اذا أردت اخاءهم * واعلم بان أخا الحفاظ أخوكا

والناس ما استغنيت كنت أخاهم * واذا افتقرت اليهم رفضوكا

وقال بعضهم :

أخوك الذى ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك فى الود

ولو جئت تبـغى كفه لتبينها * لبادر اشفاقا عليك من الود

يرى أنه فى الود كان مقصرا * على أنه قد زاد فيه على الجهد

وقال آخر: ان كنت متخذا خليلا * فتنق وانتقد الخليلا

من لم يكن لك منصفا * فى الود فابغ به بديلا

ولقلـما تلقى اللئيـم عليك الا مسـتطيلا

وللعطوى: صن الود الا عن الا كرمـين * ومن بمواخاته تشرف

فكم مـن أخ ظاهـر وده * ضمير مودته أجيف

ولا تغـترر مـن ذوى خـلة * بماهو هوى لك أو زخرف

اذا أنت عاتبتـه فى الاخا * ء تنكر منـه الذى تعرف

وكتب العباس بن جرير الى الحسن بن مخلد :

ارع الاخاء أبا محمـد الذى يصفو وصنه

واذا رأيت منا فسا * فى نيل مكرمـة فكنه

ان الصديق هو الذى * يرعاك حيث تغيب عنه

فاذا كشفت اخاه * أحمدت ما كشفت عنه

مثل الحسام اذاانتضاه * ذو الحفيظة لم يخنه

يسعى لما يسعى له * كرما وان لم تستعنه

ولآخر : خير اخوانك المشارك فى المر وأين الشريك فى المرأينا

الذى ان شهدت فى الحضر انسر وان غبت كان أذنا وعينا

ولآخر : ومن العناء أخ جنايته * علق بنا ولغيرنا سلبه

وقال آخر :

اذا رأيت انحرافا من أخى ثقة * ضاقت على برحب الارض أوطانى

فان صددت بوجهى كى أكافئه * فالعين غضبى وقلبى غير غضبان

وكتب بعضهم الى محمد بن بشار :

من لم يردك فلا ترد * هوكن كمن لم تستعده

باعد أخاك لبعده * واذا دنا شبرا فزده

كم من أخ لك يا ابن بشار وأمك لم تلده

وأخى مناسبة يسو * ءك عيبه لم تفتقده

فاجابه محمد بن بشار :

غلط الفتى فى قوله * من لم يردك فلا ترده

من نافس الاخوان لم * يبد العتاب ولم يعده

عاتب أخاك اذا هفا * واعطف بودك واستعده

واذا أتاك بغيبة * واش فقل لم تعتمده

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه من لانت كلمته ، وجبت محبته وينشد :

كيف أصبحت كيف أمسيت مما * يثبت الود فى فؤاد الكريم

وعلى الصديق أن لا يلقى صديقه الا بما يحب ، ولا يؤذى جليسه فيما هو عنه بمعزل ، ولا ياتى بما يعيب مثله ، ولا يعيب ما ياتى شكله . وقد قال المتوكل الليثى :

لا تنه عن خلق وتاتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك ، أن تبدأه بالسلام ،

وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه باحب الاسماء اليه . وقال : ليس شرفى خير ، ولاشر من صاحب . وقال الشاعر :

ان كنت تبغى المرءأو أصله * وشاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الارض باسمائها * واعتبر الصاحب بالصاحب

لعدى بن زيد :

عن المرء لاتسال وأبصر قرينه * فان القرين بالمقارن يقتدى

ولعمرو بن جميل التغلبى :

ساصبر من صديقى ان جفانى * على كل الاذى الا الهوانا
فان الحر يانف فى خلاء * وان حضر الجماعة أن يهانا

قال رجل لمطيع بن اياس جئتك خاطبا مودتك . فقال له : قد زوجتك على شرط أن تجعل صداقها أن لاتسمع فىّ مقالة الناس . ويقال فى المثل : من لم يزدرد الريق ، لم يستكثر من الصديق ، وما أحسن ماقال ابراهيم بن العباس :

ياصديقى الذى بذلت له الو * د وأنزلته على أحشائى
ان عينا قذيتها لتراعيـ * ـك على مابها من الاقذاء
مابها حاجة اليك ولكن * هى معقودة بحبل الوفاء

ولابن أبى حازم :

ارض من المرء فى مودته * بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا * يصح منه غدا سرائره
يوشك أن لايتم وصل أخ * فى كل زلاته تنافره
ان ساءنى صاحبى احتملت وان * سر فانى أخوه شاكره
أصفح عن ذنبه وان طلب الـ * ـعذر فانى عليه عاذره

ولغيره : انى اذا أبطأت عنك فلم أزد * لاحداث دهر لايزال يعوق
لقد أصبحت نفسى عليك شفيقة * ومثلى على أهل الوفاء شفيق
أسر بما فيه سرورك اننى * جدير بمكنون الاخاء حقيق
عدو لمن عاديت سلم مسالم * لكل امرئ يهوى هواك صديق

ولابى عبدالله بن عرفة :

هموم رجال في أمور كثيرة * وهمي من الدنيا صديق مساعد
يكون كروح بين جسمين فرقا * بجسماهما جسمان والروح واحد

وقال بعض الحكما : الاخاء جوهرة رقيقة ، وهي مالم ترقها وتحرسها معرضة للآفات ، فرض الابي بالجداء له حتى تصل الى قربه ، وبالكظم حتى يعتذر اليك من ظلمك ، والرضا حتى لا تستكثر من نفسك بالفضل ، ولا من أخيك بالتقصير . ولمحمود الوراق :

لا بر أعظم من مساعدة * فاشكر أخاك على مساعدته
واذا هفا فاقله هفوته * حتى يعود أخا كعادته
فالصفح عن زلل الصديق وان * أعياك خير من معاندته

لعبد الصمد بن المعذل :

من لم يردك ولم ترده * لم يستفدك ولم تفده
قرب صديقك ما نأى * ورد التقارب واسترده
واذا وهت أركانه * ومن أخي ثقة فشده

بقية الباقوتة في العلم والادب :

٦٤ — باب من أخبار الخوارج — لما خرجت الخوارج على علي رضي الله عنه وكانوا من أصحابه . فلما كان من أمر الحكمين ما كان واختداع عمرو لابي موسى . قالوا لا حكم الا لله فلما سمع علي رضي الله عنه نداءهم . قال كلمة حق يراد بها باطل وانما مذهبهم أن لا يكون أمير ولا بد من أمير برّا كان أو فاجرا . وقالوا لعلي شككت في أمرك ، وحكمت عدوك في نفسك ، وخرجوا الى حروراء وخرج اليهم علي رضي الله عنه فخطبهم متوكئا على قوسه . وقال هذا مقام من أفلح فيه أفلح يوم القيامة أنشدكم الله هل علمتم أن أحدا كان أكره للحكومة مني . قالوا اللهم نعم . قال فعلام خالفتموني ونابذتموني . قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله منه فتب الى الله منه واستغفره نعد اليك . فقال علي اني أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم في ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم وتاب منه ورآه ضلالا فأتى الاشعث بن قيس عليا رضي الله عنه . فقال يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا وتبت فخطب على الناس . فقال من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل منها فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت . فقيل لعلي انهم خارجون

فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلونى وسيفعلون . فوجه اليهم عبدالله بن العباس . فلما سار اليهم رحبوا به وأكرموه . فرأى منهم جباها قرحت لطول السجود وأيديا كنقبات الابل وعليهم قمص مرحضة وهم مشمرون . قالوا : ماجاء بك يا ابن عباس . قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار . فقالوا إنا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال فى دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا . فقال ابن عباس : نشدتكم الله الا ماصدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب تساوى ربع ربع درهم تصاد فى الحرم وفى شقاق امرأة ورجلها . فقالوا اللهم نعم . قال فانشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين الحديبية . قالوا نعم : ولكن عليا محا نفسه من خلافة المسلمين . قال ابن عباس ذلك يزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة . وقال سهل بن عمرو لوعلمت أنك رسول الله ماحاربتك . فقال : للكاتب اكتب محمد بن عبدالله . وقد أخذ على الحكمين أن لا يجورا فعلى أولى من معاوية وغيره وقالوا : ان معاوية يدعى مثل دعوى على . قال فايهما رأيتموه أولى فولوه . قالوا صدقت . قال ابن عباس ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما فاتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء . وقال متى حدث حرب فرئيسكم شيث بن ربعى الرياحى . فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبدالله بن وهب الراسبى . فخرج بهم الى النهروان فأوقع بهم على . فقتل منهم ألفين وثمانمائة . وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره فخرج منهم رجل بعد أن قال على رضى الله عنه ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبدالله بن خباب . قالوا كلنا قتله وشرك فى دمه . وذلك أنهم لما خرجوا اليهم لقوا مسلما ونصرانيا . فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصرانى خيرا . وقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقوا عبدالله بن خباب وفى عنقه المصحف ومعه امرأته وهى حامل . فقالوا ان هذا الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك . فقال لهم : أحيوا ما أحيا القرآن وأميتوا ما أمات القرآن . قالوا حدثنا عن أبيك . قال حدثنى أبى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمنا ويصبح كافرا . فكن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل . قالوا فما تقول فى أبى بكر وعمر . فأثنى خيرا . قالوا فما تقول فى الحكومة والتحكيم . قال أقول ان عليا أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأبعد بصيرة . قالوا : انك لست تتبع الهدى بل الرجال على أسمائها . ثم قربوه الى

شاطىء البحر فذبحوه فاندفر دمه أى جرى مستقيما على رقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة . فقال هى لكم هبة . قالوا ما كنا نأخذها الا بثمن . فقال ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة الا بثمن . ثم افترقت الخوارج على أربعة أضرب . الاباضية: أصحاب عبد الله ابن أباض . والصفرية : واختلفوا فى نسبهم . فقال قوم سموا بابن الصفار . وقال قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم . ومنهم البيهسية : وهم أصحاب ابن بيهس . ومنهم الازارقة: أصحاب نافع بن الازرق الحنفى . وكانوا قبل على رأى واحد لا يختلفون الا فى الشىء الشاذ . فبلغهم خروج مسلم بن عقبة الى المدينة وقتله أهل حرة وأنه مقبل الى مكة . فقالوا يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا تابعناه . فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم وما قدموا له فاظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهــل الشام فدافعوه الى أن يأتى رأى يزيد بن معاوية ولم يتابعوا ابن الزبير . ثم تناظروا فيما بينهم . فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبا بكر وعمر وبرىء من عثمان وعلى وكفر أباه وطلحة بايعناه وان تــكن الاخرى ظهر لنا ما عنده وتشاغلنا بما يجدى علينا . فدخلوا على ابن الزبير وهو مبتذل وأصحابه متفرقون عنه . فقالوا له انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على صواب بايعناك وان كنت على خلاف دعوناك الى الحق . ما تقول فى الشيخين . قال خيرا . قالوا فما تقول فى عثمان الذى حمى الحمى ، وآوى الطريد، وأظهر لاهل مصر شيأ ، وكتب بخلافه ، وأوطأ آل بنى معيط رقاب الناس ، وآثرهم بفىء المسلمين ، وفى الذى بعده الذى حكم الرجال ، وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم ، وفى أبيك وصاحبه، وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر . ثم نــكثا بيعته، وأخرجا عائشة فقاتلت . وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن فى بيوتهن ، وكان فى ذلك ما يدعوك الى التوبة ، فان أنت قبلت كل ما نقول فلك الزلفى عند الله، والنصر على أيدينا ، ان شاء الله، ونسأل الله لك التوفيق، وان أبيت خذلك الله وانتصر منك بايدينا . فقال ابن الزبير : ان الله أمر وله العزة والقدرة فى مخاطبة أكفر الـكافرين ، وأعتى العاتين ، بأرق من هذا القول . قال لموسى وأخيه صلى الله عليهما « اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات » فنهى عن سب أبى جهل من أجــل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله ورسوله ، والمقيم على الشرك ، والجاد فى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل الهجرة والمحارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنبا ، وقد كان يغنيكم عن هذا

القول الذى سميتم فيه طلحة وأبى أن تقولوا تبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا فى غمار المسلمين، وان لم يكونا منهم لم تحفظونى بسب أبى وصاحبه وأنتم تعلمون ان الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » وقال « وقولوا للناس حسنا » وهذا الذى دعيتم اليه أمر له ما بعده ، وليس يقنعكم الا التوقف والتصريح ، ولعمرى ان ذلك أحرى بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق، وأولى بان يعرف كل صاحبه من عدوه ، فروحوا الى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله تعالى ، فلما كان العشى راحوا اليه ، فخرج اليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم ، فجلس على رفيع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ، ثم ذكر عثمان فى السنين الاوائل من خلافته ، ثم وصلهن بالسنين التى أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية ، وأخبر أنه آوى الحكم بن أبى العاصى باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح ، فان القوم استعتبوه ما كان له أن يفعله ولاء مصيبا ، ثم أعتبهم بعد ذلك محسنا ، وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ، ثم كتب ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف بالله انه لم يكتبه ولم يامر به ، وقد أمر الله عز وجل بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكانة الامامة ، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه ، وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها حلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالله فليصدق ومن حلف بالله فليقبل» وعثمان أمير المؤمنين وأنا ولى وليه ، وعدو عدوه . وأبى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول عن الله عز وجل يوم أحد لما قطعت أصبع طلحة « سبقته الى الجنة » وقال « أوجب طلحة » وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة . والزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته . وقد ذكر أنهما فى الجنة وقال عز وجل « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم وان يكن ما صنعوا حقا فاهل ذلك هم وان يكن زلة ففى عفو الله تمحيصها وفيما وفقه لهم من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ومهما ذكرتموهما فقد بدأتكم بامكم عائشة فان أبى آب أن تكون له أما نبذ اسم الايمان عنه . وقد قال جل ذكره « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم

وأزواجه أمهاتهم » فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه . وكتب بعد ذلك نافع بن الازرق الى عبدالله بن الزبير يدعوه الى أمره أما بعد : فانى أحذرك من الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا فاتق الله ربك ولا تول الظالمين فان الله يقول « ومن يتولهم منكم فانه منهم » وقال « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء » وقد حضرت عثمان يوم قتل . فلعمرى لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ، وان كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر من تولاه ونصره ، ولقد علمت ان أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه ، وكانوا فى أمره بين قاتل وخاذل ، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان ، فكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول فى دين واحد ، وكيف ولى على بعده فنفى الشبهات ، وأقام الحدود ، وأجرى الاحكام مجاريها ، وأعطى الامور حقها . فيما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحة ، ثم خلعا بيعته ظالمين له ، وان القول فيك وفيهما كما قال ابن عباس رحمه الله ، ان يكن على فى وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمنا لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، وان كان كافرا كما زعمتم وفى الحكم جائرا فقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ، ولقد كنت له عدوا ، ولسيرته عائبا ، فكيف توليته بعد موته . وكتب نجدة وكان من الصفرية القعدية الى نافع بن الازرق : لما بلغه عنه استعراضه للناس ، وقتله الاطفال ، واستحلاله الامانة ، بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فان عهدى بك وأنت لليتيم كالاب الرحيم ، وللضعيف كالاخ البر ، لا تاخذك فى الله لومة لائم ، ولا ترى معونة ظالم ، فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه ، وأصبت من الحق فصه نحر ذلك الشيطان فلم يكن أحد أثقل وطاة عليه منك . ومن أصحابك ، فاستمالك واستغواك ، فغويت وكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعدة المسلمين ، وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ، ووعده الصدق « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله » ثم سماهم أحسن الاسماء . فقال « ما على المحسنين من سبيل » ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال جل ثناؤه « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال فى القعد خير وفضل الله من جاهد عليهم ولا يرفع أكثر الناس عملا ومنزلة عمن هو دونه الا اذا اشتركا فى أصل أو ما سمعت قوله تبارك وتعالى « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » فجعلهم

من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين باعمالهم . ورأيت من رأيك أن لا تؤدى الامانة الى من يخالفك ، والله يامرك أن تؤدى الامانات الى أهلها ، فاتق الله وانظر لنفسك ، واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيا ، فان الله بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل والسلام . فكتب اليه نافع بن الازرق : بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد : فقد أتانى كتابك تعظنى فيه وتذكرنى ، وتنصح لى وتزجرنى ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوثره من الصواب ، وأنا أسال الله أن يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وعبت على ما دنت به من اكفار القعد ، وقتل الاطفال ، واستحلال الامانة ، وسافسر لك ذلك ان شاء الله . اما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ، ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا ، وهؤلاء قد فقهوا فى الدين ، وقرؤا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما يقول الله لمن كان مثلهم اذ قال « الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » وقال « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » وقال « وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم » فسماهم بالكفر وأما أمر الاطفال فان نبى الله نوحا كان أعرف بالله يانجدة منى ومنك قال « لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا . فكيف جاز ذلك فى قوم نوح ولا يجوز فى قومنا والله يقول « أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر » وهؤلاء كمشركى العرب لا تقبل منهم جزية ، وليس بيننا و بينهم الا السيف أو الاسلام . وأما استحلال الامانات ممن خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم ، كما أحل لنا دماءهم ، فدماؤهم حلال ، طلق وأموالهم فىء للمسلمين ، فاتق الله وراجع نفسك ، فانه لا عذر لك الا بالتوبة ، ولا يسعك خذلاننا ، والقعود دوننا ، والسلام على من أقر بالحق وعمل به . وكان مرداس أبو بلال : من الخوارج وكان مستترا . فلما رأى حزم ابن زياد فى قتل الخوارج وحبسهم قال لاصحابه انه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل ، مفارقين للعقل ، والله ان الصبر على هذا العظيم ، وان تجريد السيف واخافة السبيل لاخف ، ولكنا لا نبتدئهم ،

ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع عليه أصحابه وهم ثلاثون رجلا . فارادوا أن يولوا أمرهم حريث بن حجر فابى . فولوا أمرهم مرداسا أبا بلال . فلما مضى باصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصارى وكان له صديقا . فقال له : ياأخى أين تريد . قال : أريد أن أهرب بدينى ودين أصحابى هؤلاء من أحكام الجورة والظلمة . فقال له : أعلم بكم أحد . قال لا : قال فارجع . قال : أوتخاف على مكروها . قال نعم . قال فلا تخف فانى لا اجرد سيفا ، ولا أخيف أحدا ، ولا أقاتل الا من قاتلنى . ثم مضى حتى نزل آبل وهو موضع دون خراسان . فمر به مال يحمل الى ابن زياد . وقد بلغ أصحابه أربعين رجلا فحط ذلك المال وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقى على الرسل . فقال قولوا لصاحبكم انا قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقى . فقال انهم يقيمون هذا الفىء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم مع الصلاة ولابى مرداس هذا أشعار فى الخروج . منها قوله :

ابعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى * ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا

أحب بقاء أوأرجى سلامة * وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيارب سلم نيتى وبصيرتى * وهب لى البقا حتى ألاقى أولئكا

وقالوا : ان رجلا من أصحاب زياد قال خرجنا فى جيش نريد خراسان . فمررنا بآبل فاذا نحن بمرداس وأصحابه وهم أربعون رجلا . فقال أقاصدون لقتالنا أنتم . قلنا لا انما نريد خراسان . قال : فابلغوا من لقيتم انا لم نخرج لنفسد فى الارض ، ولا لنروع أحدا ، ولكن هربنا من الضرر ، ولسنا نقاتل الا من قاتلنا ، ولا ناخذ من الفىء الا أعطياتنا . ثم قال : اندب لنا أحدا . فقلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابى . قال فمتى ترونه يصل الينا . قلنا له يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل . وندب عبد الله بن زياد أسلم بن زرعة الكلابى ووجهه اليهم فى الفين . فلما صار اليهم صاح به أبو بلال اتق الله ياأسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجز مالا فما الذى تريد . قال : أريد أن أردكم الى ابن زياد . قال اذا يقتلنا . قال وان قتلكم . قال أفتشرك فى دمائنا . قال نعم انه محق وأنتم مبطلون . قال أبو بلال وكيف هو محق وهو فاجر يطيع الظلمة . ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه . فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديداً . وقال انهزمت وأنت فى ألفين عن أربعين رجلا . قال له أسلم والله لان تذمنى حيا أحب الى من أن تحمدنى ميتا . وكان اذا خرج الى السوق ومر بالصبيان

صاحوا به أبو بلال وراءك حتى شكا الى ابن زياد فامر الشرط أن يكفوا الناس عنه

٦٥ — رد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على شوذب الخارجى —

الهيثم بن عدى قال : أخبرنى عوانة بن الحكم عن محمد بن الزبير قال : بعثنى عمر بن عبد العزيز مع عون بن عبد الله بن مسعود الى شوذب الخارجى وأصحابه اذ خرجوا بالجزيرة . وكتب معنا كتابا فقدمنا عليهم ودفعنا كتابه اليهم . فبعثوا معنا رجلا من بنى شيبان ورجلا فيه حبشية يقال له شوذب . فقدما معنا على عمر وهو بخاصرته . فصعدنا اليه وكان فى غرفة ومعه ابنه عبد الملك وحاجبه مزاحم . فاخبرناه بمكان الخارجيين . قال عمر : فتشوهما لا يكن معهما حديد وأدخلوهما . فلما دخلا قالا السلام عليكم ثم جلسا . فقال لهما عمر : أخبرانى ما الذى أخرجكم عن حكمى هذا وما نقمتم . فتكلم الاسود منهما . فقال انا والله ما نقمنا عليك فى سيرتك ، وتحريك العدل والاحسان ، الى من وليت ولكن بيننا وبينك أمر ان أعطيتناه فنحن منك وأنت منا ، وان منعتناه فلست منا ولسنا منك . قال عمر : ماهو قال رأيناك خالفت أهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت غير طريقهم فان زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وأبرأ منهم . فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق . فتكلم عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : انى قد علمت أو ظننت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها . ولكنكم أردتم الآخرة فاخطأتم سبيلها وانى سائلكما عن أمر فبالله اصدقانى فيه مبلغ علمكما . قالا نعم : قال أخبرانى عن أبى بكر وعمر أليسا من أسلافكما ومن تتوليان وتشهدان لهما بالنجاة . قالا اللهم نعم : قال فهل علمتما أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الاموال وسبى الذرارى . قالا نعم . قال فهل علمتم أن عمر قام بعد أبى بكر فرد تلك السبايا الى عشائرها . قالا نعم . قال فهل برىء عمر من أبى بكر أو تبرؤن أنتم من أحد منهما . قالا لا قال : فاخبرانى عن أهل النهروان أليسوا من صالحى أسلافكم وممن تشهدون له بالنجاة . قالا نعم قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا آمنا ولم ياخذوا مالا . قالا نعم قال : فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن فديك استعرضوا يقتلونهم ولقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم قتلوا النساء والاطفال حتى جعلوا يلقونهم فى قدور الاقط وهى تفور . قالا قد كان ذلك . قال فهل برىء أهل الكوفة من أهل البصرة . قالا

لا قال : فهل تبرؤن أنتم من احدى الفئتين . قالا لا قال : أفرأيتم الدين أليس هو واحد أم الدين اثنان . قالا بل واحد . قال فهل يسعكم منه شيء يعجزني . قالا لا قال : فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر وتولى كل واحد منهما صاحبه وتوليتم أهل الكوفة والبصرة وتولى بعضهم بعضا وقد اختلفوا فى أعظم الاشياء والدماء والفروج والاموال ولا يسعني الا لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم . ورأيت لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها فان كان ذلك فمتى عهدك بلعن فرعون . وقد قال أنا ربكم الاعلى . قال ما أذكر أنى لعنته . قال : ويحك أيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق ولا يسعني أن لا ألعن اهل بيتي والبراءة منهم ويحكما انكم قوم جهال أردتم أمراً فاخطأتموه . فانتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله اليهم وهم عبدة أوثان . فدعاهم الى أن يخلوا الاوثان وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فمن قال ذلك حقن بذلك دمه ، وأحرز ماله ، ووجبت حرمته ، وأمن به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اسوة المسلمين ، وكان حسابه على الله أفلستم تلقون من خلع الاوثان ، ورفض الاديان ، وشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله تستحلون دمه وماله ، ويلعن عندكم ، ومن ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وأهل الاديان فتحرمون دمه وماله . فقال الاسود : ما سمعت كاليوم أحدا أبين حجة ، ولا أقرب مأخذا أما أنا فاشهد أنك على الحق وأنى برىء ممن برىء منك . فقال عمر : لصاحبه يا أخا بنى شيبان ما تقول أنت . قال ما أحسن ما قلت ووصفت غير أنى لا أفتات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرت وأنظر ما حجتهم . قال أنت وذاك فاقام الحبشى مع عمر وأمر له بالعطاء فلم يلبث أن مات ولحق الشيبانى باصحابه فقتل معهم بعد وفاة عمر

٦٦ ــ القول فى أصحاب الاهواء ــ وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا فضله وشدة اجتهاده فى العبادة فبيناهم فى ذكره حتى طلع عليهم الرجل . فقالوا يا رسول الله هو هذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انى أرى بين عينيه سفعة من الشيطان . فاقبل الرجل حتى وقف عليهم فسلم . فقال هل حدثتك نفسك اذ طلعت علينا أنه ليس فى القوم أحسن منك . قال نعم : ثم ذهب الى المسجد يصف بين قدميه يصلى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم اليه فيقتله . فقال أبو بكر أنا يا رسول الله . فقام اليه فوجده يصلى فهابه فانصرف . قال ما صنعت . قال وجدته يصلى يا رسول الله فهبته . فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم

اليه فيقتله . قال عمر أنا يارسول الله . فقام اليه فوجده يصلى فهابه فانصرف . فقال يارسول الله وجدته يصلى فهبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم اليه فيقتله . فقال علىّ أنا يارسول الله . قال أنت له ان أدركته . فقام اليه فوجده قد انصرف . فقال النبي عليه الصلاة والسلام هذا أول قرن يطلع فى أمتى لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان ان بنى اسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا فرقة واحدة وهى الجماعة

٦٧ — الرافضة — وانما قيل لهم رافضة لانهم رفضوا أبا بكر وعمر ولم يرفضهما أحد من أهل الاهواء غيرهم . والشيعة دونهم وهم الذين يفضلون عليا على عثمان ويتلون أبابكر وعمر . فأما الرافضة فلها غلو شديد فى على ذهب بعضهم مذهب النصارى فى المسيح وهى السبائية أصحاب عبدالله بن سبا عليهم لعنة الله . وفيهم يقول السيد الحميرى :

قوم غلوا فى على لا أبالهم * وأجشموا أنفسا فى حبه تعبا
قالوا هو ابن الاله جل خالقنا * من أين يكون له ابن أو يكون أبا

وقد أحرقهم على رضى الله عنه بالنار . ومن الروافض : المغيرة بن سعد مولى بجيلة قال الاعمش دخلت على المغيرة بن سعد . فسالته عن فضائل على . فقال انك لا تحتملها . قلت بلى فذكر آدم صلوات الله عليه . فقال على خير منه ثم ذكر من دونه من الانبياء . فقال على خير منهم حتى انتهى الى محمد صلى الله عليه وسلم . فقال على مثله . فقلت كذبت عليك لعنة الله . قال قد أعلمتك أنك لا تحتمله . ومن الروافض : من يزعم أن عليا رضى الله عنه فى السحاب . فاذا اظلت عليهم سحابة قالوا السلام عليك ياأبا الحسن . وقد ذكرهم الشاعر فقال :

برئت من الخوارج لست منهم * من العزال منهم وابن داب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى * وأعلم ان ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حقا * به أرجو غدا حسن الثواب

وهؤلاء من الرافضة يقال لهم المنصورية وهم أصحاب أبى منصور الكسف . وانما سمى الكسف لانه كان يتأول فى قول الله عز وجل «وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم» فالكسف على وهو فى السحاب . وكان المغيرة بن سعد من السبائية الذين أحرقهم على رضى الله تعالى عنه بالنار وكان يقول لو شاء على لاحيا عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا . وخرج لخالد بن

عبدالله فقتله خالد وصلبه بواسط عند قنطرة العاشر . ومن الروافض : كثير عزة الشاعر ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له . فقال يا ابنة أخي ان عمك كان يحب هذا الرجل فأحبيه يعني علي ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقالت نصيحتك يا عم مردودة عليك أحبه والله خلاف الحب الذي أحببته أنت . فقال لها برئت منك . وأنشد يقول :

برئت الى الاله من ابن أروى * ومن قول الخوارج أجمعينا

ومن عمر برئت ومن عتيق * غداة دعى أمير المؤمنينا

ابن أروى عثمان . والروافض كلها تؤمن بالرجعة . وتقول لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي وهو محمد بن علي فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ويحيي موتا كم فيرجعون الى الدنيا و يكون الناس أمة واحدة . وفي ذلك يقول الشاعر :

ألا ان الائمة من قريش * ولاة العدل أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء

أراد بالاسباط الثلاثة الحسن . والحسين . ومحمد بن الحنفية وهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان . ومن الروافض : السيد الحميري وكان يلقى له وسائد في مسجد الكوفة يجلس عليها . وكان يؤمن بالرجعة . وفي ذلك يقول :

اذا ما المرء شاب له قذال * وعلله المواشط بالخضاب

فقد ذهبت بشاشته وأودى * فقم يا باك فابك على الشباب

فليس بعائد مافات منه * الى أحد الى يوم المآب

الى يوم يؤب الناس فيه * الى دنياهم قبل الحساب

أدين بان ذاك كذاك حقا * وما أنا في النشور بذي ارتياب

لان الله خبر عن رجال * حيوا من بعد درس في التراب

وقال يرثي أخاه :

يا ابن أمي فدتك نفسي ومالي * كنت ركني ومفزعي وجمالي

ولعمري لا تركنك ميتا * رهن رمس ضنك عليك مهال

لو شيكا ألقاك حيا صحيحا * سامعا مبصرا على غير حال
قد بعثتم من القبور فابتم * بعد مارمت العظام البوالى
أوكسبعين وافدا مع موسى * عاينوا هائلا من الاهوال
حين راموا من خبثهم رؤية الله وأنى برؤية المتعال
فرماهم بصعقة أحرقتهم * ثم أحياهم شديد المحال

دخل رجل من الحسانية على المامون . فقال لثمامة بن أشرس كامه . فقال له ماتقول وما مذهبك . فقال أقول ان الاشياء كلها على التوهم والحسبان وانما يدرك منها الناس على قدر عقولهم ولا حق فى الحقيقة . فقام اليه ثمامة فلطمه لطمة سودت وجهه . فقال ياأمير المؤمنين يفعل بى مثل هذا فى مجلسك . فقال له ثمامة وما فعلت بك . قال لطمتنى . قال ولعل انما دهنتك بالبان . ثم أنشا يقول :

ولعل آدم امنا * والاب حوا فى الحساب
ولعلى ما أبصرت من * بيض الطيور هو الغراب
وعساك حين قعدت قمـــت وحين جئت هو الذهاب
وعسى البنفسج زئبق * وعسى البهار هو السذاب
وعساك تاكل من خرا * ك وأنت تحسبه كباب

ومن حديث ابن أبى شيبة أن عبد الله بن شداد قال : قال لى عبد الله بن عباس لاخبرنك باعجب شئ قرع اليوم على الباب رجل كما وضعت ثيابى للظهيرة . فقلت ماأتى به فى مثل هذا الحين الا أمر مهم أدخلوه . فلما دخل قال متى يبعث ذلك الرجل . قلت أى رجل . قال على بن أبى طالب . قلت لا يبعث حتى يبعث الله من فى القبور . قال وانك لتقول بقول هذه الجهلة . قلت أخرجوه عنى لعنه الله . ومن الروافض : الكيسانية قلت وهم أصحاب المختار بن أبى عبيد ويقولون اسمه كيسان . ومن الرافضة : الحسينية وهم أصحاب ابراهيم بن الاشتر . وكانوا يطوفون بالليل فى أزقة الكوفة وينادون ياثارات الحسين فقيل لهم الحسينية . ومن الرافضة : الغرابية سميت بذلك لقولهم على أشبه بالنبى من الغراب بالغراب . ومن الرافضة : الزيدية وهم أصحاب زيد بن على المقتول بخراسان وهم أقل الرافضة غلوا غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج . مالك بن معاوية قال : قال لى الشعبى وذكرنا الرافضة يامالك لو أردت أن يعطونى

رقابهم عبيدا وان يملؤا بيتى ذهبا على أن أكذبهم على على كذبة واحدة لفعلوا . ولكنى والله لا أكذب عليه أبدا ياملك انى دست الاهواء كلها فلم أرقوما أحمق من الرافضة . فلو كانوا من الدواب لكانوا حميرا أو كانوا من الطير لكانوا رخما . ثم قال أحذرك الاهواء المضلة ، شرها الرافضة ، فانها يهود هذه الامة ، يبغضون الاسلام ، كما يبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا فى الاسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولكن مقتا باهل الاسلام و بغيا عليهم ، وقد حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ، ونفاهم الى البلدان منهم عبد الله بن سبا نفاه الى ساباط ، وعبد الله بن سباب نفاه الى الحازر وأبو الكروس : وذلك أن محبة الرافضة محبة اليهود . قالت اليهود لا يكون الملك الا فى آل داود ، وقالت الرافضة لا يكون الملك الا فى آل على بن أبى طالب . وقالت اليهود لا يكون جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر ، و ينادى مناد من السماء . وقالت الرافضة لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدى ، و ينزل سبب من السماء واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم ، وكذلك الرافضة . واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيا ، وكذا الرافضة . واليهود لا ترى على النساء عدة ، وكذلك الرافضة . واليهود تستحل دم كل مسلم ، وكذلك الرافضة . واليهود حرفوا التوراة ، وكذلك الرافضة حرفت القرآن . واليهود تبغض جبريل وتقول هو عدونا من الملائكة ، وكذلك الرافضة تقول غلط جبريل فى الوحى الى محمد بترك على بن أبى طالب . واليهود لا تاكل لحم الجزور ، وكذلك الرافضة . ولليهود والنصارى فضيلة على الرافضة فى خصلتين سئل اليهود من خير أهل ملتكم . فقالوا أصحاب موسى . وسئلت النصارى . فقالوا أصحاب عيسى . وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم . فقالوا أصحاب محمد أمرهم بالاستغفار لهم . فشتموهم فالسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم ، ولا تقوم لهم راية ، ولا تجمع لهم كلمة ، دعوتهم مدحورة ، وكلمتهم مختلفة ، وجمعهم مفرق ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله . وذكرت الرافضة يوما عند الشعبى فقال : لقد بغضوا الينا حديث على بن أبى طالب . وقال الشعبى : ماشبهت تاويل الروافض فى القرآن الا بتاويل رجل مضعوف من بنى مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة : فقال للشعبى : ماعندك فى تاويل هذا البيت فان بنى تميم يغلطون فيه يزعمون أن ماقيل فى رجل منهم . وهو قول الشاعر :

بيتا زرارة محبت بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت له وما عندك أنت فيه . قال : البيت هو هذا البيت وأشار بيده الى الكعبة . وزرارة الحجر زرر حول البيت . فقلت له فمجاشع . قال زمزم جشمت بالماء . قلت فابو الفوارس . قال هو أبو قبيس جبل مكة . قلت فنهشل ففكر فيه طويلا . ثم قال أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود وهو النهشل

٦٨ — قولهم فى الشيعة — قال أبو عثمان بن بحر الجاحظ : أخبرنى رجل من رؤساء التجار قال : كان معنا فى السفينة شيخ شرس الاخلاق ، طويل الاطراق ، وكان اذا ذكر له الشيعة غضب واربد وجهه وزوى من حاجبيه . فقلت له يوما يرحمك الله ما الذى تكرهه من الشيعة فانى رأيتك اذا ذكروا غضبت وقبضت . قال : ما أكره منهم الا هذه الشين فى أول اسمهم فانى لم أجدها قط الا فى كل شر وشؤم وشيطان وشغب وشقاء وشنار وشرر وشين وشوك وشكوى وشهره وشتم وشح . قال أبو عثمان : فما ثبت لشيعى بعدها قائمة . قال رجل : لبعض ولاة بنى العباس أنا أجعل فى هشام بن عبد الحكم أن يقول فى على رضى الله عنه انه ظالم . قال له : نشدتك الله أبا محمد أما تعلم أن عليا بارز العباس عند أبى بكر . قال نعم : قال فمن الظالم منهما فكره أن يقول العباس فيواقع سخط الخليفة أو يقول على فينتقص أصله . قال ما منهما ظالم . قال فكيف يتنازع اثنان فى شىء لا يكون أحدهما ظالما . قال قد تنازع الملكان عند داود عليه السلام وما فيهما ظالم . ولكن لينبها داود على الخطيئة . وكذلك هذان أرادا تنبيه أبى بكر من خطيئته فاسكت الرجل وأمر الخليفة لهشام بصلة

٦٩ — باب جامع الآداب — أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم . قال أبو عبد الله أحمد ابن محمد أول ما نبدأ به أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم . ثم أدبه صلى الله عليه وسلم لامته . ثم الحكماء والعلماء . وقد أدب الله نبيه باحسن الآداب كلها فقال له « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وأمره بتوسط الحالتين كما قال عز وجل « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وقد جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فى كتابه المحكم ونظم له مكارم الاخلاق كلها فى ثلاث كلمات فقال « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ففى أخذه العفو

صلة من قطعه، والصفح عمن ظلمه، وفى الامر بالمعروف، تقوى الله وغض الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفى الاعراض عن الجاهلين، تنزيه النفس عن مماراة السفيه، ومنازعة اللجوج، ثم أمر تبارك وتعالى فيما أدبه باللين فى عريكته والرفق بامته فقال «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» وقال «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» وقال تبارك وتعالى «لا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم» فلما وعى عن الله عز وجل وكملت فيه هذه الآداب قال الله تبارك وتعالى «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»

٧٠ — باب آداب النبي صلى الله عليه وسلم لامته — قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أدب به أمته وحضها عليه من مكارم الاخلاق وجميل المعاشرة واصلاح ذات البين وصلة الارحام فقال «أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمنى وأعطى من حرمنى وأصل من قطعنى وأن يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرا» وقد قال صلى الله عليه وسلم «نهيتكم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال» وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا تقعدوا على ظهور الطرق فان أبيتم فغضوا الابصار وأفشوا السلام وأهدوا الضلال وأعينوا الضعيف» وقال صلى الله عليه وسلم «أوكؤا السقاء وأكفؤا الاناء وأغلقوا الابواب وأطفؤا المصباح فان الشيطان لا يفتح غلقا ولا يحل وكيئا ولا يكشف الاناء» وقال صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده» ثم قال «ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يارسول الله قال من يبغض الناس و يبغضونه» وقال «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء» وقال «ماقل وكفى خير مما كثر وألهى» وقال «المسلمون تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» وقال «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول» وقال «لا تجن يمينك على شمالك ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» وقال «المرء كثير باخيه» وقال «افصلوا بين حديثكم بالاستغفار واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» وقال «أفضل الاصحاب

من اذاذكرت أعانك واذانسيت ذكرك » وقال « لايؤم ذوسلطان فى سلطانه ولايجلس على تكرمته الاباذنه » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول ابن آدم مالى مالى وان ماله من ماله ماأكل فافنى ولبس فابلى أو وهب فامضى » وقال « ستحرصون على الامارة فنعمت المرضعة و بئست الفاطمة » وقال « لايحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان » وقال « لوتكاشفتم ما تراقبتم وماهلك امرؤعرف قدره » وقال « الناس كابل مائةلا تكاد تجد فيها راحلة والناس كلهم سواء كاسنان المشط » وقال « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت فسلم » وقال « خير المال سكة مأبورة ومهرة مامورة وخير المال عين ساهرة لعين نائمة » وقال معاذ فى الخيل بطونها كنز وظهورها حرز. وقال : ما أملق تاجر صدوق وما أقفر بيت فيه خل. وقال : قيدوا العلم بالكتابة. وقال : زرغبا تزدد حبا. وقال : علق سوطك حيث يراه أهلك

٧١ — باب فى آداب الحكماء والعلماء — منه فى فضيلة الادب : أوصى بعض الحكماء بنيه فقال : الادب أكرم الجواهر طبيعة ، وأنفسها قيمة ، يرفع الاحساب الوضيعة ، او يفيد الرغائب الجليلة ، و يعز بلا عشيرة، و يكثر الانصار لغير رزية ، فالبسوه حلة، وتزينوه خلة ، يؤنسكم فى الوحشة ، و يجمع لكم القلوب المختلفة. ومن كلام على عليه السلام : فيما يروى عنه أنه قال من حلم ساد ، ومن ساد استفاد ، ومن استحيا حرم ، ومن هاب خاب، ومن طلب الرياسة، صبر على السياسة، ومن أبصر عيب نفسه ، عمى عن عيب غيره، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لاخيه بئرا وقع فيها ، ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ، ومن هتك حجاب غيره، انهتكت عورات بيته، ومن كابر فى الامور عطب ، ومن اقتحم اللجج غرق ، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تجبر على الناس ذل ، ومن تعمق فى العمل مل ، ومن صاحب الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن حسن خلقه، سهلت له طرقه، ومن حسن كلامه، كانت الهيبة امامه، ومن خشى الله فاز ، ومن استقاد الجهل ، ترك طريق العدل ، ومن عرف أجله، قصر أمله ، ثم أنشا يقول :

البس أخاك على عيوبه * واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيه * وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفاضلا * وكل الظلوم الى حسيبه

وقال شبيب بن شبة : اطلبوا الادب فانه مادة للعقل ، ودليل على المروأة ، وصاحب فى

الغربة ، ومؤنس فى الوحشة، وصلة فى المجلس . وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليــه كان لكم مالا ، وان استغنيتم عنــه كان لكم جمالا . وقال بعض الحكماء: اعلم أن جاها بالمال انما يصحبك ما صحبك المال، وجاها بالادب غير زائل عنــك . وقال ابن المقفع : اذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك فان الكرامة تزول بزوالهــما ليعجبك اذا أكرموك لدين أو أدب . وقال الاحنف بن قيس : رأس الادب المنطق ، ولا خير فى قول الا بفعل ، ولا فى مال الا بجود ، ولا فى صــديق الا بوفاء ، ولا فى فقه الا بورع ، ولا فى صدق الا بنية . وقال مطلقة الزبيدى : لا يستغنى الاديب عن ثلاث واثنين فاما الثلاثة فالبلاغة والفصاحة وحسن العبادة . وأما الاثنان فالعلم بالاثر والحفظ للخبر . وقالوا : الحسب محتاج الى الادب والمعرفة محتاجــة الى التجربة . وقال بزرجمهر : ماورث الآباء الابناء شيئا خيرا من الادب لان بالادب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه . وقال الفضيل بن عياض : رأس الادب معرفة الرجل قدره . وقالوا : حسن الخلق خير قرين والادب خير ميراث والتوفيق خير قائد . وقال سفيان الثورى : من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه . وقال أنوشروان : للميد وهو العلم بالفارسية ما كان أفضل الاشياء . قال الطبيعة النقية تكتفى من الادب بالرائحة، ومن العلم بالاشارة وكما يموت البذر فى السباخ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعه ، قال : صــدقت : ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك وقيــل لازدشير : الادب أغلب أم الطبيعــة . فقال الادب زيادة فى العقل، ومنبهة للرأى ، ومكسبة للصواب ، والطبيعــة أملك لان بها الاعتقاد وبها الفراسة وتمام الغذاء . وقيل لبعض الحــكماء : أى شىء أعون للعقل بعد الطبيعة المولدة . قال أدب مكتسب . وقالوا: الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب الرواية وهو الفرع ولا يتفرع شىء الا عن أصله ولا ينظر الا لاصل المادة . وقال الشاعر :

ما السيف الازهرة لو تركته * على الخلقة الاولى لما كان يقطع

وقال آخر : ماوهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فان فقدا * فان فقد الحياة أحسن به

وقال ابن عباس : كفاك من علم الدين أن تعرف مالا يســعك جهله . وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثال . قال ابن قتيبة : اذا أردت أن تكون أديبا فتفنن فى العلوم . وقالت الحكماء : اذا كان الرجل طاهر الاثواب ، كثير الآداب ، حسن المذهب ، تأدب بادبه

وصلح بصلاحه . جميع أهله وولده . قال الشاعر :

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويفسدهم رب الفساد اذا فسد

يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

وسئل ديجاس : أى الخصال أحمد عاقبة قال الايمان بالله عز وجل وبر الوالدين ومحبة العلماء وقبول الادب . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من لا أدب له لا عقل له » وقالوا : الادب يزيد العاقل فضلا ونباهة ويفيده رقة وظرفا . وفى رقة الادب قال أبو بكر بن أبى شيبة : قيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر مني وأنا أسن منه . وقيل لابى وائل : أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم . قال أنا أكبر منه سنا وهو أكبر مني عقلا . وقال أبان بن عثمان لطويس المغنى أنا أكبر أم أنت . قال جعلت فداك لقد شهدت زفاف أمك المباركة . وقيل لعمر بن ذر : كيف بر ابنك بك . قال ما مشيت نهارا قط الامشى خلفى ولا ليلا الا مشى أمامى ولا رقى علية وأنا تحته . ومن حديث عائشة : قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبجل أحدا تبجيلة لعمه العباس . وكان عمر وعثمان اذا لقيا العباس نزلا اعظاما له اذا كانا راكبين . الرياشي عن الاصمعى قال : قال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح هذا منزلك وقد تقدم هذا الخبر فى الخبر الذى فيه مخاطبة الملوك وكذلك قول الحجاج للشعبي كم عطاؤك . ومن قولنا فى رقة الادب :

أدب كمثل الماء لو أفرغته * يوما لسال كما يسيل الماء

أحمد بن أبى طاهر قال : قلت لعلى بن يحيي ما رأيت أكمل أدبا منك . قال : كيف لو رأيت اسحق بن ابراهيم . فقلت ذلك لاسحق بن ابراهيم . قال : كيف لو رأيت ابراهيم بن المهدى فقلت ذلك لابراهيم . فقال كيف لو رأيت جعفر بن يحيي . وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال لى رجاء بن حيوة ما رأيت أكرم أدبا ولا أكرم عشيرة من أبيك سمرت عنده ليلة . فبينا نحن كذلك اذ غشى المصباح ونام الغلام . فقلت يا أمير المؤمنين قد غشى المصباح ونام الغلام فلو أذنت لى أصلحته . فقال : انه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه . ثم حط رداءه عن منكبيه وقام الى الدبة فصب من الزيت فى المصباح وأشخص الفتيله . ثم رجع فلم يقم أحد . فقال جرير بن عبد الله يا أمير المؤمنين اعزم علينا كلنا أن نقوم فنتوضا . قال صدقت ولا علمتك الا سيدا فى الجاهلية فقيها فى الاسلام قوموا فتوضؤا . الرياشي عن الاصمعى قال :

حدثني عثمان الشحام . قال قلت للحسن ياأباسعيد قال لبيك . قلت أتقول لي لبيك . قال اني أقولها لخادمي . وقال الشاعر :

ياحبذا حين تمسي الريح باردة * زادي أنسي وفتيان بهم هضم
يخدمون كرام في مجالسهم * وفي الرجال اذا رافقتهم خدم
وما أصاحب من قوم فاذكرهم * الا يزيدهم حبا الي هم

٧٢ — في الادب في الحديث والاستماع — وقالت الحكماء: رأس الادب كله حسن الفهم والتفهم والاصغاء للمتكلم . وذكر الشعبي قوما فقال : مارأيت مثلهم أشد تناوبا في مجلس ولا أحسن فهما من محدث . وقال الشعبي : فيما يصف به عبد الملك بن مروان والله ماعلمته الا آخذا بثلاث تاركا لثلاث آخذا بحسن الحديث اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبايسر المؤنة اذا خولف تاركا لمجاوبة اللئيم ومماراة السفيه ومنازعة اللجوج . وقال بعض الحكماء لابنه : يابني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول فاحذر ان تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل حتى يعلم الناس انك على فعل مالم تقل أقرب منك الى قول مالم تفعل . قالوا : من حسن الادب أن لا تغالب أحدا على كلامه ، واذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، واذا حدث بحديث فلا تنازعه اياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا ترهانك تعلمه ، واذا كلمت صاحبك فاخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به . وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام . وقال الحسن البصري . حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم . وقال ابو عباد : اذا أنكر المتكلم مخبر السامع فليسأله عن مقاطع حديثه ، والسبب الذي أجرى ذلك له ، فان وجده يقف على الحق أتم له الحديث ، والا قطعه عنه وحرمه مؤانسته ، وعرفه ما في سوء الاستماع من الفشولة والحرمان للفائدة . وفي الادب في المجالسة قال المهلب بن أبي صفرة : العيش كله في الجليس الممتع . ومن حديث أبي بكر بن ابي شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يقم الرجل عن مجلسه ولكن ليوسع له » وكان عبد الله بن عمر اذا قام له الرجل عن مجلسه لم يجلس فيه وقال لا يقم أحد لاحد عن مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم . أبو امامة قال : خرج الينا النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا اليه . فقال لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها فما قام اليه احدنا

بعد ذلك وحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان خرجت عليكم وأنتم جلوس فلا يقومن أحدمنكم فى وجهى وان قمت فكما أنتم وان جلست فكما انتم فان ذلك خلق من أخلاق المشركين » وقال صلى الله عليه وسلم « الرجل أحق بصدر دابته وصدر مجلسه وصدر فراشه ومن قام عن مجلسه ورجع اليه فهو أحق به » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا جلس اليك أحد فلا تقم حتى تستأذنه » وجلس رجل الى الحسن بن على عليهما الرضوان . فقال له انك جلست الينا ونحن نريد القيام افتأذن . وقال سعيد بن العاص مامددت رجلى قط بين يدى جليسى ولا قمت حتى يقوم . وقال ابراهيم النخعى : اذا دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه اهله وطرح ابو قلابة لرجل جلس اليه وسادة فردها . فقال اماسمعت الحديث لا ترد على أخيك كرامته . وقال على بن ابى طالب رضوان الله عليه : لا يأبى الكرامة الا حمار . وقال سعيد بن العاص : لجليسى على ثلاث اذا دنا رحبت به واذا جلس وسعت له واذا حدث أقبلت عليه وقال: انى لاخاف ان يمر الذباب بجليسى مخافة ان يؤذيه . الهيثم بن عدى قال : دخل الاحنف بن قيس على معاوية فاشار اليه الى وسادة فلم يجلس عليها . فقال له : مامنعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة . فقال يا أمير المؤمنين ان فيما اوصى به قيس ابن عاصم ولده ان قال لا تسع للسلطان حتى يملك ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وسادة واجعل بينك و بينه مجلس رجل أو رجلين . وقال الحسن : مجالسة الرجل من غير أن يسئل عن اسمه واسم أبيه مجالسة النوكى . ولذلك قال شبيب بن شبة لابى جعفر ولقيه فى الطواف وهو لا يعرفه فاعجبه حسن هيئته وسمته اصلحك الله انى أحب المعرفة وأجلك عن المسئلة . فقال : انا فلان بن فلان . قال زياد: ماأتيت مجلسا قط الا تركت منه مالو جلست فيه لكان لى وترك مالى أحب الى من أخذ ماليس لى وقال : اياك وصدور المجالس وان صدرك صاحبها فانها مجالس قلعة . وقال لان ادعى من بعد الى قرب أحب الىّ من ان أقصى من قرب الى بعد . ذكروا انه كان يوماأبو السمراء عند عبدالله بن طاهر وعنده اسحق بن ابراهيم . فاستدنى عبدالله اسحق فناجاه بشىء وطالت النجوى بينهما . قال فاعترتنى حيرة فيما بين القعود على ماهما عليه والقيام حتى انقطع مابينهما وتنحى اسحق الى موقفه ونظر عبدالله الى . فقال :

اذا النجيان سراعنك أمرهما * فابرح بسمعك يجهل مايقولان
ولا تحملهما ثقلا لخوفهما * على تناجيهما بالمجلس الدانى

فما رأيت أكرم منه ولا أرفق أدباً ترك مطالبتى فى هفوتى بحق الامراء وأدبنى أدب النظراء

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «انما أحدكم مرآة أخيه فاذا رأى عليه أذى فليمطه عنه واذا أخذ أحدكم عن أخيه شيأ فليقل لا بك السوء وصرف الله عنك السوء» وقالوا اذا اجتمعت حرمتان أسقطت الصغرى الكبرى . وقال المهلب بن أبي صفرة : العيش كله في الجليس الممتع

٧٣ ـ الادب في المماشاة ـ وجه هشام بن عبد الملك ابنه على الصائفة ووجه معه ابن أخيه وأوصى كل واحد منهما بصاحبه . فلما قدما عليه . قال لابن أخيه كيف رأيت ابن عمك فقال ان شئت أجملت وان شئت فسرت . قال بل أجمل . قال عرضت بيننا جادة فتركها كل واحد منا لصاحبه فما ركبناها حتى رجعنا اليك . وقال يحيي بن أكثم ماشيت المأمون يوما من الايام في بستان مؤنسة بنت المهدى . فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس . فلما انتهى الى آخره وأراد الرجوع أردت أن ادور الى الجانب الذي يستره من الشمس . فقال لا تفعل ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتني . فقلت يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك حر النار لفعلت فكيف الشمس . فقال ليس هذا من كرم الصحبة ومشى ساترا لى من الشمس كما سترته . وقيل لعمر بن ذر : كيف برابنك قال ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي ولا ليلا الا مشى أمامي ولا رقى سطحا وأنا تحته . وقيل لزياد : انك تستخلص حارثة بن زيد وهو يواقع الشراب . فقال وكيف لا أستخلصه وما سألته عن شيء قط الا وجدت عنده منه علما ولا استودعته سرا قط فضيعه ولا راكبني قط فمست ركبتي ركبته . محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال : خرجت مع موسى الهادى أمير المؤمنين من جرجان . فقال لي : اما ان تحملني واما ان أحملك فعلمت ما أراد . فانشدته أبيات ابن صرمة :

أوصيكم بالله أول وهلة * وأحسابكم والبر بالله أول
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم * وان كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وان أنتم أعوزتم فتعففوا * وان كان فضل المال فيكم فأفضلوا
وان نزلت احدى الدواهي بقومكم * فانفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وان طلبوا عرفا فلا تحرموهمو * وما حملوكم في الملمات فاحملوا

قال فامر لى بعشرين ألف درهم . وقيل ان سعيد بن سالم راكب موسى الهادى والحربة بيد عبد الله بن مالك وكانت الريح تسفي التراب وعبد الله يلحظ موضع مسير موسى فيتكلف ان يسير

على محاذاته واذا حاذاه ناله ذلك التراب . فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سالم . فقال أما ترى ما نلقى من هذا الخائن . قال والله يا أمير المؤمنين ما قصر فى الاجتهاد ولكن حرم التوفيق

٧٤ـ باب السلام والاذن ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم «أطيبوا الكلام وأفشوا السلام واطعموا الايتام وصلوا بالليل والناس نيام» وقال صلى الله عليه وسلم «ان أبخل الناس الذى يبخل بالسلام» وأتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليك السلام يارسول الله . فقال لا تقل عليك السلام فانها تحية الموتى . وقل السلام عليك . وقال صاحب حرس عمر بن عبد العزيز خرج عمر فى يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة فقمت اليه وسلمت عليه . فقال مه أنا واحد وأنتم جماعة السلام علىّ والرد عليكم . ثم سلم ورددنا عليه ومشى فمشينا معه الى المسجد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم «يسلم الماشى على القاعد والراكب على الراجل والكبير على الصغير» ودخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له أبى يقرئك السلام . فقال عليك وعلى أبيك السلام . ابراهيم بن الاسود قال : قال عبد الله بن مسعود اذا لقيت عمر فاقرأ عليه السلام . قال فلقيته فاقرأته السلام . فقال وعليك وعليه السلام . دخل ميمون ابن مهران على سليمان بن هشام وهو والى الجزيرة . فقال السلام عليكم . فقال له سليمان ما منعك أن تسلم بالامرة . فقال انما يسلم على الوالى بالامرة اذا كان عنده الناس . أبو بكر بن أبى شيبة قال : كان الحسن وابراهيم وميمون بن مهران يكرهون أن يقول الرجل حياك الله حتى يقول السلام . وسئل عبد الله بن عمر عن الرجل يدخل المسجد أو البيت ليس فيه أحد . قال يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ومر رجل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه السلام . وقال رجل لعائشة كيف أصبحت قالت بنعمة من الله . وقال رجل لشريح كيف أصبحت . قال أصبحت طويلا أملى قصيرا أجلى سيئا عملى . وقيل لسفيان الثورى كيف أصبحت . قال أصبحت فى دار حارت فيها الادلاء . واستأذن رجل من بنى عامر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت . فقال أألج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول السلام عليكم ادخل . جابر بن عبد الله قال استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فقلت أنا قال أنا أنا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الاستئذان ثلاثة فان اذن لك والا فارجع» وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الاولى اذن والثانية مؤامرة . والثالثة عزيمة اما أن يأذنوا واما ان يردوا

٧٥ ـ باب فى تأديب الصغير ـ قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وقالوا : اطبع الطين ما كان رطبا وأعمر العود ما كان لدنا . وقالوا : من أدب ولده غم حاسده وقال ابن عباس: من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب . وقال الشاعر :

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

وقالوا : ما أشد فطام الكبير وأعسر رياضة الهرم . قال الشاعر:

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

كتب شريح الى معلم ولده :

ترك الصلاة لا كلب يسعى بها * يبغى الهراش مع الغواة الرجس
فاذا أتاك فعضه بملامة * وعظه موعظة الاديب الكيس
فاذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت ثلاثة لك فاحبس
واعلم بانك ما أتيت فنفسه * مع ما يجرعنى أعز الانفس

وقال صالح بن عبد القدوس:

وان من أدبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد له جهله * كذى الصبا عاد الى بلسه
ما تبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده ليكن أول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه ، روهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك

٧٦ ــ باب في حب الولد ــ أرسل معاوية الى الاحنف بن قيس . فقال يا أبا بحر ما تقول فى الولد . قال ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن له أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فان

طلبوافاعطهم ، وان غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودهم ، و يحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، و يحبوا وفاتك ، فقال لله أنت يا أحنف لقد دخلت علي وانى لمملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبي . فلما خرج الاحنف من عنده بعث معاوية الى يزيد بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب . فبعث يزيد الى الاحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب شاطره البعثة . وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامه الناس فيه . فقال :

يلومونني فى سالم وألومهم * وجلدى بين العين والانف سالم

وقال ان ابنى سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه . وكان يحيي بن اليمان يذهب بولده داود كل مذهب حتى قال يوما أئمة الحديث أربعة كان عبدالله . ثم كان علقمة . ثم كان ابراهيم . ثم أنت ياداود . وقال : تزوجت أم داود فما كان عندنا شيء ألفه فيه حتى اشتريت له كسوة بدانق وقال : زيد بن على لابنه : يابنى ان الله لم يرضك فاوصاك بى ورضينى لك فحذرنيك . واعلم ان خير الآباء للابناء من لم يدعه الى التفريط وخير الابناء للآباء من لم يدعه التقصير الى العقوق . وفى الحديث المرفوع « ريح الولد من ريح الجنة » وفيه أيضا « الاولاد من ريحان الله » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما بشر بفاطمة « ريحانة أشمها ورزقها على الله » ودخل عمرو بن العاصى على معاوية وبين يديه بنته عائشة . فقال من هذه . فقال هذه تفاحة القلب . فقال له انبدها عنك فوالله انهن ليلدن الاعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغائن ، قال لا تقل ذاك ياعمرو فوالله مامرض المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الاحزان مثلهن ، ورب ابن أخت قد نفع خاله . وقال المعلى الطائى :

لولا بنيات كزغب القطا * خططن من بعض الى بعض
لكان لى مضطرب واسع * فى الارض ذات الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

وقال عبدالله بن أبى بكرة موت الولد صدع فى الكبد لا ينجبر آخر الابد . ونظر عمر بن الخطاب الى رجل يحمل طفلا على عنقه . فقال ما هذا منك . قال ابنى يا أمير المؤمنين . قال أما انه ان عاش فتنك وان مات حزنك . وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقص الحسين بن على رضى الله عنهما وتقول :

ان بنى شبه النبي * ليس شبيها بعلى

وكان الزبير يرقص عروة ويقول :

أبيض من آل أبي عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقي

وقال أعرابي وهو يرقص ولده :

أحبه حب الشحيح ماله * قد كان ذاق الفقر ثم ناله * اذا يريد بذله بدا له

وقال آخر وهو يرقص ولده :

أعرف منه قلة النعاس * وخفة من رأسه في راسي

وكان رجل من طيء يقطع الطريق فمات وترك بنيا رضيعا فجعلت أمه ترقصه وتقول :

ياليته قد قطع الطريقا * ولم يردني أمره رفيقا

وقد أخاف الفج والمضيقا * فقل ان كان به شفيقا

وقال عبد الملك أضر بنا في الوليد حبنا له فلم نؤدبه وكان الوليد أدبنا . وقال هرون الرشيد لابنه المعتصم : مافعل وصيفك . قال مات فاسترحت من الكتاب . قال و بلغ منك الكتاب هذا المبلغ والله لا حضرته أبدا و وجهه الى البادية . فتعلم الفصاحة وكان أميا وهو المعروف بابن ماردة وفي بعض الحديث ان ابراهيم خليل الرحمن كان من أغير الناس . فلما حضرته الوفاة دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره . فقال له من أدخلك داري . قال الذي أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة . قال ومن أنت قال انا ملك الموت جئت لقبض روحك . قال أتاركي أنت حتى أودع ابني اسحق . قال نعم فارسل الى اسحق . فلما أتاه أخبره فتعلق اسحق بابيه ابراهيم وجعل يتقطع عليه بكاء فخرج عنهما ملك الموت . وقال يارب ذبيحك اسحق متعلق بخليلك . فقال له الله قل له اني قد أمهلتك . ففعل وانحل اسحق عن أبيه ودخل ابراهيم بيتا ينام فيه . فقبض ملك الموت روحه وهو نائم

٧٧ — باب الاعتضاد بالولد — قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه اليه في الولد « وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين » وقال « واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » الموالي ههنا بنو العم . وقال الشاعر :

من كان ذا عضد عزت ظلامته * ان الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه اذا ما قل ناصره * ويأنف الضيم ان أثرى له عدد

العتبي قال : لما أسن أبو براء عامر بن مالك وضعفه بنو أخيه وخرفوه ولم يكن له ولد يحميه أنشأ يقول :   دفعتكم عني ومادفع راحة * بشيء اذا لم تستعن بالانامل

يضعفني حلمي وكثرة جهلكم * على وانى لا أعضد بجاهل

وقال آخر :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * ويتقى سورة المستنفر الحامى

٧٨ – باب فى التجارب والتأدب بالزمان – قالت الحكماء : كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الايام عظة . وقالوا : كفى بالدهر مؤدبا وبالعقل مرشدا . وقال حبيب :

أحاولت ارشادى فعقلى مرشد * أم استمت تأديبى فدهرى مؤدبى

وقال ابراهيم بن شكلة :

من لم يؤدبه والداه * أدبه الليل والنهار * كم قد اذلا كريم قوم

ليس له منهما انتصار * من ذا يد الدهر لم تنله * أو اطمأنت به الديار

كل عن الحادثات مغض * وعنده للزمان ثار

وقال آخر :   وما أبقت لك الايام عذرا * وبالايام يتعظ اللبيب

وقالوا : كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقى . وقالوا : كفى الزمان مخبرا لذوى الالباب ماجربوا

وقالوا : لعيسى بن مريم عليهما السلام من أدبك . قال ما أدبنى أحد رأيت الجهل قبيحا فاجتنبته

٧٩ – باب فى صحبة الايام بالموادعة – قلت الحكماء : اصحب الايام بالموادعة ولا تسابق الدهر فتنكب . وقال الشاعر :

من سابق الدهر كبا كبوة * لم يستقلها من خطأ الدهر

فاخط مع الدهر اذا ما خطا * واجر مع الدهر كما يجرى

وقال بشار العقيلى :

أعاذل ان العذر سوف يفيق * وان يسارا من غد لخليق

وما كنت الا كالزمان اذا صحا * صحوت وان ماق الزمان أموق

وقال آخر :   تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل ذوى الجهل

وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى هزل

فانى رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال آخر: ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

وقال الآخر: والسبب المانع حظ العاقل * هو الذى سبب حظ الجاهل

ومن أمثالهم فى ذلك تطامن لها تخطك. ومن قولنا فى هذا المعنى:

تطامن للزمان يجزك عفوا * وان قالوا ذليل قل ذليل

وقال حبيب: وكانت روعة ثم اطمانت * كذاك لكل سالبة قرار

وقال آخر: ما ذا يريك الدهر من هوانه * ازفن لقرد السوق فى زمانه

ولآخر: الدهر لا يبقى على حالة * لابد أن يقبل أو يدبر

فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ولآخر: اصبر لدهر نال منـ * ـك فهكذا مضت الدهور

فرحا وحزنا مرة * لا الحزن دام ولا السرور

ولآخر: عفا الله عمن صبرالهم واحدا * وأيقن ان الدائرات تدور

تروح لنا الدنيا بغير الذى غدت * وتحدث من بعد الامور أمور

وتجرى الليالى باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور

ويطمع أن يبقى السرور لاهله * وهذا محال أن يدوم سرور

ولآخر: ماتنظر الايام فيك لعلها * تعود الى الوصل الذى هو أجمل

٨٠ ـ باب التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلا ـ قالت الحكماء: اياك وما يعتذر منه. وقالوا: من عرض نفسه للتهم فلا يامن من اساءة الظن. وقالوا: حسبك من شر سماعه. وقالوا: كفى بالقول عارا وان كان باطلا. وقال الشاعر:

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق و بالباطل

مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر سائل

وقال آخر: قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا * فما اعتذارك من قول اذا قيلا

وقال ارسطاطاليس: للاسكندر ان الناس اذا قدروا أن يقولوا قدروا أن يفعلوا. فاحترس من أن يقولوا تسلم من أن يفعلوا. وقال امرؤ القيس: * وجرح اللسان كجرح اليد *

وقال الاخطل * والقول ينفذ ما لا تنفذ الايدى * وقال يعقوب الحمدى:

وقد يرجى لجرح السيف برء * ولا برء لما جرح اللسان

ولآخر قالوا ولوصح ماقالوا لفزت به * من لى بتصديق ماقالوا وتكذيب

٨١ — باب الادب فى تشميت العطاس — ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تشمت العاطس حتى يحمد الله فان لم يحمده فلا تشمته» وقال «اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه» وقال على رضى الله عنه يشمت العاطس الى ثلاث فان زاد فهو داء يخرج من رأسه . عطس ابن عمر فقالوا له يرحمك الله . فقال يهديكم الله ويصلح بالكم . وعطس على بن أبى طالب فحمد الله فقيل له يرحمك الله . فقال يغفر الله لنا ولكم . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا عطس أحدكم فشمتوه ثلاثا فان زاد فقولوا انك مضنوك . وقال بعضهم التشميت مرة واحدة

٨٢ ـ باب الاذن فى القبلة ـ عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم . وكيع عن سفيان قال : قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب ومن حديث الشعبي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر بن أبى طالب فالتزمه وقبل بين عينيه . وقال اياس بن دغفل : رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسن . الشيبانى عن أبى الحسن عن مصعب قال : رأيت رجلا دخل على على بن الحسين رضى الله عنهما فى المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه ولم ينهه . العتبي قال : دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده . فقال فقال العرب ماقبلت الايدى الا هلوعا ولا قبلتها العجم الا خضوعا . واستأذن رجل المامون فى تقبيل يده فقال : ان القبلة من المؤمن ذلة ومن الذمى خديعة ولا حاجة بك أن تذل ولا حاجة بنا أن نخدع . واستاذن أبو دلامة المهدى فى تقبيل يده فمنعه . فقال مامنعتنى شيأ أيسر على عيالى فقدا منه . الاصمعى قال : دخل أبو بكر الهجرى على المنصور . فقال يا أمير المؤمنين نغض فمى وأنتم أهل بيت بركة . فلو أذنت لى فقبلت رأسك لعل الله كان يمسك على ما بقى من أسنانى . قال اختر بينها و بين الجائزة . فقال يا أمير المؤمنين ان أهون من ذهاب درهم من الجائزة أن لا يبقى فى فمى حاكة فضحك المنصور وأمر له بجائزة . وقالوا : قبلة الامام فى اليد وقبلة الاب فى الرأس وقبلة الاخ فى الخد وقبلة الاخت فى الصدر وقبلة الزوجة فى الفم

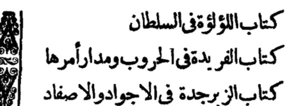
﴿ تم الجزء الاول من كتاب العقد الفريد و يليه ان شاء الله تعالى ﴾

﴿ الجزء الثانى وأوله باب الادب فى العيادة الخ ﴾



﴿ الجزء الاول من كتاب العقد الفريد ﴾

﴿ ذكر ما فيه من الكتب ﴾



﴿ ذكر الكتب وما فيها من التراجم ﴾

﴿ كتاب اللؤلؤة فى السلطان ﴾

﴿ كتاب الفريدة في الحروب ومدار أمرها ﴾

﴿ كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد ﴾

﴿ كتاب الجمانة فى الوفود ﴾

كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك

كتاب الياقوتة فى العلم والادب



